

T. C.  
İSTANBUL SABAHATTİN ZAİM ÜNİVERSİTESİ  
LİSANSÜSTÜ EĞİTİM ENSTİTÜSÜ  
TEMEL İSLAM BİLİMLERİ ANABİLİM DALI  
TEMEL İSLAM BİLİMLERİ BİLİM DALI

KUTBÜDDİN İZNÎKÎ'NİN *ET-TELFÎK* ADLI ESERİNİN  
TAHKİK VE TAHLİLİ

YÜKSEK LİSANS TEZİ

Ayah Jamal Mohammad ABUTAIR

Tez Danışmanı  
Dr. Öğr. Üyesi Fahreddin YILDIZ

İstanbul  
Temmuz - 2023

الجمهورية التركية  
جامعة إستانبول صباح الدين الزعيم  
معهد الدراسات العليا  
قسم العلوم الإسلامية الأساسية

تحقيق كتاب التلفيق  
لقطب الدين محمد الإزنيقي وتحليله  
(ت. ٨٢١)

رسالة ماجستير

آية جمال محمد أبوطير

إشراف  
الدكتور: فخر الدين بيلديز

إسطنبول  
تموز - ٢٠٢٣

## TEZ ONAY SAYFASI

Lisansüstü Eğitim Enstitüsü Müdürlüğüne,

Bu çalışma, jürimiz tarafından Temel İslam Bilimleri Anabilim Dalı, Temel İslam Bilimleri Bilim Dalında YÜKSEK LİSANS TEZİ olarak kabul edilmiştir.

Danışman: Dr. Öğr. Üyesi Fahreddin YILDIZ .....

Doç: Dr. Adel ABUSHAAR .....

Doç: Dr. Ahmad SNOBER .....

Onay

Yukarıdaki imzaların, adı geçen öğretim üyelerine ait olduğunu onaylarım.

Doç. Dr. Erhan İÇENER

Enstitü Müdürü

## BİLİMSEL ETİK BİLDİRİMİ

Yüksek lisans tezi olarak hazırladığım “Kutbüddîn İznikî'nin Telfikâtü'l-Mesâbî Adlı Eserinin Tahkiki Ve Hadis İlmi Açısından Değerlendirilmesi” adlı çalışmanın, öneri aşamasından sonuçlandığı aşamaya kadar geçen süreçte bilimsel etiğe ve akademik kurallara özenle uyduğumu, tez içindeki tüm bilgileri bilimsel ahlak ve gelenek çerçevesinde elde ettiğimi, tez yazım kurallarına uygun olarak hazırladığımı, bu çalışmamda doğrudan veya dolaylı olarak yaptığım her alıntı için kaynak gösterdiğimi ve yararlandığım eserlerin bibliyografyada gösterilenlerden oluştuğunu beyan ederim.

**Ayah Jamal Mohammad ABUTAİR**

### تعهد إقرار بالتزام القواعد العلمية والأخلاقية

لقد التزمت في جميع مراحل الرسالة من وقت تسليم مقترح الرسالة التي تحمل اسم "تلفيقات المصايح دراسة وتحقيق" وإلى نهاية إعداد هذه الرسالة بالقواعد الأخلاقية العلمية، وأقر بأنني قد أعددت هذه الرسالة بما يتوافق مع قواعد الجامعة الواردة في الدليل الجامعي باستثناء العزو والتخريج الذي يتوافق مع مركز البحوث "إسام" في إطار الأخلاقيات العلمية، وأن جميع الاقتباسات فيها بشكل مباشر أو غير مباشر هي تمامًا كما وثقتها وأثبتتها في قائمة المصادر والمراجع.

آية جمال محمد أبوطير

## الإهداء

إلى من دعمتني في متابعة حلمي وإكمال مسيرتي العلمية

والدتي الغالية..

إلى من زرع فيّ حب العلم والتعلم

والذي رحمه الله..

إلى روح قطب الدين الإزنيقي الذي من الله علي أن أكون أول من حقق أحد مؤلفاته

إلى أستاذي الفاضل فخر الدين يلديز

إلى أهل العلم وكل مسلم، وأسأل الله أن يتقبل مني وينفع به.

آية أبوطير

٢٠٢٣

## شكر وتقدير

أولاً أحمد الله وأشكره على أن وفقني لإتمام هذا البحث، ومن ثم أتقدم بجزيل الشكر إلى أستاذي الفاضل الدكتور فخر الدين يلديز الذي أرشدني إلى تحقيق هذا المخطوط وأشرف عليه، وعلى إعطائي جزءاً من وقته بالرغم من كثرة مشاغله العلمية والعملية، وأشكره على ما قدمه لي من توجيهات وإرشادات ونصائح في مراحل هذا البحث، سائلة المولى أن يجزيه خير الجزاء، ثم أتقدم بالشكر والتقدير إلى لجنة التحكيم وإلى كل من ساعدني وأعانني في هذا البحث.

## ÖZET

### KUTBÜDDİN İZNİKÎ'NİN *ET-TELFİK* ADLI ESERİNİN

#### TAHKİK VE TAHLİLİ

Ayah Jamal Mohammad ABUTAIR

Yüksek Lisans, Temel İslam Bilimleri

Tez Danışmanı: Dr. Öğr. Üyesi Fahreddin YILDIZ

Temmuz, 2023- 444 Sayfa

Bu çalışma, Osmanlı âlimi Kutbüddîn İznikî'nin (ö. 821/1418) *Telfikâtü'l-Mesâbih* adlı yazma eserinin İman Bölümü'nden Menâkıb Bölümü'ne kadar tahkikini hedeflemektedir. *Telfikâtü'l-Mesâbih*, Ferrâ el-Begavî'nin (ö. 516/1122) *Meşâbihu's-sünne* adlı eserinin Arapça şerhi olup hadisler arasındaki zahirî çelişkiyi ortadan kaldırma gayesiyle kaleme alınmıştır.

Çalışma, iki bölümden oluşmaktadır. Birinci Bölüm'de eser ilmî yöntemlerle incelenmiş, İkinci Bölüm'de de eserin tahkiki yapılmıştır.

Birinci Bölüm'de müellifin kimliği, hayatı, ilmî kişiliği, mezhebi, fikirleri ve eserleri gibi bilgilere yer verilerek tahkiki yapılan eseri kaleme alma amacı, *el-Mesâbih* adlı eseri şerh ederken kullandığı kaynaklar, hadislerdeki çelişkiyi ortadan kaldırmada izlediği yöntem araştırılmış ve şerhin özgünlüğü anlatılmıştır. Aynı zamanda eserin yazma nüshaları tanıtılmış ve eserin tahkikinde kullanılmak üzere seçilen nüshaların özellikleri ve izlenen yöntem de bu bölümde ele alınmıştır.

İkinci Bölüm'de ise seçilen yazma nüshalar karşılaştırılarak müellifin kaleme aldığı eserin en yakın metni ortaya konmaya çalışılmıştır. Aynı zamanda eserde geçen ayet ve hadislerin kaynağı da gösterilerek okuyucuların istifadesine sunulmuştur.

**Anahtar Kelimeler:** Mesâbihu's-sünne, el-Begavî, Muhtelif'ül-hadîs, el-İznikî, et-Telfikât.

## ملخص الدراسة

تحقيق كتاب التلفيق لقطب الدين محمد الإزنيقي وتحليله (ت. ٨٢١)

آية جمال محمد أبوطير

رسالة ماجستير، العلوم الإسلامية الأساسية

مشرف الرسالة: الدكتور فخر الدين بيلديز

تموز، ٢٠٢٣ - ٤٤٤ صفحة

موضوع هذا البحث هو تحقيق كتاب تليقات المصايح للعالم العثماني قطب الدين الإزنيقي (ت. ٨٢١هـ/١٤١٨م) ودراسته دراسة علمية. بداية من (باب الإيمان) إلى الباب الأخير (باب جامع المناقب). ويعد هذا الكتاب شرحًا لكتاب مصايح السنة للإمام البغوي (ت. ٥١٦هـ/١١٢٢م)، حيث كان الهدف من التأليف هو التوفيق بين الأحاديث المتعارضة ظاهريًا الواردة في كتاب مصايح السنة.

وينقسم هذا البحث إلى قسمين:

القسم الأول: قسم الدراسة.

القسم الثاني: قسم التحقيق.

أما قسم الدراسة فهو القسم الذي تم فيه دراسة هذا البحث دراسة علمية هدفت إلى التعريف بالمؤلف؛ اسمه ولقبه وحياته العلمية وآثاره. والتعريف أيضًا بمنهجه في دفع التعارض الظاهري والتعريف بالقواعد التي استخدمها والتعرف على أفكاره ومذهبه، وبسبب تأليفه هذا الكتاب، واكتشاف المصادر التي اعتمد عليها في شرحه لكتاب المصايح وبيان المادة العلمية التي تفرّد فيها عن الشروح الأخرى.

واشتمل هذا القسم أيضًا على دراسة النسخ الخطية من حيث وصف المخطوطات وذكر المخطوطة المعتمدة، والتعريف بمنهج الباحثة في التحقيق.

أما قسم الثاني ففيه تم إخراج النص إلى أقرب وأحسن صورة تركها المؤلف، ومقارنة النسخ، وعزو الآيات، وتخريج الأحاديث.

**الكلمات المفتاحية:** مصايح السنة، البغوي، مختلف الحديث، الإزنيقي، التليقات.

## ABSTRACT

### EDITION CRITIQUE OF AL-TALFĪQ AND ITS EVALUATION

Ayah Jamal Mohammad ABUTAIR

Master Thesis, Basic Islamic Sciences

Assistant Professor: Assoc. Prof. Dr. Fahreddin YILDIZ

July 2023, 444 pages

The subject of this research is about the investigation of the book “Fabrications of the Lights” [Talfeeqat Al-masabeeh] of the Ottoman scholar Qutb Al-Din Al-Izniki (d. 821 AH / 1418 CE) and studying it scientifically. Starting from (Chapter of Faith) to the last chapter (Chapter of the tallying of Virtues). This book is regarded as an explanation of the book “Masabeeh Al-Sunnah” [the lights of the Sunnah] by Imam al-Baghawi (d. 516 AH / 1122 CE), where the aim of the inscription was to reconcile the apparently contradictory hadiths contained in the book Masabeeh al-Sunnah [the lights of the Sunnah].

This research is divided into two sections:

The first section: the study section.

The second section: the Investigation Section.

Regarding the study section, it is the section in which a scientific study of this research was made; which aimed at introducing the author; His name, surname, scientific life and his influence. And also introducing his methodology in repelling the apparent contradiction, the definition of the rules that he used, the identification of his ideas and doctrine, the reason behind writing this book, the discovery of the sources on which he relied on in his explanation of the book Al-Masabeeh, and the clarification of the scientific material in which he exceeded other explanations.

This section also included a study of the hand-written manuscript copies; in terms of describing the manuscripts, mentioning the approved manuscript, and defining the researcher's methodology in the investigation and proofing.

As for the second section, in which the text was produced to the closest best original version produced by the author, comparing the copies of the versions, Quran verses were attributed, and hadiths were cited.

**Keywords:** Maṣābīḥ al-sunnah, Baghawī, mukhtalaf al-ḥadīth, al-Iznīqī, al-Talfīqāt.



## فهرس المحتويات

i	TEZ ONAY SAYFASI
ii	BİLİMSEL ETİK BİLDİRİMİ
iii	الإهداء
iv	شكر وتقدير
v	ÖZET
vi	ملخص الدراسة
vii	ABSTRACT
ix	فهرس المحتويات
١	المقدمة
١	أهداف الدراسة:
١	الأسئلة الأساسية للدراسة:
١	أسباب اختيار الدراسة:
٢	منهج البحث:
٢	الدراسات السابقة:
٤	الفصل الأول: الدراسة
٤	١,١. المبحث الأول: ترجمة الإمام البغوي:
٤	١,١,١. المطلب الأول: اسمه ونسبه وولادته ووفاته:
٥	١,١,٢. المطلب الثاني: حياته العلمية:
٨	١,٢. المبحث الثاني: ترجمة قطب الدين الإزنيقي
٨	١,٢,١. المطلب الأول: عصر المؤلف:
١٠	١,٢,٢. المطلب الثاني: اسمه ومولده ونشأته ووفاته:
١١	١,٢,٣. المطلب الثالث: مكانته العلمية:
١٣	١,٣. المبحث الثالث: التعريف بكتاب تليفقات المصايح:
١٣	١,٣,١. المطلب الأول: توثيق نسبة الكتاب إلى المؤلف وعنوانه:

١٤	المطلب الثاني: موضوعه وسبب تأليفه: ١,٣,٢
١٤	المطلب الثالث: المصادر التي اعتمد عليها المؤلف: ١,٣,٣
١٥	المبحث الرابع: منهج المؤلف: ١,٤
١٥	المطلب الأول: منهجه في تنظيم مادة النص: ١,٤,١
١٦	المطلب الثاني: مدى استفادته من الشروح التي اعتمد عليها: ١,٤,٢
١٧	المبحث الخامس: التعريف بالنسخ والمنهج المتبع أثناء التحقيق: ١,٥
١٩	المطلب الأول: التعريف بالنسخ المعتمدة: ١,٥,١
٢٠	المطلب الثاني: صور من النسخ الخطية المعتمدة: ١,٥,٢
٢٣	المطلب الثالث: المنهج المتبع في التحقيق: ١,٥,٣
٢٥	<b>الفصل الثاني: النص المحقق</b>
٢٧	باب الإيمان
٣٢	[قواعد التوفيق والترجيح وشروط التأويل في التعارض الظاهري]
٥٧	[أقوال بعض العلماء في الإيمان]
٧٥	باب الكبائر وعلامات النفاق
٧٨	باب الإيمان بالقدر
٧٩	[أقوال بعض العلماء في هذه المسألة]
٨٤	باب عذاب القبر
٩٠	باب الاعتصام بالكتاب والسنة
٩٢	كتاب الصلاة
٩٥	باب تعجيل الصلاة
٩٦	باب الذكر
١٠٠	باب القراءة في الصلاة
١٠١	باب الركوع
١٠٣	باب الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام
١٠٤	باب الذكر بعد الصلاة

١٠٦	باب الجماعة وفضلها
١٠٧	باب تسوية الصفوف
١٠٧	باب السنن وفضلها
١١٠	باب صلاة الليل
١١١	باب صلاة التسيح
١١٢	باب الجمعة
١١٤	باب التنظيف والتبكير
١١٧	باب صلاة الخوف
١١٨	باب صلاة الكسوف
١١٩	باب سجود الشكر
١٢٠	باب عيادة المريض وثواب المريض
١٢٥	باب تمّي الموت
١٢٧	باب مشي بالجنّاة والصلاة عليها
١٢٩	باب البكاء على الميت
١٢٩	[أجوبة بعض الشراح]
١٣١	[وجوب الجنة أو النار للميت]
١٣٣	باب زيارة القبور
١٣٤	باب من يحلّ المسألة ومن لا يحلّ
١٣٥	باب الإنفاق وكرهه الإمساك
١٣٧	باب فضل الصدقة
١٣٩	[رأي المتكلمين والفقهاء في المعاصي صغائرهم وكبائرهم]
١٤١	باب أفضل الصدقة
١٤٣	باب صيام التطوع
١٤٤	باب فضائل القرآن
١٤٦	[أقسام القرآن]
١٤٦	كتاب الدعوات

١٥٤	أضرب المقدّرات
١٥٥	[التأويل في معنى قوله عليه السّلام: «لا يرد القضاء إلا الدعاء»]
١٥٧	باب ذكر الله والتّقرب إليه
١٦٣	باب ثواب التّسبيح
١٦٥	[أيّهما أفضل التّسبيح أم التّحميد؟]
١٦٦	باب الاستغفار والتّوبة
١٦٧	آراء وأقوال بعض الشّراح والعلماء في تأويل هذه المسألة
١٨٠	[الحكمة من خلق آدم عليه السلام وتفضيله]
١٨٦	باب ما يقال عند الصّباح والمساء
١٨٨	باب الدّعوات في الأوقات
١٩١	التوفيق بين قراءة القرآن والانشغال بالأذكار
١٩٣	باب دخول مكّة
١٩٥	باب النّكاح
١٩٥	أقوال الشّراح في توجيه الحديث
١٩٧	باب المباشرة
١٩٨	باب العتق
١٩٩	باب الأيمان
١٩٩	باب التّدر
٢٠٠	باب القصاص
٢٠٢	باب قتل أهل الرّدة والشّقاء
٢٠٤	باب شرب الخمر
٢٠٥	باب العمل في القضاء والخوف منه
٢٠٨	كتاب الجهاد
٢١٥	باب حكم الأسارى
٢١٦	باب الجزية
٢١٧	كتاب الأطعمة

٢٢٠	..... كتاب اللباس
٢٢٣	..... باب التّرجل
٢٢٦	..... كتاب الطبّ والرّقى
٢٣٣	..... باب الرّؤيا
٢٣٤	..... باب الجلوس
٢٣٥	..... باب الضّحك
٢٣٥	..... باب البيان والشّعر
٢٣٦	..... الشعر المنهي عنه في الشريعة
٢٣٧	..... الشعر الممدوح والمستحسن في الشريعة
٢٣٨	..... باب الشّفقة والرّحمة
٢٤٥	..... باب ما ينهي عن التّهاجر
٢٤٨	..... باب الرّفق والحياء
٢٥١	..... باب الغضب والكبر
٢٥٥	..... باب الظلم
٢٥٦	..... باب الأمر بالمعروف
٢٥٨	..... باب الرّفاق
٢٦٠	..... [تركيبية الإنسان]
٢٧٢	..... باب الأمل والحرص
٢٧٣	..... باب استحباب المال والعمر والطّاعة
٢٧٧	..... باب الصّبر والتّوكل
٢٧٩	..... باب الرّياء والسّمعة
٢٨٠	..... باب البكاء والخوف
٢٨٣	..... باب الفتن
٢٨٦	..... باب أشراف السّاعة
٢٩٠	..... [بعض طرق الدّجال في خداع الناس فيما يتعلّق بعينيه]
٢٩٥	..... باب قرب السّاعة

٢٩٦	باب نفخ الصّور.....
٢٩٧	باب الحشر .....
٢٩٧	[أقوال وآراء بعض العلماء في هذين الحديثين]
٣٠٠	باب الحوض والشفاعة .....
٣٠٠	[ما جاء في باب الحوض]
٣٠١	[ما جاء في باب الشفاعة]
٣٠٣	تفصيل تلك الشفاعة .....
٣٠٧	باب صفة الجنّة .....
٣٠٨	[لماذا سميت هذه الأنهار بأسماء الأنهار في الجنّة]
٣١٤	باب رؤية الله تعالى .....
٣١٦	باب صفة النار وأهلها .....
٣٢١	باب بدء الخلق وذكر الأنبياء .....
٣٢١	[بدء الخلق]
٣٢٢	[خلق آدم عليه السلام]
٣٢٣	[فضل النبيّ عليه السّلام على سائر الأنبياء]
٣٢٦	[فضائل النبيّ محمد عليه السّلام]
٣٣١	[بعض أفكار الفلاسفة التي اختلفوا فيها مع الشرع]
٣٣١	[أقوال الفلاسفة في النّفس]
٣٣٢	[قول الفلاسفة في ذات الله تعالى]
٣٤٥	باب البعث وبدء الوحي .....
٣٤٦	فصل في المعراج .....
٣٥٣	فصل في المعجزات .....
٣٥٥	باب مناقب الخلفاء الرّاشدين .....
٣٦٣	باب مناقب أزواج النبيّ عليه السّلام .....
٣٦٤	باب جامع المناقب .....

٣٧٤	..... الخاتمة
٣٧٦	..... المصادر والمراجع
٣٨٨	..... فهرس الآيات القرآنية
٣٩٤	..... فهرس الأحاديث النبوية
٤٢٧	..... فهرس الأعلام



## المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد؛

فللسنة النبوية مكانة وأهمية كبيرة فهي تعد ركيزة الدين والمصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي. ولأهميتها اعتنى بها الصحابة والتابعين والعلماء اعتناءً كبيراً، فجمعوا الأحاديث ودونوها، وألفت فيه الجوامع والمسانيد والسنن وغيرها، ومن التصنيفات التي جمعت الأحاديث تصنيف مصابيح السنة للإمام البغوي. ولاقى هذا التصنيف اهتماماً كبيراً من قبل العلماء والمشايخ وكان مصدراً معتمداً في مدارس الحديث، وألف عليه الكثير من الشروح والحواشي، وتلفيقات المصاييح هو شرح لمصاييح السنة؛ حيث تناول الإزنيقي في هذا الكتاب علماً من علوم الحديث وهو اختلاف الحديث أو التعارض الظاهري بين الأحاديث المجموعة في مصابيح السنة وذكر قواعد التوفيق بينها.

### أهداف الدراسة:

تسعى الدراسة إلى تحقيق الأهداف الآتية:

- تحقيق الكتاب تحقيقاً علمياً.
- التعريف بمؤلف الكتاب العالم قطب الدين الإزنيقي.
- التعريف بمنهج المؤلف والمصادر التي اعتمدها.

### الأسئلة الأساسية للدراسة:

- ما الذي يميز شرح الإزنيقي لمصاييح السنة عن باقي الشروح؟
- ما هو منهج الإزنيقي في شرح مصاييح السنة؟
- ما هي الإضافة العلمية التي أضافها الإزنيقي وتختلف عن باقي الشروح؟

### أسباب اختيار الدراسة:

أنَّ الباحثة لم تقم بالتحقيق من قبل، فكانت رغبة منها بالتعرف على منهج التحقيق وآلته، واهتمام الباحثة بتطوير معلوماتها في مجال الحديث، والتعرف على مصادر علوم الحديث وشروحه.

## منهج البحث:

إنَّ المنهج الذي اتبعته في هذا البحث هو المنهج الوصفي التحليلي، حيث قمت بتحقيق النصوص، وترجمة الأعلام، وتوضيح المعاني اللغوية، وتخريج الآيات القرآنية والأحاديث. وتضمن البحث دراسة قامت بالتعريف بالمؤلف ومنهجه ونسبة الكتاب إليه، ثم التعريف بالكتاب.

وللنص المحقق نسختان فقط، فقابلت إحداها على النسخة الأم المعتمدة وأثبت الفروق في الهوامش، وخصصت مبحثًا وضحت فيه المنهج الذي اتبعته في التحقيق.

## الدراسات السابقة:

فيما اطلعت عليه لم أجد أحدًا حقق مخطوط تليفقات المصاييح من قبل، فقط وجدت مصنفًا واحدًا من مصنفاته قد حقق:

- أطروحة دكتوراة للطالب ALİMUJİANG ATAWULA في جامعة مرمره، قام الأستاذ ALİMUJİANG ATAWULA بتحقيق وتحليل مقدمة الإزنيقي باللغة التركية، وهو كتاب في العبادات على المذهب الحنفي، حيث شمل مواضيع الصلاة والصوم والحج والزكاة.

Alımujiang Atawula, **Kutbuddin İznîkî'nin "Mukaddime" Adlı Eserinin Tahkik Ve Tahlîlî**, Marmara Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü İlahiyat Anabilim Dalı İslam Hukuku Bilim Dalı, İstanbul 2007.

- رسالة ماجستير للطالبة Büşra AVŞAR في جامعة بليجيك حيث قامت بتحقيق مصنف المقدمة للإزنيقي باللغة التركية، حققت النسخة الموجودة في مكتبة توب كابي (Top Kapı) من الورقة [٥٠] إلى الورقة [١٠٠] حيث عملت على ترجمة المصطلحات من اللغة التركية القديمة إلى اللغة التركية الحديثة.

Büşra AVŞAR, **Kutbeddin İznîk'inin Mukaddimesinin Topkapı Nüshası (51a-100b) Giriş-Metin Çeviri-Sözlük**, Bilecik Şeyh Edebali Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü Türk Dili Ve Edebiyatı Anabilim Dalı, Yüksek Lisans Tezi, Bilecik, 2019.

خطة البحث:

ملخص الدراسة باللغة التركية.

ملخص الدراسة باللغة العربية.

ملخص الدراسة باللغة الإنجليزية.

المقدمة.

١. الفصل الأول: الدراسة وفيه خمسة مباحث:

١,١ المبحث الأول وفيه مطلبان.

١,٢ المبحث الثاني وفيه ثلاثة مطالب.

١,٣ المبحث الثالث وفيه ثلاثة مطالب.

١,٤ المبحث الرابع وفيه مطلبان.

١,٥ المبحث الخامس وفيه مطلبان.

٢. الفصل الثاني: النص المحقق.

٣. الخاتمة والنتائج والتوصيات.

## الفصل الأول: الدراسة

١,١. المبحث الأول: ترجمة الإمام البغوي:

١,١,١. المطلب الأول: اسمه ونسبه وولادته ووفاته:

١,١,١,١. اسمه ونسبه:

هو الإمام الفقيه المفسر المحدث الشيخ أبو محمد، الحسين بن مسعود بن محمد البَغَوِيُّ الشافعي.

اشتهرت نسبه بالبَغَوِيِّ، وبالْقَرَاءِ او ابن الْقَرَاءِ لَأَنَّ والده كان يعمل في الْفِرَاءِ<sup>١</sup>.

ولقبه محيي السنة<sup>٢</sup>؛ حيث قيل أَنَّ سبب تلقيه بهذا اللقب أَنَّهُ بعد أن صنف «شرح السنة» رأى الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام في منامه وقال له: «أحييت سنتي بشرح أحاديثي»<sup>٣</sup> وظهير الدين<sup>٤</sup> وركن الدين<sup>٥</sup> أيضاً.

والبغوي بفتح الباء؛ نسبة إلى بلدة (بغا) أو (بغ) تقع بين مَرُو وهِراة بخراسان<sup>٦</sup>.

١,١,١,٢. مولده ونشأته:

لم تذكر معظم مصادر ومراجع التراجم التي ترجمت للبَغَوِيِّ سنة ولادته؛ إلا أَنَّ الزركلي ذكر

---

١ الأتابكي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (وزارة الثقافة - مصر ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م)، ٥/٢٢٤.

٢ انظر: السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين. طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الجيزة، ط: ٢، ١٣٤١هـ/١٩٩٢م، ٧/٧٥؛ أبي العباس، شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: الدكتور إحسان عباس، (دار صادر - بيروت)، ٢/١٣٦؛ النجوم الزاهرة، ٥/٢٢٤؛ - الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ١٥١٤.

٣ طاش كبري زاده، أحمد بن مصطفى. مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، ٢/٩١.

٤ ابن قاضي شهبة، وفيات الأعيان، ٢/١٣٦.

٥ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ص: ١٥١٤.

٦ انظر: ابن قاضي شهبة، وفيات الأعيان، ٢/١٣٧؛ الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الأعلام، ط: ١٥، (دار العلم للملايين - بيروت ٢٠٠٢م)، ٢/٢٥٩.

في كتابه الأعلام أنه ولد في سنة ٤٣٦هـ / ١٠٤٤م<sup>٧</sup>. نشأ البغوي في بغا، إلا أنه عندما كان عمره سبعة وعشرين عامًا انتقل من بغا إلى مدينة مَرُو الرُّوذ بخراسان وأقام فيها<sup>٨</sup>. وذكر أنه كان زاهدًا ورعًا هذا ما ذكره ابن خلكان في كتابه وفيات الأعيان، وقيل أيضًا أنه كان لا يعطي الدروس إلا على طهارة، وكان مقتصدًا في لباسه<sup>٩</sup>.

١،١،١،٣. وفاته:

ذكر في بعض المصادر التي ترجمت له أنه توفي سنة ٥١٠هـ / ١١١٧م<sup>١٠</sup>، وفي المصادر الأخرى أنه توفي سنة ٥١٦هـ / ١١٢٢م في مَرُو الرُّوذ وهي مدينة بخراسان، ودفن بجانب شيخه القاضي الحسين<sup>١١</sup>.

## ١،١،٢. المطلب الثاني: حياته العلمية:

### ١،١،٢،١. طلبه للعلم:

لم تذكر مصادر التراجم والتاريخ الكثير عن حياته العلمية أو عن رحلاته. فقد ذكرنا سابقًا أنّ البغوي رحل إلى بلدة مَرُو الرُّوذ بخراسان، حيث كان يبلغ من العمر سبعة وعشرين عامًا، من هنا بدأ بطلب العلم؛ حيث بدأ بطلبه بعد سنة ٤٦٠هـ<sup>١٢</sup>. حيث أخذ العلم وتلقاه من شيوخها. فقد درس الفقه وتعلمه على يد شيخ الشافعية القاضي الحسين<sup>١٣</sup>.

٧ الزركلي، الأعلام، ٢/٢٥٨.

٨ البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء. مصابيح السنة، تحقيق يوسف عبد الرحمن المرعشلي، محمد سليم إبراهيم سمارة، جمال حمدي الذهبي، (دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م)، ١/٣١. بتصرف.

٩ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ص: ١٤١٥.

١٠ الزركلي، الأعلام، ٢/٢٨٥؛ وفيات الأعيان، ٢/١٣٦.

١١ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ص: ١٥١٤؛ ابن قاضي شهبه، طبقات الشافعية الكبرى، ٧/٧٧.

١٢ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ص: ١٥١٤؛ ابن قاضي شهبه، طبقات الشافعية الكبرى، ٧/٧٦. بتصرف.

١٣ هو القاضي الفقيه حسين بن محمد بن أحمد أبو علي المروزي المتوفى سنة ٤٦٢هـ في مرو الروذ ودفن فيها، أحد أكبر فقهاء الشافعية، وكان فقيه خراسان في عصره. أخذ الفقه عن شيخة أبي بكر القفال، وروى الحديث عن أبي نعيم عبد الملك الإسفراييني. من مصنفاته: «التعليق الكبير» ومعروف أيضًا باسم «التعليقة»، و«الفتاوي». انظر: طبقات الشافعية الكبرى، ٤/٣٩٢-٣٩٥؛ الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان - تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: د بشار عوّاد معروف، ط: ١، (دار الغرب الإسلامي - بيروت ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م)، ١٠/١٦٣.

وسمع الحديث ورواه عن جمع من علماء خراسان. وخدم القرآن الكريم والحديث الشريف من خلال دراستهما وتدريسهما والتأليف فيهما وكشف أسرارهما وكنوزهما. فقد كان إمامًا في التفسير والحديث والفقه.

١,١,٢,٢. مذهبه وعقيدته:

إنَّ الإمامَ البَعَوِيَّ من أئمة أهل السنة الجماعة الذين تقيدوا وتمسكوا بالكتاب والسنة فعلى خطاهم سار. وكان إمامًا في المذهب الشافعي الذي نشأ عليه بحكم البيئة التي عاش فيها، والعلماء الذين تفقه عليهم. إلا أنه لم يتصف بالتعصب لمذهبه؛ بل كان يتتبع الدليل وينظر في آراء وأقوال العلماء.

١,١,٢,٣. شيوخه:

تعلم البَعَوِيُّ الفقه والحديث وكتبهما في مَرَو الرُّوذ عن الكثير من الشيوخ وكبار علماء خراسان ومنهم:

القاضي الفقيه الحسين بن محمد بن أحمد أبو علي المَرُورُوذِيَّ (ت. ٤٦٢هـ)، وأبو عمر عبد الواحد بن أحمد المَلِيحِيَّ (ت. ٤٦٣هـ)، وأبو الحسن علي بن يوسف بن عبد الله الجُؤِيَّيَّ (ت. ٤٦٣هـ)، وحسان بن سعيد المَلِيغِيَّيَّ (ت. ٤٦٣هـ) وأبو بكر يعقوب بن أحمد بن محمد الصَّيْرِيَّيَّ (ت. ٤٦٦هـ) وأبو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن مظفر الدَّأُوْدِيَّيَّ (ت. ٤٦٧هـ)، وأبو بكر أحمد بن أبي نصر الكُوفَانِيَّيَّ (ت. ٤٦٧هـ) وغيرهم.

١,١,٢,٤. تلاميذه:

إنَّ الآثارَ المحمودة التي تركها البَعَوِيَّ لا تنحصر في مؤلفاته وإنما تشمل تلاميذه الذين تلقوا العلم منه واستفادوا من علمه ورووا عنه وكتبوا خلفه. ومنهم: الشيخ أبو منصور محمد بن أسعد حفدة العَطَّارِيَّيَّ (ت. ٥٧١هـ) وهو الذي روى شرح السنة ومعالم التنزيل<sup>١٤</sup>، أبو الفتوح محمد بن أبي جعفر الطَّائِيَّيَّ (ت. ٥٥٥هـ)، وأبو المكارم فضل الله بن المحدث العالم أبي سعيد محمد بن أحمد النَّوْقَانِيَّيَّ (ت. ٦٠٠هـ)<sup>١٥</sup> وأخوه أبو علي الحسن بن مسعود الفَرَّاء

١٤ أبو الفلاح الحنبلي، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط - محمود الأرناؤوط، ط: ١، (بيروت: دار ابن كثير، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م)، ٣٩٧/٦؛ سير أعلام النبلاء، ص: ١٥١٤.

١٥ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ص: ١٥١٤؛ ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ٧/٧٦.

البَغَوِيُّ (ت. ٥٢٩هـ) ١٦ وغيرهم.

١،١،٢،٥. آثاره:

صنف البَغَوِيُّ في الفقه والحديث والتفسير والقراءات، ومن هذه التصانيف:

(أ) في التفسير: ألف في التفسير كتابا أطلق عليه اسم «معالم التنزيل»<sup>١٧</sup>؛ حيث يُعَدُّ من التصانيف المعتمدة في التفسير لخلوه من الإسرائيليات. حيث نقل فيه عن مفسري الصحابة والتابعين، يتصف بالوضوح وعدم التَّكَلُّفِ<sup>١٨</sup>.

(ب) في الحديث الشريف: ترك البغوي أكثر من أثر واحد في الحديث الشريف؛ أشهرها كتاب «شرح السنة» وهو كتاب يتضمن علوم الحديث، وحل مشكل الأخبار المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفسير الغريب منها. وكتاب «الجمع بين الصحيحين» و «الأربعين حديثًا»<sup>١٩</sup> و «مصاييح السنة»<sup>٢٠</sup> الذي جمع فيه مجموعة من الأحاديث محذوفة الأسانيد، وقسم أحاديث كل باب إلى صحاح وقصد به ما أخرجه الشيخان، وإلى حسان وقصد به ما أخرجه أصحاب السنن وما كان ضعيفًا أو غريبًا أشار إليه، وله شروح كثيرة، ويعد هذا البحث شرحا لكتابه مصاييح السنة.

(ت) في الفقه: ألف الإمام البغوي أكثر من كتاب في الفقه أشهرها؛ «التهديب»<sup>٢١</sup> ويُعَدُّ من الكتب المعتمدة في المذهب الشافعي، و «ترجمة الأحكام في الفروع»<sup>٢٢</sup>، و «فتاوي

---

١٦ ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ٦٨/٧.

١٧ ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ٧٥/٧؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ص: ١٥١٤؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ١٣٦/٢.

١٨ انظر: البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء، معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، ط: ٤، (الرياض: دار طيبة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م)، ٨/١.

١٩ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ص: ١٥١٤.

٢٠ ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ٧٥/٧؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ص: ١٥١٤؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ١٣٦/٢.

٢١ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ص: ١٥١٤؛ ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ٧٥/٧؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ١٣٦/٢.

٢٢ انظر: حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، (بيروت: دار إحياء التراث العربي)، ٢٣٩/١.

البعوي» و «فتاوي القاضي الحسين» التي جمعها عن شيخه<sup>٢٣</sup>.  
(ث) في القراءات القرآنية: ألف في هذا العلم كتاب «الكفاية في القراءة»<sup>٢٤</sup>.

١,١,٢,٦. أقوال العلماء عنه:

حظي الإمام البَعَوِيُّ بثناء العلماء ومدحهم له، لما اشتهر عنه من زهد وورع، ومن أشهر ما قيل فيه:

قال عنه السبكي في كتابه: أنه كان إمامًا جليلاً زاهداً ورعاً، محدثاً وفقهياً ومفسراً، جمع بين العلم والعمل، سالكاً طريق أهل السلف<sup>٢٥</sup>.

وقال عنه الذهبي أنه كان إماماً عالماً زاهداً، قانعاً باليسير، وبورك له في مؤلفاته، ورُزقت بالقبول التام من العلماء؛ لأنهم تنافسوا في تحصيلها بسبب صدق نيته وحسن قصده<sup>٢٦</sup>.  
وقال عنه طاش كبري زاده في كتابه أنه كان إماماً في الحديث والفقه ورعاً زاهداً، ثبتاً حجةً صحيح العقيدة في الدين<sup>٢٧</sup>.

١,٢. المبحث الثاني: ترجمة قطب الدين الإزنيقي

١,٢,١. المطلب الأول: عصر المؤلف:

عاش قطب الدين الإزنيقي تحت ظل الدول العثمانية التي كانت في بداية عهدها وتأسيسها، في فترة حكم السلطان يلدريم بايزيد (Yıldırım Bayezid) الأول<sup>٢٨</sup> إلى بداية حكم السلطان محمد الأول المعروف بمحمد جلبي<sup>٢٩</sup> (Mehmed Çelebi)، أي بين عامي (١٣٨٩م / ١٤١٨م). حيث شهدت الدولة العثمانية في هذه الفترة حالة من القوة

٢٣ ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ٧/٧٥.

٢٤ حاجي خليفة، كشف الظنون، ٢/٢٨٠.

٢٥ ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ٧/٧٥.

٢٦ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ص: ١٥١٤.

٢٧ طاش كبري زاده، مفتاح السعادة، ٢/٩١.

28 Selahattin Yıldırım, "Osmanlı Dönemi Anadolu Muhaddisleri (Hicri VII-IX Asır)", (doktora tezi. Marmara Üniversitesi. Sosyal Bilimler Enstitüsü 1994), S: 51.

٢٩ محمد جلبي الأول الذي يعتبره بعض المؤرخين المؤسس الثاني للدولة العثمانية؛ استلم الحكم سنة ١٤١٣م. انظر:

يلماز أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية؛ ترجمة عدنان محمود سلمان، ط ١. (تركيا: مؤسسة فيصل للتمويل،

١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م)، ١/١١٦.

ثم حالة من الانهيار ثم النهضة مجددًا.

### الحالة السياسية:

مرّت الدولة بمراحل سياسية عدة في هذه الفترة وهي:

- وحدة الأناضول، حيث ضم السلطان بايزيد العديد من الولايات إلى الدولة العثمانية وأصبحت تحت حكمه وسلطته مثل ولاية مانيسا (Manisa)، آيدن (Aydın)، أزمير (İzmir) وموغلا (Muğla)، ودينزل (Denizli)، كما حاز على آخر قلعة أناضولية كانت في يد البيزنطيين وهي قلعة آلاشهير (Alaşehir) <sup>٣٠</sup> وقيصري (Kayseri) وقونية (Konya) ونيغدة (Niğde). وكانت الفتوحات مستمرة في مقدونيا وبلغاريا واليونان.

- في سنة ١٣٩٦م خاض الجيش العثماني بقيادة السلطان بايزيد حرب النيبغولو (نيكوبوليس)؛ حيث كان نتيجة عبور الجيش العثماني من شمال الطونه (Altuni) ودخولها إلى الأراضي الرومانية وتهديها البيزنطيين؛ توحيد أوروبا جميعها ضد الدولة العثمانية لإخراجهم من دول البلقان. كانت الدولة العثمانية على علم بهذه الترتيبات وأعلنت الحرب، فاجتاز الجيش الصليبي حدود الدولة العثمانية وجاءوا أمام قلعة نيبغولو. وانتصر الجيش العثماني على الجيش الصليبي، وحققت القوى البحرية التركية التفوق البحري في منطقة بحر إيجه <sup>٣١</sup>.

- في تاريخ ٢٨ تموز ١٤٠٢م حدثت واقعة أنقرة، حيث وقعت الحرب بين جيش الإمبراطور تيمورلنك <sup>٣٢</sup> الذي كانت إمبراطوريته تمتد من الصين إلى مصر، وجيش الدولة العثمانية. وكان سبب هذه الحرب لجوء أمراء العراق الذي استولى تيمورلنك عليها إلى بايزيد والرسائل النارية بين كل من تيمورلنك والسلطان بايزيد. وانهمز الجيش العثماني في هذه المعركة ووقع السلطان بايزيد أسيرًا عند تيمورلنك، ونتج عنها انهيار الدولة العثمانية، لأن

٣٠ مرجع سابق، ١/١٠٣.

٣١ مرجع سابق، ١/١٠٦-١٠٩. بتصرف.

٣٢ ذكر في المصادر التي ترجمت للإزنيقي أنّ الفاضل قطب الدين الإزنيقي قابل تيمورلنك ونصحه بألا يعلن الحرب ويتراجع، وأن يترك ما يصنعه من قتل عباد الله وسفك دمائهم. أنظر: طاش كبري زاده، الشقائق العثمانية في

علماء الدولة العثمانية، (دار الكتاب العربي، بيروت)، ص: ٢٤.

Reşat Öngören, "Kutbüddin İznikî " Türkiye Diyanet Vakfı İslam Ansiklopedisi (DİA), c. 26, S. 485.

تيمورلنك استولى على ولاية إزنيق وغيرها من الحصون والمدن<sup>٣٣</sup>.

- عاشت الدولة العثمانية حالة من الحروب الأهلية بعد انهيارها ووفاة السلطان بايزيد الأول سنة ١٩٠٣م بين أبنائه واستمرت عشر سنوات (٨٠٦هـ-٨١٦هـ / ١٤٠٣/١٤١٣) إلى أن اعتلى العرش السلطان محمد الأول (محمد جلبي) سنة ١٤١٣م وهو يعتبر المؤسس الثاني للدولة العثمانية حيث أعاد بناء الدولة مستخدماً الحزم والحلم<sup>٣٤</sup>.

### الحالة الدينية والثقافية:

اهتمت الدولة العثمانية بالعلم سواء العلم الشرعي أو العلم العام. حيث كانت تحرص على إنشاء المدارس في الولايات التي فتحتها وأصبحت تابعة لحكمها.

إلا أنه في الفترة التي عاش فيها قطب الدين الإزنيقي لم يهتم أغلب المتعلمين في تحصيل العلوم الشرعية، بل كان هناك اهتمام وانجذاب لعلوم الآلة -وهي علوم الفلسفة والعلوم العقلية-<sup>٣٥</sup>، وهذا ما ذكره العالم الفاضل في مقدمة كتابه حيث قال بأن علوم الحديث والتفسير من أهم العلوم الشرعية وأعظمها، وأن أكثر المتعلمين في زمنه لم يهتموا بالعلوم الشرعية، بل كان اهتمامهم في تحصيل علم الآلة.

١,٢,٢. المطلب الثاني: اسمه ومولده ونشأته ووفاته:

١,٢,٢,١. اسمه:

من خلال البحث والنظر في عدة مصادر ومراجع تبين أن اسمه الكامل هو؛ محمد بن محمد النكدي<sup>٣٦</sup> (نسبة إلى ولاية نكيد (Niğde) جنوب شرق الأناضول) الإزنيقي الرومي<sup>٣٧</sup>. الملقب بقطب الدين<sup>٣٨</sup>.

٣٣ انظر: الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهضة وأسباب السقوط، ص: ٦٩-٧٠ بتصرف.

٣٤ مرجع سابق، ص: ٧٠-٧٣، بتصرف.

35 Mustafa Celil Altuntaş, "Osmanlı Döneminde Hadis İlmî", (Doktora tezi, İstanbul Üniversitesi. Sosyal Bilimler Enstitüsü. 2108), S:69.

٣٦ انظر: حاجي خليفة، كشف الظنون، ٤٣٢/٢.

٣٧ قبل فتح اسطنبول والأناضول كان يطلق عليهما ديار الروم، لذلك كان يقال لمن سكن فيها أو رحل إليها الرومي، وكان يطلق على العلماء الذي كانوا فيها في تلك الفترة علماء دار الروم. انظر:

Altuntaş, "Osmanlı Döneminde Hadis İlmî", S: 35.

38 Yıldırım, Osmanlı Dönemi Anadolu Muhaddisleri (Hicri VII-IX Asır), S: 51.

## ١,٢,٢,٢. مولده ونشأته وفاته:

لم تذكر المصادر والمراجع التي ترجمت للإزنيقي العام الذي ولد فيه لكنهم اختلفوا في مكان ولادته بعضهم من قال أنه ولد في إزنيق<sup>٣٩</sup> وبعضهم قال: إنه ولد في ولاية نكيد (Nigde) جنوب شرق الأناضول ثم هاجر إلى إزنيق<sup>٤٠</sup> ونشأ فيها وأخذ العلم عن شيوخها. حيث درس في مدارسها ودرّس فيها. وذكر أنه كان عالماً ورعاً زاهداً فاضلاً وأنه كان له نصيب وافر من التصوف<sup>٤١</sup>.

توفي قطب الدين الإزنيقي في الثامن من ذي القعدة سنة ٨٢١هـ، السابع من كانون الأول ١٤١٨م. ودفن في زاويته بجانب مسجده (جامع قطب الإزنيقي) المكون من أربع قبب، الذي تم إنشاؤه في القرن الخامس عشر ميلادي في ولاية إزنيق<sup>٤٢</sup>.

## ١,٢,٣. المطلب الثالث: مكانته العلمية:

### ١,٢,٣,١. طلبه للعلم:

لم تذكر المصادر والمراجع التي ترجمت للإزنيقي الكثير عن حياته العلمية وطلبه العلم وأسماء شيوخه. إلا أنه أخذ العلوم عن أكابر علماء ومشايخ ولاية إزنيق، فلقد كان ملماً بالفنون والعلوم العامة والعلوم الشرعية ودُكر أنه كان مهتماً بالتصوف. أخذ علوم اللغة العربية عن العالم حسن باشا<sup>٤٣</sup>، ونُقِلَ أنه قرأ على أستاذه حسن باشا كتاب شرح المتعالي وأنهاه سنة ٧٩٥هـ/١٣٩٤م<sup>٤٤</sup>. ثم أصبح من أكابر علماء وشيوخ ولاية إزنيق وعمل مدرساً فيها.

### ١,٢,٣,٢. شيوخه:

لم أجد في المصادر أسماء الشيوخ والعلماء الذين تلقى عنهم العلوم الشرعية والعامة، غير اسم أستاذه الوزير وعالم اللغة العربية<sup>٤٥</sup> حسن باشا<sup>٤٦</sup>.

٣٩ هكذا منقول في كتاب قاموس الأعلام، ٢٤٠/٥.

٤٠ (هذا ما ذكره ابنه قطب الدين زاده في رسالته احتجاج موسى مع آدم عليهما السلام الموجودة بمكتبة السلطانية برقم ١٥٩٣. ٥٥ ورق)، انظر:

Öngören, Kutbüddin İznikî, c. 26, S. 485

٤١ طاش كيري زاده، الشقائق النعمانية، ص: ٢٤

42 Öngören, Kutbüddin İznikî, c. 26, S. 485.

43 Yıldırım, Osmanlı Dönemi Anadolu Muhaddisleri (Hicri VII-IX Asır)", S: 51.

44 Öngören, Kutbüddin İznikî, c. 26, S. 485.

٤٥ مرجع سابق.

١,٢,٣,٣ . مؤلفاته:

المؤلفات باللغة العربية:

تفسير القرآن: المعروف بـ «تفسير قطب الدين»، وهو تفسير في مجلدات<sup>٤٧</sup> ولكن بعض مجلداته مفقودة، فقط المجلد الثاني موجود في مكتبة جامعة اسطنبول رقمها ( AY, nr 1741) يتكون من ٢٦٧ ورق وهو ينقل التفسير بالرواية والدراية<sup>٤٨</sup>.

المؤلفات باللغة التركية:

المقدمة: المعروف بـ «مقدمة قطب الدين» وهو كتاب في العبادات<sup>٤٩</sup> على المذهب الحنفي حيث شمل مواضيع الصلاة والصوم والحج والزكاة. ويُعدُّ من أوَّل الكتب التي تناولت المسائل الفقهية الأساسية في الإيمان والأخلاق. ويوجد منه أكثر من ثلاث نسخ:

نسخة في مكتبة السليمانية مسجلة بعنوان مقدمة الصلاة ( Süleymaniye ktp., Hamidiye, nr,550: İstanbul Belediyesi Atatürk Kitaplığı, Muallim Cevdet, nr. K/ 32) رقمها ٥٥٠ مكونة من ٣٢ ورقة.

والنسخة الثانية التي نسخت في حياة المؤلف سنة ٨١٧ هـ / ١٤١٤ م؛ موجودة في مكتبة السليمانية أيضًا باسم حسن خيرى، رقم: ٢٤ (Hasan Hayri, nr. 24) النسخة الثالثة مسجلة بعنوان بني الاسلام بإيطاليا في مكتبة فاتيكان ( Vaticano Turco, nr. 18).

وبعض النسخ مسجلة بعنوان راحة القلوب؛ موجودة بمكتبة السليمانية باسم آيا صوفيا، رقم ١١٧ ( Süleymaniye ktp. Ayasofya, nr. 117; İstanbul belediyesi, Atatürk )

---

٤٦ هو حسن باشا النقصاري وزير عثماني وعالم اللغة العربية ولد سنة ٧٥٠ هـ / ١٣٤٩ م؛ وتوفي سنة ٨٢٧ هـ / ١٤٢٤ م ودفن في بورصة (BURSA) بجانب مدرسته مقابل مقبرة الجمّالة (deveciler mezarlığı). والده المشهور قره هوجا علاء الدين الأسودى. كان من الشخصيات المهمة في زمن السلطان بايزيد الأول. وقضى أغلب عمره في التعليم، له آثار ومؤلفات في النحو ومنها: الافتتاح في شرح المصباح، شرح العز وهو شرح لكتاب عز الدين الزنجاني المعروف باسم تشرىف الزنجاني؛ شرح المراح وهو شرح للكتاب مراح الأرواح للمؤلف أحمد بن علي بن مسعود. انظر:

Öngören, " Kutbüddin İznikî ", c. 26, S. 485

٤٧ هذا ما نقله حاجي خليفة في كتابه، انظر: كشف الظنون، ١/٢٦٩.

48 Öngören, " Kutbüddin İznikî ", c. 26, S. 485.

٤٩ انظر: حاجي خليفة، كشف الظنون، ٢/٤٣٢.

.° (kitaplığı, muallem cevdet , o/39

راحة القلوب: هو كتاب جمع فيه علم الكلام والفقه والتصوف، حيث شرح فيه مفهوم الإيمان والعبادة عند المتصوفين، وقال في نهايته عن وجوب الانتماء الي الشيخ، متطرقا إلى صفات الشيخ الكامل في التصوف. ويوجد من هذا الكتاب نسختان في مكتبة السليمانية (Hacı Mahmud Efendi, nr.1600, 1691)؛ النسخة الأولى رقم (١٦٩١) نسخة ناقصة حيث اختصرت بالبسملة والحمدلة والصلاة مختصرة في المقدمة من قبل الناسخين. والنسخة الثانية رقم (١٦٠٠) أضيف إلى نهاية هذه النسخة عبارة تمت النسخة. ويوجد أيضًا نسخة ناقصة في مكتبة بايزيد الحكومية باسم ولي الدين أفندي رقم: ٣٢٧٨ (Veliyyüddin Efendi, nr.3278).

رسالة في حق الرقص الصوفي / الدوران الصوفي (-i Risale ii Hakki Devran<sup>٥١</sup> وهي رسالة من سبع أوراق وهذا الأثر التركي نقل بناء على المصادر الموثوقة للغزالي في إحياء علوم الدين؛ قال فيه أنه يجوز للمتصوفين الذكر عند أدائهم الرقص أو الدوران الصُوفيّ. موجودة هذه النسخة في مكتبة السليمانية رقم: ٦٢٨ ( Süleymaniye ktp., Pertev paşa, nr. 628).<sup>٥٢</sup>

١,٣. المبحث الثالث: التعريف بكتاب تلفيقات المصاييح:

١,٣,١. المطلب الأول: توثيق نسبة الكتاب إلى المؤلف وعنوانه:

ذهب البعض إلى نسبة هذا الكتاب لابن المؤلف قطب الدين زاده الإزنيقي. ولكن الأصح أنّ هذا الكتاب يعود إلى العالم قطب الدين الإزنيقي؛ وهذا ما قاله ابنه قطب الدين زاده عند شرحه حديث احتجاج آدم مع موسى عليهما السلام في كتابه رسالة احتجاج آدم مع موسى عليهما السلام<sup>٥٣</sup>، فهو أثبت نسبة الكتاب إلى أبيه.

في نسخة آيا صوفيا على غلاف الكتاب سجل باسم توفيقات المصاييح، وأما في نسخة فاتح فهو مسجل باسم تلفيق المصاييح وهذا ما أثبتته الناسخ في نهاية النسخة المعتمدة، وأما

---

50 Öngören, Kutbüddin İznikî, c. 26, S. 485.

٥١ Devran: في اللغة التركية وتعني الدوران وهي نوع من أنواع الذكر عند الصوفيين؛ حيث يقوم بأدائها الصوفي او مجموعة من الصوفيين عن الاستماع للوعظ والذكر.

52 Öngören, Kutbüddin İznikî, c. 26, S. 485.

53 Yıldırım, Osmanlı Dönemi Anadolu Muhaddisleri (Hicri VII-IX Asır), S: 51

في المراجع<sup>٤٥</sup> التي ترجمت للإزنيقي ذكرته باسم تلفيقات المصاييح وهذا ما ذكره ابنه. فالعنوان الصحيح للكتاب هو تلفيقات المصاييح.

١,٣,٢. المطلب الثاني: موضوعه وسبب تأليفه:

لقد حظي كتاب «مصاييح السنة» للبعويّ باهتمام واعتناء كبير من قبل القراء والعلماء، وكان كتاباً معتمداً للتدريس في المدارس آنذاك. لذلك علق عليه الكثير من العلماء فشرحوه ووضعو الحواشي له. مثل «تحفة الأبرار شرح مصاييح السنة» للشيخ ناصر الدين البيضاويّ (ت. ٥٣٧هـ)، و «الميسر في شرح مصاييح السنة» للشيخ شهاب الدين الثوريّ (ت. ٦٦١هـ)، و «المفاتيح في شرح المصاييح» لمظهر الدين الزيدانيّ (ت. ٧٢٧هـ) وغيرها. وهذا الكتاب يعد شرحاً لمصاييح السنة؛ ويتناول الكتاب علماً من علوم الحديث وهو اختلاف الحديث أو التعارض الظاهري كما ذكر المؤلف في مقدمته ثم التوفيق بين هذه الأحاديث المتعارضة ظاهرياً.

أمّا سبب تأليفه هذا الكتاب، هو أنّه طلب منه أن يدرس تلامذته كتاب مصاييح السنة للإمام البغوي. وخلال تدريسه هذا الكتاب لاحظ مشكلة التعارض الظاهري بين النصوص النبوية فأخذ يدفع وجه هذا التعارض باستخدام القواعد والضوابط الأصيلة في دفع التعارض بين النصوص، وطلب منه أحد المستمعين أن يحرروا هذه القواعد في دفع التعارض الظاهري، فكان هذا السبب في تأليف هذا الكتاب<sup>٥٥</sup>.

١,٣,٣. المطلب الثالث: المصادر التي اعتمد عليها المؤلف:

لم يصرح المؤلف في مقدمته بالمصادر التي سيعتمد عليها في شرحه، إلا أنّ من خلال شرحه للنصوص فقد اعتمد على بعض المصادر التي شرحت «مصاييح السنة» من قبل، ومن هذه المصادر:

- تحفة الأبرار شرح مصاييح السنة، للقاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي (ت. ٦٨٥هـ)، تم تحقيقه من قبل لجنة مختصة بإشراف نور الدين طالب، وقامت بنشره: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت.

54 Öngören, Kutbüddin İznikî, c. 26, S. 485.

Yıldırım, Osmanlı Dönemi Anadolu Muhaddisleri (Hicri VII-IX Asır), S: 51.

55 Yıldırım, Osmanlı Dönemi Anadolu Muhaddisleri (Hicri VII-IX Asır), S: 52.

- الميسر في شرح مصابيح السنة، لشهاب الدين التُّورِيشْتِي (ت ٦٦١ هـ)، تم تحقيقه من قِبَل: د. عبد الحميد هندراوي، وقامت بنشره: مكتبة نزار مصطفى الباز بمكة المكرمة.

- المفاتيح في شرح المصابيح مظهر الدين الزَّيْدَانِيُّ المشهورُ بالمُظْهِرِي (ت ٧٢٧ هـ)، تم تحقيقه من قِبَل: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب، وقامت بنشره: دار النوادر بالكويت.

ونقل بعض النصوص من مصادر أخرى مثل «أعلام الحديث» و «معالم السنن» للخطابي و «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج» للنووي وغيرها، ونقل أقوال بعض العلماء في بعض المسائل التي شرحها مثل أقوال فخر الاسلام السرخسي في باب الإيمان وغيرهم.

١,٤. المبحث الرابع: منهج المؤلف:

١,٤,١. المطلب الأول: منهجه في تنظيم مادة النص:

يتلخص منهجه في تنظيم النص كالتالي:

- رتب أبواب الكتاب وأحاديثه على ترتيب مصابيح السنة من كتاب الإيمان إلى كتاب المناقب.

- روى الأحاديث بدون أسانيدھا متبعًا منهج البَعْوِيّ في ذكر الأحاديث في مصابيح السنة.

- يبدأ برواية الحديث ثم يطرح الأسئلة من حيث وجود التعارض الظاهري بذكر حديث آخر. وفي بعض الأبواب لم يتطرق إلى ذكر الأحاديث عند طرحه الأسئلة.

- ثم ينتقل إلى شرح أسباب ظهور هذا التعارض.

- ثم يوفق بين هذه الأحاديث مستندًا إلى القواعد والضوابط في دفع التعارض.

- كرر عبارة فإن قلت، واعلم أنّ، فافهم وعبارة قلنا.<sup>٥٦</sup>

---

٥٦ مثال على منهجه في تنظيم مادة النص:

#### باب الذكر

عن أنس رضي الله عنه أنّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «من صَلَّى الفجر في جماعة، ثمّ قعد فذكر الله تبارك وتعالى حتّى تطلع الشمس، ثمّ صَلَّى ركعتين كانت له كأجر حجّة وعمرة تامة تامة تامة» .

فإن قلت: ظاهر هذا مخالف لأصول الشرع أيضًا؛ لأنّ مقدار ثواب العمل يكون بقدر فضيلة ذاته والتعب فيه، وفي الحجّ عبادات شريفة ومشقات كثيرة، فكيف يكون ثواب الذكر بعد الفجر، وركعتي مساويًا لثواب الحجّ؟

- كان يستخدم عبارة قال الشراح أو بعض الشراح في العزو.
- ذكر في بعض المواضع أسماء من نقل عنهم.
- أكثر المسائل التي وقف عليها وشرحها المسائل العقديّة.
- ذكر أقوال وآراء مذهبه والمذاهب الأخرى في كتاب الإيمان.
- رجع أقوال وآراء مذهبه الحنفي الماتريدي في مسائل الإيمان؛ الإيمان والعمل، الإيمان يزيد وينقص، صحة إيمان المقلد.
- بيّن في شرحه ميوله إلى الصوفية حيث نقل قول شيخه صدر الدين القونوي في كتاب الدعاء، وأشار إلى كتب الغزالي.
- ذكر آراء أهل الحديث والشافعيين.
- قليلاً ما ذكر راوي الحديث ووقف على ألفاظه.
- رغب طلابه في تعلم أصول التفسير والحديث.

#### ٢,٤,١. المطلب الثاني: مدى استفادته من الشروح التي اعتمد عليها:

استفاد الإزنيقي من الشروح السابقة على مصابيح السنة ومنها: شرح التّوربشتي «الميسر في المصابيح»، وشرح المظهر «المفاتيح في شرح المصابيح»، وشرح البيضاوي «تحفة الأبرار»، وشرح الطيبي «الكاشف عن حقائق السنن» - المعروف بشرح المشكاة- حيث استوعبت بعض الأبواب بعض نصوص هذه الشروح مثل باب الإيمان، وباب البكاء على الميت، وباب أشراط الساعة، وباب تعجيل الصلاة، وباب عيادة المريض، وباب بدء الخلق، وباب السنن وفضلها وغيرها من الأبواب.

وكان تارةً لا يذكر أسماء من نقل عنهم، حيث استخدم عبارة وقال بعض الشراح، أو قال

---

قلنا: قال الإمام التّوربشتي رحمه الله في الجواب: يجوز أن يكون مساواة ثواب الذكر وصلاة الصّحّي لثواب الحجّ، باعتبار الأضعاف التي من فضل الله تعالى، لا باعتبار ذات الذكر وصلاة الصّحّي.

وقال الأشرفي: يجوز أن يكون ذلك باعتبار شرف الوقت وفيهما بحث، لأنّ الأضعاف تابعة لذات العمل، فأئى عمل فاق في الشّرف زادت أضعافه.

وقد عرفت أنّ في الحجّ عباداتٍ عظيمةٍ وأركاناً شريفة شاقّة، زائدة على الذكر وصلاة الصّحّي في الفضيلة والفخامة، وأيضاً فيه أوقات شريفة شاملة وقت الذكر ووقت صلاة الصّحّي، فيلزم منهما أن يكون الأضعاف المرتبة على الحجّ أضعاف أضعاف ثواب الذكر وصلاة الصّحّي.

فإن قلت: تسوية الأجرين يفيد إخراج الذكر وصلاة الصّحّي، وأوقاتها عن الحجّ، فلا يلزم التّدافع.

الشرح، أو قال بعضهم، واختلف الشُّراح. وتارةً يذكر أسماء من نقل عنهم في بعض المواضع، وهم: التوربشتي<sup>٥٧</sup>، والمظهر<sup>٥٨</sup>، والخطابي<sup>٥٩</sup>، والقاضي والنووي<sup>٦٠</sup>. ولم يكن ينقل كلامهم حرفياً كما جاء في شرحهم، بل كان يتصرف بالنقل.

### ٣،٤،١. ما وجه الاختلاف بين شرح الإزنيقي والشرح الأخرى؟

لقي كتاب مصابيح السنة إقبالا كبيرا من قِبَل العلماء وطالبي العلم، فجعلوا عليه الكثير من الشروح، حيث يوجد أكثر من أربعين شرحا وتخریجا على مصابيح السنة<sup>٦١</sup>. فتختلف هذه الشروح عن بعضها البعض من حيث الموضوع، والغاية، وسبب التأليف، لذلك لا بد من بيان وجه الاختلاف بين شرح الإزنيقي والشرح الأخرى.

واقصرت هنا على ذكر مواضيع الشروح التي اعتمد عليها الإزنيقي في شرحه، وذكر ما يميز شرحه عن هذه الشروح؛ من هذه الشروح:

- تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة للقاضي ناصر الدين البيضاوي (ت. ٦٨٥هـ).

لهذا الشرح ثلاثة مجلدات وأربع مقدمات، حيث ذكر في المقدمة الأولى طريق روايته لكتاب مصابيح السنة، وفي المقدمة الثانية بيان فضل الفن من العلم على سائر الفنون، وفي المقدمة الثالثة بيان تناسب الكتاب والسنة، وفي المقدمة الرابعة ذكر فيها أنواع علوم الحديث. واقصر البيضاوي في هذا الشرح على ألف وخمسمئة حديث؛ أي أنه لم يستوعب كل أحاديث كتاب مصابيح السنة، إلا أنه استوعب جميع أبواب المصابيح. وشرح البيضاوي مقدمة الإمام البغوي، ورَكَز على بيان غريب الحديث، وأجاب عن بعض مشكل الحديث، وتكلم عن قضايا عقدية ولم يكثر الكلام في الأحكام الفقهية.

٥٧ انظر في النص المحقق ص: ٩٠، ص: ٩٢، ص: ١٠٣، ص: ١٣٢، ص: ٢٢٨، ص: ٢٤٢

٥٨ انظر في النص المحقق: ص: ١٠٥، ص: ١١٦، ص: ١٢٥، ص: ٣١٢.

٥٩ انظر في النص المحقق: ص: ٤٧، ص: ١٢٥، ص: ١٩٠، ص: ٢٩٢.

٦٠ انظر في النص المحقق: ص: ٣٩، ص: ١٦٣، ص: ١٩٩، ص: ٣١٨.

٦١ ذكر المحققون الذين أشرفوا على تحقيق كتاب مصابيح السنة للأمام الفراء البغوي؛ أنه يوجد لمصابيح السنة ثلاثة وأربعون شرحاً وتخریجاً تم ترتيبها حسب سنة وفاة المؤلف. انظر: الحسين بن مسعود البغوي، **مصابيح السنة**، تحقيق: لدكتور يوسف عبد الرحمن المرعشلي، محمد سليم إبراهيم سمارة، جمال حمدي الذهبي، ط ١ (بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٧هـ) ١/ ٦٣-٧٢.

- الميسر في شرح مصابيح السنة لفضل الله بن حسن، شهاب الدين التُّوربشْتِي (ت ٦٦١هـ).

يتكون هذا الشرح من أربع مجلدات، حيث قام التُّوربشْتِي في هذا الشرح بشرح مقدمة الإمام البغوي، وبيّن فيها مقصده من ذكر مصطلح الصحاح والحسان، وتتبع منهج البغوي في ترتيب الأبواب، واستوعب شرحه جميع أبواب المصابيح، ولم يشرح جميع الأحاديث، بل شرح ما رأى أنّه يحتاج إلى شرح وبيان ألفاظه وغريبه، وحكم على الحديث من حيث الصحة والضعف، وصحّح اسم الراوي ونسبته، وذكر الاحكام الفقهية والفوائد المستنبطة منها.

- المفاتيح في شرح المصابيح لمظهر الدين الزَيْنَدَانِي المشهور بالمظْهَرِي (ت ٧٢٧هـ).  
عدد مجلدات هذا الشرح ست مجلدات، ذكر المظْهَرِي في مقدمته أنواع الحديث ثمّ شرح مقدمة المصابيح. واستوعب شرح المظْهَرِي أحاديث مصابيح السنة، أي شرحها جميعها، واهتم ببيان أسماء الرُّوَاة وضَبَطِهِمْ، ووقف على المسائل الفقهية مقدّمًا أقوال الإمامين أبي حنيفة والشافعي -رحمهما الله- وسار على المذهب الأشعري في بيان المسائل الاعتقادية.  
بعد ما ذكرنا نبذة عن الشروح التي اعتمد عليها الإزنيقي في شرحه، سنذكر هنا بماذا يختلف شرح تليقات المصابيح عن هذه الشروح:

إنّ الإزنيقي في شرحه (تليقات المصابيح) وقف فقط على الأحاديث التي يوجد في ظاهرها تعارض، وركّز على دفع هذا التعارض الظاهري باستخدام القواعد والضوابط التي ذكرها خلال شرحه<sup>٦٢</sup>، ونلاحظ من خلال شرحه أنّه في الغالب رجّح قاعدة الجمع في دفع التعارض، وترك المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي بقريئة إما حسية، أو عقلية، أو نقلية، ونُدّر استخدامه لقاعدة معرفة الناسخ والمنسوخ والترجيح. ولم يركّز كثيرًا على بيان اسم الراوي وضبطه، وعلى بيان الغريب من ألفاظ الحديث والحكم على الحديث.

إنّ شرح تليقات المصابيح يعتبر صغير الحجم مقارنة بالشروح الأخرى، فهو عبارة عن مجلد واحد، والسبب في ذلك أنّه اقتصر في شرحه هذا على الأحاديث المتعارضة ظاهريًا فقط؛ أي أنّه لم يشرح جميع أحاديث مصابيح السنة، بل إنّهُ لم يقف على بعض كتب وأبواب

٦٢ انظر في النص المحقق ص: ٣٠.

مصاييح السنة مثل: كتاب العلم، الطهارة، البيوع، الصيد والذَّبائح، ولم يقف على أبوابِ كتاب الصلاة جميعها؛ فكتاب الصَّلَاة يتفرَّعُ منه تسعة وأربعون كتابًا، والإزنيقي وقف على ستة عشر بابًا<sup>٦٣</sup>، ولم يقف الإزنيقي على مقدمة كتاب مصاييح السنة.

وتفرَّد الإزنيقي بشرحه هذا عن الشروح الأخرى، حيث يعتبر تلفيقات المصاييح الشرح الوحيد الذي ركَّز على علمٍ من علوم الحديثِ ألا وهو مختلف الحديث أو التعارض الظاهري كما ذكره المؤلف، وعلى كيفية دفع هذا التعارض الموجود بين الأحاديث المذكورة في كتاب مصاييح السنة للإمام البغوي.

١,٥. المبحث الخامس: التعريف بالنسخ والمنهج المتبع أثناء التحقيق:

١,٥,١. المطلب الأول: التعريف بالنسخ المعتمدة:

لهذا المخطوط نسختان فقط وهما:

النسخة الأولى:

النسخة الأم وهي نسخة تامة بخط أحد تلامذة المؤلف، أصلها محفوظ في مكتبة السليمانية في اسطنبول، برقم: ١١٢٥، عدد أوراقها (٢٦٧) كتبت بخط واضح ومقروء ومشكول، حيث ميَّز الناسخ أبواب «مصاييح السنة» بالخير الأحمر والشرح بالخير الأسود، وفي هوامش الصفحة الأولى من النسخة حواشي من الناسخ وأثبتها في هامش النص المحقق.

وهذه النسخة التي اعتمدها أصلًا ورمزت لها ب (ف).

في واجهة النسخة كتب أنَّ عدد أوراقه ٢٦٥، وحرره محمد علي القتادي.

وفي نهاية الكتاب يقول المؤلف:

هذا ما جمع بعض تلاميذي فعرض عليَّ تم.

وجاء في نهاية الكتاب:

وقع الفراغ في التنميق من كتابة كتاب التلفيق بعون الله والتوفيق على يد العبد الذليل محمد بن خليل وقت الضحوة يوم الجمعة أواسط رجب المرجو فيها وصول المطلب في سنة خمس

---

٦٣ في النص المحقق وقف على باب تعجيل الصَّلَاة، باب الذِّكر، باب القراءة في الصَّلَاة، باب الرُّكوع، باب الصَّلَاة على النَّبي عليه الصَّلَاة والسَّلَام، باب الذِّكر بعد الصَّلَاة، باب الجماعة وفضلها، باب تسوية الصَّفوف، باب السنن وفضلها، باب صلاة اللَّيل، باب صلاة التَّسبيح، باب الجمعة، باب التَّنظيف والتَّكبير، باب صلاة الخوف، باب صلاة الكسوف، باب سجود الشُّكر.

وخمسين.

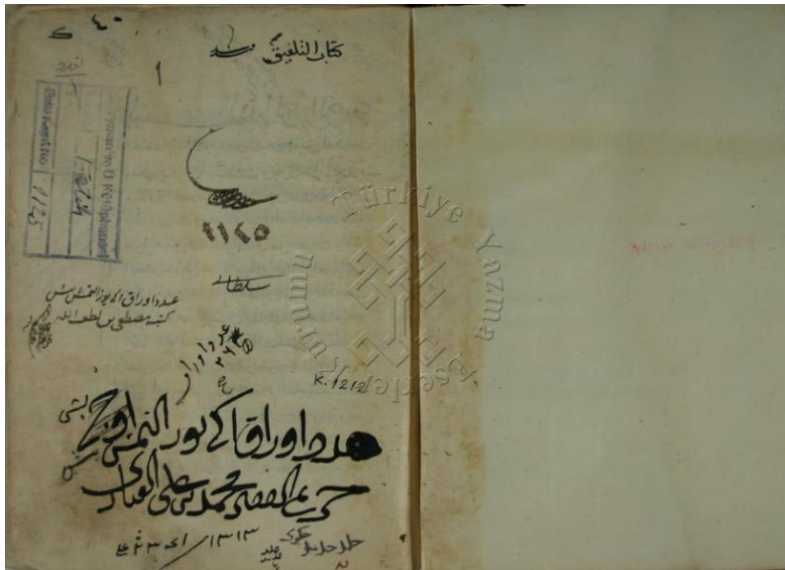
### النسخة الثانية:

وهي نسخة آيا صوفيا تامة، أصلها محفوظ في مكتبة السلিমانيية في اسطنبول، برقم: ٤٧٦، عدد أوراقه (٢٠٧). كتب الناسخ عناوين أبواب «مصاييح السنة» بالحرير الأحمر والشرح بالحرير الأسود.

هي نسخة جيدة خطها واضح ومقروء غير منقطعة، ولا يوجد في خوامشها حواشي من الناسخ، سقط منها بعض الكلمات والجمل. وقد وقفها السلطان الغازي محمود خان الثاني. ورمزت لها بالرمز (ص).

جاء على وجه النسخة ختم السلطان والذي نصه: «الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله» وبداخله طغراء السلطان، ثم جاء تحته: قد وقف هذه النسخة الجليلة سلطاننا الأعظم خاقان المعظم مالك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين السلطان ابن السلطان، السلطان الغازي محمود خان وفقاً صحيحاً شرعياً لمن طالع وعنى أكرمه الله تعالى بالزلف والحسنى. حرره الفقير أحمد شيخ زاده المفتش بأوقاف الحرمين الشريفين غفر لهما.

### ١,٥,٢. المطلب الثاني: صور من النسخ الخطية المعتمدة:





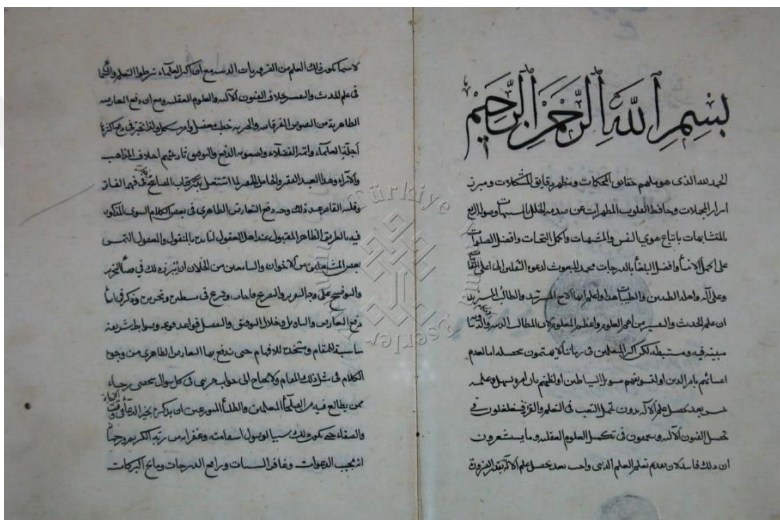
اللوحه الأولى من نسخة فاتح (مكتبة السليمانية: ١١٢٥)



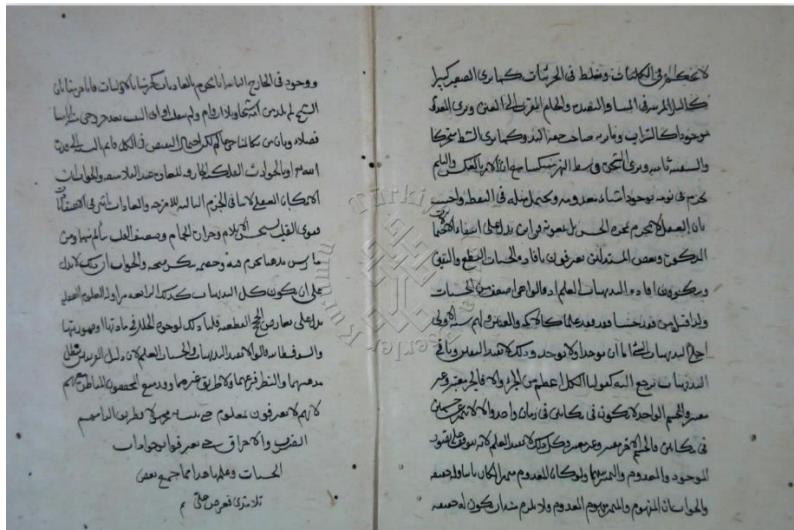
اللوحه الأخيرة من نسخة فاتح (مكتبة السليمانية: ١١٢٥)



هذه طرة نسخة آيا صوفيا  
(مكتبة السلمانية: ٤٧٦)  
ويظهر فيها وقف السلطان  
محمود الثاني وختمه.



اللوحة الأولى من نسخة آيا صوفيا (مكتبة السلمانية: ٤٧٦)



اللوحة الأخيرة من نسخة آيا صوفيا (مكتبة السلمانية: ٤٧٦)

### ١,٥,٣. المطلب الثالث: المنهج المتبع في التحقيق:

المنهج المتبع في هذا البحث هو المنهج الوصفي التحليلي، واعتمدت الباحثة في القسم على أسس وقواعد مركز البحوث الإسلامية (ISAM) في تحقيق النص والتعليق عليه على النحو الآتي:

١. كتابة النص من النسخة الأم (ف) مع مراعاة قواعد الإملاء وعلامات الترقيم، وكتابة أوراق المخطوط في النص ووضعها بين معقوفتين [ ] تيسيراً للمقابلة.
٢. تمييز عناوين الأبواب في مصايح السنة باللون الأسود، ووضع العناوين التي أضافتها الباحثة بين معقوفتين [ ].
٣. مقابلة النص المكتوب من النسخة الأم (ف) مع النسخة (ص) وإثبات الفروق بين النسختين في الهوامش، مستخدمة الرمز (-) للعبارات أو الجمل المفقودة في النسخة (ص)، والرمز (+) للعبارات المضافة في النسخة (ص)، وترجيح الصواب وإثباته في المتن.
٤. الاجتهاد في ضبط ما يشكل من الألفاظ، وتقييد حركات الآيات فقط، وأما الأحاديث فقط ضبط ما يشكل منها من الألفاظ.
٥. جعل الآيات بين أقواس مزهرة ﴿﴾.
٦. تم عزو الآيات إلى سورها بذكر اسم السورة ورقم الآية ووضعها بين معقوفتين [ ] وإثباتها في النص.
٧. وضع الأحاديث بين علامتي تنصيص « ».
٨. تم تخريج الأحاديث من الكتب التسعة؛ الصحيحين والسنن الأربعة، وموطأ مالك ومسند أحمد وسنن الدارمي ومصايح السنة، وأشار إليها في الهوامش. حيث ذكر اسم الكتاب ورقم الباب في كل من صحيح البخاري والسنن الأربعة، واسم الكتاب ورقم الحديث في صحيح مسلم وموطأ مالك، وأما الأحاديث المخرجة من مسند أحمد والدارمي ومصايح السنة فاكتفي بذكر رقم المجلد ورقم الصفحة. وما لم أجده في الكتب التسعة خرجته من المعجم الأوسط للطبراني.
٩. إذا كان الحديث مروياً بالمعنى أشير بالهامش أنه روي بالمعنى ثم ذكر الحديث كاملاً

مع تخريجه.

١٠. تم عزو أقوال العلماء المنقولة ما أمكن منها إلى مصادرها، وما تعسر فقد ترك.
١١. تم ترجمة الأعلام الغير مشهورين، أما الصحابة المبشرين بالجنة والمشهورين، والأئمة الأربعة وصاحبي الصحيحين لم يترجم لهم.
١٢. جعل فهارس للآيات والأحاديث والأعلام وترتيبها ترتيبًا هجائيًا.



## الفصل الثاني: النص المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه العون / [ ١ ظ ]

الحمد لله الذي هو مُلهم الحقائق المحكمات<sup>٦٤</sup>، ومُظهر دقائق المشكلات<sup>٦٥</sup>، ومُبرز أسرار الجملات<sup>٦٦</sup>، وحافظ القلوب المطهّرات عن صدمة الخلل بالمشتبهات<sup>٦٧</sup>، وصولة الرّبع بالمتشابهات بإتباع هوى النّفس والمشتهيات، وأكمل التّحيّات وأفضل الصّلوات على أكمل الأنبياء وأفضل البلغاء بالدرجات، مُحمّد المبعوث لدعوة الثّقلين إلى أعلى المقامات، وعلى آله وأهله الطّيبين والطّيبات.

هذا واعلم أيها الأخ المسترشّد، والطّالب المستزيد أنّ علم الحديث والتّفسير من أهم العلوم وأعظم المعلوم، لأنّ المطالب الدّينية والأحكام الدّنيوية مبنية فيه ومستنبطة، لكنّ أكثر المتعلّمين في زماننا لا يهتمّون بتحصيله إمّا لعدم اعتنائهم بأمر الدّين أو لتسويقهم بتسويل الشّياطين أو لظنّهم بأنّ أمره سهل وعلمه يتيسّر بعد / [ ٢ و ] تحصيل علم الآلة<sup>٦٨</sup> بدون تحمّل التعب في التعلّم والقراءة<sup>٦٩</sup>، فيتغلغلون في تحصيل الفنون الآليّة ويتعمّقون في تكميل العلوم العقلية<sup>٧٠</sup> وما يستشعرون أنّ ذلك فاسد، لأنّ تقديم تعلّم<sup>٧١</sup> العلم الدّيني واجبٌ بعد

٦٤ في الهامش من نسخة (ف) وإنما قال حقائق المحكمات لظهور معنى الحكم بالنسبة إلى المشكل والجمل.

٦٥ في الهامش من النسخة وإنما قال دقائق المشكلات لأنّ معناه لا يظهر إلا بدقة النظر.

٦٦ في الهامش من النسخة وإنما قال أسرار الجملات لأنّ الجمل لا يطلع عليه بدون إعلام.

٦٧ في الهامش من النسخة المراد بالمشتبّه هنا ما لم يتيقن معناه بل احتمل وجوهًا شتى، فمن كان في قلبه زيغ أو استولى عليه هوى النفس؛ يؤوله على حسب هواه كالجسمة والقدرية والجبرية والخارجية، لما ستعرف أنّ كل واحد منهم استدل على إثبات مذهب بالآيات والأحاديث.

٦٨ قال ابن خلدون في مقدمته: إنّ العلوم تنقسم إلى قسمين وهي: علوم مقصودة بالذات مثل العلوم الشرعية كالتفسير والحديث والفقه والكلام، وعلوم الطبيعيات والإلهيات. وعلوم وسيلة آليّة للعلوم المقصودة مثل علوم اللغة العربية والحساب والمنطق. وقال لا ينبغي أن ينظر فيها إلّا من حيث هي آلة لذلك العلم، فلا يوسع فيها الكلام ولا تفرع المسائل، لأنّ ذلك مخرج لها عن المقصود. انظر: ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تحقيق: عبدالله محمد الدرويش، ط ١ (دمشق - دار يعرب ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م)، ٥٣١/٢.

٦٩ ص: القرء.

٧٠ بالنسبة لابن خلدون العلوم العقلية: هي علوم الفلسفة والحكمة وهي مشتملة على أربعة علوم: علم المنطق والعلم الطبيعي والعلم الإلهي وعلم الهندسة. انظر: ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، تحقيق: أ. خليل شحادة،

تحصيل علم الآلة بقدر الضرورة، لا سيما بكون ذلك العلم من الضروريات من الدينية، مع أنّ أكثر العلماء شرطوا التعلّم والسّماع في علم الحديث والتّفسير بخلاف الفنون الآليّة والعلوم العقليّة، ومع أنّ دفع المعارضة الظّاهريّة من النّصوص الفرقانيّة والحبريّة حطّب مُعضل وأمر مُشكّل، ولذا تحيّر في دفع أكثرها أجلّة العلماء وأئمّة الفضلاء، ولصعوبة الدّفع والتّوفيق ثار بينهم اختلاف المذاهب والآراء.

وهذا العبد الفقير والحامل الحقيّر لما اشتغل بدرس كتاب المصابيح<sup>٧٢</sup>، وخطر في فهمه الفاتر وقبله القاصر عند ذلك وجه دفع التّعارض<sup>٧٣</sup> الظّاهريّ في بعض الكلام التّبويّ المذكور فيه، ويّنه عند الدّرس بالطّريق الظّاهر المقبول عند أهل / [٢ظ] العقول لتأيّده بالمنقول والمعقول. التمسّ بعض المشتغلين من الإخوان، والسّامعين من الخيّال، أن يبرز ذلك في فضاء التّحرير والتّوضيح على وجه التّقرير والتّصريح، فأجاب وشرع في تسطيره وتحريره، وذكر في أثناء دفع التّعارض والتّأويل، وخلال التّوفيق والتّفصيل قواعد قديمة وضوابط شريفة مناسبة للمقام ومُشجّدة للأفهام، حتى يندفع بها التّعارض الظّاهريّ من وجوه الكلام في مثل ذلك المقام، ولا يحتاج إلى جواب جزئيّ في كل سؤال شخصيّ، رجاء ممّن يطالع فيه من الصّالحاء المتعلّمين والطلّباء المتورّعين أن يذكره بخير الدّعاء في وقت الإجابة والصّفاء، حتى يكون ذلك سببًا لوصول استقامته وغفرانه من ربّه الكريم ورحمائه، أنّه مجيب الدّعوات وغافر السيّئات ورافع الدّرجات ومانح البركات.

١(بيروت- دار الفكر ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م)، ١/٦٢٩-٦٣٠.

٧١ ف، التعلّم.

٧٢ قصد به المؤلّف كتاب مصابيح السّنة للبعويّ.

٧٣ التّعارض: لغة: التمانع والتقابل.

اصطلاحًا له تعريفات كثيرة عند الأصوليين ومنها ما ذكره الزركشي رحمه الله تعالى: «هو تقابل الدليلين على سبيل الممانعة»، ونقل ابن النجار هذا التعريف مع تعديل بسيط وشرحه فقال: «إذا كان أحد الدليلين يدل على الجواز، والدليل الآخر يدل على المنع، فدليل الجواز يمنع التحريم، ودليل التحريم يمنع الجواز، فكل منهما مقابل للآخر، ومعارض له، ومانع له». انظر: محمد مصطفى الزحيلي، الوجيز في أصول الفقه الإسلامي، ط: ٢، (دمشق- دار الخير للنشر والتوزيع ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م)، ٢/٤٠٦.

## باب الإيمان

[١] قال النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند سؤال جبريل عليه السَّلَام عن حقيقة الإيمان: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم / [٣و] الآخر، وأن تؤمن بالقدر خيره وشره»<sup>٧٤</sup>. وقال النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَام عند سؤال جبرائيل عليه السَّلَام عن حقيقة الإسلام: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله، وتقيم الصَّلَاة، وتؤتي الزَّكَاة، وتصوم رمضان، وتحجَّ البيت إن استطعت إليه سبيلًا»<sup>٧٥</sup>.

[٢] وقال النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَام: «الإيمان بضع وسبعون شُعبة، أفضلها: قول لا إله إلا الله، وأدناها: إماطة الأذى عن الطَّرِيق، والحياء شعبة من الإيمان»<sup>٧٦</sup>. وقال النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَام: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من والده، وولده، والنَّاس أجمعين»<sup>٧٧</sup>.

[٣] وقال النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَام: «أمرت أن أقاتل النَّاس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمدًا رسول الله، ويقيموا الصَّلَاة، ويؤتوا الزَّكَاة، فإذا<sup>٧٨</sup> فعلوا ذلك عصموا منِّي دماءهم وأموالهم إلاَّ بحقَّ الإسلام، وحسابهم على الله»<sup>٧٩</sup>.

[٤] وقال النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَام: «من صَلَّى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فذلك المسلم الذي له ذمَّة الله وذمَّة رسوله»<sup>٨٠</sup>.

[٥] وعن سفيان بن عبد الله الثَّقَفِيِّ قال: قلت / [٣ظ] يا رسول الله، قل لي في الإسلام

---

٧٤ صحيح مسلم، الطهارة ١؛ سنن أبي داود، السنة ١٧؛ سنن الترمذي، الإيمان ٤؛ سنن النسائي، الإيمان ٥؛

سنن ابن ماجه، افتتاح الكتاب، ٩؛ مسند أحمد، ٣٢٣/١؛ مصابيح السنة للبخاري، ١١٢/١.

٧٥ صحيح مسلم، الإيمان ٨؛ سنن أبي داود، السنة ١٧؛ مسند أحمد، ٤٣٥/١؛ مصابيح السنة للبخاري،

١١٢/١.

٧٦ صحيح مسلم، الإيمان ٣٥؛ سنن أبي داود، السنة ١٥؛ النسائي، الإيمان وشرائعه ١٦؛ مسند أحمد،

٢١٢/١٥؛ مصابيح السنة، ١١٣/١.

٧٧ صحيح البخاري، الإيمان ٩؛ صحيح مسلم، الإيمان ٧٠؛ سنن النسائي، الإيمان وشرائعه ١٩؛ سنن ابن

ماجة، افتتاح الكتاب ٩؛ مسند أحمد، ٢٠٢/٢٠؛ مصابيح السنة للبخاري، ١١٣/١.

٧٨ ص، ف وإذا

٧٩ صحيح البخاري، الإيمان ١٥؛ صحيح مسلم، الإيمان ٢٢؛ سنن النسائي، تحريم الدم؛ مسند أحمد،

٢٢٢/١٤؛ مصابيح السنة للبخاري، ١١٤/١.

٨٠ صحيح البخاري، الصلاة ٢٨؛ سنن النسائي، الإيمان وشرائعه ٩؛ مصابيح السنة للبخاري، ١١٤/١.

قولاً لا أسأل عنه غيرك، قال: «قل آمنت بالله ثم استقم»<sup>٨١</sup>.

[٦] وقال النبي عليه السلام: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»<sup>٨٢</sup>، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم»<sup>٨٣</sup>.

[٧] وقال النبي عليه السلام: «لا إيمان لمن لا أمانة له»<sup>٨٤</sup>.

[٨] وقال النبي عليه السلام: «ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمدًا رسول الله صدقًا من قلبه إلا حرمه الله على النار»<sup>٨٥</sup>.

[٩] وقال النبي عليه السلام: «ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة، وقال أبو ذر: قلت: وإن زنى وإن سرق؟ ثلاث مرّات، وقال النبي عليه السلام في جوابه ثلاث مرّات أيضًا: «وإن زنى وإن سرق»، وقال في الثالث «على رغم أنف أبي ذر»<sup>٨٦</sup>.

[١٠] وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمدًا عبده ورسوله، وأنّ عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق، والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل»<sup>٨٧</sup>.

واعلم أنّ الأحاديث المذكورة في بيان الإيمان والإسلام متخالفة، وفي الظاهر متدافعة؛ لأنّ الحديث الذي / [٤و] في جواب جبريل عليه السلام يدلّ على أنّ الإيمان يكون عبارة عن الاعتقاد والإقرار بالأمور الستة فقط، إذ لا يجوز أن يُقال ترك النبي عليه السلام بعض أجزاء الإيمان في بيانه عند جواب جبرائيل عليه السلام<sup>٨٩</sup>.

٨١ صحيح مسلم، الإيمان ٣٨؛ مسند أحمد، ١٤١/٢٤؛ مصابيح السنة للبغوي، ١١٥/١.

٨٢ ص، ف يده ولسانه.

٨٣ سنن الترمذي، الإيمان ١٢؛ مسند أحمد، ٣٨٧/٣٩.

٨٤ مسند أحمد، ٣٧٦/١٩.

٨٥ صحيح البخاري، العلم ٤٩؛ مصابيح السنة للبغوي، ١٢٠/١.

٨٦ صحيح البخاري، اللباس ٢٤، صحيح مسلم، الإيمان ٩٤؛ مسند أحمد، ٣٧٠/٣٥؛ مصابيح السنة للبغوي،

١٢١/١.

٨٧ ص، ف - أن.

٨٨ صحيح البخاري، أحاديث الأنبياء ٤٦؛ مسند أحمد، ٣٤٩/٣٧؛ مصابيح السنة للبغوي، ١٢١/١.

٨٩ في النسخة (ف) استخدم الناسخ رمز ع.م اختصارًا لـ «عليه السلام»

وقوله عليه السلام: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلّاة، ويؤتوا الزّكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلاّ بحقّ الإسلام، وحسابهم على الله»، يدلُّ على أنّ الاعتقاد والإقرار بوحداية الله وصدق رسوله يكفي في الإيمان، وعلى أنّ الصلّاة والزّكاة من أجزاء الإيمان.

وقوله عليه السّلام: «ما من أحدٍ يشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمدًا رسول الله صدقًا من قلبه، إلاّ حرّمه الله على النّار»، يدلُّ على أنّ الاعتقاد والإقرار بوحداية الله تعالى وصدق رسوله يكفي في الإيمان. وقوله عليه السّلام: «ما من عبد قال لا إله إلا الله ثمّ مات على ذلك إلا دخل الجنّة» يدلُّ على أنّ التّوحيد يكفي في الإيمان ولا يحتاج إلى تصديق الرّسول. وقوله عليه السّلام<sup>٩٠</sup>: / [٤ظ] «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبّ إليه من والده، وولده، والنّاس أجمعين». وقوله: «لا إيمان لمن لا أمانة له»، يدلُّ على أنّ الإيمان لا يصحُّ بدون كمال محبّة الرّسول، وعليه على سائر المخلوقات والمحجوبات<sup>٩١</sup> وبدون الأمانة والاحتراز عن الخيانة.

وقوله عليه السّلام<sup>٩٢</sup>: «الإيمان بضع وسبعون شعبة»، يدل على أنّ أجزاء الإيمان أكثر من سبعين شعبة. وقال النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم في جواب جبريل عليه السّلام عند سؤاله عن الإسلام: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وتقيم الصلّاة، وتؤتي الزّكاة، وتصوم رمضان، وتحجّ البيت».

وقال أيضًا: «المسلم من سلّم المسلمون من لسانه ويده»<sup>٩٣</sup>. وقال أيضًا: «من صلّى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ذمّة الله وذمّة رسوله». وقال لعبد الله التّففي في بيان الإسلام: «قل: آمنت ثمّ استقم».

فالحديث<sup>٩٤</sup> الذي في جواب جبريل عليه السّلام يدلُّ على أن يكون الإسلام عبارة عن الشّهادتين وإقام الصلّاة، وإيتاء الزّكاة، وصيام رمضان وحجّ البيت، والأحاديث الباقية تدلُّ

٩٠ - عليه السلام.

٩١ - والمحجوبات.

٩٢ - ف، ع م.

٩٣ - ف، ص من يده ولسانه.

٩٤ - ص والحديث.

على أن يكون أكل ذبيحتنا / [٥٥] وسلامة المسلمين<sup>٩٥</sup> من يده ولسانه، واستقامته من أركان الإسلام، ويدلُّ<sup>٩٦</sup> أيضًا على أن ما ذكر في كل واحد يكفي في الإسلام، فلا بدَّ في ذلك من التوفيق ودفع التعارض الظاهري.

قلنا: أن نقول في دفع التدافع الظاهري، أنَّ الحديث المذكور في بيان الإيمان في جواب جبريل عليه السلام أقوى بحسب الدلالة والرواية، والأحاديث الباقية أدنى منه دلالةً وروايةً، فلا يعارضه؛ فيكون المراد منها بيان قوَّة الإيمان، وكماله، وثمرته أو شُعبه، والاختصار على بعض الشُّعب المكملات في بعض الأحاديث؛ لاقتضاء المقام ذلك، وستُعرف فيه تفاصيل الكلام، وكذا التَّأويل في الأحاديث المختلفة في بيان الإسلام.

واعلم أنَّ هذا القدر من البيان والتوفيق والترجيح والتَّحقيق لا يكفي هنا؛ لأنَّ باب الإيمان والإسلام أصلٌ أعظم وأمرٌ أهم، وأنَّ الأحاديث المختلفة الواردة فيه على ما بُيِّنَتْ في الكتب المعتمدة كثيرة وفي الظاهر متدافعة، ولهذا اختلف أهل الأفهام في حقيقة الإيمان / [٥٥] والإسلام، فنشأ منه اختلافُ المذاهب والآراء، وفرَّق أهل الضلال والأهواء.

وقد ألَّف الإمامُ محمدُ الشهرستاني<sup>٩٧</sup> في بيان فرَّق أهل الكُفر وأرباب الأهواء كتابًا<sup>٩٨</sup>، فمن أراد<sup>٩٩</sup> معرفة تفاصيلهما فليطالع فيه. وقد أخذ صاحب المواقف<sup>١٠٠</sup> منه خلاصة فرَّق أهل الأهواء الذين انتحلوا إلى الإيمان، ومن أراد معرفة ذلك فليطالع فيه. وقال أكثر أهل الحديث أصول فرَّق أهل الأهواء ستَّة: القدرية، والجبرية، والرَّافضية، والخارجية، والمعطلة والمشبهة. ثمَّ تفرَّقت كلُّ فرقة منهم إلى اثنتي عشرة فرقة، فصاروا اثنتين وسبعين فرقة.

---

٩٥ ف المسلمون.

٩٦ ص ولا بد أيضا.

٩٧ هو من أهل الكلام؛ كان إمامًا أصوليًا، ولد في شهرستان سنة ٤٦٧هـ، سكن بلاد خراسان وتوفي سنة ٥٤٨هـ، من مصنفاته: الملل والنحل ونهاية الإقدام. انظر: سير أعلام النبلاء، ٢٠/٢٨٦، التحبير، ٢/١٦٠ بتصرف.

٩٨ الملل والنحل.

٩٩ ص + تفصيل.

١٠٠ وهو عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار، عضد الدين الإيجي الشيرازي، ولد ب إيج نواحي شيراز بعد سبعمائة، من أشهر مؤلفاته شرح المختصر وكتاب المواقف المذكور أعلاه في علم الكلام، ومن أشهر تلامذته شمس الدين الكرمانى، ضياء الدين العفيفي وسعد الدين التفتازاني، ومات مسجونًا في سنة ٧٥٦. انظر: ابن حجر

العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ٣/١١٠. بتصرف

واعلم أنّ مشاهير من ظنّ أنّهم من أهل الحديث<sup>١٠١</sup> واختلفوا في حقيقة الإيمان: المعتزلة والمرجئة والخارجية<sup>١٠٢</sup>. فلنا أن نُبيّن خطأ رأيهم، وعملهم بظواهر بعض الأحاديث، وعدم قدرتهم على الجمع والتوفيق، وأن نبيّن المذهب الحقّ فيه، حتى يخرج السامع بذلك القدر عن ذلّة التقلد بما سمع من أبيه أو من إمام مذهبه، ويعرف المذهب الحقّ المثبت بالأدلة القويّة، ويعتقد عليه ويتديّن به، لكن لا بدّ لنا قبل الشروع في بيان / [٦] المذهب الحقّ وتزييف غيره، من بيان ضابطة نافعة في المقصود.

فاعلم أنّ ظاهر بعض النصوص الشرعيّة، الواردة في الأمور الاعتقاديّة أو العملية أو الخلقية، يُدفع بعضها بحسب التعارض الظاهريّ كما سمعت بعضه فيما سلف. وقد يخالف ظاهر بعضها الأصل الأصوليّ المثبت في أصول الدين، فلا بدّ في التّقصّي عنهما من بيان قاعدتين، حتى يعرف المستدلّ بهما طرائق التّوفيق أو التّرجيح في الأوّل، وشرائط التأويل

---

١٠١ لعلّه قصد هنا من ظن أنّهم من أهل حديث الفرقة الناجية، قال النبيّ -صلى الله عليه وسلّم-: افتقرت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة، وسبعون في النار، وافتقرت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة، فأحدى وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، والذي نفس محمد بيده لفتقرن أمّي على ثلاث وسبعين فرقة، واحدة في الجنة، وثلثان وسبعون في النار»، قيل: يا رسول الله من هم؟ قال: «الجماعة». سنن ابن ماجه، الفتن ١٧. لأنّ المعتزلة يزعمون بأنهم الفرقة الناجية في هذا الحديث ويستدلون به، وأنهم هم المتمسكون بالسنة والجماعة دون غيرهم، مع أنّهم لا يحتجون بأحاديث الآحاد في باب الاعتقاد. وقال صاحب كتاب وسطية أهل السنة بين الفرق: لا غرابة في احتجاجهم بهذا الحديث مع قولهم بعدم الاحتجاج بأحاديث الآحاد، فهذه من أمارات أهل البدع، فهم يأخذون من السنة ما يوافق أهواءهم صحيحًا كان أو ضعيفًا، ويتركون ما لم يوافق أهوائهم من الحديث وإن كان صحيحًا وأخرجه الشيخان. انظر: محمد باكرم با عبد الله، وسطية أهل السنة بين الفرق، ط: ١، (الأردن - دار الراية ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م)، ص: ٥٣.

١٠٢ إنّ الإيمان عند أهل السنة والجماعة يكون: تصديقًا بالقلب، وإقرارًا باللسان، وعملاً بالجوارح، وإنه يزيد وينقص. إلا أنّه خالف كثير من أهل البدع مذهب أهل السنة في حقيقة الإيمان، فذهبت المعتزلة إلى أنّ الإيمان عبارة عن: التصديق بالقلب، والإقرار باللسان، والعمل بالجوارح، واجتناب الكبائر كلها، فإذا اقترفت كبيرة واحدة، أي إذا سرق أو زنا، فإنه يخرج من الإيمان ولا يكفر. بخلاف الخوارج الذين يقولون بأن الإيمان هو: التصديق بالقلب، والإقرار باللسان والعمل بالجوارح وأداء للفرائض وانتهاء عن المحارم، ومن فعل الكبيرة عندهم يخرج من الإيمان ويدخل في الكفر. أما المرجئة فهم يقولون بأن الإيمان يكون بالتصديق فقط. انظر: عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن الراجحي، شرح كتاب الإيمان لأبي عبيد، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية: <http://www.islamweb.net>، ٩/٣، ٧/١٣.

والتَّوضيح في الثَّاني، ولا يحتاج إلى سماع توفيقٍ جُزئِيٍّ وتأويلٍ شخصيٍّ في كلِّ موضع من مواضع التَّدافع ومواقع التَّعارض؛ لأنَّ ذلك يُشَوِّشُ الحال ويكدِّرُ البال.

### [قواعد دفع التَّعارض الظاهري]

فاعلم في بيان القاعدة الأولى: أنَّ شرط التَّعارض أن يكون النَّصان المتعارضان متساويين في الدَّات والصِّفات، وأن يقتضي أحدهما بالدَّات ما يضادُّ مقتضى الآخر، وذلك بأن يكون في محلِّ حكميهما وزمانيهما وجهتيهما واحدًا. فمعنى التَّساوي في الدَّات أن يكون النَّصان متساويين في الثَّبوت، بأن يكونا متواترين أو مشهورين أو من الآحاد / [٦ظ]. ومعنى التَّساوي في الصِّفات، أن يكون دلالتهما متساوية في القطعية والظنِّيَّة: وتساويهما في الدَّلالة القطعية بأن يكون النَّصان الدَّالَّان على الحُكْمَيْن المتضادَّين مفسَّرين أو مُحْكَمَيْن، أو ظاهرين أو نصَّين. ويكون دلالتهما أيضًا بالعبارة أو الإشارة أو الدَّلالة أو الاقتضاء. وتساويهما في الدَّلالة الظنِّيَّة، بأن يكون النَّصان مأوَّلَيْن أو عامَّين خصَّ منهما البعض، أو خبرين من الآحاد، وتكون دلالتهما أيضًا بالعبارة أو الإشارة أو الدَّلالة أو الاقتضاء. وقد يستعمل التَّعارض في النَّصَّين المتخالفين، وإن لم يكن ذاهما وجهَّة دلالتهما متَّحدين، لكن التَّحقيق أنَّهما ليسا متعارضين لما عرفت أنَّ شرط التَّعارض التَّساوي فيهما. وإذا عرفت هذا القدر من التَّفصيل فاعلم أيضًا أنَّ لا تعارض في كلام الله تعالى ولا في كلام رسوله حقيقة لأنَّ ذلك يقع من الجهل تعالى الله عنه وحفظ رسوله منه. فإن قلت رسوله إنسان غير مصون عن السَّهو والنسيان، فلم لا يجوز أن يكون التَّعارض في كلامه بسببهما، قلنا لا يقرَّرُ رسوله / [٧و] على السَّهو والنسيان لو وقعا. فإذا تخالفت صورة التَّعارض في النَّصوص الشرعيَّة؛ ندفعه أولًا بالتَّوفيق والعمل بالنَّصَّين ببيان اختلاف جهتي النَّفي والإثبات كما سيحى تقريره ببيان أمثلته، وإذا لم يتيسَّر التَّوفيق والجمع ندفعه باعتبار اختلاف الزمان؛ بأن يكون المتأخَّر مبيِّنًا انتهاء مدَّة حكم المتقدِّم. وإن لم يُعلم التَّاريخ ندفعه أيضًا بالترجيح باعتبار الوصف، لما عرفت من أنَّ المحكَّم يرجَّح على المفسَّر، والمفسَّر على النَّص، والنَّص على الظَّاهر، ويُرجَّح الحقيقة على المجاز، والصَّريح على الكناية، والعبارة على الإشارة، والإشارة على الدَّلالة، والدَّلالة على الاقتضاء. ونرجَّح أيضًا ما يدلُّ على الحرمة على ما يدلُّ على الإباحة إذا تساويا في الدَّات وجهَّة

الدّالة. والتّرجيح بتلك الطّرق يُتصوّر في الكتاب والحديث، وقد يَخْتَصُّ بالحديث ترجيح باعتبار آخر، كترجيح الخبر المتواتر على المشهور، والمشهور على خبر الواحد، وترجيح ما كان راويه فقيهاً على غيره، وترجيح ما كان راويه معروفاً على ما كان مجهولاً، وترجيح المسموع من فم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على / [٧ظ] غيره، وترجيح ما يوافق القياس على ما يخالفه، والدّهَابُ إلى العمل بالسُّنة بعد تساوي الآيتين المتعارضتين، وإلى العمل بالقياس بعد تساوي السُّنتين<sup>١٠٣</sup> المتعارضتين من باب التّرجيح بالوصف لا بكثرة الأدلّة.

وإذا لم يتيسر التّوفيق والتّرجيح بوجه من الوجوه نتوقّف فيه، وإذا عرفت هذا المقدار من التّحرير والتّفصيل في بيان القاعدة الأولى، فاعلم أيضاً في بيان القاعدة الثانية أنّ حقيقة الكلام وظاهره يُترك كثيراً، ويُصار إلى المعنى المجازيِّ بقريئة مانعة عن إرادة المعنى الحقيقي، والقريئة إمّا عقلية أو حسّية، أو عادية أو شرعية أو نقلية وأمثلتها كثيرة. وعلاقات المجاز المرسل والاستعارة غزيرة وإيراد تفاصيلها لا يليق بهذا الموضوع، لكن نورد لكلِّ واحدة من تلك القرائن مثلاً واحداً حتّى تُعتبر الباقية به.

مثال ما يُترك ظاهره بالقريئة العقلية قوله عليه الصّلاة والسّلام: «إنّما الأعمال بالنيّات»<sup>١٠٤</sup>؛ لأنّ عقلك يدلّ على أنّ الأعمال توجد بدون النّية فيكون المراد حكمها. ومثال ما يُترك حقيقته باعتبار الحسّ قوله تعالى: ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٢٣]؛ لأنّك/ [٨و] تُبصر أنّ بلقيس لم تُعطَ كلّ شيءٍ مما في الدّنيا، فالمراد لازمه، وهو بيان كثرة ما أُعطيت من أمور الدّنيا.

ومثال ما يُترك ظاهره بقريئة عرفية وعادية قوله: (والله لا آكل رأساً)؛ لأنّك تعرف أنّ رأس السمك والدّبّاب وما لا يباع في السّوق مطبوخاً في ذلك الموضوع، لا يراد منه في عرف اليمين، فيكون المراد ما يباع في السّوق عادة من الرّؤوس.

ومثال ما يترك حقيقته بقريئة شرعية قولك: وكُلّتك بالخصومة مع فلان لأنّك تعرف أنّ الخصومة مهجورة في عرف الشريعة، والمسلم العاقل لا يُوكّل بها أحداً فيكون المراد مسببها

١٠٣ ص السندين.

١٠٤ صحيح البخاري، بدء الوحي ١؛ سنن ابن ماجه، الزهد، ٢٦؛ مصابيح السنة مقدمة المؤلف ١/١١٠

وهو إثبات المدّعي بها وجواب الخصم.

ومثال ما يترك ظاهره بقرينة نقلية قوله عليه الصلّاة والسّلام: «من ترك الصلّاة متعمّداً فقد كفر»<sup>١٠٥</sup> وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَلِيدًا فِيهَا﴾ [النساء: ٩٣] فإنّ النصوص القاطعة الرّاجحة دلّت على أنّ المؤمن لا يكون كافراً ولا مخلّداً في جهنّم بفعل الكبيرة، كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: ٩]، والأمر بالإصلاح بعد القتل يدلّ على أنّهم لم يخرجوا / [٨ظ] عن الإيمان بالكبيرة. وقوله عليه السّلام: «لا يكفر المؤمن بذنب ولا يخرج عن الإسلام بعمل»<sup>١٠٦</sup>، وأمثاله وهذا الخبر مشهور مرجّح على حديث: «من ترك الصلّاة»، الحديث<sup>١٠٧</sup>.

فإن قلت: فما وجه رجحان الآية الثانية على الأولى؟

قلنا: الآية الأولى مخصوصة بخروج القاتل عمداً على وجه القصاص والقاتل التائب، بخلاف الآية الثانية إذ الإصلاح بين كلّ طائفتين مقاتلتين واجبٌ بالأمر. والعامُّ المخصوص دليلٌ ظنيٌّ يُعارضه الخبر الواحد، فيُرجّح عليه الآية الثانية القاطعة، فيكون المراد من تارك الصلّاة وقاتل المؤمن المستحلّ بالتّرك والقتل، أو المراد من الكفر سترٌ نعمة الإيمان أو فعل الكفرة، ومن الخلود طول المكث.

وما قاله الأصوليون في كتبهم من أنّ جملة ما يُترك به الحقيقة خمسة أنواع مندرج جميع أمثلتها في الضابطة المذكورة.

وإذا عرفت هذا القدر في بيان القاعدتين ثبت بهما ما هو المذهب الحقّ في باب الإيمان والإسلام، وتبيّن بهما خلل سائر المذاهب المخالفة له، فنقول قال كبار المرجئة<sup>١٠٨</sup> لا تضرُّ

---

١٠٥ لعله روى الحديث بالمعنى وقصد به: «لا تترك الصلّاة متعمداً، فإنه من ترك الصلّاة متعمداً فقد برئت منه ذمة الله ورسوله». مسند أحمد، ٣٥٧/٤٥.

١٠٦ لم أجد حديثاً بهذا اللفظ في الكتب التسعة، إلّا أن الطبراني وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط من طريق أنس رضي الله عنه عن أبي جعفر الرّازي، عن الرّبيع بن أنس، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «من ترك الصلّاة متعمّداً فقد كفر جهاراً». انظر: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، المعجم الأوسط، تحقيق: أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد - أبو الفضل عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، (القاهرة- دار الحرمين ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م)، ٣/٣٤٣.

١٠٧ ص - الحديث.

١٠٨ ف: المرجية.

المعصية/ [٩و] مع الإيمان، كما لا تنفع الطاعة مع الكفر؛ استدلالاً بظواهر الأحاديث، كقوله عليه السلام: «من قال لا إله إلا الله دخل الجنة»<sup>١٠٩</sup>، وقوله عليه السلام: «ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله صدقًا من قلبه إلاَّ وحَرَّمه الله على النَّار»<sup>١١١</sup>، وقوله عليه السلام: «ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله إلاَّ حَرَّمه الله على النَّار»<sup>١١٢</sup> على ما كان من عمل<sup>١١٣</sup>، وقوله عليه السلام: «لا يلقى الله عبد<sup>١١٤</sup> غير شاكِّ فيهما إلاَّ دخل الجنة وإن زنى وإن سرق»، وقوله عليه السلام: «حُرِّمَ على النَّار من قال لا إله إلا الله»<sup>١١٥</sup>.

وقد أورد مسلم بن الحجاج القشيري في كتابه مثل هذه الأحاديث كقوله: قال معاذ: قال النَّبيُّ عليه السلام: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة»<sup>١١٧</sup>، وعنه أنَّه قال: قال عليه السلام: «من لقي الله لا يشرك به شيئًا دخل الجنة»<sup>١١٨</sup>. وروى ذلك عبادة بن الصَّامت وعتبان بن مالك وفي حديث عبادة: «على ما كان من عمل». وروى أنس رضي الله عنه أنَّه عليه السلام قال: «حُرِّمَ على النَّار من قال لا إله إلا الله بيتغي<sup>١١٩</sup> بذلك وجه الله»<sup>١٢٠</sup>، وأجاب العلماء عن ذلك: رُوِيَ عن ابن المسيَّب رضي الله عنه / [٩ظ] أنَّه قال: كان مثل هذه الأحاديث قبل نزول الفرائض والأمر والنهي. وقال الحسن البصري: معناه: من قال ذلك وأدَّى حقه، وقيل ذلك في حق من قاله عند

١٠٩ سنن الترمذي، أبواب الإيمان ١٧؛ مسند أحمد، ١٠/٤٦٥.

١١٠ ف، ص حرمة.

١١١ صحيح البخاري، العلم ٤٩؛ مصابيح السنة، ١/١٢٠.

١١٢ صحيح مسلم، الإيمان ٣٢.

١١٣ لفظ: «على ما كان من عمل» إضافة من الناسخ.

١١٤ ص + بالشهادتين.

١١٥ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ صحيح مسلم، الإيمان ٣٣.

١١٦ ف + الله.

١١٧ سنن أبي داود، الجنائز ٢٠؛ مسند أحمد، ٣٦/٣٦٣؛ مصابيح السنة، ١/٥٣٧.

١١٨ صحيح البخاري، العلم ٤٩؛ صحيح مسلم، الإيمان، ١٥٢؛ مسند أحمد، ٥/١٨٤.

١١٩ ص + يطلب.

١٢٠ صحيح البخاري، الصلاة ٤٦؛ صحيح مسلم، الصلاة ٣٦٢؛

النَّدَم والتَّوْبَةُ ومات على ذلك.

وروي عن البخاري أنه قال: معناه يكون مآله الجنَّة، والمراد بتحريم النَّار تحريم الخلود. وذكر الشيخ أبو عمرو بن الصَّلَاح في جوابه: يجوز أن يكون<sup>١٢١</sup> مثل تلك الأحاديث اقتصارًا من بعض الرِّوَاة من تقصيره في الحفظ والضَّبْط؛ بدليل مجيئه تامًّا في رواية غيره، ويجوز أن يكون اختصارًا من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاطب به الكفَّار عبدة الأوثان، أو التَّنْوِيَّة<sup>١٢٢</sup>؛ لأنَّهم إذا قالوا لا إله إلاَّ الله حكم بإسلامهم، وقال بعض أصحاب الحديث: إذا قالوا ذلك يجبرون على قبول سائر الأحكام، ويجعل حكمهم حكم المرتدِّين.

واستدلَّ البعض بظاهر بعض الأحاديث المذكورة على أنَّ الإيمان معرفة وحدانيَّة الله تعالى ولا يحتاج فيه إلى تصديق الرِّسول وغيره، وما وجدت من الأجوبة في الكتب التي عندي<sup>١٢٣</sup>، ما نقلته والأنسب على ما ظننته صوابا أن يقال تأويلًا / [١٠و]، وجوابًا في توجيه كون مجرَّد الشهادتين سببًا لدخول الجنَّة وتحريم النَّار أنَّ الشَّهادتين من شأنهما أن يكونا سببين لدخول الجنَّة وتحريم النَّار؛ إن لم يمنع مانع من ترك بعض العبادات المفروضة وارتكاب بعض المعاصي المحرَّمة، لأنَّ النَّبيَّ عليه السَّلَام كما بيَّن أنَّ شأن الشَّهادتين ذلك، بيَّن أنَّ ترك الفرائض وارتكاب المعاصي يؤدِّي إلى دخول النَّار.

وليكن هذا التَّوِيل راسحًا في قلبك حاضرًا في حِفْظِكَ حتى يُحْلِصَكَ في كثير من المواضع عن حيرة التَّردد، ويجعل رأيك فيه في مقام التَّشْبُث والتَّشَدُّد، وحين يفرغ<sup>١٢٤</sup> من صماخ قلبك في لوجه الوعد بدخول الجنَّة على واحدة من العبادات السَّهلة، والوعد بدخول النَّار على سهل من السيئات الكثيرة.

وفي كون مجرَّد لا إله إلاَّ الله بدون محمَّد رسول الله سببًا لدخول الجنَّة؛ أنَّ قول لا إله إلاَّ الله علم للشَّهادتين أو من باب إطلاق الجزء وإرادة الكلِّ، كما يقال: قرأتُ «الحمدُ لله» ويراد قراءة الفاتحة بتمامها، أو لفظ «الله» علم يدلُّ على ذاته بجميع صفاته، فمن حملتها بعثه الرُّسل، وإنزأل الكتب، وإرسالُ / [١٠ظ] الملائكة، وإقامة القيامة، والتَّقدير: ما كان

١٢١ ص - يكون.

١٢٢ ص، التَّنْوِي.

١٢٣ ص + غير.

١٢٤ ص: يبرع.

ويكون من الخير والشر، فيكون معنى لا إله إلا الله الإقرار بوحداية الله وبجميع صفاته مجملًا.

وقد جاء مثل ذلك في باب الشفاعة حيث قال النبي عليه السلام: «أسعد الناس بشفاعتي، من قال لا إله إلا الله خالصًا من قلبه»<sup>١٢٥</sup>. وحكي أيضًا عن الله تعالى أنه قال: «لأُخرجنَّ منها من قال لا إله إلا الله»<sup>١٢٦</sup>، ويشبه أن يكون قوله عليه السلام في جواب سفيان بن عبد الله الثقفي عند سؤاله عن الإسلام: «قل آمنت بالله ثم استقم»، وقوله عليه السلام في أشراط الساعة: «لا تقوم الساعة على أحد يقول الله»<sup>١٢٧</sup> من ذلك القبيل. وقرينة التأويل هنا أيضًا النصوص القاطعة والإجماع الدالة على أن مجرد قول لا إله إلا الله، ومجرد قول الله لا يكفي في الإيمان والخلاص عن الخلود في النار، فلا بد فيه أيضًا من الجمع والتوفيق والتأويل والتحقيق بما عرفت في القاعدتين. وسننقش في صحيفة ذهنك ولوح فهمك ما يؤكد ذلك من زيادة التقرير والتحقيق في إثبات المذهب الحق؛ بالبرهان والتوفيق إن شاء الله تعالى بفيضه التسديد والتوفيق.

وقال جمهور الخوارج: يكفر / [١١و] المؤمن بارتكاب الكبيرة، وقال جمهور المعتزلة: المؤمن يخرج من الإيمان بفعل الكبيرة ولا يدخل في الكفر؛ لعدم جحوده، بل<sup>١٢٨</sup> يكون فاسقًا، ويُخلد في النار من مات بدون التوبة عن الكبيرة. واستدل الخوارج بظواهر بعض النصوص الشرعية، كقوله عليه السلام: «من ترك الصلاة متعمدًا فقد كفر»<sup>١٢٩</sup>، وقوله عليه السلام: «ومن مات ولم يحج فليمت إن شاء يهوديًا أو نصرانيًا»<sup>١٣٠</sup>، وقوله عليه السلام: «بين العبد المؤمن والكفر ترك الصلاة»<sup>١٣١</sup>.

واستدل المعتزلة بقوله عليه السلام: «لا يسرق سارق وهو مؤمن، ولا يزني زان وهو

١٢٥ صحيح البخاري، العلم ٣٣؛ مسند أحمد (من قبل نفسه) ٦/٨٨٥٨؛ مصابيح السنة، ٣/٥٤٠.

١٢٦ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ مصابيح السنة، ٣/٥٤٠.

١٢٧ صحيح مسلم، الإيمان ١٤٨.

١٢٨ ص - بل.

١٢٩ روي الحديث بالمعنى، مسند أحمد، ٣٥٧/٤٥.

١٣٠ لعله قصد الحديث: «من لم يمنعه من الحج حاجة ظاهرة، أو سلطان جائر، أو مرض حابس فمات ولم يحج

فليمت إن شاء يهوديًا وإن شاء نصرانيًا» سنن الدارمي، ١/٤٣٧.

١٣١ لعله قصد الحديث: «إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة» صحيح مسلم، الإيمان ٨٢.

مؤمن»<sup>١٣٢</sup>، وأدلتهم من الآيات أيضاً كثيرة كقوله تعالى<sup>١٣٣</sup>: ﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا﴾ [النساء: ١٤] وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]، وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوِيهِمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾ [السجدة: ٢٠]، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾ [النساء: ٩٣].

فنقول في جوابهم أيضاً أنّ النصوص القطعية الراجحة في الدلالة على أنّ المؤمن / [١١ظ] لا يخرج عن إيمانه بارتكاب الكبيرة كثيرة لما ذكرنا. وسنذكر أيضاً بعضها إن شاء الله تعالى في إثبات المذهب الحق في الإيمان، فلا بد لنا من تأويل هذه النصوص المرجوحة الدالة على خلافها، لما عرفت أنّ النصوص الشرعية لا يُتصور التعارض فيها حقيقة، فذهب أولاً إلى الجمع والتوفيق، وإذا لم يتيسر ذلك نذهب إلى غيره.

فالنصوص القطعية الدالة على أنّ المؤمن لا يخرج عن إيمانه بعمل الكبيرة، قرينة دالة على أنّ المراد من النصوص التي استدلت بها الخوارج والمعتزلة على إثبات مدّعاتهم غير ظواهرها.

فنقول: المراد من العصيان والتعدي في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [النساء: ١٤] العصيان والمخالفة من كل وجه بأن لا يؤمن ولا يعمل بمقتضى الإيمان، لما عرفت أنّ المراد من المطلق الكمال إذا لم يوجد قرينة التقييد. والمراد من الأمن والاهتداء أيضاً كماههما، وذلك مشروط بعدم خلط الظلم والمعاصي، أو المراد من الظلم أفضعه وهو الكفر، وكذا من الفسق.

مع أنّ قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا﴾ [السجدة: ٢٠] في مقابلة قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [البقرة: ١٤] / [١٢و] يدل على أنّ المراد من الذين فسقوا غير المؤمنين؛ ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾ [السجدة: ٢٠] الآية.

والمراد من قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا﴾ [النساء: ٩٣] استحلال القتل، أو قتل المؤمن لإيمانه. فيكون القاتل حينئذ كافراً. أو المراد من الخلود طول المكث. والمراد من ترك الصلاة؛ تركها مستحلاً أو مستخفاً. فيكون كافراً حقيقة بالاتفاق.

١٣٢ مسند أحمد، ١٣/٥٢١.

١٣٣ ص اختصر كلمة تعالى بـ تع.

أو المراد من الكفر سترُ نعمة الإيمان بترك شكره بإقامة الصلاة ومحافظتها، أو أُطلق الكفر على ترك العمل بمقتضى الإيمان. أو التشبُّه بالكفرة بترك الصلاة. أو المراد من الكفر لازمه وهو شدة العذاب أو الزجر عن ترك الصلاة بأبلغ الوجوه. وكذا تأويل قوله عليه السلام: «بين العبد والكفر ترك الصلاة»<sup>١٣٤</sup>.

والمراد من قوله عليه السلام: «لا يسرق سارق ولا يزني زانٍ وهو مؤمن»، بيان أن مقتضى الإيمان ألا يسرق المؤمن ولا يزني. أو من باب نفي الشيء وتنزيل وجوده بمنزلة عدمه، لانعدام كماله أو مقتضاه.

والمراد من قوله عليه السلام<sup>١٣٥</sup>: «فليمت إن شاء يهودياً أو نصرانياً» / [١٢ ظ]، تشبيه تارك الحج باليهودي والنصراني، أو المراد من التارك المستحل بالترك، أو الزجر عنه بأبلغ الوجوه.

ولنا أيضاً أن نقول: ظواهر النصوص الشرعية التي استدلت بها المرجئة على عدم مضرة المعصية مع الإيمان كالأحاديث المذكورة، وكقوله تعالى: ﴿وَأَتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١]، وكقوله تعالى: ﴿لَا يَصْلِيهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿٥٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ [الليل: ١٥-١٦]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ [طه: ٤٨] تدفع ظواهر<sup>١٣٦</sup> ما استدلت بها الخارجية والمعتزلة، فلا يعمل بأحدهما.

وقال جمهور المفسرين والمحدثين<sup>١٣٧</sup>: الإيمان عبارة عن الاعتقاد بما يجب اعتقاده، وعن الإقرار به والعمل بالفرائض. والاجتناب عن الكبائر. واستدلوا على ذلك بالآيات والأحاديث

---

١٣٤ تعليق على النص من الناسخ: أي السبب بين العبد ووجود الكفر؛ ترك الصلاة، فإذا ترك يدخل في الكفر.

/سنن أبي داود، السنة ١٥.

١٣٥ ص - عليه السلام.

١٣٦ ف، ظواهرها.

١٣٧ منهم: الإمام محمد بن إسماعيل التيمي الأصبهاني حيث ذهب إلى أن الإيمان في الشرع هو التصديق بالقلب والعمل بالأركان. انظر: أبو زكريا النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج؛ (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٧٢م) ط: ٢، ج: ١، ص: ١٤٦. والقاضي بكر بن العلاء القشيري قال: إن الإيمان قول وعمل مستدلاً بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ [الإسراء: ١٩] وفسر الإرادة بأنها التنية، والسعي: العمل. ينظر: أبو الفضل بكر بن العلاء القشيري، أحكام القرآن؛ تحقيق سلمان الصمدي، ط ١. (الإمارات: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ٢٠١٦م)، ٨٦/١.

الكثيرة، كقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ٦﴾ فَمَنْ أَبْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١-١١] / [١٣ و١٠]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال: ٢-٤]. وقوله عليه السلام<sup>١٣٨</sup> في تفسير الإيمان في حديث وفد عبد القيس: «بالشهادتين والصلاة والزكاة وصوم رمضان وإعطاء الخمس من المغنم». وقوله عليه السلام: «الإيمان بضع وسبعون شعبة»، وقوله عليه السلام: «والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن» قيل من يا رسول الله، قال: «الذي لا يأمن جاره بوايقه»<sup>١٣٩</sup>. وقوله عليه السلام: «لا إيمان لمن لا أمانة له». وقوله عليه السلام: «لا يجتمع الشُّخ مع الإيمان في قلب مؤمن أبداً»<sup>١٤٠</sup>، وقوله عليه السلام: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من الكبر»<sup>١٤١</sup>، وأمثال هذا كثيرة. ولنا أن نقول في جوابهم: لما دلَّ النصوص التي هي أقوى مما ذكرتم، على أنَّ فعل الأعمال المفروضة وترك الكبائر ليسا جزئين من الإيمان / [١٣ظ] وجب علينا أن نوفق ونجمع بين النصوص الشرعية ونأول قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١] الخ<sup>١٤٢</sup>، بأنه يحتمل أن يكون المراد من الفلاح الدخول في الجنة من أول الأمر. وأن يكون المراد من المؤمنين في قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال: ٤] المؤمنون الكاملون، أو المراد بيان أهل الفردوس من المؤمنين، ولا يلزم منه أن لا يدخل غيرهم الجنة، لما عرفت أنَّ الفردوس أعلاها، مع أنَّ جميع الفرائض غير المذكورة في النصين المذكورين من القرآن، وأتھما ساكتان أيضاً عن ترك الكبائر. فلا يثبت بهما مذهبهم، بل

١٣٨ ص: السلم.

١٣٩ صحيح البخاري، كتاب الجمعة ٢١٧؛ مسند أحمد، ٦/٢٦١؛ مصابيح السنة، ٣/٣٦٧.

١٤٠ سنن النسائي، الجهاد ٨؛ مصابيح السنة، ٢/٤٣.

١٤١ سنن الترمذي، البر والصلة ٦١؛ سنن ابن ماجه، الزهد ١٩؛ مسند أحمد، ٦/٣٣٥؛

١٤٢ ص إلى آخر الآية.

يحتل، وليس إقامة الصلاة وما بعدها من أجزاء الإيمان في حديث الوفد؛ لأنَّ تفسير الإيمان الشَّهادتان فقط وما بعدهما من المأمورات الأربعة التي أمرهم النَّبيُّ عليه السَّلام بعملها ولو سلَّم. قلنا المراد منها بيان شُعَب الإيمان وثمراته، أو مكَمَلاته أو مقتضياته. وكذا التَّأويل في قوله عليه السَّلام: «الإيمان بضع وسبعون شعبة»، مع أنَّ إِماطة الأذى عن الطَّرِيق ليست من أجزاء الإيمان بالاتِّفاق، ومع أنَّ بعض / [١٤و] أهل السُّنَّة طعن في هذا الحديث، إذ قال في بعض روايته: (الإيمان بضع ستون)، فقالوا هذا دليل غفلته<sup>١٤٣</sup>.

والمراد من قوله عليه السَّلام<sup>١٤٤</sup>: «لا يؤمن أحدكم والله لا يؤمن»: لا يعمل بمقتضى الإيمان أو نفي الإيمان وتنزيله بمنزلة العدم لانعدام كماله أو مقتضاه. والمراد من قوله عليه السَّلام: «لا يؤمن»، لازمه مثل الزَّجر عن ترك العمل بموجب الإيمان أو العذاب الشَّدِيد، وكذا التَّأويل في قوله عليه السَّلام<sup>١٤٥</sup>: «لا إيمان لمن لا أمانة له»، والمراد من قوله عليه السَّلام: «لا يجتمع الشُّح مع الإيمان»: النهي. وأُورد في صورة الخبر للمبالغة كقوله تعالى: ﴿فَلَا رَفَتْ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧] والمراد بيان المنافرة بين الشُّح والإيمان، وأنَّ مقتضى الإيمان أن يمنعه. أو المراد بيان أنَّ المؤمن الكامل من لا يكون في قلبه الشُّح والبخل. أو نزل الإيمان مع الشُّح بمنزلة المعدوم للنكتة التي تَبَّهنا عليها. والمراد من قوله عليه السَّلام: «لا يدخل الجنَّة»، أنَّ شأن الكِبَرِ ذلك إن لم يمنع مانع أو لا يدخل ما دام تبعه الكبر في / [١٤ظ] ذمَّته.

<sup>١٤٣</sup> للحديث روايتان، «الإيمان بضع وسبعون شعبة» مروى عن العقدي عن سليمان بن بلال عن عبد الله بن دينار عن أبي هريرة. و «الإيمان بضع وستون شعبة» مروى عن سهيل عن عبد الله بن دينار عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم. والرواية الأولى موجودة في صحيح مسلم والثانية رواها البخاري. لذلك طعن بعض أهل السُّنَّة في هذا الحديث لأنَّ الشك واقع في رواية سهيل هذا ما قاله ابو عمرو بن الصلاح، واختلَّف في ترجيح الرواية منهم من ذهب إلى ترجيح الأقل رواة أي رواية سهيل (بضع وستون) وهذا ما رجَّحهُ القاضي عياض ومنهم من ذهب إلى ترجيح الأكثر رواة أي (بضع وسبعون)، وذهب النووي إلى أنَّ كلتا الروايتين صحيحتان بعد تدبُّره لكتاب الله عزَّ وجلَّ وسُنَّ نبيه عليه السَّلام وعدَّها وضَمَّها فوجدها تسع وسبعون شعبة لا تزيد ولا تنقص فعَلِمَ أنَّ مراد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من هذا العدد هو مجموع ما جاء في القرآن والسنة. ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ٢/٣-٥. بتصرف.

١٤٤ ص - عليه السلام.

١٤٥ ص - عليه السلام.

وإذا عرفت هذا القدر من التّأويل في ردّ المذاهب الباطلة المذكورة، فاعلم أنّ حقيقة الإيمان في الشريعة عبارة عن التّصديق بوحداية الله تعالى وبجميع صفاته مجملاً، وبرسالة محمد عليه الصّلاة والسّلام وتصديق ما جاء به على سبيل الجزم واليقين من غير تردّدٍ وتحمين، مع الإقرار بذلك في حالة الاختيار وهو المذهب الصّحيح المروي عن أبي حنيفة رحمه الله<sup>١٤٦</sup>. ويدلّ على ذلك مقابلة الإيمان بالكفر في مواضع كثيرة، والمراد من الكفر: التّكذيب بالاتفاق. فيكون المراد من الإيمان في مقابله التّصديق بما قلنا. ويدلّ عليه أيضاً قول الكفّار عند الاضطرار: (آمنا)، كما قال فرعون عند قرب الغرق: ﴿عَآمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي عَآمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ﴾ [يونس: ٩٠]. وقال قوم يونس عليه السّلام: (آمنا بالله وحده)، والخصم مُقرٌّ بأنّ المراد من الإيمان في ذلك الموضوع التّصديق العاري عن العمل. ويدلّ على ذلك أيضاً عطف الأعمال على الإيمان في مواضع كثيرة من القرآن كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [البقرة: ٢٥]. وإضافة الإيمان إلى القلب<sup>١٤٧</sup> كثير من الآيات / [١٥ و] كقوله تعالى: ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ [المجادلة: ٢٢]، وقوله تعالى: ﴿وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ [المائدة: ٤١] ويدلّ على ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [البقرة: ١٠٤] ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَعَآثُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣]، لأنّ الأمر بالفرائض بعد التّداء بآمنوا، يدلّ على أنّها ليست أجزاء الإيمان. ويدلّ عليه أيضاً قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ [النساء: ١٢٤] لأنّ كلّ الشّيء لا يكون قيدياً لجزئه. ويدلّ على ذلك قوله عليه السّلام في جواب جبريل عليه السّلام عند سؤاله عن حقيقة الإيمان: «الإيمان أن تؤمن بالله»، الحديث. وقد عرفت وجه الدّلالة فيه.

ويدلّ على أنّ ترك الكبائر ليس جزءاً من الإيمان قوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَآئِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: ٩] الآية؛ لأنّ الأمر بالإصلاح بينهما بعد المقاتلة والبغي

١٤٦ في نسخة في اختصر الناسخ رحمه الله بالرمز رح. / يوجد للإمام أبي حنيفة رحمه الله أقوال عدة في الإيمان وهي: قال: (الإيمان هو الإقرار والتصديق). وقال: (الإيمان إقرار باللسان وتصديق بالجنان والإقرار وحده لا يكون إيماناً) وهذا ما نقله الطحاوي عن أبي حنيفة وصاحبيه. وقال: (والإيمان لا يزيد ولا ينقص) / انظر: محمد بن عبد الرحمن الخميس، كتاب اعتقاد الأئمة الأربعة، ط: ١، (المملكة العربية السعودية - دار العاصمة ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م)، ص: ١٩٠.

١٤٧ ص، + في.

يدلّ على أنّ إيمانهم لم يزل بالقتل والبغي والمعاصي. وقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ﴾ [البقرة: ١٧٨]، وقوله: (عليكم)، يدلّ على أنّهم لا يخرجون عن الإيمان<sup>١٤٨</sup> بالقتل. وإذا لطم هذا القدر من الترجيح وجنة حجاجك يُحْرِي بك أن تتنبّه وتتفكّر آخذاً بيدي / [١٥ظ] عقلك عروّي القاعدتين، فتطلع على أنّ أدلة المذهب المنصور أقوى؛ فتتدبّن بذلك الاعتقاد الأسنى والمذهب الأقوى.

والآن نقول لك: حكّم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بصحة إيمان من تكلم بكلمة الشهادة قبل العمل بالفرائض. وحكم بها أيضاً الصحابة والتابعون ومن بعدهم من العلماء إلى هذا الآن. ولم ينكر عليه أحد من علماء الزمان، فذلك حجة قاطعة لا يسوغ إنكارها في هذا الشأن، فيجب عليك أن تأوّل الآية أو الحديث الدالّ على أنّ العمل جزء من الإيمان، وتركه يهدم الإيمان.

ونقول: إيراد بعض الأعمال في بيان الإيمان لبيان كماله، أو رسم الإيمان ببعض ثمراته أو بكلّها وإن نفى الإيمان، فانتقاء بعض الثمرات والمقتضيات باعتبار نفي كماله لا نفي حقيقته، وقد عرفت أنّ تخصيص بعض الثمرات بالذكر لاقتضاء المقام. ومن تفاريع ذلك، أنّ الإيمان هل يزيد وينقص؟ والإيمان والإسلام واحد أم لا؟ وإيمان المقلّد صحيح أم لا؟ وبيان الحق في تلك التفاريع أيضاً لائح عن الفائدة.

[/ ١٦ و] فنقول: إذا عرفت أنّ<sup>١٤٩</sup> الإيمان عبارة عمّا ذهب إليه أبو حنيفة رحمه الله من التصديق والإقرار وذلك لا يزيد ولا ينقص بحسب الأجزاء والذات، لكن قد تقوى وترسّخ باعتبار تعاضد الأدلة اليقينيّة التفصيليّة، أو الكشف والأسرار الدوقية الباطنة. ويحكم أيضاً باعتبار المواظبة على العبادات والمجانبة عن السيئات، إذ يعرف كلّ أحد أنّ إيمان الأنبياء والملائكة وتصديقهم وجزمهم؛ ليس كتصديق العوام واعتقادهم في القوّة والثبات، لأنّ إيمانهم لا يقبل التغيّر والتّردّد بتشكيك المشكك، ولا بتعاقب المصائب والتّوائب، بخلاف إيمان العوام المقلّد. فالآيات الدالّة على زيادة الإيمان كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [الأنفال: ٢]، وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فزَادَتْهُمْ

١٤٨ ص النار.

١٤٩ ف، هذان.

إِيْمَانًا [التوبة: ١٢٤]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيْمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢]، وقوله تعالى: ﴿لِيَزِدَادُوا إِيْمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ﴾ [الفتح: ٤]. مؤوّل ١٥٠ بذلك الاعتبار. وقد روي عن أبي حنيفة «رضي الله عنه»: أن من آمن بكل آية نزل واعتقد عليه زاد إيمانه باعتبار متعلقه.

/ [١٦ ظ] وقيل: الثبات في الإيمان زيادة عليه، إذ يوجد في كل ساعة مثل ما انعدم. وقيل: يزداد نور الإيمان بالأعمال الصالحة، وينقص بارتكاب المعاصي. وقد عرفت أن حقيقة الإيمان التصديق الجازم، فلا يزيد ذلك ولا ينقص إذا لم يكن الأعمال جزءًا من الإيمان. نعم قد يكون التصديق الجازم بجهة التقلد، وقد يكون بجهة الاستدلال أو جهة الكشف، أو جهة المواظبة على الطاعة بالإخلاص، لكن اختلاف الجهة لا يؤدي إلى اختلاف في ذات التصديق وماهيته.

الحاصل أن حقيقة الإيمان التصديق بوحداية الله تعالى وصدق رسوله مع الإقرار بهما حالة الاختيار وذا لا يزيد ولا ينقص، لأن من ترك أحد الأمرين أو تردد فيه يكون كافرًا، لكن جزم المقلدين يكون بالتقليد، جزم المستدلّين بالأدلة، وجزم المرتاضين بالكشف. فيكون التفاوت باعتبار الوصف، لأن جزم المستدلّ أقوى من جزم المقلد، وجزم المكاشف أقوى من جزم المستدلّ. ولا يلزم من ذلك التفاوت الزيادة والنقصان في حقيقة الإيمان / [١٧ و] وذاتيته.

فاحفظ هذا التحقيق والتدقيق فإن هذه المسألة مع ظهور الحقّ، فيها من معارك الآراء، قال الإمام الرّازي<sup>١٥١</sup> في تفسيره الكبير عند تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيْمَانًا﴾ [الأنفال: ٢] قال الواحدي<sup>١٥٢</sup> يزيد الإيمان بقوة الدلائل وكثرتها، وعليه أكثر

١٥٠ في المخطوطتين ف، ص مأول.

١٥١ هو الإمام المفسر أبو عبد الله، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري الرّازي، المعروف بفخر الدين الرّازي، ولد في الرّي سنة ٥٤٤هـ وتوفي في هرة سنة ٦٠٦هـ. أوحّد زمانه في المنقول والمعقول، أقبل الناس على كتبه في حياته يتدارسونها. له العديد من المؤلفات باللغتين العربية والفارسية، منها: «مفاتيح الغيب» «معالم أصول الدين» «تعجيز الفلاسفة» «مناقب الإمام الشافعي» «البيان والبرهان» وغيرها. انظر: الأعلام، للزركلي، ٦/٣١٣.

١٥٢ هو أبو الحسن، علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري، أصله من ساوة وتوفي بنيسابور سنة ٤٦٨هـ. كان الواحدي واحد عصره في التفسير، حيث أخذ التفسير عن أبي اسحاق الثعلبي، وكان أيضًا من أئمة العربية واللغة حيث أخذ العربية عن أبي الحسن القمهندي. وسمع أبا بكر الحيري، وابن محمّس وغيرها.

العلماء<sup>١٥٣</sup>.

ولكنّ هذا غير صحيح؛ لأنّ الدليل الذي يفيد العلم يجب أن تكون مقدماته قطعية فح<sup>١٥٤</sup> لا يختلف الاعتقاد الحاصل به. فالمراد من زيادة الإيمان زيادته باعتبار الإخطار فإنّ بعض المؤمنين لا يخطر تصديقه إلاّ مرّة واحدة، وبعضهم يواظب عليها وبينهما مراتب كثيرة. والمراد زيادته باعتبار نزول الآيات في زمن النبي ﷺ، ويجوز أن يختلف باعتبار الاطلاع على حكمة تخليق الله تعالى؛ وإذا تأملت فيه عرفت أنّه غير صحيح، لأنّ حصول قوّة اليقين بتعاهد الأدلّة وقوّة الكشف وجدائي لا يجوز إنكاره. فإنّ من لم يقو قلبه بالأدلّة وقوّة الكشف، يمكن<sup>١٥٥</sup> ترّدده باعتبار تراحم اعتراض أهل الأهواء في كنيّة ذات الله تعالى وصفاته. بخلاف من اطمئن قلبه بالوصول إلى أعلى مراتب الاستدلال / [١٧ظ] والكشف بواسطة حصول كمال تخلية القلب، وتجليته وتخليته وما ذكره الإمام الرّازي من الوجهين الأوّلين عين ما ذكره أبو حنيفة رحمه الله، لكنك عرفت أنّ التّأويل غير التّحقيق. ونقول أيضًا: الإيمان والإسلام واحد عند الحنفية<sup>١٥٦</sup>، خلافاً لبعض الشافعيّة والحشويّة<sup>١٥٧</sup>،

---

وروى عنه عبد الجبار بن محمد الخواري، وأحمد بن عمر الأرميني. من مؤلفاته: في التفسير: «البيسط» و«الوسيط» و«الوجيز»؛ وله «شرح ديوان المتنبّي» و«الإغراب في الإغراب». انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي، ١٠/٢٦٤.

١٥٣ قال الرّازي في تفسيره لهذه الآية في مسألة زيادة الإيمان والتصديق أنّها على وجهين: الوجه الأوّل: وهو ما قاله الواحدي والذي عليه عامة أهل العلم، أنّ كلّ من كانت الدلائل عنده أكثر وأقوى كان أزيد إيماناً، لأنّ عند حصول كثرة الدلائل وقوتها يزول الشك ويقوى اليقين. الوجه الثاني: من زيادة التّصديق أنّهم يصدّقون بكلّ ما يُتلى عليهم من عند الله. ولأنّ التكليف في زمن رسول الله صلّى الله عليه وسلم كانت متعاقبة، كان المؤمنون يزيدون تصديقاً وإقراراً عند حدوث كلّ تكليف. انظر: فخر الدين الرّازي، مفاتيح الغيب، ط٣، (بيروت- دار إحياء التراث العربي ١٤٢٠هـ)، ١٥/٤٥١.

١٥٤ هي اختصار لكلمة فحينئذ.

١٥٥ ص + أن.

١٥٦ قال أبو منصور الماتريدي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَاقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَآمَنُتُمْ بِاللّٰهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُّسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤] تدلّ هذه الآية على أنّ الإيمان والإسلام واحد في الحقيقة. لأنّه بدأ في الإيمان بقوله: (إِنْ كُنتُمْ ءَآمَنُتُمْ بِاللّٰهِ) وختم بالإسلام بقوله: (إِنْ كُنتُمْ مُّسْلِمِينَ). انظر: أبو منصور الماتريدي، تفسير الماتريدي، تحقيق: د. مجدي باسلوم، ط١ (بيروت- دار الكتب العلمية ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م)، ٦/٧٦.

واستدلَّ الخصمُ بجواب النَّبِيِّ عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ، عند سؤال جبرائيل عليه السَّلَامُ عن الإيمان والإسلام؛ بأنَّ الإسلامَ أن تشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله، وتقيم الصَّلَاةَ، وتؤتي الزَّكَاةَ، وتصوم رمضان وتحجَّ البيت إن استطعت إليه سبيلاً. وبأنَّه عليه السَّلَامُ لم يذكر الأعمال المذكورة في بيان الإيمان عند سؤال جبرائيل عليه السَّلَامُ. وقوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات: ١٤]، وبالأحاديث الدالَّة على أنَّ الأعمال أجزاء الإسلام.

قلنا: لنا دلائل أقوى من ذلك يدلُّ على أنَّ الإيمان والإسلام واحد كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩] فالآيتان تدلان على أنَّ لا يجوز أن يكون الإيمان غير الإسلام. فإن قلت: يفهم منهما أن لا يكون الإيمان غير الإسلام من جهة / [١٨ و] الدين والنزاع في أن لا يكون غيره في الحقيقة.

قلنا: الدين والإيمان واحد كما قال عليه السَّلَامُ بعد بيان الإيمان عند سؤال جبرائيل عليه السَّلَامُ: «هذا جبرائيل أتاكم ليعلِّمكم دينكم». وقوله تعالى: ﴿يَقُولُ إِنْ كُنْتُمْ ءَأَمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤]، وقوله تعالى: ﴿إِنْ تَسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [النمل: ٨١]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ لَا تَمْتُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ [الحجرات: ١٧]، وقوله تعالى: ﴿فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾ [التغابن: ٢]، ولو كان المسلم قسمًا آخر لقليل ومنكم مسلم، وفهم منه أيضًا أنَّ الفاسق ليس واسطة بين المؤمن والكافر. وقوله عليه السَّلَامُ: «لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة»، وقوله في حديث آخر: «لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة»<sup>١٥٨</sup>، فتأوَّل دليل الخصم بتلك الدلائل القويَّة

---

وقال أبو حنيفة في كتابه الفقه الأكبر: إنَّ الإسلام هو الانقياد والتسليم لأوامر الله عزَّ وجل، ولا يوجد إسلام بلا إيمان ولا إيمان بلا إسلام فهما كالظهر مع البطن. انظر: أبو حنيفة النعمان، الفقه الأكبر، ط ١، (الإمارات - مكتبة الفرقان ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م)، ص: ٥٧.

١٥٧ الحشوية: هي إحدى فرق الإسلام، وسميت بالحشوية لكثرة روايتها للأخبار وقَبُول ما ورد عليها من غير إنكار. انظر: نشوان بن سعيد الحميري اليمني، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق: د حسين بن عبد الله العمري؛ مطهر بن علي الإيراني؛ د يوسف محمد عبد الله، ط ١ (بيروت - دار الفكر المعاصر / دمشق - دار الفكر ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م)، ١٤٥٢/٣.

١٥٨ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ صحيح مسلم، الإيمان ١١١؛ سنن الترمذي، الحج ٤٤.

الرَّاجِحَةُ الْمَبِينَةُ أَنَّ الْمُرَادَ مِنْهُ غَيْرَ ظَاهِرِهِ، بَأَنَّ نَقُولَ الْمُرَادِ مِنَ الْإِسْلَامِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات: ١٤] الْإِنْقِيَادَ بِبَعْضِ الْأَعْضَاءِ كَالْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا وَانْقَادُوا بِلِسَانِهِمْ لِحِفْظِ دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، وَلَمْ يَسْلَمُوا بِقُلُوبِهِمْ. لَا الْإِسْلَامَ الشَّرْعِيَّ، وَبَأَنَّ الْمُرَادَ مِنَ الْإِسْلَامِ فِي حَدِيثِ جِبْرَائِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: شُعْبُهُ وَثَمَرَاتُهُ، مَعَ أَنَّهُ ذَكَرَ فِي بَعْضِ الرَّوَايَاتِ أَنَّ جِبْرَائِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَأَلَ / [١٨ ظ] فِي الْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ عَنِ شُعْبِ الْإِسْلَامِ وَشُرَائِعِهِ، وَقَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي جَوَابِهِ: «أَنَّ تَقِيمَ الصَّلَاةِ، وَتَوْقِي الرَّكَّاتِ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ وَتَحِجَّ الْبَيْتَ»، وَرَوَى عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنِ عُلُقْمَةَ بْنِ مَرْتَدٍ<sup>١٥٩</sup> عَنِ ابْنِ عِمْرَانَ قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنِ شُرَائِعِ الْإِسْلَامِ.

فَعَلَى هَذَا يَحْتَمَلُ أَنْ يُقَالَ يَجُوزُ أَنْ لَا يَسْمَعُ الرَّوَايَ لِفِظِ الشَّرَائِعِ، أَوْ حَذَفَ؛ لِأَنَّ حَذْفَ الْمُضَافِ شَائِعٌ فِي أَلْسِنَةِ الْبُلْغَاءِ عِنْدَ ظُهُورِ الْقَرِينَةِ. وَإِذَا عُرِفَتْ ذَلِكَ، فَاعْلَمْ أَيْضًا أَنَّ بَعْضَ الْمُتَقَدِّمِينَ مِنْ كِبَارِ الشَّافِعِيِّينَ يَقُولُونَ: الْإِيمَانُ أَحْصُ مِنْ الْإِسْلَامِ<sup>١٦٠</sup>، وَأَنَّ الْأَعْمَالَ جِزَاءٌ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ، فَلَا بَأْسَ لَنَا فِي أَنْ نَنْقُلَ مَذَاهِبَ بَعْضِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ:

قَالَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ عَمْرُو بْنُ الصَّلَاحِ فِي شَرْحِ الْبُخَارِيِّ: الْحَدِيثَانِ فِي جَوَابِ جِبْرَائِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَيَانُ أَصْلِ الْإِيمَانِ وَهُوَ التَّصَدِيقُ الْبَاطِنُ، وَأَصْلُ الْإِسْلَامِ وَهُوَ الْإِنْقِيَادُ بِالظَّاهِرِ<sup>١٦١</sup>؛

١٥٩ عُلُقْمَةُ بْنُ مَرْتَدٍ، أَبُو الْحَارِثِ الْحَضْرَمِيُّ الْكُوفِيُّ؛ تَوَفَّى سَنَةَ ١٢٠ هـ. يَعُدُّ مِنْ صِغَارِ التَّابِعِينَ، وَهُوَ مِنْ ثَنَقَاتِ وَحِجَّةٍ، وَإِمَامٌ وَفَقِيهٌ. رَوَى عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّلْمِيِّ وَطَارِقِ بْنِ شَهَابٍ، وَسَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ وَأَمَثَلِهِمْ، وَرَوَى عَنْهُ: سَفِيَانَ الثَّوْرِيَّ، وَالْأَوْزَاعِيَّ وَشُعْبَةَ وَآخَرُونَ. انظُرْ: سِيرَ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ، ٢٠٦/٥؛ إِكْمَالُ تَهْذِيبِ الْكَمَالِ، ٢٧٣/٩.

١٦٠ هَذَا مَا قَالَهُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات، ١٤] قَالَ: يَسْتَدَلُّ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ الْإِيمَانَ أَحْصُ مِنَ الْإِسْلَامِ وَهُوَ مَذْهَبُ أَهْلِ السَّنَةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ أَيْضًا حَدِيثُ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَمَا سَأَلَ عَنِ الْإِسْلَامِ ثُمَّ عَنِ الْإِيمَانِ ثُمَّ عَنِ الْإِحْسَانِ، فَفَرَّقَ مِنَ الْأَعْمِ إِلَى الْأَخْصِ. انظُرْ: ابْنُ كَثِيرٍ، تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، تَحْقِيقٌ: سَامِي بْنِ مُحَمَّدٍ السَّلَامَةِ، ط ٢ (الرِّيَاضُ - دَارُ طَيْبَةِ لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م)، ٣٨٩/٧.

١٦١ قَالَ ابْنُ الصَّلَاحِ فِي قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَتَقِيمَ الصَّلَاةِ...» إِلَى آخِرِهِ. هَذَا بَيَانُ أَصْلِ الْإِيمَانِ، وَهُوَ التَّصَدِيقُ الْبَاطِنُ، وَبَيَانُ أَصْلِ الْإِسْلَامِ وَهُوَ الْإِسْتِسْلَامُ وَالْإِنْقِيَادُ الظَّاهِرُ وَحُكْمُ الْإِسْلَامِ فِي الظَّاهِرِ ثَبَتَ فِي الشَّهَادَتَيْنِ، وَإِنَّمَا أُضِيفَ إِلَيْهَا الصَّلَاةُ وَالرَّكَّاتُ وَالصُّومُ وَالْحَجُّ،

لأنَّ حكم الإسلام في الظاهر يثبت بالشهادتين، والفرائض الأربع أظهر شعائر الإسلام. وبها يتم استسلام المكلف، وتركها يُشعر بالخلال قيد انقياده أو اختلاله. واسمُ الإيمان يتناول ما فُسِّرَ به الإسلام وسائرُ / [١٩] الطّاعات؛ لكونها ثمراتٍ للتّصديق الباطن الذي هو أصلُ الإيمان، ومقويّاتٍ، وامتّماتٍ، وحافظاتٍ له<sup>١٦٢</sup>.

ولهذا فسّر النبي عليه السّلام الإيمان في وفد عبد القيس بالشهادتين، والصّلاة، والزّكاة، وصوم رمضان وإعطاء الخُمس من المغنم. ولهذا لا يطلق اسم المؤمن المطلق على من ارتكب الكبيرة، أو ترك الفريضة؛ لأنَّ اسم الشّيء مطلقاً يطلق على الكامل. وقال: فخرج ممّا ذكرنا أنّ الإيمان والإسلام يجتمعان ويتفرقان. فهذا تحقيق وافٍ بين متفرقات نصوص الكتاب والسّنّة الواردة في باب الإيمان والإسلام التي غلط فيها الخائضون.

وقال الخطابي<sup>١٦٣</sup>: تكلم في هذا الباب رجالان من أكبر أهل العلم، وذهب كلّ واحد إلى قول وصنّف فيه كتاباً يبلغ عدد أوراقه إلى مئتين، والصّحيح أن يقيّد الكلام في هذا. ويقال: أنّ المسلم قد يكون مؤمناً في بعض الأحوال، والمؤمن مسلم في جميع الأحوال. فكلُّ مؤمن مسلم وليس كلّ مسلم مؤمناً<sup>١٦٤</sup>. وقال مثل ذلك أبو عمرو<sup>١٦٥</sup> ثمّ قال فعلى هذا استقام

---

لكونها أظهر شعائر الإسلام وأعظمها. وبقيامه بما يصح إسلامه. انظر: تقي الدين القشيري، شرح الأربعين

النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية، ط: ٦ (بيروت - مؤسسة الريان ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م)، ص: ٣٤.

١٦٢ هذا ما قاله ابن الصّلاح في كتابه صيانة صحيح مسلم في باب أحاديث الإيمان، في شرح حديث وفد عبد القيس. انظر: أبو عمرو ابن الصّلاح، صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط وحمايته من الإسقاط والسقط، تحقيق: موفق عبدالله القادر، ط: ٢، (بيروت - دار الغرب الإسلامي)، ص: ١٣٤.

١٦٣ هو الفقيه الأديب والمحدث أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي الخطابي، توفي سنة ٣٨٨ هـ. سمع عن أبي سعيد ابن الأعرابي بمكة، وأبي بكر بن داسة بالبصرة وإسماعيل الصّفار ببغداد. وروى عنه أبو عبد الله الحاكم والشيخ أبو حامد الإسفراييني. وأخذ اللغة عن أبي عمر الزاهد، والفقه عن أبي بكر القفال الشافعي وعن أبي علي بن أبي هريرة وغيرهما. وقيل أنّه كان يشبهه في عصره بأبي عبيد القاسم بن سلام علماً وزهداً وأدباً وورعاً وتأليفاً وتدریساً. من مصنفاته: «أعلام السنن في شرح البخاري» و«شأن الدعاء» و«إصلاح غلط المحذّين» و«غريب الحديث» وغيرها من التصانيف. انظر: المغراوي، أبو سهل محمد بن عبد الرحمن. موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، النبلاء للكتاب، مراكش - المغرب، ٥/٥١٨؛ تاريخ الإسلام، ٨/٦٣٢؛ وفيات الأعيان، ٢/٢١٤.

١٦٤ ذهب الخطابي إلى هذا القول في كتابه معالم السنن في باب الرد على المرجئة، في مسألة من ثبت معهم أن الإسلام والإيمان واحد، وأنّ المسلمين هم المؤمنون، وقال إنّ هذا الكلام يقيد ولا يطلق على أحد الوجهين،

تأويل النَّصوص.

وقوله عليه السَّلام: «الإيمان بضع / [١٩ظ] وسبعون شعبة»، بيان أنَّ الإيمان الشرعي اسم لمعنى ذي شعب وأجزاء له أدنى وأعلى. والاسم يتعلَّق ببعضها كما يتعلَّق بأكملها. والحقيقة تقتضي جميع شعبه، وبذلك تتفاوت درجات المؤمنين. وقال الإمام البغوي مثل ذلك. وقال أيضاً: التصديق والعمل يتناولهما اسم الإيمان والإسلام.

واعلم أنَّ مذهب بعض الشَّافعيين من أهل الحديث ذلك. ولذلك قيل الأعمال جزء من الإيمان عندهم. لكنَّ بعض المتكلمين المتأخِّرين منهم كأصحاب<sup>١٦٦</sup> المواقف<sup>١٦٧</sup> والمطالع<sup>١٦٨</sup>، لا يقولون بذلك؛ بل يقولون الإيمان الشرعي عبارة عن التصديق القلبي<sup>١٦٩</sup>.

فنقول ههنا أيضاً في ترجيح مذهبنا وتأويل دلائل أهل الحديث الدَّالة<sup>١٧٠</sup> على خلافه؛ أنَّ ضمَّ الأعمال في بيان الإيمان والإسلام إليهما باعتبار المظاهر والمكمَّلات، لا باعتبار الأجزاء والدَّات لما عرفت أنَّ أظهر العلامات والأفعال الدَّالة على تصديق القلب الإقرار.

وأعظم الأعمال الدَّال عليه بعده الصَّلاة؛ لأنَّها مشتملة على تعظيم المعبود وخضوع العابد باللسان وبباقي الأعضاء والجنان. وتكرَّر كلَّ يوم خمس مرَّات والمواظبة عليها / [٢٠و]

---

حيث إن المسلم قد يكون مؤمناً في بعض الأحوال ولا يكون مؤمناً في بعضها، والمؤمن مسلم في جميع الأحوال. كل مؤمن مسلم وليس العكس. انظر: أبو سليمان الخطابي، معالم السنن شرح سنن أبي داود، ط١ (حلب- المطبعة العلمية ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م)، ٣١٥/٤.

١٦٥ ابن الصلاح.

١٦٦ ف: صواحب

١٦٧ لعضد الدين الإيجي تم ذكره مسبقاً

١٦٨ هو كتاب مطالع الأنوار على صحيح الآثار، وهو من مصنفات شروح الحديث لابن قرقول.

١٦٩ قال الإيجي في كتابه المواقف في مقصد حقيقة الإيمان: الإيمان في اللغة: التصديق. وأمَّا في الشرع: التصديق للرسول فيما علم مجيئه به ضرورة، وقال: إنَّ هذا التصديق يكون بالتصديق القلبي. انظر: عضد الدين الإيجي، المواقف، دار الجيل - بيروت، ٥٢٧/٣-٥٢٩.

وقال ابن قرقول في كتابه مطالع الأنوار فيقول عليه السَّلام: «أُسِّلم تَسْلَمَ»: الإسلام أصله الانقياد، والإيمان أصله التصديق، فإذا اجتمعا كان مؤمناً مسلماً. انظر: ابن قرقول، مطالع الأنوار على صحاح الآثار، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، ط: ١، (قطر - وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م)، ٤٩٩/٥.

١٧٠ ص: الدَّالين

يدلّ على قوّة الإيمان والإسلام وكمال نورهما. ولذلك حُكِمَ بإيمان من صلّى صلاتنا بجماعة، وإن لم يسمع منه كلمة الشّهادة وبعدها الرّكّاة؛ لأنّ النّفس جبلت على محبّة المال حتّى يترك الإنسان حفظ نفسه لحفظ ماله، ويرضى بهلاكها، فبدلّه مع هذه المحبّة في سبيل الطّاعات يدلّ على غلبه محبّة معبوده.

وبعدها الصّوم؛ لأنّ النّفس خلقت على حبّ مشتهيّات البطن والفرج، فمنعها عن شهواتها أشدّ التّكاليف بذلك الاعتبار. وهو أيضًا أفضل الأعمال باعتبار أنّه أهون من الرّياء لحفائه. وبعده الحجّ؛ لأنّ فيه مفارقة الأهل والأحباب، والبعد عن الوطن والأتراب، وارتكاب متاعب الغربة أو الرّفقة.

فكانت تلك الفرائض الأربع بعد الإقرار من مكملّات الإيمان والإسلام، ودالّة على جهة كمالهما والتّمّام، ومعظّمات العبادات، وأمّهات الطّاعات وأظهر العلامات الدّالة على قوّة الإيمان والثّبات. فذكر بعض تلك الفرائض الأربع أو كلّها مع الشّهادتين في بيان الإيمان والإسلام في أكثر المقام لتلك التّكثيرة والمرام.

فإن قلت: الإقرار أيضًا من أعمال الجوارح الدّالة على التّصديق / [٢٠ ظ] القلبي، فلم جعل جزء الإيمان عند البعض وركن الإسلام عن البعض، بخلاف غيره من الأعمال المفروضة؟ قلنا: جعل ذلك جزءًا لقوّة دلّالته على في إظهار التّصديق والتّعبير عمّا في الضمير. لما عرفت أنّ إبهام العبارة والكلام لإعلام ما خطر في القلب والإفهام، أو للإجماع من لدن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى الآن، على أنّ الحكم بإيمان الإنسان موقوف على تكلم كلمة الشّهادة باللسان، والصّلاة بالجماعة أقيمت مقام الإيمان؛ لشدة اختصاصها بأهل الإسلام.

فالحاصل أنّ شُعَبَ الإيمان والإسلام ومكملّاتهما وآثارهما من الأعمال. والعبادات كثيرة وعمدتها الفرائض الأربع. ولذا قال رسول الله ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون شعبة»، وقال جمهور العلماء: سهام الإسلام ثلاثون. ولا يبعد أن يكون المراد منه بيان كثرة شُعَبِهِ لا الحصر، فبيّن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم<sup>١٧١</sup> حقيقة الإيمان على وجه الاختصار والإجمال. وفي بعض المواضع على وجه التّوسط والإتمام. وبيّن في بعض المواضع كمال

الإيمان وقوته بضم ثمراته وشعبه. وكل ذلك من مقتضيات المقام ومحسنات / [٢١و] الكلام، فيكون ذلك من كمال حكمته وبلاغته، ومن لم يطلع على السر والحكمة وضل بسوء الفهم والبلادة، فعليه إثم الزلة والضلالة. لما عرفت أن الواجب عليه أن يسأل عن كشفها أهل التحقيق، لما لم يتشرف بجودة الفهم والتدقيق.

فإن قلت: ما مقتضى الاختصار وفائدة الإبهام في بيان الإيمان والإسلام، المقتضى: توضيح المرام على وجه التمام؛ حتى لا يزل فيه بعض الأنام؟، وما وجه ذكر بعض الثمرات والشعب في بيان كمالهما دون بعض؟

قلنا: اعتبارات بُلغاء الأنام ومقتضيات الحال والمقام كثيرة، لا يمكن تعديدها وتفصيلها على وجه الحصر والتمام؛ لما عرفت أن لكل بليغ نكتًا واعتباراتٍ تعدد دقة فهمه في الفحوى والعبارات، وأنهم لا يُخرجون الكلام على مقتضى الظاهر إلا عند ضرورة اقتضاء المقام؛ لأن مراتب حسن الكلام يقدر دقته في الأفهام، ولا يطلع على دقائق التراكيب المصوغة على خلاف مقتضى الظاهر إلا ذو الطبع القاهر والفهم الباهر.

ولذا قال السكاكي<sup>١٧٢</sup> لا بد في الاطلاع على خواص تراكيب البلغاء / [٢١ظ] واعتباراتهم بعد استقراء استعمالهم من العقل السليم والطبع المستقيم. وقلما مُلِكَ الحُكْمُ غيرهما فنحن عنهما بمراحل<sup>١٧٣</sup>.

لكن عرفنا أن تكامل العلم واستنباط الأسرار لا يتسنى إلا بتصادم الأنظار وتلاحق الأفكار، وأن لكل قلب من قلوب الأنام فيضًا خاصًا وفيحًا ناصبًا من الملك العلام. وذلك من غرائب فضله العام وعجائب صنعه التام، ولذا استقبح بعض أهل الفراسة والأفكار وذوي الكياسة والأنظار ترك التصرف والاعتبار، تعللًا بالقصور عن درجة الكمّل من

---

١٧٢ هو يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي، ولد سنة (٥٥٥) هـ متوفى سنة (٦٢٦)

هـ. نحوي لغوي وله نصيب في علم الكلام وسائر فنون العلوم، شيوخه: سديد بن محمد الخياطي ومحمود بن

صاعد الحارثي، من تلاميذه: مختار بن محمود الزاهدي وغيره. من مصنفاته: «مفتاح العلوم» و«رسالة في عالم

المناظرة» انظر: الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة، ج: ٣، ص: ٢٩٣٦.

١٧٣ عرّف السكاكي في كتابه مفتاح العلوم علم المعاني بأنه: تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة، وما يتصل بها

من الاستحسان وغيره، ليحترز بالوقوف عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره. وقصد

بتراكيب الكلام: التراكيب الصادرة عن البلغاء، وقصد بالإفادة: الفهم. انظر: يوسف بن أبي بكر السكاكي،

مفتاح العلوم، ضبطه وكتبه هوامشه: نعيم زرزور، (بيروت - دار الكتب العلمية)، ص: ١٦١.

النَّظَار. فلا بأس لنا في أن نتكلّم في تأويل كلام نبينا عليه الصّلاة والسّلام بقدر طور عقلنا  
وقدر غور فهمنا.

فنعول: يحتمل أن يكون اختصار التّبيّ عليه السّلام في بيان الإيمان على قول لا إله إلا الله  
اعتبارًا بالدّلالة التّضمينيّة، أو بإطلاق البعض وإرادة الكلّ، لكون السّامع ذكيًا عارفًا بأنّ  
المراد منه: الشّهادتان أو ما يتم ويكمل به الإيمان، أو لكونه<sup>١٧٤</sup> مشرّكًا فتكون النّكتة في  
بيان الاهتمام بالزّجر عن الشّرك، وترك الإيمان. وخفّة السّبب المؤدّي إلى الخلاص عن النّيران  
والوصول إلى الجنان. وأن تكون النّكتة في الاختصار / [٢٢و] على الشّهادتين في بيان  
الإيمان بيان أصل الإيمان الإجماليّ التّقليديّ. وأن لا يتم إلا بذلك القدر في الدّلالة المطابقة.  
وأن تكون النّكتة في بيانه بقوله: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته» بيان بعض متعلّقات  
التّصديق والإقرار سوى التّوحيد وتصديق الرّسول، وتخصيص ذلك البعض لاشتماله على  
أصول ومصالح وحكم ومنافع.

وأن تكون النّكتة في قوله: «الإيمان بضع وسبعون شعبة»، الرّمز إلى أنّ للإيمان مكملات  
دالة على قوّته، وكمال نوره وإلى أنّ النّاقص والضعيف بمنزلة المعدوم عند طلاب الكمال،  
حتّى لا يزعم الغافلون أنّ الاقتصار على الشّهادتين يكفي في أمر الإيمان وإكماله، ولا  
يتهاونوا في تقويته وتثبيته وإكماله وتنويره بالمواظبة على الطّاعات والاجتناب عن السيّئات.  
وأن تكون النّكتة في تخصيص بعض الشّعب والثّمرات بالضمّ في كلّ موضع بيّن فيه علائم  
الانتماء ومكملاته، لرعاية اعتبارات المقام ومقتضياته من كون ذلك البعض مهمًّا<sup>١٧٥</sup> لذلك  
السّامع لفتوره فيه أو لتحصيله ما سواه دونه / [٢٢ظ]. أو لكون الواجب عليه ذلك  
العمل بعد الإيمان، أو لغيره من المقتضيات.

واعتبر بتلك النّكت والاعتبارات في بيان الإسلام باختلاف العبارات؛ لما عرفت أنّ البلغاء  
يقصدون في كلّ أسلوب من كلامهم نكتة دقيقة وحكمة دقيقة، لا سيّما يكون البليغ في  
مقام موعظة<sup>١٧٦</sup> ونصيحة أو موضع دعوة وشريعة.

وستعرف زيادة التّفصيل في مقتضيات المقام فيما يناسب من تأويلات الكلام. وإذا عرفت

١٧٤ ف، يكون.

١٧٥ -ف.

١٧٦ ص موضعه.

ذلك فاعلم إنّما ذكرت من طرائق التّرجيح والتّوفيق وضوابط التّأويل والتّحقيق، لا يتم إلّا بعد جمع جميع النّصوص الشّرعية، وضبطها متنًا ودلالةً. فضبط متن القرآن يسير؛ لأنّه مجموعٌ في المصاحف ومثبتٌ تواترٌ جميع آياته.

وأما ضبطُ نظمه من جهة الدّلالة وصفتها فعسير؛ إذ لا بدّ فيه من دقّة النّظر وضبط قواعد الأصول والمعاني، والقدرة على رعايتها في الجزئيات. وضبط الأحاديث متنًا أيضًا شأنٌ مشكّلٌ وأمرٌ مُعْضِلٌ، لما عرفت أنّ معرفة أحوال الرّواة وأسانيدهم متعذّرة؛ لانقراضهم وبعد عهدهم. وما سمعنا في هذا الزّمان من الرّواة والنّقلة العدول لا يصل إلى حدّ التّواتر فبقي / [٢٣و] أن نعتد<sup>١٧٧</sup> على ما وجدنا من الكتب المعتمدة، أو ما سمعناه ممن يعتمد عليه في العلوم الشّرعية. ولصعوبة جمع الأحاديث والاطلاع على طرق دلالتها، وكون المراد منها حقيقتها أو مجازها وقع الاختلاف بين كبار المجتهدين، كأبي حنيفة وصاحبيه، ومالك والشّافعي وزفر وأحمد بن حنبل رحمهم الله تعالى؛ لأنّ الأحاديث كثيرة لا يوجد مجموعها في بلدة واحدة، بل في إقليم واحد. ولو تُصوّر الإجماع فمنسوخاتها كثيرة، ومعرفة التّواريخ صعبة ولو سلم فمقتضيات المقام كثيرة ومن جملتها: معرفة أسباب صدور الحديث ولو لم يُعلم سببُ الورود والحادثة والتّاريخ ولا يقيّد ولا يُخصّص بعض الآيات والأحاديث في بعض المواضع لا يستقيم الكلام.

ولذلك تضيق قلوب المستدلّين من إجرائه على ظاهره فيه. ولذا قيل: التّفسير لا يصلح إلّا لمن كان في مهبط الوحي واطّلع على الحوادث وأسباب النّزول. ولتلك الصّعوبة لم يعمل أبو حنيفة رحمه الله، إلّا بالحديث الدّي قاله النّبّي صلّى الله عليه وسلّم في آخر عهده؛ لأنّه جمع كتب الأحاديث الصّحيحة المرويّة عن عدول التّابعين المقروءة / [٢٣ظ] على فقهاءهم، واستنبط الأحكام من ثوابتها، وأقواها دلالةً ومتنًا وروايةً. ولم يعمل بظواهر أكثر الأحاديث ولذا طعن بعض أهل التّعصب بأنّه من أهل الرّأي<sup>١٧٨</sup>.

<sup>١٧٧</sup> ف، ص نعتقد.

١٧٨ ذهب بعض أهل الحديث إلى ذم أبي حنيفة -رحمه الله- لتقدمه الرّأي والقياس على بعض الآثار واعتبارهما، ولأنّ أكثر العلم يقولون بأنّ القياس والرّأي يبطل إذا صح الأثر من جهة الإسناد. وقال أبو عمر -رحمه الله- في كتابه: إنّ الذين نقلوا ورووا عني أبي حنيفة وثقوه وأثنوا عليه، والذي تكلموا عنه من أهل الحديث هم أعايبوا عليه

وقد ردّ ذلك الزعمَ فخر الإسلام<sup>١٧٩</sup> في كتابه، ولم يتيسر جمع تلك الأحاديث لباقي المجتهدين، كالشافعي وغيره فعملوا بأقوى ما عندهم، ولا طعن في حقهم لذلك؛ لأنهم لم يُقَصِّروا في الاجتهاد والاعتبار، ولم يتعصّبوا في الاستنباط والاختيار.

فإن قلت: إذا وجب في التأويل والتّحقيق والتّرجيح والتّوفيق جمع النصوص الشرعية من الأحاديث النبوية، ورعاية شروطها من جهة الاسناد والدلالة فلا يتيسر ذلك لأمثالنا، فلا

---

مسألة تقديم القياس والرأي. انظر: أبو عمر يوسف بن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، تحقيق: أبو الأشبال، ط ١ (السعودية- دار ابن الجوزي ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م)، ج: ٢، ص: ١٠٧٩، ص: ١٠٨٢.

ونقل الخطيب في كتابه أنّ بعض العلماء الذين عاصروا أبي حنيفة -رحمه الله- نحا عن مجالسة أبي حنيفة والنظر في رأيه ونحا عن مجالسة أصحاب الرأي، مثل الثوري وسفيان بن عُيينة. انظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد وذيوله، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط ١ (بيروت- دار الكتب العلمية ١٤١٧هـ)، ٧٩/٢٢.

١٧٩ هو شمس الأئمة؛ محمد بن أحمد بن أبي سهل، أبو بكر السرخسي، توفي سنة: ٤٨٣هـ. حنفي المذهب، كان أصولياً، عالماً ومناظراً. مشايخه: الشمس عبد العزيز بن أحمد الحلواني وغيره. أشهر مصنفاته: «شرح السير الكبير -محمد بن الحسن- وهو في مجلدين» و«المبسوط وهو مكون من خمسة عشر مجلد». انظر: ابن قطلوبغا، تاج التراجم، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، ط: ١، (دمشق- دار القلم ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢م)، ص: ٢٣٤.

وانظر: حاجي خليفة، سلم الوصول إلى طبقات الفحول، تحقيق: محمود عبد القادر الأرناؤوط، إشراف وتقديم: أكمل الدين إحسان أوغلي، تدقيق: صالح سعداوي صالح، إعداد الفهارس: صلاح الدين أويغور، (استنبول- إرسیکا ٢٠١٠م)، ٧٠/٣. وردّ شمس الأئمة السرخسي ذلك الزعم في كتابه المبسوط، حيث اثني عليه وقال: بأنّه أوّل من فرّع في الفقه، وبأنّه ولد في عهد الصحابة ولقي منهم جماعة كأنس بن مالك وعامر بن الطفيل وعبد الله بن خير الزبيدي - رضي الله عنهم - ونشأ في زمن التابعين - رحمهم الله - وتفقه وأفتى معهم، وقد قال النبي - عليه الصلاة والسلام -: «خير القرون قرني الذين أنا فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يفتشوا الكذب حتى يشهد الرجل قبل أن يستشهد ويحلف قبل أن يستحلف». فمن فرّع ودوّن العلم في زمن شهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأهله بالخير والصدق كان مصيباً مقدماً، كيف وقد أقر له الخصوم بذلك؟ حتى قال الشافعي - رضي الله عنه -: " الناس كلهم عيال على أبي حنيفة - رحمه الله - في الفقه. ونقل أيضاً أنّه قد بلغ ابن -سريج رحمه الله- أنّ رجلاً يقع بأبي حنيفة، فدعاه وقال: يا هذا أتقع في رجل سلم له جميع الأمة ثلاثة أرباع العلم وهو لا يسلم لهم الربع. قال: وكيف ذلك؟ قال: الفقه سؤال وجواب، وهو الذي تفرد بوضع الأسئلة، فسئل له نصف العلم ثم أجاب عن الكل، وخصومه لا يقولون إنه أخطأ في الكل، فإذا جعلت ما وافقوه مقابلاً بما خالفوه فيه، سلّم له ثلاثة أرباع العلم وبقي الربع بينه وبين سائر الناس. فتاب الرجل عن مقاله. انظر: شمس الأئمة السرخسي، المبسوط، صححه: جمع من أفاضل العلماء، (الناشر: مصر- دار السعادة/ صورّتها: بيروت- دار المعرفة)، ٣/١.

عام النشر: ٢٠١٠ م الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة، ج: ٢، ص: ١٦٦٨.

يكون الترجيح والتأويل حريًا بحالنا لأننا إذا رجحنا نصًا على نص، وفيدنا وخصصنا بعضه ببعض يُحتمل أن يوجد نصٌ موافقٌ مرجوحٌ دالٌّ على ما يخالفُ الرَّاجِحَ بوجه أقوى منه، أو يوجد نصٌ موافقٌ مطلقٌ قُيِّدَ وعامٌّ حُصِّصَ راجحٌ على المقيِّدِ والمخصَّصِ.

قلنا: نَعْدُرُ الجَمْعَ يَضُرُّ المَجْتَهِدَ؛ لأنَّه يجب عليه أن يحفظ جميع النصوص الشرعية الثابتة في زمانه لا المقلِّد؛ لأنَّه يتقلَّد في [٢٤و] الأصول والفروع إمامه ومقتداه. فيأوَّل النصوص الدالة على ما يخالف مذهبه في المسائل الأصولية والفروعية الثابتة بالأدلة القطعية عند إمامه، وإن لم يعلم المقلِّد تلك الدلائل، ولا يجوز أن يدفع الخصم بذلك الاحتمال تأويله وترجيحه؛ لأنَّ المحتمل والموهوم لا يعارض ولا يقدر في قطعية دلالة المحقق والموجود، وإلا لا يكون دلالة الألفاظ على الإطلاق قطعية كما ذهب إليه بعض أهل الأهواء.

وإذا عرفت ذلك، عرفت أنَّ في معرفة طرق الترجيح والتأويل فوائد كثيرة وموائد غزيرة لمن ترقى بجوده الطبع والرعاية ودقة الفهم والدراية من حضيض الجهل والتقلد المحض إلى مدارج العلم، ومنصب الاستدلال، ومصاعد التصرف وذروة الانتقال؛ لأنَّه إذا حفظ قواعد الترجيح والتوفيق وضوابط التأويل والتحقيق، وقدر على رعايتها واستنباط جزئياتها منها يؤول النصوص الشرعية من القرآنية وما وجده من الخبرية، ويدفع تعارضها الظاهري، ويمنع أيضًا الاعتراض على مذهبه، ويثبت / [٢٤ظ] عقيدته في المسائل الاعتقادية، ويتخلص إيمانه من ذلة التقليد وصولة الاختلاف فيكون صحيحًا بالاتفاق والائتلاف، ويجمع بين المذاهب أيضًا في مواضع الاحتياط إذا أمكن.

وإذا عرفت بيان الفرعين والكلام الواقع فيه على وجه الاستطراد فاعلم أيضًا أنَّ الفرع الثالث بيان إيمان المقلِّد وهو صحيح عندنا<sup>١٨٠</sup>؛ لكنَّه يصير فاسقًا بترك الاستدلال عند الاقتدار، كما صرح به أبو حنيفة رحمه الله، ولم يعتبر بعض المتكلمين إيمان المقلِّدين<sup>١٨١</sup>؛ لأنَّهم يقولون

---

١٨٠ هذا ما ذهب إليه أبو منصور الماتريدي ووثقه في تفسيره حيث قال: «ليس الشرط أن يعرف كل المسائل بالدليل العقلي، ولكن إذا بني اعتقاده على قول الرسول، بعد معرفته بدلالة المعجزة أنه صادق فهذا القدر كافٍ لصحة إيمانه»، لأنَّ مع هذا الإيمان تصديقًا، والتصديق عند أبي منصور الماتريدي والإمام أبو حنيفة أصل الإيمان. انظر: تفسير الماتريدي، ١/١٦٦.

١٨١ من المتكلمين الذين قالوا بعدم صحة إيمان المقلِّد: المعتزلي أبو هاشم. انظر: أبو الحسن السبكي، فتاوى السبكي، دار المعارف، ٢/٦٠٦. وثُقِّلَ عن الأشعري بأنَّه يقول بعدم صحة إيمان المقلِّد وتكفير العوام، وأنكر

إذا لم يُمَيِّز المقلِّد بين الصَّحيح والفساد من الإيمان<sup>١٨٢</sup> بمن ولد في جملتهم، أو بأبيه ورئيس قبيلته، فيكون كالبهيمة، فلا اعتبار لدينه واعتقاده.

فنقول في جوابهم: هذا الاستدلال يخالف للإجماع لأنَّ النَّبِيَّ عليه السَّلَام اعتبر بإيمان الأجلاف وأهل البلادَة الذين لا يعرفون الدَّلِيل. واعتبر أيضًا الصَّحابة والتَّابعون ومن بعدهم من المجتهدين إلى الآن بإيمانهم في حكم الدُّنيا والآخرة. وما يخالف الإجماع مردود وإن وافق القياس.

وإذا عرفت ذلك فاعلم أنَّ هذا الفقير من مقلِّدي أبي حنيفة رحمه الله / [٢٥و]، فلا بدّ لنا من نقل كلام مقتبس من كبار علمائنا، حتَّى يعتدَّ السَّامعون من الحنفيين على ذلك؛ لأنَّ قَبُول المسلمات والمقبولات يكون بقدر مرتبة قائلها.

ومن مشاهير علمائنا المتكلمين قدوة المحققين؛ أبو المعين ميمون بن محمد بن معتمد المكحولي<sup>١٨٣</sup>، فننقل كلامه في هذا الباب، قال في تبصير الأدلَّة<sup>١٨٤</sup>: إِنَّ الإيمان الشرعي: عبارة عن التَّصديق بالقلب والإقرار باللسان دون غيرهما من أعمال الجوارح، واختلف النَّاس فيه اختلافًا لا سبيل إلى ذكره؛ لكثرة الأقاويل فيه، فنذكر من ذلك جملاً على طريق الاختصار:

---

هذا القول أبو القاسم القشيري وقال: هذه كذب وزور. انظر: بدر الدين الزركشي، تصنيف المسامع بجمع الجوامع لتاج الدين السبكي، تحقيق: د سيد عبد العزيز؛ د عبد الله ربيع، ط ١ (القاهرة- مكتبة قرطبة للبحث العلمي وإحياء التراث ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م)، ٤/٦٢٥.

١٨٢ ص + يتبع.

١٨٣ هو الإمام الزاهد ميمون بن محمد بن مكحول بن الفضل المكحولي النسفي، توفي سنة ٥٠٨ هـ.. انظر: تاريخ الإسلام، ١١/١١٩.

١٨٤ في كلامه عن الإيمان في كتابه أوَّلًا عرض مجموعة من تعريفات الفرق الكلامية للإيمان، من تلك التعريفات: أنَّ الإيمان معرفة بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان وهذا قول أهل الحديث. ومنهم من قال: بأنَّ الإيمان يكون بالقلب واللسان وهو مذهب أبي حنيفة. ومنهم من قال: بأنَّ الإيمان يكون باللسان فقط وهو قول الكرامية. ومنهم من قال بأنَّ الإيمان يكون بالمعرفة وهو قول الجهمية. ومنهم من قال: الإيمان هو التصديق بالقلب وهو مروى عن أبي حنيفة، وأبي منصور الماتريدي، وأبو حسن الأشعري. انظر: الإمام أبي المعين ميمون النسفي الماتريدي، تبصرة الأدلة في أصول الدين، تحقيق: الدكتور محمد الأنور حامد عيسى، ط ١ (القاهرة- المكتبة الأزهرية للتراث ٢٠١١م)، ١/١١٣-١١٤.

## [أقوال بعض العلماء في الإيمان]

فمن الناس من زعم أنّ الإيمان هو المعرفة بالقلب، والإقرار باللسان، والعمل بالأركان. وحكى ذلك القول عن مالك، والشافعي، والأوزاعي<sup>١٨٥</sup> وعن أهل الظاهر وجميع أئمة الحديث، كأحمد بن حنبل<sup>١٨٦</sup> وإسحاق بن راهويه، ومن المتكلمين أيضاً كالحارث بن أسد المحاسبي<sup>١٨٧</sup>، وأبي العباس القلانسي<sup>١٨٨</sup> وأبي علي التقي<sup>١٨٩</sup>.

ومن الناس من زعم أنّ الإيمان يكون بالقلب واللسان دون غيرها. وإليه ذهب الشّمرية<sup>١٩٠</sup>، والنجارية<sup>١٩١</sup> [٢٥ظ] والغيلانية<sup>١٩٢</sup>. وحكى هذا عن كثير من أصحاب أبي حنيفة رحمهم

---

١٨٥ أخرج ابن عبد البر عن عبد الله نافع الصائغ أنّ مالك بن أنس -رضي الله عنه- كان يقول: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص.

وأخرج أيضاً عن الربيع قال: سمعت الشافعي يقول: الإيمان قولٌ وعملٌ واعتقادٌ بالقلب. انظر: ابن عبد البر، الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء مالك والشافعي وأبي حنيفة رضي الله عنهم، (بيروت - دار الكتب العلمية)، ص: ٣٦، ص: ٨١.

ونقل أبو الأشبال الزهيري في كتابه شرح الإبانة قول الأوزاعي -رحمه الله- في الإيمان، حيث قال الإمام الأوزاعي: لا يستقيم الإيمان إلا بالقول، ولا يستقيم القول إلا بالعمل، ولا يستقيم الإيمان والقول والعمل إلا بنية موافقة للسنة. انظر: حسن أبو الأشبال الزهيري، شرح كتاب الإبانة من أصول الديانة، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية: <http://www.islamweb.net>، ١٣/٢٦.

١٨٦ أخرج ابن الجوزي عن الأشعث قال: سمعت أحمد بن حنبل يقول: الإيمان قولٌ وعملٌ، ويزيد وينقص، البر كله من الإيمان، والمعاصي تنقص من الإيمان. انظر: ابن الجوزي، مناقب الإمام أحمد، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط: ٢، (مصر - دار هجر ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م)، ص: ٢٠٦.

١٨٧ هو شيخ الصوفية أبو عبد الله الحارث بن أسد البغدادي، المحاسبي، توفي سنة ٢٤٣ هـ. له التصانيف الزهدية، وله مؤلفات في أصول الدين، والزهد، والرد على الرافضة والمعتزلة. انظر: سير أعلام النبلاء، ١١٠/١٢.

١٨٨ هو أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن خالد القلانسي وهو من متكلمي أهل السنة في القرن الثالث. انظر: علي سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ط ٩ (القاهرة - دار المعارف) ٢٧٨/١.

١٨٩ هو الفقيه والمحدث والزهدي؛ محمد بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن عبد الوهاب، التقي النيسابوري الشافعي، ولد بقهستان سنة ٢٤٤ هـ، وتوفي سنة ٣٢٨ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، ٢٨١/١٥.

١٩٠ الشمرية: هي من أحد فرق المرجئة، وسميت بالشمرية نسبة إلى أبي شمر. ويزعم أصحاب هذه الفرقة بأن الإيمان المعرفة بالله والمحبة له، والخضوع له بالقلب والإقرار به، ولم يجعلوا الإيمان متبعضا ولا أنه يتمم الزيادة والنقصان. وصاحبها هذا القول هما أبو شمر ويونس. انظر: أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، الإيمان الأوسط، تحقيق: الدكتور علي بن بخيت الزهراني، (السعودية - دار ابن الجوزي ١٤٢٣ هـ)، ص: ٤٣٤.

١٩١ النجارية تنسب إلى الجبرية، صاحبها الحسين بن محمد النجار، وهم على ثلاث فرق: برغوثية، وزعفرانية

الله غير أنهم اختلفوا فيما بينهم، فمنهم من جعل بالقلب المعرفة، ومنهم من جعل التصديق. وكان بشر بن غياث المريسي<sup>١٩٣</sup> يقول: إِنَّ الإيمان هو التصديق في اللّعة، وما ليس بتصديق ليس بإيمان. إِلَّا أَنَّ التصديق يكون بالقلب واللسان جميعًا. وإلى هذا القول ذهب ابن الرّاوندي<sup>١٩٤</sup>.

ومن الناس من يقول: إِنَّ الإيمان يكون باللسان فقط، وإليه ذهب الرّقاشي، وعبد الله بن سعيد القطان<sup>١٩٥</sup> والكرامية<sup>١٩٦</sup>. غير أنهم اختلفوا فيما بينهم. فزعم الرّقاشي أَنَّ الإقرار يكون إيمانًا بشرط وجود معرفة القلب، والمعرفة عنده ضرورية توجد لا محالة، ولا يكون إيمانًا؛ لأنّه اسمٌ لفعلٍ مكتسب، وكذا يقول عبدالله. وأمّا الكرامية فيزعمون<sup>١٩٧</sup>: أَنَّ الإقرار إيمانٌ بدون شرط المعرفة والتصديق، وهذا فاسد؛ لأنّ المنافقين لم يكونوا بمجرد إقرارهم مؤمنين بالإجماع. ومن الناس من يقول: إِنَّ الإيمان لا يكون إلا بالقلب. غير أنّ هؤلاء اختلفوا فيما بينهم. وقال بعضهم: لا يكون إلا بالقلب؛ وهو المعرفة، وهو قول / [٢٦و] جهم بن صفوان<sup>١٩٨</sup>.

---

ومستدركة. انظر: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، الملل والنحل، مؤسسة الحلبي وشركاه، ٨٨/١.

١٩٢ هي أيضا أحد فرق المرجئة، صاحبها غيلان، يزعمون بأنّ الإيمان المعرفة بالله والإقرار بما جاء به الرسول صلّى الله عليه وسلم. انظر: الإيمان الأوسط، ص: ٤٣٥.

١٩٣ هو أبو عبد الرحمن بشر بن غياث بن أبي كريمة، المريسي العدوي توفي سنة ٢١٨هـ، أخذ الفقه عن أبي يوسف وبرع فيه وفي علم الكلام لكنه أضل، وكان من الذين ادعوا بخلق القرآن. ويعد من أصحاب الجهمية. أخذ بمقوله الجهم بن صفوان لكنه لم يدركه، واحتج بما ودعا إليها. انظر: لسان الميزان، ٣٠٦/٢؛ تاريخ الإسلام، ٢٨٣/٥. ١٩٤ هو أحمد بن يحيى بن إسحاق الراوندي توفي سنة ٢٩٨هـ، كان من متكلمي المعتزلة ثم افترق عنهم واصبح زنديقا ملحدًا. كان له مناظرات مع أهل الكلام، له مؤلفات في الطعن على الشريعة وعلى نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم- منها: «الدامغ» و«التاج» و«الزمرد». ورد جماعة من العلماء عليه منهم: ابن الخياط في كتابه «الانتصار»، وابن الجوزي في كتابه «المنتظم». انظر: الأعلام، ٢٦٦/١-٢٦٧.

١٩٥ هو أبو محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب البصري، توفي بعد سنة ٢٤٠هـ، هو من المتكلمين قريب من أهل السنة، كان يرد على الجهمية والمعتزلة. أخذ عنه الكلام داود الظاهري، صنف في التوحيد وإثبات الصفة. من مصنفاته: «الصفات» و«خلق الأفعال» و«الرد على المعتزلة». انظر: سير أعلام النبلاء، ١٧٤/١١-١٧٦.

١٩٦ الكرامية: نسبة إلى عبد الله محمد بن كرام، وهم من الصفاتيين الذي يثبتون الصفات إلا أنّهم وقعوا في الغلو والتشبيه الصرف، لأنهم زعموا بصفة التجسيم والتشبيه. انظر: الملل والنحل، ٩٢/١؛ ١٠٨/١. بتصرف.

١٩٧ في ف، ص: يزعمون.

١٩٨ هو المتكلم الضال أبو محرز الراسبي جهم أبو صفوان، توفي سنة ١٢٨هـ. يعتبر رأس الجهمية كان ينكر صفات

وأبي<sup>١٩٩</sup> الحسين الصّالحي أحد رؤساء القدرية.

وقال بعضهم: الإيمان هو التصديق بالقلب، وإليه ذهب الشيخ أبو منصور الماتريدي، وهو مروى عن أبي حنيفة رحمه الله، وهو قول الحسين بن الفضل البجلي، وأبي الحسن الأشعري، وقد صرح به أبو حنيفة رحمه الله في كتاب العالم والمتعلم<sup>٢٠٠</sup>.

وإيمان المقلد صحيح، وإن كان عاصياً بترك الاستدلال، وحكمه حكم غيره من الفساق. وهذا القول محكي عن أبي حنيفة، والثوري، ومالك، والشافعي، والأوزاعي، وأحمد بن حنبل، وعن أهل الظاهر وعن المتكلمين أيضاً، كعبد الله بن سعيد القطان، والحارث بن أسد المحاسبي وعبد العزيز بن يحيى المكي.

وذهب أكثر المتكلمين إلى أنه لا بدّ لثبوت الإيمان أو لكونه نافعاً دليلاً بينى عليه اعتقاده، غير أنّ الشيخ أبا الحسن الرستغني<sup>٢٠١</sup> صاحب أبي<sup>٢٠٢</sup> منصور الماتريدي يقول: لا يشترط أن بينى اعتقاده على الاستدلال العقلي في كلّ مسألة، بل إذا بنى اعتقاده على قول الرسول عليه السّلام وعرف أنّه رسول ظهرت على يده المعجزات، وقيل منه القول / [٢٦ظ] بحدوث العالم ووحداية الصّانع، من غير أن يعرف<sup>٢٠٣</sup> ذلك بدليل عقلي يكون كافياً في صحّة إيمانه<sup>٢٠٤</sup>. وكذا يقول أبو عبد الله الحليمي<sup>٢٠٥</sup> من متأخري أهل الحديث، وفرع على

---

الله عز وجل وزعم بأن القرآن مخلوق وأنّ الله عز وجل ليس على العرش. انظر: تاريخ الإسلام، ٣/٣٨٩.

١٩٩ في النسختين: أبو.

٢٠٠ قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله في كتابه العالم والمتعلم: مستقر الإيمان ومعدنه في القلب وفرعه في الجسد. انظر:

رواية أبي مقاتل عن أبي حنيفة رضي الله عنهما، العالم والمتعلم، تحقيق: محمد زاهد الكوثري، ص: ٥٧.

٢٠١ هو الفقيه الحنفي أبو الحسن علي بن سعيد الرستغني، توفي سنة ٣٤٥هـ. نسبته إلى رس غفن وهي من قرى

سمر قند. من مؤلفاته: «الزوائد والفوائد» و«إرشاد المهتدي». انظر: الأعلام للزركلي، ٤/٢٩١؛ الجمالي، أبو

الفداء زين الدين أبو العدل قاسم بن فطلوبغا السوداني، تاج التراجم، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، (دار

القلم، دمشق، ١٣٤١هـ / ١٩٩٢م)، ١/٢٠٥. بتصرف.

٢٠٢ في النسختين: أبو.

٢٠٣ في النسختين: عرف.

٢٠٤ بحث عنه من أجل التوثيق ووجدت هذا القول للرستغني في موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام انظر: مجموعة من

المؤلفين، موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام، موقع الدرر السنية، ٢/٢٥٤. وتعسر علي إيجاد قول الرستغني في

إيمان المقلد في مصادر العقيدة.

٢٠٥ هو الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم الجرجاني الشافعي، ولد ببخارى سنة ٣٣٨هـ وتوفي ببخارى سنة

هذا أبو منصور بن أيوب من متكلمي أهل الحديث؛ وقال لو بنى اعتقاده على قرآن أو حديث يكون كافيًا.

والمشهور من مذهب أبي الحسن الأشعري، أنه لا يكون مؤمنًا ما لم يعتقد كل مسألة من مسائل أصول الدين عن دليل عقلي، ولكن لا يشترط أن يعتبر ذلك بلسانه، ويكون قادرًا على دفع شبه الخصوم.

وقال عبد القاهر البغدادي من المعتزلة: هذا وإن لم يكن مؤمنًا عند الأشعري، لكن لا يكون كافرًا أيضًا؛ لوجود ما يضاد الكفر من التصديق.

وقال عامّة المعتزلة لا يكون المقلد مؤمنًا، وإنما يكون مؤمنًا إذا قدر على حل جميع ما يورد عليه من الشبهات. وقد تم خلاصة ما أورده أبو المعين في تبصير الأدلة.

وإذا عرفت هذا القدر من التفصيل على مذهب أبي حنيفة رحمه الله في باب الإيمان، نذكر خلاصة ما اعتقد عليه الشافعية تفاصيل باب الإيمان. قال قدوة المتأخرين / [٢٧ و] من الشافعيين مولانا عضد الدين في موافقه: اعلم أنّ الإيمان في اللغة: التصديق، قال تعالى حكاية عن إخوة يوسف عليه السلام: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا﴾ [يوسف: ١٧] أي بمصدق لنا. وقال النبي عليه السلام: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله»، أي: تصدق. وأما في الشرع فهو عندنا وعليه أكثر الأئمة كالقاضي، والأستاذ: التصديق للرسول فيما علم مجيئه به ضرورة، فتفصيلًا فيما علم تفصيلًا، وإجمالًا فيما علم إجمالًا<sup>٢٠٦</sup>.

وقيل: هو المعرفة<sup>٢٠٧</sup>، فقومٌ بالله، وقومٌ بالله، وما جاءت به الرّسل<sup>٢٠٨</sup>. وقالت الكرامية: هو

---

٤٠٣هـ. هو فقيه وقاضي ومحدث. تولى القضاء في عدة بلدان، وكان رئيس الحديث ببلاد ما وراء النهر، له

مؤلفات عدة أشهرها: شعب الإيمان. انظر: الروض الباسم في تراجم شيوخ الحاكم، ٤٤٥/١-٤٤٧.

٢٠٦ هذا قول الإيجي في حقيقة الإيمان في كتابه المواقف. انظر: الإيجي، المواقف، ٥٢٧/٣.

٢٠٧ قال الجرجاني في شرحه للمواقف: قيل في الفرق بين المعرفة والتصديق: أنّ التصديق عبارة عن ربط القلب على ما عُلم من أخبار المخبر، وهو أمر كسبي ثبت باختبار المصدق ولهذا يثاب عليه، بخلاف المعرفة فهي عبارة عن ما يحصل بلا كسب؛ كمن وقع عليه على جسم، فعرف أنّه جدار أو حجر. وأما الإيمان في الشرح فيجب ان يكون من النوع الأول، فإنّ النبي عليه السلام إذا ادعى النبوة وأظهر المعجزة، فوقع صدقه في قلب أحد ضرورة ولا ينسب إليه الاختيار، فإنّ من صدّقه من دون اختيار والتزم العمل بموجبه، يكون مؤمنًا بالاتفاق. وأما من صدق النبي عليه السلام بالنظر إلى معجزاته اختياريًا ولم يلتزم بالعمل بموجبه، بل عانده فهو كافر بالاتفاق. انظر:

الشريف الجرجاني، شرح المواقف، ط: ١، (لبنان- دار الكتب العلمية ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م)، ٢٥٣/٨.

كلمتا الشَّهادة. وقالت طائفة: التَّصديق مع الكلمتين، كما ويروي ذلك عن أبي حنيفة رحمه الله. وقال قوم: إِنَّه أعمال الجوارح، فذهب الخوارج والعلافُ وعبدُ الجبَّار إلى أنَّها الطَّاعات فرضاً ونفلاً<sup>٢٠٩</sup>.

وذهب الجبائي<sup>٢١٠</sup> وابنه<sup>٢١١</sup> وأكثر البصريَّة إلى أنَّها الطَّاعات المفترضة دون النَّوافل. وقال السلف وأصحاب الأثر؛ الإيمان مجموع هذه الثلاثة، فهو تصديق بالجنان، وإقرار باللَّسان وعمل بالأركان<sup>٢١٢</sup>.

وقال<sup>٢١٣</sup>: أيضاً، الكفر خلاف الإيمان، فهو عندنا [٢٧ظ] عدم التَّصديق للرسول بما علم مجيئه به ضرورة، فإن قيل: فَشأدُّ الزَّناز ولا بس الغيار<sup>٢١٤</sup> بالاختيار لا يكون كافراً. قلنا: جعله النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علامة للتَّكذيب؛ فحكمنَّا عليه بذلك، وهو الكفر عند كلِّ طائفة مقابل لما فسَّر به الإيمان.

وقالت الخوارج: كلُّ معصية كفر. وقالت المعتزلة: المعاصي منها ما يدلُّ على الجهل بالله ووحدانيتِّه، وما يجوز عليه وما لا يجوز عليه، وبرسالة رسوله، كإلقاء المصاحف بالقاذورات،

---

٢٠٨ في النسختين: فقوم لله، وقوم لله ولما جاءت به الرسل. لكن في الموافق كما أثبتته في المتن. انظر: الإيجي، الموافق، ٥٢٧/٣.

٢٠٩ قال الشريف الجرجاني في شرحه: إنَّ الإيمان عندهم يكون اسماً لفعل القلب واللَّسان والجوارح معاً، فهو إقرار باللسان، وتصديق بالجنان، وعمل بالأركان، فقد يجعل تارك العمل خارجاً عن الإيمان داخلاً في الكفر وهذا ما ذهبت إليه الخوارج، أو غير داخل فيه وهو المنزلة بين المنزلتين وهذا ما ذهب إليه المعتزلة. انظر: الجرجاني، شرح الموافق، ٣٥٣/٨.

٢١٠ محمد بن عبد الوهَّاب بن سلام، أبو عليّ الجبَّائي البصريّ. شيخ المعتزلة ورأس الكلام والفلسفة، أخذ عن يعقوب بن عبد الله الشحام البصري. توفي سنة ٣٠٣ هـ. انظر: تاريخ الإسلام، ٧٠/٧.

٢١١ أبو هاشم الجبائي عبد السلام بن محمد بن عبد الوهَّاب، وهو يعد من شيوخ المعتزلة أخذ عن والده. ومن مصنفاته: «الجامع الكبير» و«المسائل العسكرية»، توفي سنة: ٣٢١ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، ٦٣/١٥.

٢١٢ الموقف الخامس، المرصد الثالث في الأسماء والأحكام المقصد الأول في حقيقة الإيمان من كتاب الموافق، عضد الدين الإيجي، دار الجيل - بيروت، ٢٢٧/٣ - ٢٢٨.

٢١٣ ما زال ينقل عن الإيجي من كتابه الموافق، الموقف الخامس، ٥٤٦/٣.

٢١٤ الغيار: وهو أن يخطوا على ثيابهم الظاهرة ما يخالف لونه لوَّنها، وتكون الخياطة على الكنف دون الذيل. انظر:

أبو زكريا النووي، روضة الطالبين وعمدة المفتين، تحقيق: زهير الشاويش، ط: ٣، (بيروت - دمشق - عمان - المكتب الإسلامي ١٤١٢ هـ / ١٩٩١ م)، ٣٢٦/١٠.

والتلقظ بكلمات دالة على ذلك فهو كفر. ومنها ما لا يدل على ذلك إما معصية أو مكروه.

وقال في تفصيل الكفار: الإنسان إما معترف بنبوة محمد ﷺ، أو غير معترف. والثاني إما معترف بالنبوة في الجملة ومنهم اليهود والنصارى، وإما غير معترف بها. وهو إما معترف بالقادر المختار ومنهم البراهمة<sup>٢١٥</sup> أو لا وهم الدهرية. ثم إنكارهم لنبوته إما عن عناد أو اجتهاد. والمعترف بنبوته إما مخطئ في أصل سنين أنه ليس بكافر أو لا، وهو إما عن برهان؛ وهو ناج بالاتفاق، أو عن تقليد وقد اختلف فيه<sup>٢١٦</sup>.

/ [٢٨ و] ومرتكب الكبيرة من أهل الصلاة مؤمن<sup>٢١٧</sup>؛ ذهب الخوارج إلى أنه كافر، والحسن

---

٢١٥ هم قوم انتسبوا الى رجل اسمه براهم، وهو ينفي صفات النبوة وأنها عقلاً مستحيلة. انظر: الملل والنحل، ٩٦/٣. بتصرف

٢١٦ اختلف فيمن هو ناج -بالاعتقاد التقليدي- قال الإيجي: لأن النبي عليه السلام حكم بإسلام من لم يعلم بأصول الدين كلها وبمعجزات النبي صلى الله عليه وسلم. ومن قال بأنه غير ناج؛ لأن التصديق بالنبوة يتضمن العلم بدلالة المعجزة، والعلم بذات الله تعالى وصفاته وأفعاله. انظر: الإيجي، المواقف، ٥٤٨/٣.

٢١٧ قال الحافظ الصابوني: يعتقد أهل السنة أن المؤمن وإن اذنب ذنوباً كثيرة؛ صغائر وكبائر، فإنه لا يكفر بها. وإن خرج عن الدنيا غير تائب منها ومات على التوحيد والإخلاص، فإن أمره إلى الله عز وجل: إن شاء عفا وأدخله الجنة يوم القيامة، وإن شاء عاقبه وعذبه في مدة في نار جهنم. وإذا عذبه لا يخلد فيها، بل يعقبه ويخرجه منها إلى نعيد دار القرار؛ لأن من مات على التوحيد لا يخلد في نار جهنم وإن عذب. انظر: أبو عثمان الصابوني، عقيدة السلف وأصحاب الحديث، تحقيق: د. ناصر عبد الرحمن بن محمد الجديع، ط: ٢، (السعودية- دار العاصمة ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م)، ص: ٢٧٦.

وقال البيهقي في كتابه الاعتقاد في «باب القول في مرتكب الكبائر»: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]: أي أنه يغفر كل شيء دون الشرك لمن يشاء دون أن يعاقبه، وقد يعاقب بعضهم على ما اقترف من الذنوب ثم يعفو عنه ويدخل الجنة بإيمانه؛ لقوله: ﴿إِنَّمَا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٣٠]، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضْعَفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠]، وعن عبادة بن الصامت، رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس فقال: يا يعقوب على أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا، وقرأ عليهم الآية [ص: ١٣]، وقال: فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله عليه فهو إلى الله إن شاء غفر له وإن شاء عذبه. انظر: البيهقي، الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب، تحقيق: أحمد عصام الكاتب، ط: ١، (لبنان- دار الآفاق الجديدة)، ص: ١٨٦.

البصري إلى أنه منافق، والمعتزلة إلى أنه ليس بمؤمن ولا كافر. وحجة الخوارج وجوه؛  
\* الأول: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]،  
قلنا: المراد، من لم يحكم بشي مما أنزل الله أو بالتوراة بقريئة ما قبله، وهو أنا أنزلنا التوراة وأمة  
محمد غير متعبدة بها؛ فتختص باليهود.

\* والثاني: وهل نجازي إلا الكفور؟ قلنا هو متروك الظاهر إذ نجازي غير الكفور بالثواب،  
لقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [غافر: ١٧].

\* الثالث: قوله تعالى بعد ايجاب الحج: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران:  
٩٧]، قلنا المراد من جحد وجوبه.

\* الرابع: قوله تعالى: ﴿أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [طه: ٤٨]، قلنا: متروك الظاهر  
للاتفاق على عذاب شارب الخمر والزاني، مع أنه غير مكذب بل اليهود والنصارى.

\* الخامس: قوله تعالى: ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ﴾ [١٤-١٦]، والفاسق يصلها، قلنا لعل ذلك نار خاصة.  
﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ [الليل: ١٤-١٦]، والفاسق يصلها، قلنا لعل ذلك نار خاصة.

\* السادس: قوله تعالى في حق من خفت موازينه / [٢٨ظ] ﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِي تُتْلَىٰ  
عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٥] والفاسق ممن خفت موازينه، قلنا: بل ثقلت  
بالإيمان.

\* السابع: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦] قلنا: لا نُسَلِّمُ أَنَّ كُلَّ فَاسِقٍ  
كذلك، بل هي واردة في بعض الكفار لقوله تعالى: ﴿أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [آل عمران:  
١٠٦].

\* الثامن: أنه من أصحاب المشأمة، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ  
الْمَشْأَمَةِ﴾ [البلد: ١٩]، قلنا: هو من باب إيهام العكس وينتقص بالزاني والسارق مع عدم  
تكذيبهما.

\* التاسع: ﴿وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفٰسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥] وإنه يقتضي حصر<sup>٢١٨</sup>  
الخبر. قلنا: ممنوع لأن الكافر ابتداء كذلك.

\* العاشر: ﴿لَا يَأْتِيَنَّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]، والفاسق آيس من

٢١٨ في كتاب المواقف: «وأنه يقتضي حصر المبتدأ في الخبر»، ٥٥٠/٣.

روح الله، قلنا: ممنوع للرجاء.

\* الحادي عشر: ﴿إِنَّكَ مَنْ تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ﴾ [آل عمران: ١٩٢] مع أَنَّ الحزبي اليوم والسوء على الكافرين. قلنا المفرد المحلّي باللام لا عموم له أو المراد الحزبي الكامل.

\* الثاني عشر: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ﴾ [الحاقة: ٢٥] إلى قوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾ [الحاقة: ٣٣] ٢١٩، قلنا: ذكر قسامين لا يدل على عدم الثالث، مع أَنَّ التخصيص ظاهر.

\* الثالث عشر: / [٢٩و] ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨]، قلنا: يلزم تكفير الأنبياء حيث اعترفوا بظلمهم.

\* الرابع عشر: قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ﴾ [السجدة: ٢٠] الآية قلنا يقتضي أن يكون كل فاسق مكذباً بالقيامة، وأنه باطل قطعاً.

\* الخامس عشر: قوله تعالى: ﴿يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٥١﴾ مَا سَلَكَكُمْ﴾ [المدثر: ٤٠-٤٢] إلى قوله ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ [المدثر: ٤٦] ٢٢٠ قلنا: قد مرّ جوابه.

\* السادس عشر: قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الزمر: ٧١] إلى قوله ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ [الزمر: ٧٣] ٢٢١، وقد مرّ مثله.

\* السابع عشر: ولاية الله وعداوته ضدّان. وولاية الله إيمان وعداوته تكون كفرًا. قلنا: لا نُسَلِّمُ عدم الوساطة بين كلّ ضدّين احتجّ من زعم أنّه منافق بوجهين، الأول: قوله عليه

٢١٩ ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ بَلَيْتَنِي لَمْ أُوتِ كِتَابِيهِ ﴿٥٠﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهِ ﴿٥١﴾ يَلْبِثْهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ ﴿٥٢﴾ مَا أَعْنَى عَنِّي مَالِيَةَ ﴿٥٣﴾ هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِيَةَ ﴿٥٤﴾ خُدُوهُ فَعَلُوهُ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلَّوهُ ﴿٥٦﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٥٧﴾ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾ [الحاقة: ٢٥-٣٣].

٢٢٠ ﴿فِي جَنَّةٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٥١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴿٥٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٥٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمَسْكِينِ ﴿٥٤﴾ وَكُنَّا نَحُوسُ مَعَ الْخَاطِئِينَ ﴿٥٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ [المدثر: ٤٠-٤٦].

٢٢١ ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَبَحَّتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَىٰ الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَىٰ الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَىٰ الْحِجَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٧١-٧٣].

السّلام: «آية المنافق ثلاث، إذا وعد أخلف، وإذا حدث كذب وإذا أوّمن خان»<sup>٢٢٢</sup>، قلنا: متروك الظّاهر؛ لأن من وعد غيره أن يخلع خلعة نفيسة ثمّ أخلفه لا يخرج بذلك عن الإيمان إلى النفاق إجماعاً. الثّاني: أنّ من اعتقد أنّ في هذا الجحر حيّة لم يدخل يده فيه، فإذا قال ذلك ثم أدخل يده فيه علّم أنّه قال لا عن اعتقاد، قلنا مضرة الحيّة عاجلة محقّقة/ [٢٩ظ] بخلاف عقاب الدّنب؛ لأنّها آجلة، ويجوز التّوبة والعفو فافترقا.

واحتجّ المعتزلة بوجهين، الأوّل: أنّ الفاسق ليس بمؤمن لما مرّ، ولا كافر بالإجماع. وأيضاً فيلزم بينونة الزّوجة بمجرد رمي الزّوج إيّاها بالزّنا من غير لعان وقضاء قاض؛ لأنّه إن صدق فهي كافرة، وإن كذّب فهو كافر. قلنا هو مؤمن وقد مرّ الكلام فيه<sup>٢٢٣</sup>.

وقال: المخالف للحقّ من أهل القبلة هل يكفر أم لا؟ جمهور المتكلمين والفقهاء على أنّه لا يكفر أحد من أهل القبلة. والمعتزلة<sup>٢٢٤</sup> الدّين هم قبل أبي الحسن تحامقوا فكفّروا الأصحاب، فعارضه بعضنا بالمثل. وقد كفّر الجسمّة مخالفوهم. وقال الأستاذ: كل مخالف يكفّرنا فنحن نكفّره وإلا فلا.

ولنا أنّ المسائل التي اختلف فيها أهل القبلة؛ من كون الله تعالى عالماً بعلمه، أو موجدًا لفعل العبد، أو غير متحيّز، ولا في جهة ونحوها لم يبحث النّبّيّ عليه الصّلاة والسّلام عن اعتقاد من حكم بإسلامه فيها، ولا الصّحابة ولا التّابعون، فعلم أنّ الخطأ فيها ليس قادحاً في حقيقة الإسلام، فإن قيل: لعلّه عليه السّلام عرف منهم/ [٣٠و] ذلك فلم يبحث عن علمهم بعلمه وقدرته مع وجوب اعتقادهما. قلنا: مكابرة، والعلم والقدرة ممّا تتوقّف عليه ثبوت نبوّته، وكان الاعتراف بها دليلاً على العلم بهما.

ولنذكر الآن ما كفّر به أهل القبلة ونتقصّى عنها وفيه أبحاث:

الأوّل: كفرت المعتزلة في أمور:

---

٢٢٢ صحيح البخاري، الإيمان ٢٥؛ صحيح مسلم، الإيمان ٥٩؛ سنن الترمذي، الإيمان ١٤؛ مسند أحمد،

٣١٤/١٤؛ مصابيح السنة، ١/١٢٥. /قال الجرجاني في شرحه: قيل: يحتمل أن المراد بالمنافق هنا؛ المنافق في

الإعمال لا في الدين. انظر: الجرجاني، شرح المواقف، ٣٦٨/٨.

٢٢٣ «ومرتكب الكبيرة من أهل الصلاة مؤمن.....قلنا هو مؤمن وقد مر الكلام فيه»، نقل عن الإيجي،

المواقف، ٣/٥٤٨-٥٥٢.

٢٢٤ ف+هم.

\* الأول: نفي الصفات؛ لأنَّ حقيقة الله تعالى ذات موصوفة بهذه الصفات، فمنكرها جاهل بالله، والجاهل بالله كافر. قلنا: الجهل بالله من بعض الوجوه لا يضرب؛ وإلا لزم تكفير المعتزلة والأشاعرة بعضهم فيما اختلفوا فيه.

\* الثاني: إنكارهم إيجاد الله تعالى فعل العبد وأتاه كفر. أمّا أولاً: فلا نهم جعلوه<sup>٢٢٥</sup> غير قادر على فعل العبد، والعبد غير قادر على فعله. فهو إثبات للشريك كما هو مذهب المجوس. وأمّا ثانياً: فلإجماع على التضرع إلى الله في أن يرزقهم الإيمان وهم ينكرونه، لأنهم يقولون قد فعل من اللطف ما أمكن لوجوبه عليه. قلنا المجوس كفّروا لغيره، وخرق الإجماع ليس بكفر، ثمّ من يلزمه الكفر ولا يعلمه قلم أنّه كافر.

\* الثالث: / [٣٠ ظ] قولهم بخلق القرآن، وفي الحديث الصحيح من قال القرآن مخلوق فهو كافر، قلنا: آحاد أو المراد بالمخلوق: المختلق، أي: المفترى.

\* الرابع: قد أجمع من قبلهم أن ما شاء الله قد كان، وما لم يشأ لم يكن، وهو ينكرونه. قلنا: نمنع الإجماع، وكون مخالفه كافراً<sup>٢٢٦</sup>.

\* الخامس: المعدوم شيء، وأنه تصريح بمذهب أهل الهيولى<sup>٢٢٧</sup> سيّما نفاة الأحوال؛ لأنّ ذاته عندهم وجوده. قلنا: الإلزام غير الالتزام واللّزوم غير القول به كما مرّ.

\* السادس: إنكارهم الرّؤية وقد قال تعالى: ﴿بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَفِرُونَ﴾ [السجدة: ١٠]. قلنا: اللّقاء مجاز، فلعلّ المراد لقاء ثوابه، وقال المفسّرون المراد به الوصول إلى دار الثّواب<sup>٢٢٨</sup>.

٢٢٥ في نسخة ف، ص (جعلوا)، أمّا في كتاب المواقف (جعلوه). انظر: الإيجي، المواقف، ٥٦١/٣.

٢٢٦ في المواقف: ونمنع كونه مخالفاً. انظر: الإيجي، المواقف، ٥٦٢/٣.

٢٢٧ الهيولى: في اللغة: لفظ يوناني بمعنى: الأصل، والمادة، وفي الاصطلاح: هي جوهر في الجسم قابل لما يعرض لذلك الجسم من الاتصال والانفصال محل للصورتين: الجسمية، والنوعية. انظر: علي بن محمد الجرجاني، معجم التعريفات، دار الكتب العلمية- بيروت ١٩٨٣م، ص: ٦١٢. وقيل: هي المادة قبل أن يتكون منها العالم ثم تتشكل بأشكال وصور معينة. انظر: الدكتور ف. عبد الرحيم، معجم الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهجاتها، دار القلم- دمشق ٢٠١١م، ص: ١٤٧.

٢٢٨ قال الإمام الرازي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَءِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَفِرُونَ﴾ أنّ المشركين أنكروا الحشر والخلق ثانية وكفروا بأحوال الآخرة؛ وأنهم لم ينكروا البعث لنفسه بل لكفرهم، فلما أنكروا البعث أنكروا ما يفضي إليه من عذاب وثواب. انظر: مفاتيح الغيب، ١٤٣/٢٥.

الثاني: يكفر المعتزلة الأصحاب بأمور:

\* الأول: إنكار كون العبد فاعلاً لفعله؛ لأنه يسدّ باب إثبات الصانع. إذ طريقه قياس الغائب على الشاهد. وإذا جاز عدم استناد فعلنا إلينا، جاز اسناد الحوادث لا إلى محدثها. قلنا: تقدّم لنا في إثبات الصانع وجوه لا نحتاج فيها إلى إثبات هذا القياس.

\* الثاني: نسبة فعل العبد إلى الله يلزمه كونه تعالى فاعلاً للقيح، فجاز/ [٣١و] إظهار المعجزة على يد الكاذب، وجاز الكذب فيه. وفيه إبطال الشرائع بالكيفية. قلنا: أجبنا عنها. \* الثالث: إثبات الصفة قولاً بقدما، وقد كُفّر النصارى للقول بقدما ثلاثة، فكيف السبعة؟ قلنا قد مرّ جوابه. ٢٢٩

\* الرابع: قولهم القرآن قديم، فإنه يقتضي عدم كون المسموع قرآناً؛ لحدوثه قطعاً. قلنا: مشترك الإلزام، إلا أن تقولوا ما نسمع حكاية قوله تعالى فنقول بمثله.

---

٢٢٩ قوله: (اثبات الصفة بقدما): نتج عن هذه المسألة تعطيل الصفات، ونشأ هذا القول مع ظهور علم الكلام، حيث اطّلع علماء علم الكلام على مقالة في كتب بعض طائفة الفلاسفة والتي تقول بقدما العالم، وأنّ الله تعالى موجب بالذات؛ أي: أنّ الفعل لا يتعلق بإرادته ومشيئته. فأراد المتكلمون من الجهمية والمعتزلة الرد على هذا القول وإبطاله، لكن إبطالمهم لقول الفلاسفة عطل الباري سبحانه وتعالى عن صفة الكمال. ورد أهل السنة والجماعة هذا القول، فهم يقولون: إنّ الله لم يزل متصفاً بصفات الكمال من الكلام والفعل والإرادة والعلم والخلق والتدبير إلى غير ذلك من الصفات، فهي صفات أزلية، وإنّ فعله سبحانه وتعالى لا أول له، بل لم يزل فاعلاً. انظر: يوسف بن محمد علي الغفيس، شرح العقيدة الطحاوية، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية <http://www.islamweb.net>، ١٢/٣.

وقوله: (كفر النصارى لقوله بقدما ثلاثة): زعم النصارى بأنّ الله ثالث ثلاثة أقانيم، وهي: الأب والابن والروح القدس، وقال ابن جرير: وهذا قول كان عليه جماهير النصارى قبل افتراق اليعقوبية والمكانية والنسطورية، كانوا فيما بلغنا يقولون: الإله القديم جوهر واحد يعم ثلاثة أقانيم؛ أبا والدا غير مولود، وابنا مولودا غير والد، وزوجا متبعة بينهما. وقال محمد رشيد رضا في تفسير قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣]: أكدّ سبحانه وتعالى بالقسم أيضاً كُفّر الذين قالوا إنّ الله الذي هو خالق السماوات والأرض وما بينهما، ثالث أقانيم ثلاثة؛ وهي: الأب، والابن، وروح القدس. انظر: محمد رشيد رضا، تفسير المنار، (مصر - الهيئة المصرية العامة)، ٤٠١/٦.

وقوله: (فكيف السبعة): هنا قصد ما ذهب إليه الأشاعرة في إثبات الصفات لله تعالى، فهم يثبتون سبع صفات لله عزّ وجل؛ وهي: الحياة، والعلم، والإرادة، والسمع، والبصر، والقدرة، والكلام. انظر: عبد العزيز الراجحي، دروس في العقيدة، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية: <http://www.islamweb.net>، ٣/٥.

الثالث: قد كفر المجسمة بوجوه:

\* الأول: أن تجسيمه جهل. قد مرّ جوابه.

\* الثاني: عابد لغير الله كعابد الصنم. قلنا: بل معتقد في الله الخالق، الرّازق، العالم القادر ما لا يجوز عليه ممّا جاء به الشّرع على تأويل، ولم يؤوّله، بخلاف عابد الصنم.

\* الثالث: قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ٧٢]، وما ذلك إلّا لأنهم جعلوا غير الله إلهًا، فلزم الشّرك وهؤلاء كذلك. قلنا: ممنوع؛ المستند ما تقدّم.

الرّابع: قد كفر الرّوافض والخوارج لوجوه:

\* الأول: القدح في أكابر الصّحابة وفيه تكذيب الرّسول، حيث أثنى عليهم وعظّمهم. قلنا لا ثناء عليهم خاصّة ولا هم داخلون فيه أو/ [٣١ظ] الثناء عليهم بشرط سلامة العاقبة، ولم يوجد عندهم.

\* الثاني: الإجماع على تكفير من كفر عظماء الصّحابة. قلنا هؤلاء لا يسلمون كونهم من أكابر الصّحابة.

\* الثالث: قوله عليه السّلام: «من قال لأخيه المسلم ٢٣٠ يا كافر، فقد باء به أحدهما» ٢٣١، قلنا: آحادًا والمراد: مع اعتقاد أنّه مسلم. فإنّ من ظنّ بمسلم أنّه يهوديّ أو نصرانيّ فقال له: يا كافر، لم يكن كفرًا بالإجماع تمّ ما نقل بالمواقف.

واعلم: أنّ التّكفير حكم شرعيّ لا أمر عقليّ، فلا بدّ فيه من بيان ضابطة شرعيّة وقاعدة كليّة. حتّى يتيسّر للمستدلّ ضبط جزئياته وتأويل النّص الدّال على كفر المؤمن بفعل وقول، إذا لم يكن من جزئيات تلك القاعدة. فنقول: ما ثبت في هذا الباب من الشّارع تكفير من كذب الشّارع، كأبي جهل وأمثاله ممن صرّحوا بتكذيب الرّسول عليه السّلام، أو من كذّبه دلالةً بالقول أو الفعل المؤدّي إليه.

أمّا الأول: كالتكلم بكلمة الكفر والإنكار لحكم النّص الشرعيّ قطعيّ الثّبوت والدّلالة بدون التّأويل، واستحلال الحرام المجمع عليه، وتحريم الحلال المجمع عليه، وكالاستخفاف بالأموار

٢٣٠ لفظ: «المسلم» إضافة من الناسخ.

٢٣١ موطأ مالك، الكلام ١؛ مسند أحمد، ١٠/١٤٧.

الدينية/ [٣٢و] والاستهزاء بها وسائر الأقوال الدالة على الرضا بالكفر صراحةً. وأما الثاني: كاتِّباع الكفرة في الزيِّ والهيئة بدون الضَّرورة، كلبس الكسوة ووضع القلنسوة والمنطقة، واشتراكهم في أعيادهم وشعائرهم بالذهاب إليها، وبقبول هديتهم فيها وغيرها من الأفعال الدالة على الرضا بكفرهم صراحةً.

ولا يكفر أهل القبلة بما سوى ذلك؛ لما ثبت عن أبي حنيفة رحمه الله: أنه لا يكفر أهل القبلة بذنب<sup>٢٣٢</sup>. وما ثبت أيضًا من أرباب أصول الفقه أنهم قالوا: أنَّ جهل صاحب الهوى في صفات الله وأحكام الآخرة من أهل القبلة دون جهل الكفرة فلا يكفرون، بل يلزمنا مناظرته وكشف شبهته. وما صرَّح به الفقهاء أيضًا من أنَّ شهادة أهل الأهواء مقبولة سوى الخطيئة؛ لأنَّهم يوجبون معاونة أهل جلدتهم بالشَّهادة وغيرها لا لأنَّهم كافرون باتِّباع الهوى. واعلم أيضًا، أنَّ هذا الفقير إمَّا نقل بعض تفاصيل المذاهب المختلفة في الإيمان، وبعض تفاصيل تكفير أهل القبلة، وأثبت ما<sup>٢٣٣</sup> هو الحق في الملة الحنيفة؛ لكثرة فائدة/ [٣٢ظ] ذلك في علم الحديث والتفسير، لما عرفت أنَّ النصوص الشرعية من الآيات والأحاديث في باب الإيمان والكفر متخالفة وفي الظاهر متدافعة وفي تكفير أهل القبلة كثيرة كما سمعت بعضها، حتَّى ذهب الحسن البصريُّ الكامل في العلم الديني والعبادة إلى أن: مرتكب الكبيرة منافق.

وذهب مقاتل بن سليمان<sup>٢٣٤</sup> المفسر إلى أن: المعصية لا تضرَّ مع الإيمان. وهما حكمان متعارضان مع أنَّ مستند كلٍّ منهما من الآيات والأخبار.

فيجب على المعلِّم المستدل أن يعلم أولاً أصول مذهبه في كلِّ باب من الأصول الاعتقادية والفرعية، على ما ذهب إليه إمامه ومقتداه، وأثبتته بالبراهين العقلية والنصوص القطعية

---

٢٣٢ هي قاعدة عند أبي حنيفة رحمه الله في كتابه الفقه الأكبر: «لا يكفر مسلم بذنب ما لم يستحلَّه» وشرحها قائلاً: لا تكفر مُسلماً بذنب من الدُّنُوب وإنَّ كانت كبيرة إذا لم يستحلها ولا نزيل عنه اسم الإيمان ونسبته مؤمناً حقيقاً ويجوز ان يكون مؤمناً فاسقاً غير كافر. انظر: الفقه الأكبر، ص: ٤٣.

٢٣٣ - ف./ ف: وهو.

٢٣٤ هو أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي، توفي سنة ١٥٠هـ. هو مفسر، وروى الحديث لكن حديثه كان متروكاً، حيث إنَّ أئمة الحديث ونقاده اتهموه بالكذب؛ ومنهم يحيى بن معين، ووكيع، وأبو داود قال بأنه متروك، والنسائي قال بأنه من الضعفاء الذين وضعوا الحديث. من مؤلفاته: «نوادير التفسير» و«الرد على القدرية» و«متشابه القرآن». انظر: تاريخ الإسلام، ٢٣٢/٤؛ الأعلام، ٢٨١/٧.

التقليدية. حتى يقتدر على تأويل ما يخالف مذهبه من الآيات والأحاديث بالقواعد السابقة والضوابط السالفة. وأثبت ما هو الحق عنده وأزال بتأويله وتحقيقه التردد عن قلب المتعلم حتى يجتهد في التعلم والترقي، إذ لو لم يكن المدرس مستنداً محققاً ومؤولاً مدققاً، وبين النصوص المتعارضة في الظاهر مرجحاً وموفقاً/ [٣٣و] بل قائلاً: إن هذا النص الشرعي مخالف لأصول مذهبنا المثبتة بالأدلة القطعية، فيكون المراد منه غير ظاهره لاخذ المتعلم المستدل من قلبه باعثاً على التوجه إلى تحمّل متاعب العلم والتدرب والترقي فيه إلى مدارج الكمال، بل يتكدر حاله ويتحير باله عند تدافع النصوص. نعم من لم يبلغ إلى فضيلة مرتبة الاستدلال يتقلد ويقبل ما سمعه من أستاذه؛ لحسن اعتقاده، ويعمل به وهو بمنزلة المقلد العاصي عند طلاب الكمال.

وكلامنا<sup>٢٣٥</sup> في حق طالب الفضل والمنال والمستهتر على إحراز مرتبة الاستدلال. ولما كان كلامنا هنا في إثبات ما هو الحق في باب الإيمان والكفر، نقلنا ما هو الأصل فيها حتى نُؤوّل ما وجد ما يخالف ذلك الأصل من النصوص الشرعية بالضوابط المذكورة. ولم نقل ما هو الأصل في كل باب من الأعمال الفرعية، ولم نشغل بتأويل ما يخالفه؛ لأن مقصدنا<sup>٢٣٦</sup> دفع التعارض الظاهري فيهما.

وإذا عرفت المقدار المقنع من التفصيل والتحقيق في باب الإيمان والكفر. فاعلم أيضاً: أن مقتضيات الأحاديث تدافعاً/ [٣٣ظ] ظاهرياً، من جهة أخرى، يزدحم فيه على بالك التحير وتقتحم على حالك التكدر أيضاً، إذ بعض الأحاديث يدل على أن النجاة من العذاب والوصول إلى الثواب، يحصل بمجرد الشهادتين، بل بمجرد كلمة التوحيد. وبعضها يدل على وجوب ذلك وبعضها لا يدل.

وكذا بعض الأحاديث تدل على أن طاعة واحدة توجب دخول الجنة، وبعضها لا يدل على الوجوب، بعضها يدل مفرداً على الثواب العظيم، وبعضها يدل على أن ذلك يقيد انضمام طاعة أخرى. وقد يوجد ذلك الاختلاف في طاعة واحدة.

وكذا بعض الأحاديث تدل على أن معصية واحدة توجب دخول النار، وبعضها لا يدل

٢٣٥ ص فكلامنا.

٢٣٦ ص، ف مقصودنا.

على الوجوب، وبعضها يدلّ على أنّها تؤدّي إلى العذاب بمجردّها، وبعضها يدلّ على أنّ ذلك يقيّد انضمام معصية أخرى. وقد يوجد ذلك الاختلاف في معصية واحدة. فلا بدّ لك في ذلك أيضًا أيّها المشغوف على اقتباس الفضل بإحراز وظائف التأويل والتّحقيق، واقتناص طرائق التّوجيه والتّوفيق، من أن تتشرف في هذا الباب أيضًا بتعلّم ضابط أصوليّ/ [٣٤و] وكلام كليّ؛ حتى تدفع به ازدحام التّحير عن بالك واقتحام التّكدر في حالك. فاعلم أنّ كلّ واحدة من الطّاعات أصليّة كانت أو فرعيّة توجب دخول الجنّة بمقتضى كرم الله تعالى وموجب وعده، لا باعتبار اقتضاء ذات العبادة وإيجابها. لكن ذلك الوجوب الوعديّ أيضًا مشروط برعاية شروط العبادة من الإخلاص وغيره، وشرط صونها عن المحبطات والمفسدات. وكلّ معصية توجب دخول النّار أيضًا باعتبار مقتضى العدل. وموجب الوعيد بشرط أن لا تمنحي تلك المعصية بالتّوبة أو العفو أو الطّاعة. وإمّا قلت: (ذات العبادة)، (والمعصية لا توجب)؛ لأنّ العقل لا يجوز على الله تعالى بالوجوب وغيره، وستسمع إن شاء الله تعالى كلامًا مستوفى فيه. وإذا اجتمع في العبد موجبات الجنّة ومقتضيات النّار ولم يوجد مزيلهما؛ يدخل النّار أوّلاً ويمكث فيها بقدر اقتضاء المعصية، ثمّ يدخل الجنّة ويخلّد فيها أبد الآباد.

وإذا عرفت ذلك فاعلم أنّ ترك الوجوب في البعض للرمز إلى أنّ الوجوب وعديّ، أو لاقتضاء المقام ذلك من كون/ [٣٤ظ] السّامع غير محتاج إلى زيادة التّأكيد والترغيب؛ لغاية اعتنائه بأمر الدّين وقوّة<sup>٢٣٧</sup> قلبه في اليقين وغير ذلك من الاعتبارات المناسبة للمقام ومقتضيات الكلام، وأنّ الضّم لبيان أنّ العبادة والمعصية سبب لا موجب كما زعم بعض أهل الأهواء، أو لاقتضاء المقام ذلك من تحريض السّامع على جمع تلك الطّاعات، أو مدحه عليه، أو من تخويف السّامع عن جمع تلك المعاصي أو ذمّه عليه وغير ذلك من مقتضيات المقام. وإنّ إتيان زيادة المثوبات أو العقوبات، وتركه إن كان في عبادات متنوّعة وسيئات مختلفة، يجوز أن يكون باعتبار اقتضاءهما وكونهما سببا لذلك. ويجوز أن يكون بحسب اقتضاء الحال والمقام ذلك كما عرفت من التّكثيرة في الضّم والترك. وإن كان في عبادة واحدة ومعصية منفردة. يجوز أن يقال فيه: المجموع مقتضيات تلك الطّاعة أو المعصية

والاختصار والإتمام كان بحسب اعتبار الحال، أو اقتضاء المقام، أو لمجرد اقتضاء المقام<sup>٢٣٨</sup>. وإذا تأملت في كل باب من أبواب الطاعة والمعصية واطلعت على [٣٥] تلك الاختلافات بين الأحاديث الواردة فيه، فوفق بينها وادفع التدافع الظاهري مما منحك مما يحمي قدم فهمك عن الدحوض والزلل، ويصون ساعد قلبك عن الاعوجاج والشلل، والله الموفق والهادي، فإن قلت: قد اضمحل ما يحيك في صدري ويختلج في قلبي من هواجس تلك الاختلافات بدوافع ضابطتك الأسنى، لكن ثارت من قلبي شبهة أخرى وهي أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يُبين مراده<sup>٢٣٩</sup> في كل مقام بكلام ظاهر الإفهام، حتى لا يتشوش فيه قلب بعض الأنام؟ ولا يقع اختلاف المذاهب والآراء ولا يزيغ عنه أهل الأهواء؟ قلنا: قد عرفت جوابه مما أشرت إليه في بيان اختلاف الأحاديث في بيان الإيمان. وإن أردت زيادة تفصيل فاعلم<sup>٢٤٠</sup> أن نبينا عليه الصلاة والسلام أعلم الخطباء أعظم البلغاء مبعوثاً إلى دعوة جميع الورى، فخاطب تارة جماعة الجفأة والأغبياء، وتارة زمرة الدهاة والأذكياء، ودفعه أرباب الزهد واليقين، ووقتاً أصحاب الغفلة والتخمين، فوجب عليه أن يصوغ كلامه/ [٣٥ظ] في بعض الوقت على طريق الإطناب والتوضيح، وفي بعضه على طريق الإيجاز والتلويح. فراعى في كل نظم وكلام مقتضى الحال والمقام، فمن فضّل بالفهم المستقيم، يطلع على النكتة بفكره القويم، ومن كان فاتر الفهم لا يفهم إلا ظاهر الكلام، ولا يطلع على مقتضيات المقام من دقائق المعاني والمرام، يجب عليه أن يرجع في مواضع الرموز والدقائق ومعاصل الفحوى والحقائق إلى فضلاء الأنام وأمرء الكلام، فإن لم يرجع ووقع بسوء فهمه في التردد والضلال؛ فعليه الإثم والوبال لتركه الرجوع الواجب عليه والسؤال، لا على البليغ الراعي مقتضيات الأحوال. ولقد وصّى بذلك الرجوع الخاص عند فوت ذوق الخواص، ومبادئ مفتاحه: السكاكي<sup>٢٤١</sup>، وحكى ذلك عن الشيخ عبد

٢٣٨ ص - أو لمجرد اقتضاء المقام

٢٣٩ ص مرامه.

٢٤٠ ص - جملة من «قدر عرفت ..... فاعلم».

٢٤١ نقل السكاكي هذا القول في كتابه مفتاح العلوم - عن استاذة الخاتمي، وعبد القاهر الجرجاني - في بيان فنون العبارات الراجعة على الخبر، فقال: «..... لا يخفى عليك أن مقامات الكلام متفاوتة التشكر يباين مقام الشكاية ومقام التهنة يباين مقام التعزية ومقام المدح يباين مقام الذم ومقام الترغيب يباين مقام الترهيب ومقام

القاهر<sup>٢٤٢</sup> وأستاذه الحاتمي<sup>٢٤٣</sup>.

فإن قلت: قد تَفَصَّيْتُ عن هذا السُّؤال، لكن ما جوابك في مداحض الإشكال ومزالق الإجمال، فإنَّ المشكل يحتمل وجوهًا متعدّدة على السّواء في المنوال والمجمل لا يعلم معناه بدون السُّؤال ويستوي/ [٣٦و] فيه البليغ والبليد والبطيء والجديد؟ قلنا: إيراد اللفظ المشكل والمجمل في الكلام يدلُّ أيضًا على كمال بلاغة نبيِّنا ﷺ، لما عرفت أنّ مقام التّوضيح والإفهام غير مقام التّورية والإبهام، فيكون إيرادهما من مقتضيات الكلام؛ لأنّ في المشكل إحرازَ فضيلة التّأمل وأجر الاستنباط، وفي المجمل: فضيلة التّعلّم وثواب السُّؤال، وفيهما فوائد أخرى لا تخفى على ذوي الأفهام، وحاصلُ الكلام في هذا المقام أن يقال: الناس على ثلاث طبقات: طبقة لها أدنى تمييز وفهم لا تفهم إلّا ما يدلُّ عليه بظاهر الكلام كأهل اللّسان من العوام، وطبقة لها تصرّف واستدلال بفهم ما يدلُّ عليه، بخلاف الظّاهر كأهل التّوسط من المستدلّين والبلغاء، وطبقة لها اطلاعٌ على الأسرار والدّقائِق كالمجتهدين والمكاشفين<sup>٢٤٤</sup>. فأخرج نبيِّنا عليه السّلام كلامه على ثلاث طبقات ومراتب؛ لرعاية أحوال

---

الجد في جميع ذلك يبين مقام الهزل، وكذا مقام الكلام ابتداء يغيّر مقام الكلام بناء على الاستخبار أو الإنكار ومقام البناء على السُّؤال يغيّر مقام البناء على الإنكار جميع ذلك معلوم لكل لبيب وكذا مقام الكلام مع الذكي يغيّر مقام الكلام مع الغبي، ولكل من ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر... الخ». انظر: السكاكي، **مفتاح العلوم**، ص: ١٦٧-١٦٨.

٢٤٢ هو أبو بكر، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني الأشعري الشافعي، توفي بجرجان عام ٤٧١هـ- ١٠٧٨م، من أهل جرجان- بين طربسات وخراسان- من أئمة اللغة وواضع أصول البلاغة، ومتكلم وفقهيه ومفسر، من مؤلفاته: «أسرار البلاغة» و«دلائل الإعجاز» و«المغني» و«شرح الإيضاح لأبي علي الفارسي في نحو ثلاثين مجلدًا». انظر: الزركلي، **الأعلام**، ٤/٤٨؛ عمر رضا كحالة، **معجم المؤلفين**، ٥/٣١٠.

٢٤٣ لم أجد ترجمة للحاتمي، لأنّه غير معروف من هو الحاتمي بالضبط فهناك أكثر من عالم لقبه الحاتمي، والسكاكي عندما نقل عنه؛ فقط نقل بذكر لقبه ولم يذكر اسمه، وقال د. أحمد مطلوب في رسالته الماجستير والتي بعنوان «البلاغة عند السكاكي»: أمر شيوخه وتلاميذه غامض كحياته، وقال: رجعنا إلى ما تيسر لنا من المصادر، فلم نستطع أن نعرف (الحاتمي) هذا معرفة تامة. انظر: الدكتور أحمد مطلوب، **البلاغة عند السكاكي**، رسالة ماجستير في كلية الآداب- جامعة القاهرة، (بغداد- مكتبة النهضة)، ص: ٥٣.

٢٤٤ ذهب السبكي إلى هذا القول في كتابه الفتاوى حيث قال والناس على ثلاث طبقات: عليا: وهم أهل المعرفة والاستدلال التفصيلي وهم العلماء، وأهل الاستدلال الإجمالي وهم كثير من العوام. ووسطى: وهم أهل العقيدة. ودنيا: وهم المقلدون. انظر: السبكي، **فتاوى السبكي**، ٢/٦٠٥.

الطبقات الثلاث، وإيفاء حق كل منها على قدره من الدرجات.  
وفي كلام كل طبقة مراتب متنوعة، لكن لكل واحدة / [٣٦ظ] منها وحدة نوعية وجهة  
جامعة، فلتلك الجهة جعلت الكلام على ثلاث مراتب.

فإن قلت: قد يقع البليغ الكامل والمجتهد الفاضل في الزلل والخطأ في التصرف والتأويل، فلا  
يحصل له ثواب الاجتهاد ومرتبة الفضل. قلنا: يحصل؛ لأن للمجتهد والمؤول أجرين إذا  
أصاب، وأجر واحداً إذا أخطأ، إذا استجمع شرائط التأويل ولا يتعصب.

واعلم أيها الزكي المستقيم السليقة والألمعي المنتج الطبيعة؛ إذا ضبطت ما ذكره الفقير وما  
سيدكره من قواعد الترجيح والتوفيق، وقوانين التأويل والتوفيق تقتدر بهما على أن تدفع صورة  
التعارض الظاهري في كل مدحض من مداحض الكلام. وأن تؤول كل كلام مخالف لمذهبك  
بالوجه المناسب للمرام، وأن تبين نكتة كل واحد من الضم والترك في البيان، وحكمة كل  
مبالغة وتركها، وإيراد زيادة ونقصان في التبيان.

لكن هذا الفقير الصديق وذلك الحقير الشفيق ما اقتصر على ما ذكره في القواعد  
والضوابط، بل عين طريق الترجيح والتوفيق، وبين سبيل التأويل والتحقيق، وفائدة / [٣٧و]  
الضم والترك والزيادة والنقصان، وفائدة الإطناب والإيجاز والاختصار، وعائدة الإجمال  
والتفصيل والاختصار في الصور الجزئية من أحاديث المصايح على وجه الإطناب والتوضيح  
عوناً للصلحاء المتعلمين، وتقريباً للقواعد السالفة في قلوب المبتدئين، ودفعاً لتردد عن قلوب  
المؤولين، لما<sup>٢٤٥</sup> عرفت أن كل ذي فهم شرف تفصيله القدرة على التصرف والاستدلال،  
وترقى إلى درجة الفضل والخصال، يفهم صورة التعارض في الكلام ومخالفته لمذهبه والمرام،  
ويشرع في التوفيق والترجيح، ولكن لا يرتقي فهم كله إلى ترجيح وتوفيق مقبول عند العقول،  
وتأويل وتحقيق موافق للأصول، أو إلى التمييز بين الصحيح والسقيم من الجواب، وترك  
الضعيف واختيار الصواب؛ لأن ذلك شأن مفضل وأمر مفضل، إذ بذلك يظهر درجات  
العلماء ومراتب الفضلاء.

كثيراً ما ترى المفسرين والمحدثين يختلفون في تأويل آية واحدة وحديث واحد، بحيث لا  
يقتدر في كثير من المواضع على الترجيح والتوفيق بين تأويلاتهم / [٣٧ظ]، ويتحير في التمييز

بين الصحيح والضعيف من توجيهاتهم. فتضطرّ إلى أن تختار ما يوافق مذهبك، وتردّ الباقي لا بوجه برهانيّ وتحقيقي، بل بأمر تقليديّ وتسليمي. فليكن هذا آخر ما أورده الفقير من بيان الضوابط والتنبيهات والقواعد والتحقيقات لتأكيد الكلام في باب الإيمان والإسلام، وليشرع في سائر الأبواب والأحكام.

<sup>٢٤٦</sup>قال: «فأخبرني عن الساعة. قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل».

فإن قلت: الظاهر في الجواب ما أعلم أو لا يعلمها إلا الله كما أرشده الله تعالى إلى ذلك بقوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَلُهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً يَسْتَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الأعراف: ١٨٧]، قلت: عدل عن الظاهر إلى ما ذكر لنكته، وهي أن سؤال جبرائيل عليه السلام يدلّ على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم حدوث وقت القيامة على اليقين؛ لأنّ السائل إذا لم يعرف المسئول أنّ المسئول يعرف المسئول عنه، فلذا رتب نفي العلم على صيغة المفعولية.

فإن قلت: قوله بأعلم/ [٣٨و] يدلّ على نفي زيادة علمه على علم جبرائيل، ولا يدلّ على انتفاء أصل العلم. قلنا: لما كان جبرائيل عليه السلام سائلاً فهمّ منه في الظاهر أنّه لا يعرف تعيين وقت حدوث الساعة. وإذا نفى النبي عليه السلام زيادة علمه على علمه، فهمّ منه في الظاهر انتفاء أصل علمه، ويجوز أن يراد من أصل العلم علمٌ مطلق وقوع الساعة، ومن الزيادة في العلم علمٌ وقوعها في وقت معيّن. فمراده حينئذ نفي زيادة العلم وهو علم اليقين.

### باب الكبائر وعلامات النفاق

[١١] قال النبي ﷺ: «أربع من كنّ فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق، إذا عهد غدر، وإذا حدّث<sup>٢٤٧</sup> كذب، وإذا أؤتمن خان، وإذا خاصم فجر»<sup>٢٤٨</sup>.

فإن قلت: ظاهر هذا الحديث مخالف لأصول الشرع، لما عرفت بنصّ صحيح ونقل صريح أقوى منه أنّ المؤمن لا يخرج عن إيمانه بارتكاب الكبائر إذا لم يؤدّ إلى تكذيب الشّارع.

٢٤٦ هذه الفقرة (قال فأخبرني عن الساعة..... صيغة المفعولية) ليست موجودة في نسخة آيا صوفيا.

٢٤٧ ص حدث متكررة.

٢٤٨ صحيح البخاري، الإيمان ٢٥؛ صحيح مسلم، الإيمان ٥٨؛ مصابيح السنة، ١/١٢٦.

قلنا: معرفتي بذلك قرينة إخراج مثل هذا الحديث عن الظاهر. قال بعض الشراح<sup>٢٤٩</sup>/ [٣٨ظ] في الجواب والتأويل: أن النبي عليه السلام علم بإلهام الله تعالى أن من اجتمع فيه تلك الخصال يصير منافقًا، لكن ذلك في زمانه.

وقيل: المراد من المنافق، من كان ظاهره مخالفًا لباطنه، لا من كان كافرًا. وقيل: المراد من الحديث بيان أن من استمر على تلك الخصال يعلم بذلك أنه منافق<sup>٢٥٠</sup>.

قلنا: هذه توجيهات مخرجة هذا الحديث عن ظاهره، لكن الأوسط أوسط؛ لأن المنافق صنفان: منافق في الاعتقاد وهو كافر. ومنافق في العمل والصفة وهو فاسق.

ولكن لا تغفل أيضًا عن أن قوله عليه السلام: «خالصًا، وخصله منه» يدل بظاهره على أن يكون منافقًا حقيقيًا. وبمثل هذا الدليل الأظهر حكيم بذلك مثل الحسن البصري الكامل في العلم والعمل.

ويمكن أن يقال: لما وجد الآيات والأحاديث الراجحة على مثل هذا الظاهر القطعية الدالة<sup>٢٥١</sup> على أن المؤمن لا يخرج عن إيمانه بالكبيرة، يكون المراد من قوله: «خالصًا»، زيادة التحذير لوجود كثرة أمانة التفات واجتماع علامته فيه، أو بيان أنه منافق خالص في العمل، أو بيان أن الاجتماع والإصرار/ [٣٩و] يؤدي غالبًا إلى التفات الحقيقي. فأخرج الكلام مخرج الغالب للزجر عن ذلك بوجه بليغ، أو بيان شدة عذاب من اجتمع فيه تلك العلام للزجر البليغ؛ لأن المنافقين في الدرك الأسفل من النار.

وقد عرفت أن قوله عليه السلام في حديث آخر: «آية المنافق<sup>٢٥٢</sup> ثلاث»، لا يأتي في هذا

---

٢٤٩ قال أبو الفضل السبتي في شرحه على صحيح مسلم: أنه من المحتمل أن يكون الحديث محمولاً على أهل النفاق في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، لأنها كانت علامات المنافقين في زمانه، وأن الصحابة رضوان الله عليهم مطهرون من هذه النواقص. انظر: أبو الفضل، عياض بن موسى السبتي، إكمال المعلم بفوائد مسلم، تحقيق: الدكتور يحيى إسماعيل، ط ١ (مصر- دار الوفاء ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م)، ٣١٣/١.

٢٥٠ نقل القرطبي أقوال العلماء في هذا الحديث ومن ضمنها هذا القول وهو أنه محمول على من غلبت عليه هذه الخصال واستخف بأمرها ولم يبال بها. انظر: أبو العباس القرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، تحقيق وتعليق: محيي الدين ديب ميستو؛ أحمد محمد السيد؛ يوسف علي بديوي؛ محمود إبراهيم بزال، ط ١ (بيروت؛ دمشق - دار ابن كثير/ دمشق؛ بيروت - دار الكلم الطيب ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م)، ٢٥٠/١.

٢٥١ ف: الدلالة.

٢٥٢ ص: المنافقين.

الحديث؛ لأنّ الثّلاث لا يمنع الأربع، كما لا يمنع الأربع الزّائد عليه، وإن ذكر الثّلاث والأربع لاقتضاء المقام.



## باب الإيمان بالقدر

[١٢] قال النبي عليه السلام: «احتج آدم وموسى عليهما السلام عند ربهما، فحج آدم موسى»<sup>٢٥٣</sup> الحديث. خلاصة معنى الحديث أن روح آدم وموسى عليهما السلام تصوّرا<sup>٢٥٤</sup> بصورتهم، وقال موسى لآدم عليه السلام أسكنك الله تعالى في جنّته وأهبطت بخطيئتك ذريّتك، وأكلت من الشجرة المنهيّة في وجه الأرض، وارتكبت ذريّتك بسببك في المعاصي المؤدّية إلى العذاب. ولو لم تأكل من الشجرة؛ لبقوا في الجنّة وتخلّصوا من العصيان وعذابه. وقال آدم عليه السلام في الجواب: يا موسى أنت قرأت التّوراة وعلمت فيها أن الله تعالى قدّر عصياني قبل وجودي/ [٣٩ظ] بأربعين عامًا، أفتلومني على ذنب قدّره الله تعالى قبل خلقي؟ فغلب آدم على موسى بالحجّة وألزمه، وعلى جوابه وإلزامه اعتراض مشكّل؛ لأنّ تقدير ذنب آدم قبل خلقه لو كان رافعًا للوم عليه، لكان تقدير ذنوب بنيه قبل خلقهم دافعًا للعذاب عنهم لعدم قدرتهم حينئذ على ترك الذّنب. وأجاب بعض الشّراح عنه بأن يقال لوم موسى كان بعد توبة آدم وغفران الله<sup>٢٥٥</sup>، ولذا لم يكن موجّهًا.

وقيل: كان محاجّتهما بعد خروج آدم عن دار التّكليف؛ ولذا أُفجم موسى عليه السلام<sup>٢٥٦</sup>. وقيل: اللوم والتّوبيخ على ذنبه مخصوص بالله فلم يكن لوم موسى موجّهًا. وقيل: كان لومه بعد ظهور الحقائق في الآخرة؛ ولذا ألزم موسى عليه السلام. يقول الفقير: تلك الأجوبة غير مناسبة لمتن الحديث؛ لأنّ آدم عليه السلام قال في الجواب أفتلومني على عمل قدّره الله تعالى قبل خلقي؟ مع أنّ الخروج عن دار التّكليف لا يرفع

٢٥٣ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ صحيح مسلم، كتاب القدر ٢؛ مصابيح السنة، ١/١٣٢.

٢٥٤ ف تصور.

٢٥٥ هذا ما ذهب إليه ابن عبد البر، قال: أنّ المناظرة التي وقعت بينهما كانت بعد أن تاب الله عز وجل على آدم عليه السلام قطعاً كما قال تعالى: ﴿فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة، ٣٧] فحسّن منه أن ينكر لوم موسى عليه السلام على أكله من الشجرة، لأنّه قد تيبّ عليه، وإلا لا يجوز لمن لومه على معصيه أن يقول له ليس لك أن تلومني عليه. انظر: أحمد بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، إخراج وتصحيح: محب الدين الخطيب، تعليق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (بيروت - دار المعرفة ١٣٧٩هـ)، ٥١٠/١١.

٢٥٦ ص - عليه السلام.

اللّوم، وإلا، لا يكون أحد من العصاة ملومًا على عصيانه في الآخرة. ولو كان اللّوم والتوبيخ مخصوصًا بالله تعالى؛ لا يكون لتوبيخ الأنبياء أو العلماء/ [٤٠و] في الدنيا، وتوبيخ الملائكة في الآخرة على العصاة وجه، وليس كذلك.

وأيضاً يظهر في الآخرة حقيقة الأمر والحال في مسألة القضاء والقدر، ولا ندفع ذلك الظهور واللّوم والتعذيب على المعصية. فلا بدّ في دفع ذلك الاعتراض القويّ من جواب شاف وكلام واف، فنقول معتصمًا بعون الله تعالى وفضله الشّامل وتوفيقه الكامل؛ أعلم أنّ ظاهر قول آدم عليه السّلام: أفتلومني؟ يدلّ على الجبر والاضطرار كما ذهب إليه جمهور الشّافعيين؛ لأنّهم يقولون قدرة العبد غير مؤثرة في أفعاله الاختيارية كما لا تؤثر في أفعاله الاضطرارية. لكن يصحّ اللّوم والتّعذيب على فعل خارج عن قدرته بأن لم يقدر على تركه واختيار غيره؛ لأنّ الله تعالى مالك حقيقيّ يفعل في ملكه ما يشاء، ولا يسأل عمّا يفعل ولا يعترض عليه؛ لأنّه لا يتصرّف في ملك الغير، ويكفي في كون العبد مكلّفًا وفعله مدارًا للتّواب والعقاب، كونه محلاً لخلق الطّاعة والمعصية.

### [أقوال بعض العلماء في هذه المسألة]

والحنفيّون يقولون: لقدرة العبد واختياره تأثير في أفعاله الاختيارية/ [٤٠ظ]. فيكون إلزام آدم موسى عليهما السّلام بقوله: أفتلومني؟ على عمل قدره الله قبل خلقي هادماً مذهبهم؛ لأنّ ذلك يدل على أنّ لا تأثير لقدرة العبد في أفعاله الاختيارية؛ لأنّه لا يقدر على مخالفة ما قدر الله تعالى عليه بسبب قدرته وإرادته.

فيلزم منه أن يكون مجبوراً في أفعاله لسبق تقدير الله فيها، إذ لو كان لقدرته تأثير<sup>٢٥٧</sup>؛ تيسر لموسى أن يقول لآدم ولك قدرة مؤثرة وإرادة واختبار في ترك الأكل عن الشّجرة المنهيّة، ولم تعلم أنت تقدير الله أكلك في ذلك الوقت، ولم تمتنع عنه ولم تختّر إطاعة أمر الله فلا بدّ لهم من الجواب، فيمكن أن يقال على مذهبنا المنصور المتحامي عن طريقي الإفراط والقصور أنّ للأفعال الاختيارية تعلّقين: تعلّقاً بقدرة الله على وجه الخلق والإيجاد بالاستبداد، وتعلّقاً بقدرة العبد على وجه الكسب بدون الانفراد، فمدار اللّوم والعقاب والمدح والتّواب ذلك الكسب والاختيار.

فإن قلت قدرة الله تعالى غالبية ومستقلة، وقدرة العبد مغلوبة تابعة فلا يقدر العبد على أن يفعل خلاف/ [٤١و] ما قدره الله تعالى وأراده قبل خلق العبد. فيلزم من ذلك الجبر والاضطرار وعدم القدرة والاختيار. فكيف تكون قدرته واختياره مدار الثواب والعقاب؟ قلنا: نعم الأمر كذلك إذا نظرت إلى ذات القدرتين والإرادتين، لكن إذا تدبرت في أنّ سنة الله تعالى جارية على أن لا يوجد الأفعال الاختيارية إلا بعد تعلق قدرة العبد وتوجهه واختياره تلك الأفعال الاختيارية، وإن كان الله تعالى قادراً<sup>٢٥٨</sup> على عدم خلقها بعد توجه العبد وإرادته إياها، وعلى خلقها بدون واسطة قدرة العبد واختياره، وفي أنّ الأمر والنهي وإنزال الكتب وإرسال الرسل، وأمرهم بغاية الجِدِّ والاجتهاد في الدَّعوة والتبليغ، ومحبة المطيعين والإحسان إليهم، وعداوة العاصين، وإباحة قهر الكفار، وقتلهم، وسبي أموالهم وأولادهم، والمدح والوعد بالجنة، والقربة والكرامة على عبادة المطيعين وأعمالهم، والذم والوعيد بالنار وأنواع العذاب على عصيان المذنبين وأفعالهم، فهتّم ما نقول فلم نحتج إلى زيادة الاطناب والكشف/ [٤١ظ] في سرّ القضاء والقدر، ولصعوبة كشف هذا المقام زعمت المعتزلة أنّ العبد مستقلّ في أفعاله الاختيارية، وقادر على مخالفة إرادة الله تعالى، وأن لا تأثير لقدرة الله تعالى في أفعاله الاختيارية.

وقالوا: هذا الحديث حكاية عن اليهود، إلا أنّ الراوي لما دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلّم وظنّ أنّه خبر عن نفسه، وقال بعضهم آدم منصور والغالب هو موسى. واعلم أنّ ما قاله الشافعيون لنظرهم إلى مجرّد قدرة الله تعالى القاهرة نحن ملتزمون ومعترفون به، لكنّا نقول لله الحكمة القاهرة أيضاً، فلا بدّ من الجمع بينهما، يعني: سلّمنا أنّ الله تعالى مالكٌ مطلقٌ يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، فلا رادّ لقضائه ولا مانع لحكمه، كما أشار إلى ذلك لقوله تعالى: ﴿لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [الرعد: ٣١] ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠].

ولكنّا نعلم أيضاً أنّ حكمه وفعله غيرُ خارج عن نسق الحكمة والعادة الإلهية، إلا في موضع الاحتياج إلى خرق العادة، وأنّ الوعد والوعيد على أفعال العباد وإضافتها إليهم، وتعلق الرضا والسخط، والمدح والذم عليها في مواضع لا يحصى، ليس بمجرّد خلق الأفعال في

٢٥٨ ف: قادر.

ذواتهم/ [٤٢و] كما توهم؛ لأنّ ذلك خارج عن طريق الحكمة ونَسَقِ الفطرة، بل كان ذلك التعلّق أخلق الأفعال الاختيارية بتوجّه العبد على سبيل السنّة الإلهية، لا على الايجاب والعلية.

فإن قلت: التوجّه والاختيار يوجد بخلق الله تعالى فيلزم الجبر.

قلنا: التوجّه والإرادة أمر اعتباري، لا يحتاج إلى فاعل ولو سلّم. قلنا: يجوز أن يخلق الله تعالى إرادتنا على أن تعلّق قدرتنا بالفعل، أو التّرك على سبيل الجواز والاختيار، لا على سبيل الوجوب والاضطرار، كما أنّه تعالى فاعل مختار لم يلزم من إيجاده بالإرادة، ووجوب الإيجاد بحسب الدّات.

فإن قلت: إرادة الله تعالى قديمة وإرادة العبد حادثة. قلنا: كلامنا على أنّ الفعل والتّرك مع الإرادة لا يؤدّي إلى الجبر، سواء كانت الإرادة قديمة أو حادثة.

وإذا عرفت هذا القدر من التّحقيق في هذا المقام الدّقيق، وأردت معرفة وجه الجواب المستقيم في إزام آدم موسى عليهما السّلام حتّى خرجت عن شبهة الجبر، فاعلم أنّ قول آدم عليه السّلام: «أفتلومني على عمل قدره الله تعالى قبل خلقي؟» مشتملٌ على القيد من كون موسى عليه السّلام/ [٤٢ظ] مباشرًا في اللّوم، وكون ذنب آدم عليه السّلام مقدّرًا قبل وجوده، فيكون الكلام نصًّا في بيان دَينِكَ القيدين، فظاهرًا وإشارة في غيرهما، لما عرفت في الأصول أنّ سوق الكلام المقيد مثبتًا كان، أو منفيًا يكون لأجل بيان القيد، فذهب البعض إلى أنّ الإنكار المستفاد من الهمزة في: (أفتلومني)؛ تكون لكون موسى عليه السّلام<sup>٢٥٩</sup> في لومه، وقد عرفت أنّ لا وجه له<sup>٢٦٠</sup>، فتعيّن أن يكون الإنكار راجعًا إلى لومه على عمل مقدّر قبل وجود آدم عليه السّلام، فتوجّه الاعتراض المشكّل، فيجب على مذهبنا المنصور أنّ عصيان آدم عليه السّلام صدر بوجوده بواسطة القدرتين، فلا بدّ فيه من ملاحظتهما، لأنّه فعل اختياري، لكن لما نظر موسى عليه السّلام فيه إلى<sup>٢٦١</sup> مجرد قدرة آدم عليه السّلام لقوله: (قد أهبطت بخطيئتك)، وهذا يشعر ظاهرًا بعدم اعتبار قدرة الله تعالى التي هي الأصل والمستقلّة بحسب الدّات. وإن كان تأثيرها موقوفًا على توجّه العبد باعتبار السنّة

٢٥٩ ص، مباشرًا

٢٦٠ ص - له.

٢٦١ ص لا مجرد.

الإلهية، فيكون إنكارُ آدم عليه السّلام بقوله: (أفتلومني؟) راجعًا إلى تخصيص موسى عليه السّلام قدرة آدم عليه السّلام بصدور المعصية، لا إلى [٤٣و] تبرئة نفسه من تلك المعصية، وعدم تعلق قدرته واختياره لها، لما عرفت أنه عليه السّلام قال: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا﴾ [الأعراف: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ [طه: ١٢١]، وقال: ﴿أَلَمْ أَنهَكُمَا عَن تِلْكَمَا الشَّجَرَةَ﴾ [الأعراف: ٢٢]، وقال: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾ [البقرة: ٣٦]، وقال: ﴿أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا﴾ [طه: ١٢٣]، فلا تغفل عن الجمع والنكته.

فإن قلت الأدب أن ينسب آدم ذنبه إلى قدرته، وكسبه واختياره، وإن كانت قاصرة بحسب الذات. قلنا: ذلك مسلم في موضع التضرع والتوبة، لكن لما كان المقام موضع المناظرة والإلزام، والمباحثة والإعلام، يجوز أن يعتبر الجانب الأقوى.

وإذا عرفت ذلك فاعلم أنّ إلزام آدم موسى عليهما السّلام بتزيف دليله، لا بتضعيف مدّعه، وكأنه<sup>٢٦٢</sup> قال: إني مستحق باللوم والتوبيخ؛ لصدور العصيان مني، لكنك يا موسى أخطأت بإسناد تلك المعصية إلى قدرتي بعبارة دالة في الظاهر على استقلاله فيه، مع أنك نبي عارف بأن الأصل المستقل<sup>٢٦٣</sup> فيه قدرة الله تعالى، فاللائق بشأنك أن تنظر إلى الجانبين، لما عرفت أنّ النظر بأحدهما مجردًا ينبئ عن الجبر أو القدر، وأمثال هذه النكته كثيرة/ [٤٣ظ] منها قوله عليه الصّلاة والسّلام لأبي هريرة: «جفّ القلم بما أنت لاقٍ فاختص أو ذر»<sup>٢٦٤</sup>، يعني أنّ أبا هريرة<sup>٢٦٥</sup> نظر إلى السبب وزعم أنّه قام في وجود المسبب ودفعه، وقال لا أريد أن أختصي حتى أسلم من سوء الشهوة الباعثة إلى الزنا أو التّاهل، فردّ النبي عليه السّلام كلامه لتأدّبه بظاهره إلى مجرد ملاحظة السبب، وترك الطرف الأقوى، وذهوله عن أنّ تأثير الأسباب باعتبار السنّة الإلهية، لا باعتبار الإيجاب والعلية، إذ لو أراد الله أمرًا مخالفًا للعادة والسبب، يوجد ذلك الأمر، ولا يندفع ذلك بانعدام السبب العادي. فإنّ الولد أو الزنا لا يندفع بانعدام الخصية، إذ يجوز أن يحصل إثم الزنا أو الولد بمجرد السحق واللمس بالشهوة، أو إنزال الماء بدون الآلة لقوة الشهوة، لا لملاحظة السبب؛ لأنّ ذلك مشروع

٢٦٢ ص فكأنّه.

٢٦٣ ص والمستقل.

٢٦٤ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ مصابيح السنة، ١/١٣٥.

٢٦٥ ص + رضي الله عنه.

ومستحسن، لما عرفت أنّ بعثه الانبياء وإنزال الكتب ووضع الشّرع لبيان أنّ للأسباب دخلاً وتأثيراً، وإن لم يكن مستقلةً، والأحاديث الدّالة على ذلك كثيرة، كقوله عليه السّلام<sup>٢٦٦</sup>: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرّانه أو يمجّسانه»<sup>٢٦٧</sup> يعني أنّ خلقه الإنسان/ [٤٤و] تدلّ على أنّه مخلوق للعبادة والطّاعة وقابل لها، لكنّ أبواه يغويانه ويخرّجانه عن فطرة الله التي فطر الناس عليها، وفيه رمز إلى أنّ للإغواء ومصاحبة الفجّار أثرًا في فعل المعصية، كما أنّ للدّعوة والنّصيحة أثرًا في فعل العبادة وتحصيل الاستقامة، فيندفع بذلك التّوجيه شبهة الجبر عن قوله: أفتلومني على عمل قدّره الله تعالى قبل خلقي؟

فإن عدت وقلت: قد تعلق علم الله تعالى في أزل الأزال بصدور المعصية عن آدم، وعدم صدوره عنه محال، فلا يقدر على تركها بخلق القدرة والاختيار فيه، سواء كانت قدرته مؤثّرة أو غير مؤثّرة.

قلنا: تعلق علم الله تعالى بمعصيته على تقدير أن يفعلها بقدرته واختياره؛ بمعنى أن يتوجّه عليها ويختارها، فيخلق الله تعالى إيّاها بعد ذلك على وجه العادة وطريق السنّة الإلهيّة، فلا يلزم الجبر، وهذا معنى قول بعض العلماء: أنّ العلم تابع للمعلوم، والإرادة تابعة للمراد، يعني تعلق علمه تعالى وإرادته في الأزل بالمعلومات، والموجودات المترتبة في الوجود العينيّ على نسق أن يختارها المكلفون ويتوجّهون/ [٤٤ظ] إلى فعلها، لا على ما يخالفهما.

فتأمل ذلك، فإنّه دقيق وبالتّحقيق حقيق، وهذا قريب ممّا يقوله بعض المشايخ؛ إنّ الممكنات الموجودة المترتبة اقتضى كلّ واحد منها ما يناسب استعداده في النّشأة العلميّة والوجود العينيّ. وأفاض<sup>٢٦٨</sup> الله تعالى على كلّ واحد منها من الأوضاع والأوصاف والأعراض على حسب ما يقتضيه، ويحكم على الله تعالى به، ولا يمكن المخالفة؛ لأنّه خارج عن الحكمة، لكن فيه بعض الخروج عن ظواهر الشّرع.

واعلم أنّ معرفة ما قدّر لكلّ أحد في الأزل لا يمكن، حتّى يشرع في العمل على وفقه، بل المعلوم له أنّه مأمور بفعل الطّاعة على غاية الإمكان والقدرة، ومنهبيّ عن اجتناب المعصية على قدر الطّاقة، فالواجب على كلّ مكلف أن يجتهد في العبادة، ويحترز عن المعصية، ولا

٢٦٦ ف تعالى.

٢٦٧ صحيح البخاري، الجمعة، ٢١٧؛ صحيح مسلم، القدر ٢٦٥٨؛ مصابيح السنة، ١/١٣٦.

٢٦٨ ف: أفاض

يتهاون في أمر العبادة والاجتناب عن المعصية، معللاً بأن العبد لا يقدر على الخروج عما قدر له.

فإن كل عاقل يعلم أنه يفعل كل اختياري بلا اضطرار، ويتركه بلا إجبار، وطلب الدليل للأمر الوجداني والعادي غير مستقيم، وأن الله تعالى رغبه في العبادة ومدحه على فعلها ووعدّه/ [٤٥و] بالجنة عليها، ومنع عن المعصية وذمه وأوعد بالنار والعقوبة عليها. وأن الخلف في وعده ووعيده محال، فالواجب على كل متدين أن لا يتجاوز عن هذا المقدار فما وراءه أغوار وأخطار.

### باب عذاب القبر

[١٣] قال النبي عليه السلام: «المسلم إذا سئل في القبر: يشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمدًا رسول الله»، فذلك قوله تعالى: ﴿يُنَبِّئُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، «وإذا قيل له من ربك وما دينك ومن نبيك؟ يقول: ربّي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد»<sup>٢٦٩</sup>.

[١٤] وفي رواية أنس رضي الله عنه: «أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ لمحمد صلى الله عليه وسلّم، يقول المؤمن: أشهد أنه عبده ورسوله، فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار وقد أبدلك الله به مقعدًا من الجنة فيراها جميعًا». وأما المنافق والكافر يقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل لمحمد؟ فيقول: لا أدري، كنت أقول ما يقول<sup>٢٧٠</sup> الناس، فيقال له: لا دريت ولا تليت، ويضرب بمطرقة من حديد ضربةً فيصيح صيحة يسمّعها غير الثقلين»<sup>٢٧١</sup>.

[١٥] عن عبد الله بن عمر رضي الله عنها أنه<sup>٢٧٢</sup>: «إذا مات أحدكم/ [٤٥ظ] عرض عليه مقعده بالعادة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار فيقال<sup>٢٧٣</sup>: هذا مقعدك<sup>٢٧٤</sup> إلى أن يبعثك الله إليه في يوم القيامة»<sup>٢٧٥</sup>.

٢٦٩ صحيح البخاري، كتاب الجمعة ٢١٧؛ سنن أبي داود، السنة ٢٧؛ مصابيح السنة ١/ ١٥٤.

<sup>٢٧٠</sup> ص، يقوله.

٢٧١ صحيح البخاري، كتاب الجمعة ٢١٧؛ سنن النسائي، الجناز ١١٠؛ مسند أحمد ١٩/ ٢٨٩؛ مصابيح

السنة، ١/ ١٤٧.

<sup>٢٧٢</sup> ص، +قال.

<sup>٢٧٣</sup> ص، +له.

[١٦] وفي رواية أبي هريرة رضي الله عنه: «أتاه ملكان أسودان أزرقان، يقال لأحدهما: النكير، وللآخر: المنكر، فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول المؤمن: هو عبد الله ورسوله، أشهد أن لا إله إلا الله، وأنّ محمداً عبده ورسوله، فيقولان: قد كنّا نعلم أنّك تقول هذا، ثمّ يفسح له في قبره سبعون ذراعاً في سبعين ذراعاً، ثمّ ينور له فيه، ثمّ يقال له: نم، فيقول: أرجع إلى أهلي وأخبرهم عن حالي، فيقولان: نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحبّ أهله إليه، حتى بيعته الله عن مضجعه ذلك، وإن كان منافقاً يقزل: سمعت الناس يقولون<sup>٢٧٦</sup> قولاً، فقلت مثله، لا أدري، فيقولان: قد كنّا نعلم أنّك تقول ذلك، فيقال للأرض: التّمتي عليه، فيلتئم عليه، فتختلف أضلاعه، فلا يزال فيه معذباً حتى بيعته الله من مضجعه»<sup>٢٧٧</sup>.

وفي رواية البراء بن عازب رضي الله عنه: «فيقولان للمؤمن: ما يُدْرِيكَ؟ فيقولُ / [٤٦و]: قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ تَعَالَى فَأَمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ صَدَقَ عَبْدِي فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْبِسْهُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُفْسَحُ لَهُ فِيهِ مَدَدَ بَصَرِهِ». وأما الكافر فذكر شدة موته قال: «فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فيقولُ: هَاهُ هَاهُ، لَا أَدْرِي فَيَقُولَانِ: مَا دِينُكَ؟ فيقولُ: هَاهُ هَاهُ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فيقولُ: هَاهُ هَاهُ لَا أَدْرِي. فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ النَّارِ وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ»، قال: «فَيَأْتِيهِ مِنَ حَرِّهَا وَسُمُومِهَا وَيُضَيِّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ، ثُمَّ يُقَيِّضُ لَهُ أَعْمَى أَصَمُّ أَبْكَمٌ فِي يَدِهِ مِرْرَبَةٌ لَوْ ضُرِبَ بِهَا جَبَلٌ كَانَ تُرَابًا، فَيَضْرِبُهُ ضَرْبَةً فَيَصِيرُ تُرَابًا، فَيَضْرِبُهُ ضَرْبَةً فَيَسْمَعُهَا مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ، فَيَصِيرُ تُرَابًا ثُمَّ يَعَادُ فِيهِ الرُّوحُ»<sup>٢٧٨</sup>.

وفي رواية أبي سعيد رضي الله عنه: «يَسْلُطُ عَلَى الْكَافِرِ فِي قَبْرِهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ تَنِينًا تَنْهَشُهُ وَتَلْدَعُهُ حَتَّى / [٤٦ظ] تَقُومَ السَّاعَةُ، وَلَوْ أَنَّ تَنِينًا مِنْهَا نَفَخَ فِي الْأَرْضِ مَا أَنْبَتَ

<sup>٢٧٤</sup> ص، مقعد.

٢٧٥ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ النسائي، الجنائز ١١٦؛ مسند أحمد، ٩/١٢٨.

<sup>٢٧٦</sup> ص، يقول.

٢٧٧ سنن الترمذي، الجنائز ٧٠؛ مصابيح السنة، ١/١٤٧.

٢٧٨ سنن أبي داود، السنة ٢٧؛ مسند أحمد، ٣٠/٥٧٨؛ مصابيح السنة ١/١٤٨.

خضراً»<sup>٢٧٩</sup>.

اعلم أيها المتعلم المسترشد: قد وقع في عبارات الأحاديث في هذا الباب اختلافات كثيرة في صفة الملكين، وقولهما، وفي حال الميت وقبره، فلا بد لك فيه من التوفيق؛ لما عرفت أن لا تعارض في كلام الشارع؛ لأن ذلك إما للجهل، أو للتقذر على الخطأ والنسيان في أمر الدين، ونبينا عليه السلام مصون عنهما بفضل الله تعالى. فنقول أيضاً: فيه وبالله التوفيق في الكلام الدقيق قاعدة كلية ضابطة لتأويل هذه الأحاديث وأمثالها؛ لأنها كثيرة في كلام الشارع، فلا بد فيها من معرفة أصل كلي، حتى يقدر المستدل بها على التأويل والتوفيق، ووجه التقفي عن التردد فيها وفي أمثالها<sup>٢٨٠</sup>. فاعلم أن الاختلاف بين الأحاديث في قضية واحدة، ومعنى واحد قد يكون بالتقصان والزيادة، وقد يكون بالتركيب والعبارة، وقد يكون الاختلاف في حدث واحد<sup>٢٨١</sup>، وقد يكون بالتأويل والدلالة.

والأول: قد يكون بذهول السامع عن الزائد لنومه وغفلته، أو لحيثه بعد صدور [٤٧و] بعض الحديث، أو لذهابه قبل تمامه، أو لنسيانه بعض ألفاظه، هذا إذا كان زمان صدور الحديثين المختلفين واحداً، وإن كان زمانهما مختلفين؛ يحتمل أن يكون الاختلاف المذكور لذلك، وأن يكون باعتبار الحال والمقابلة؛ لأن النبي عليه السلام أفضل الخطباء، وأكمل البلغاء يؤدي المقصود الواحد بعبارات مختلفة في الإيجاز والإطناب، والتفصيل والإجمال. وقد يزيد في الكلام وينقص، ويبالغ ويتساهل في الوعد والوعيد، والترغيب والترهيب نظراً إلى حال المخاطبين واقتضاء المقام.

وقد يخص بعض أرباب الأصول ما ذكرناه بالاختلاف الناشئ من الروايتين أو أكثر، ويحمل الاختلاف الناشئ من راوٍ واحد على غفلته عن الزائد ونسيانه، وأنت تعرف أن باقي الاحتمالات متأت فيه، لكن ينبغي أن تعرف بعض المقترضات حتى يستصوب الاختلافات، ولا تستنكر بذهولك عن أسبابها.

فاعلم أن مقتضى قد يكون حال المتكلم، أو السامع أو الوقت؛ لأن المتكلم قد يكون في بعض الأوقات على الشوق والنشاط، والحرص وشدة [٤٧ظ] الرغبة في صوغ الكلام، أو

٢٧٩ سنن الدارمي، الرقاق ١/٦٧٥؛ مسند أحمد، ١٧/٤٣٤؛ مصابيح السنة، ١/١٥٠.

٢٨٠ ص - وفي أمثالها.

٢٨١ ص - في حدث واحد.

في غاية الاهتمام بحال السامع في نظم الكلام على وجه التفصيل والتصريح، فييسط كلامه ويطب نظامه. وقد يكون في بعض الأوقات على خلاف تلك الأحوال، فيؤخر كلامه ويؤجل. وقد يكون المقتضى حال السامع أيضاً، بأن يكون حريصاً وراعياً في استماع المتكلم، ويتبرك ويتشرف به، أو يكون في فهمه فتور<sup>٢٨٢</sup> قلبه فُصُور، ويكون المتكلم مراعيًا حاله، فيقتضي ذلك إطناب الكلام، فييسط المتكلم في كلامه أيضاً. وقد يكون حال المخاطب على خلاف ذلك، فيقتضي الاختصار فيؤخر المتكلم كلامه. وقد يكون المقتضى الوقت والحال، بأن يكون المقام مقام التضرع والتوبة، أو السؤال والشكابة، أو المدح والثناء وعرض الحاجة، أو الوعد والوعيد على وجه التأكيد، أو التيسير والتحرير، أو الترخيب والتنفير، واللوم والتغيير على وجه المبالغة؛ فتقتضي ذلك البسط والإطناب فييسط الكلام. وقد يكون الوقت والحال على خلاف ذلك فيقتضي الإيجاز فيؤخر.

وما أضفنا من الأحوال إلى المقام يجوز أن يعتبر في المتكلم والسامع أيضاً/ [٤٨و] فينحصر مجموع المقتضيات والأحوال فيهما، لكن لما جرى عرف أرباب المعاني على إضافة الأحوال المذكورة إلى المقام، خصصنا بعض الأحوال بالمقام على ذلك العرف والطريقة. والثاني: قد يكون للتعين في نظم الكلام على تأدية معنى واحد؛ لاقتضاء المقام، وقد يكون لجهة النقل بالمعنى.

والثالث: قد يكون لعدم تعيين المعنى المجازي للمؤول بعد ثبوت قرينة صارفة عن إرادة المعنى الحقيقي، فيقع الاختلاف في تأويل الحديث الوارد في معنى واحد، فاحفظ هذه الضابطة النافعة أيضاً، كما حفظت قبل هذا قاعدة الجمع والتوفيق، وضابطة الترجيح والتحقق في دفع التعارض الظاهري، وتصحيح الأحاديث المخالفة للأصل الأصولي، حتى ينكشف لك الأمر أيضاً في اختلاف الأحاديث بالزيادة والتقصان، أو بالعبرة والتبيان، أو بالتأويل والبيان في معنى واحد. وإن أردت زيادة التوضيح والتصريح، وعدم الاكتفاء بالقاعدة الرافعة تردّدك في الاختلاف المذكور/ [٤٨ظ] في أحوال القبر وأهله واختلاف أمثاله، فاعلم أنه يجوز أن يكون جميع الأحوال موجودة في كلّ قبر من قبر المؤمن والكافر، لكن بين النبي عليه السلام أحوالهما تارة مفصّلة، وتارة مجمّلة بحسب اقتضاء المقام ذلك، فيكون الموجب

مندرجًا في الجمل والمختصر بعضهما من الزائد، مثلًا، يجوز أن يكون الملكان في كل قبر مشحّصين، فيأتيان كل كافر إذا وُضع في قبره وتولّى عنه أصحابه، وإنّه ليسمع قرع نعالمهم فيعاد روحه، ويقال لأحدهما المنكر وللآخر النكير، وهما أسودان أزرقان، أصمّان أعميان، يُجلسان كل كافر ويقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل محمد؟ فقال: هاه هاه، لا أدري وكنت أقول ما يقوله الناس، فيقولان: لا دريت ولا تليت، وقد كنّا نعلم من قبل هذا أن تقول كذلك، فينادي منادٍ من السماء أن كذب فأفرشوه من النار، وألبسوه من النار، ويعرض عليه مقعده في جهنّم بالغداة والعشي، ويقال للأرض: التّمي فيلتئم فتضيق حتّى تختلف فيه أضلاعه، ويُسلطُ عليه تسعة وتسعون تينًا/ [٤٩و] تنهشه وتلدغه حتّى تقوم الساعة، لو أنّ تينًا منها نفخ في الأرض ما أنبت خضرًا، ويضربه الملكان أيضًا بمزّية من حديد لو ضرب بها جبلًا، لصار ترابًا، فضرب بها ضربٌ يسمع ما بين المشرق والمغرب إلّا الثقلين، فيصير ترابًا، ثمّ يعاد روحه بفعل هكذا إلى يوم القيامة.

لكن أخبر النبي عليه السلام عن هذه الأحوال في مجالس متعدّدة، بعبارات متفاوتة في التّركيب، متّحدة في المقصود، تارةً على وجه الإطناب والتمام، تارةً علة وجه الإيجاز والإجمال؛ لاقتضاء المقام ذلك، وقس عليه أحوال قبر المؤمن في اختلاف العبارة، واتحاد المقصود، والإيجاز والإطناب.

ويجوز أن يقال الملكان متعددان؛ لأنّ ملكان نكرة، وأن يكون الميّت متعدّدًا، فيكون اختلاف الأحاديث لاختلاف أحوال القبر، لما عرفت أنّ اختلاف الأعمال يقتضي اختلاف الأحوال في القبر والحشر، والميزان والحساب، والجنة والنار.

وقد بيّن الإمام الداعي<sup>٢٨٣</sup> إلى الله في الدرة الفاخرة<sup>٢٨٤</sup> تفاصيل أحوال القبر وأهله، بحيث لم

---

٢٨٣. أبو حامد، محمد بن محمد الغزالي من أهل طوس، ولد في ظاهر الطابران في طوس سنة ٤٥٠هـ، وتوفي فيها سنة ٥٠٥هـ، قرأ الفقه على أحمد الدادكاني، لازم أبا المعالي الجويني بنسايور. اجتهد في المذهب، والخلاف، والجدل والمنطق، وقرأ الفلسفة والحكمة، وفهم كلام هذه العلوم ورد عليها وأبطل مدعاهم، وصنف في هذه العلوم. كان ذكيًا فطنًا قوي الإدراك، كان أفقه أهل زمانه وأنظر أقرانه، وظهرت بتتقيحاته فضائح المبتدعين، ونصر السنة وأظهر كلمة الدين. له مصنفات عديدة منها: «إحياء علوم الدين» «بداية الهداية» «المنقذ من الضلال» «المنحول» «المعيار» وغيرها. انظر: تقي الدين المقريري، **المقفي الكبير**، تحقيق: محمد اليعلاوي، ط ٢ (بيروت- دار الغرب الإسلامي ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م)، ٤٤/٧-٤٦.

يذكر / [٤٩ظ] تلك الأحوال في الكتب المشهورة ولا بُعدَ ذلك، بل لعلّ احوالاً<sup>٢٨٥</sup> أخرى لهم لم يذكرها النبي عليه السلام؛ لقصور فهم السامعين عن إدراكها، لكن ظاهر عبارة الحديث يدلّ على أنّ الاختلاف من جهة الإيجاز والاطناب، والزيادة والتقصان بحسب اقتضاء الحال والزمان؛ لأنّ قوله عليه السلام: «المسلم إذا سئل في القبر»، وقوله: «وأما المنافق والكافر»، وقوله: «إنّ أحدكم إذا مات»، وقوله: «إذا قُبر الميت»، يدلّ في الظاهر على أنّ حال كلّ ميّت ما ذكر في الأحاديث المذكورة.

فإن قلت: يمكن أن يقال اللّام في المسلم والميّت، والمنافق والكافر للجنس، أو للعهد الزمّي، لا للاستغراق. ومعنى (أحدكم)؛ بعضكم.

قلنا: يجوز ذلك بالاحتمال العقلي، لكن تعرف أنت الفرق بين التّأويل والتّحقيق، ويجوز أيضاً أن يقال بعض أحوال المؤمن والكافر في بعض الوقت، وبعضها في بعض الوقت حتّى لا يلزم التّدافع الظّاهريّ، وأن يقال أيضاً الزيادة والتقصان؛ لذهول بعض السامعين عن الزائد، لبعض الموانع التي ذكر تفصيلها، لكن ذلك تأويل مرجوح لا يناسب / [٥٠] المقام ومتن الحديث.

وقد ذهب بعض أهل الأهواء إلى أنّ العبارات المختلفة في أحوال قبر المؤمن والكافر تمثيل للآلام واللذات الروحانيّة، حتّى تتقرّر في ذهن السامع، وهذا باطل؛ لأنّك عرفت أنّه لما لم يمتنع المعنى الحقيقي بالبرهان إلى المعنى القطعيّ من التّقلي، أو العقلي في التّصوص الواردة في أحوال القبر وأحكام المعاد<sup>٢٨٦</sup>، لا يعدل عنه إلى المعنى المجازي، لأنّ أكثر أحكامها على خلاف العرف والعادة، فلو أُخرجت عن ظواهرها بقريظة مخالفتها للعرف والعادة، لوَقَعَ الخلل في عقائد العوام ومالوا إلى مذهب أهل الأهواء. ورد جميع أحوالها إلى الروحانيّة كما قالت

---

٢٨٤ كتاب الدرّة الفاخرة في كشف علوم الآخرة للإمام أبي حامد الغزالي. / انظر: أبو حامد الغزالي، الدرّة الفاخرة

في كشف علوم الآخرة، ضبط وتعليق: موفق فوزي الجبر، / ١، (دمشق- الحكمة ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م)،

ص: ٢٧-٣٠.

٢٨٥ ص، أحوال.

٢٨٦ ص + كما عدل عن الظاهر في خبر ذبح الموت في صورة الكبش ووزن الأعمال في صور الأجسام، لأنّ الغرض

لا يكون جسماً لا متناع (لا مشاع). قلت الحقائق فيكون ذلك تمثيلاً لانقطاع الموت واعلام تسوية مقادير

الاعمال.

المعتزلة: أنّ الميّت إذا مات يبطل بنيته وحواسه، فلا يتيسر له الإدراكات المحسوسة، فيكون ذكر أحوال الميّت وبيانها بالأمر الجسمانيّ للترغيب والترهيب.

لكن من تَخَصَّص عن ذلّة الخمود والبلادة، وتعارض الوهم والغبوة، يفهم أنّ الله تعالى قادر على أن يجمع جميع الحواس الظاهرة والباطنة في ذرّة من تراب الميّت، فيلتدّ بسببها بجميع اللذات الجسمانيّة والروحانيّة، ويتألّم بالأمها/ [٥٠ظ]، فلا يخرج الأحاديث الواردة في أحوال الميّت والقبر عن ظاهرها، ويأول تلك الأحاديث بما ذكرنا، ولا يزيغ عن المنهج الشرعيّ المستقيم بالتوهّمات الباطلة، نعم قد يُخْرِجُ بعض أهل السنّة بعض النصوص الشرعيّة الواردة في أحوال الآخرة عن ظاهره بمخالفة مفهومه للعادة، وستعرف تحقيق أمثاله في أحوال أهل الجنّة والنار وما يشاكلهما.

### باب الاعتصام بالكتاب والسنّة

[١٧] قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: هجرت إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يوماً، فسمع صوت رجلين اختلفا في آية، فخرج يعرف في وجهه الغضب فقال: «إنّما هلك من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب»<sup>٢٨٧</sup>.

[١٨] وقال أيضاً في موضع آخر: «ذروني ما تركتكم، وإنّما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم، وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم فإذا نهيتكم عن شيء فدعوه»<sup>٢٨٨</sup>.

فإن قلت: قال النبيّ عليه السّلام في كتاب العلم: «هَلَّا تَسْأَلُوا إِذَا لَمْ تَعْلَمُوا؟ وَإِنَّمَا شَفَاء الْعِيِّ السُّؤَالُ»<sup>٢٨٩</sup> وقال في موضع آخر: «اختلاف أمّتي رحمة»، فهم منه أنّ السّؤال والاختلاف مستحبّ، ومن أوّل أنّه منكر ومبغوض<sup>٢٩٠</sup>، فكيف التّوفيق/ [٥١و] بينهما؟ قلنا: غضب النبيّ عليه السّلام لكون السّؤال في غير موضع الحاجة، أو لكثرتة وإفراطه،

٢٨٧ صحيح مسلم، العلم ٢٦٦٦؛ مصابيح السنّة، ١/١٥٤.

٢٨٨ صحيح مسلم، الحج ١٣٣٧؛ سنن النسائي، مناسك الحج ١؛ سنن ابن ماجه، الإيمان وفضائل الصحابة ١؛ مسند أحمد، ١٦/٣٥٥؛ مصابيح السنّة، ١/١٥٤.

٢٨٩ روى المؤلّف الحديث بالمعنى؛ سنن أبي داود، الطهارة ١٢٢؛ سنن ابن ماجه، الطهارة وسننها ٩٣؛ سنن الدارمي، ١٢٤٢؛ مسند أحمد، ٥/١٧٣؛ مصابيح السنّة، ١/١٧٦.

٢٩٠ ص: - (في موضع آخر... ومبغوض).

ونهيه أيضاً عن الاختلاف وتحذيره؛ لكونه على وجه العناد وسوء الظن، أو بدون العلم والدليل العقلي، أو الشرعي، كسؤال بني إسرائيل في البقرة بعد قول موسى عليه السلام: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ [البقرة: ٦٧]، فإن البقرة اسم جنس يطلق على كل فرد في أي سن وبأي وصف وتصف، فالسؤال عن سنّها، وبعد بيان السنّ عن وصفها، سؤال في غير موضع الحاجة، فيشعر بذلك بالإنكار وعدم الاعتقاد على قول نبيّهم، وكسؤال عبدة الأصنام على وجه الإنكار والاستهزاء بقولهم: ﴿ءَأَلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾ [الزخرف: ٥٨]، ولذا قال الله ٢٩١ تعالى: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٨]، يعني ما سألك يا محمد عن حال آلهتهم كالملائكة، والشمس والنجوم، وحال عيسى، للاسترشاد وطلب الحق، بل مقصودهم من السؤال المجادلة والمعارضة بالباطل. والاختلاف المنكر أيضاً؛ كاختلاف بني إسرائيل بعد نبيّهم، واختلاف أهل الأهواء على حسب هواهم كالجبريّة، والقدريّة، والمشبهة، والمعطّلة والمجسّمة/ [٥١ظ]، لأنّ هذا ٢٩٢ اختلاف بدون الدليل الشرعي والعقلي في ترويح الباطل في إظهار الحق والصواب بهما.

والسؤال المأمور؛ السؤال عند الحاجة بأن يكون في اللفظ إبهام وإجمال، أو يكون بعض النصّ مخالفاً لنصّ آخر في الظاهر، كما قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ [البقرة: ٢١٩] وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ٢١٧] وقال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى﴾ [البقرة: ٢٢٠]، وكما قال النبيّ عليه السلام في حقّ قوم لم يجوزوا التيمّم لجُنب مجروح، فاغتسل ومات: قتلوه قتلهم الله تعالى، هلاً يتسألوا إذا لم يعلموا، وإمّا شفاء العيّ السؤال ٢٩٣، وهذا سؤال عند الحاجة.

والسؤال عند الإبهام كثير أيضاً، حتى سأل نبيّنا أفضل البلغاء عليه السلام جبرائيل عليه السلام عن تصريح معنى بعض نظم القرآن، حتى قال الله تعالى فيه لا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه، وقال تعالى: ﴿تَحَرَّكَ بِهِ لِسَانِكَ لِتَعَجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [القيامة: ١٦-١٩]. والسؤال عن التوفيق والترجيح بين النصوص المتدافعة في الظاهر كثير، إذ أكثر سؤال المتعلّمين عن ذلك.

٢٩١ ص: + تبارك.

٢٩٢ ص: + أيضاً.

٢٩٣ سنن أبي داود، الطهارة ١٢٢؛ مصابيح السنة، ١/١٧٦.

والمراد من اختلاف الأمة/ [٥٢و] اختلاف دواعيهم، إذ داعية بعضهم تدعوا إلى الاشتغال بالعلم الديني، وهمّة بعضهم مصروفة إلى استكمال علم القليل والقال، وداعية بعضهم متوجّهة إلى العبادة والعزلة، وبعضهم الجهاد والمحاربة، وبعضهم إلى نوع من الحرف. وإِنَّمَا أَلْهَمَ اللَّهُ تَعَالَى كُلَّ صَنَفٍ مِنَ الْأُمَّمِ دَاعِيَةً تُخَالِفُ دَاعِيَةَ الْآخَرِ، حَتَّى تَنْتَظِمَ بِاخْتِلَافِ دَوَاعِيهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ أُمُورَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَذَلِكَ مِنْ آثَارِ رَحْمَةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، أَوْ الْمُرَادُ مِنْ ذَلِكَ الْاِخْتِلَافُ؛ اِخْتِلَافُ الْمُجْتَهِدِينَ فِي اسْتِنْبَاطِ الْأَحْكَامِ الدِّينِيَّةِ وَالدُّنْيَوِيَّةِ مِنَ النُّصُوصِ الْخَفِيَّةِ الدَّلَالَةِ عَلَى تِلْكَ الْأَحْكَامِ، وَذَلِكَ أَيْضًا مِنْ آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى؛ لِأَنَّ بَتْلَاحِقَ الْأَفْكَارِ، وَتَصَادُمِ الْأَنْظَارِ، ظَهَرَ الْحَقُّ لِلْمُسْتَدَلِّينَ الْمُنْصِفِينَ، لِمَا عَرَفْتَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَفِيضُ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْمُتَوَجِّهِينَ إِلَى حَضْرَتِهِ تَعَالَى مَعَ تَكْمِيلِ الظَّاهِرِ بِالْعِبَادَاتِ الصَّالِحَةِ، وَتَطْهِيرِ الْبَاطِنِ عَنِ الْأَوْصَافِ الْمُرْدَةِ، وَتَحْلِيَةِ الْقَلْبِ بِالْأَخْلَاقِ الْمُنْجِيَةِ فَيَضًا خَاصًّا، وَعِلْمًا بَدِيعًا، وَلِأَنَّ فِيهِ مَنَافِعَ كَثِيرَةً لِلْعَوَامِّ مِنَ التَّوْسِيعِ وَالتَّرْخِيسِ، كَمَا إِذَا أَرَادَ الْحَنْفِيُّ دَفْعَ الْحَرْجِ وَالضَّرُورَةَ/ [٥٢ظ] فِي بَعْضِ الْحَوَادِثِ يَحْكُمُ بِمَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ أَوْ غَيْرِهِ، وَكَذَا غَيْرَ الْحَنْفِيِّ يَحْكُمُ بِمَذْهَبِ الْحَنْفِيِّ عِنْدَ الضَّرُورَةِ.

### كتاب الصلّاة

[١٩] عَنْ أَنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: إِنِّي أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقَمْتُ عَلَيَّ الْحَدَّ، وَلَمْ يَسْأَلِ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْهُ، وَحَضَرَ الصَّلَاةَ فَصَلَّى الرَّجُلُ مَعَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثُمَّ قَامَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَصَبْتُ الْحَدَّ فَأَقَمْتُ فِي كِتَابِ اللَّهِ، وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «فَقَدْ صَلَّيْتَ مَعَنَا!» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ غَفَرَ ذَنْبَكَ أَوْ حَدَّكَ»<sup>٢٩٤</sup>.

فإن قلت: قوله فأقم عليّ الحدّ، يدلّ على أنّ ذنبه كبيرة وهي لا يذهب بالصلّاة، بل بالتوبة، فكيف قال قد غفر ذنبك؟

قلنا: يمكن أن يقال المراد من الحدّ جزاء الذنب بقريظة قوله بعد ذلك: فأقم في كتاب الله، إن حكم في ذلك فيكون الحد مستعملًا في معناه اللغوي وموضع جزاء الإثم عن المعادة إليه، وقيل: قصة ذلك الرجل أنّه من أهل السُّوق، فأتت امرأة جميلة إليه لأن تشتري منه تمرًا،

٢٩٤ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ صحيح مسلم، التوبة ٢٧٦٤؛ مصابيح السنة، ١/٢٥١.

فقال في البيت أجود منه، فذهب بها إلى بيته، فأخذها فضمَّها إلى نفسه وأراد أن يباشرها، فقالت تلك المرأة: اتق الله، فأرسلها وندم على فعله/ [٥٣و]، وأتى النبي عليه السلام، فقال: أقم في كتاب الله. ولو سلّمنا أنّ ذلك كبيرة، قلنا يجوز أن لا يعلم في ذلك الوقت تكفير الكبيرة بالصلاة، ويعمل بظاهر قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ أَلْسِيَّاتٍ﴾ [هود: ١١٤]، كما قال النبي ﷺ: «اتبع السيئة الحسنة تمحها»<sup>٢٩٥</sup>، ولا تستبعد ذلك، فإنّ أكثر أحكام الشّرع لا يدرك بالعقل، ولذا قال الله تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٣]، أو قلنا: مقصود النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك الكلام التحريض على السّتر، أو قلنا غاية ندم السّائل ورقة قلبه وتضرّعه محتّ ضرر تلك الكبيرة.

[٢٠] قال النبي ﷺ: «بين العبد والكفر ترك الصلاة»<sup>٢٩٦</sup>؛ أي المانع بين العبد وبين دخوله الكفر الصلاة، وإذا تركها دخل الكفر، أو الفاصل بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة. فإن قلت: قال عليه السلام: «لا يكفر المؤمن بذنب ولا يخرج عن الإيمان» بعمل فكيف حكم منا بكفره لترك الصلاة؟

قلنا: الحديث الذي ذكرته وأمثاله من التّصوص الرّاجحة، قرينة نقلية دالة على أنّ ليس المراد من الكفر اللازم بترك الصلاة الكفر الحقيقي، بل معناه المجازي وهو المنع عن ترك الصلاة/ [٥٣ظ] بأبلغ الوجوه، أو يقال ترك الصلاة ينافي مقتضى الإيمان، فنزل منزلة الكفر، أو يقال ترك الصلاة من أفعال الكفرة وخصالهم؛ فشبه تارك الصلاة بهم، فنزل التّرك منزلة الكفر، أو يقال: ترك الصلاة ينافي كمال الإيمان، والتّناقض ينزل منزلة المعدوم في اعتبارات البلغاء، فنزل التّرك منزلة الكفر.

الحاصل: إذا تعدّر المعنى الحقيقي بقرينة يصار إلى المعنى المجازي المناسب للمقام، وإذا تعدّر المعنى المجازي، فتعيين المناسب للمقام من خواصّ الحذاق، وليس ذلك حظّ أمثالنا. وقال<sup>٢٩٧</sup> الشّراح: المراد من التّرك، التّرك على سبيل الاستخفاف والإنكار، ولذا قيل ترك الصلاة دليل الكفر، وهذا من احتمالات الكلام، وأنت تعرف من بينها ما يناسب المقام،

٢٩٥ سنن الترمذي، البر والصلة ٥٥؛ سنن الدارمي، ١/٦٦٨؛ مسند أحمد، ٣٥/٢٨٤.

٢٩٦ سنن أبي داود، السنة ١٥؛ سنن الترمذي، الإيمان ٩؛ سنن ابن ماجه، إقامة الصلاة والسنة فيها ٧٧؛

مصاييح السنة، ١/٢٥٢.

٢٩٧ ص + بعض.

ولو نظرت إلى مجرّد الاحتمال العقليّ، لجاز أن يقال المراد من الكفر ستر الحقّ، أو ستر نعمة الإيمان.

[٢١] قال النّبِيّ ﷺ: «خمس صلوات افترضهنّ الله تعالى، من أحسن وضوءهنّ، وصلّيهن لوقتهنّ، وأتمّ ركوعهنّ وخشوعهنّ، كان له على الله عهد أن يغفر له، ومن لم يفعل فليس على الله عهد/ [٥٤و] إن شاء غفر وإن شاء عدّبه»<sup>٢٩٨</sup>.

فإن قلت: هذا يدلّ على أنّ الصلّوات الخمس سبب للمغفرة، وموجب لدخول الجنّة لقوله: «كان له على الله عهد»، ولا يحتاج فيه إلى سبب آخر، وقوله عليه السّلام: «صلّوا خمسكم، وصوموا شهركم، وأدّوا زكاة أموالكم وأطيعوا؛ إذا أمركم تدخلوا جنّة ربّكم»، يدلّ على أنّ مجرّد الصلّاة لا يكفي في النّجاة ودخول الجنّة، وإلا لا يكون لضمّ الصّوم والزّكاة وإطاعة الأمير فائدة.

قلنا: قد عرفت جواب مثل هذا السّؤال من الضّابطة المذكورة، فقل: ليس المراد من الحديث ظاهر معناه لقريظة نقلية، فيجوز أن يراد من المغفرة؛ مغفرة الصّغائر، لا الكبائر، وقوله عليه السّلام: «على الله عهد»، يرمز إلى الوجوب الوعدّي، لما عرفت أنّ الله تعالى وعد بدخول الجنّة على الطّاعة، إذا لم يمنع مانع، ولو سلّمنا أنّها تكفي في المغفرة ودخول الجنّة.

قلنا: قد عرفت أنّ الأسباب الشرعيّة يجوز أن يتعدّد، فتكون الصلّاة منفردة ومجمّعة مع غيرها من الطّاعات سبباً للمغفرة، ولذا علّق النّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دخول الجنّة في موضع بسبب واحد، وفي موضع آخر بأسباب مختلفة، كما قال عليه السّلام/ [٥٤ظ] عند دخوله المدينة: «أفشوا السّلام، وأطعموا الطّعام، وصلّوا والنّاس نيام، تدخلوا جنّة ربّكم بالسّلام»<sup>٢٩٩</sup>. وقال في موضع آخر: «أفشوا السّلام، واضربوا الهام تورثوا الجنان»<sup>٣٠٠</sup>، وقد عرفت أنّ تغيير العبارة، والزيادة والتّقصان لاختلاف مقتضيات المقام فلا نعيده.

٢٩٨ سنن أبي داود، الصلاة ٩؛ مسند أحمد، ٣٧/٣٧٧؛ مصابيح السنة، ٢٥٢/١.

٢٩٩ سنن الترمذي، صفة القيامة والرفاق والورع ٤٢؛ سنن ابن ماجه، إقامة الصلاة والسنة فيها ١٧٤؛ سنن

الدارمي، الصلاة ١/٣٧٦ (بإضافة وصلوا الأرحام)؛ مسند أحمد، ٣٩/٢٠١؛ مصابيح السنة، ٤٩/٢.

٣٠٠ سنن الترمذي، الأظعمة ٤٥؛ مصابيح السنة، ٤٦/٣.

## باب تعجيل الصلاة

[٢٢] قال النبي عليه السلام: «من ترك صلاة العصر حبط عمله»<sup>٣٠١</sup>.  
فإن قلت: هذا مخالف لأصول الشرع، لأنَّ حبوط العمل لا يكون إلا بالكفر والارتداد،  
وترك الصلاة لا يكون كفرًا.

قيل في جوابه: معناه حبط ثواب صلاة العصر، وقال الإمام التوربشتي<sup>٣٠٢</sup> المراد من حبوط  
العمل، حبوط أضعاف المثوبات التي من قبل فضل الله تعالى، يعني لو صَلَّى العصر يعطى  
ثواب صلاة الفجر والظهر باعتبار ذاتهما، ويعطى الأضعاف من فضل الله تعالى إلى  
العشرة، والسبعمائة وإلى ما فوقها بقدر فضيلة عمل العامل، وإذا لم يصلَّ العصر، يحرم عن  
تلك الأضعاف، وهو المراد من حبوط العمل<sup>٣٠٣</sup>.

وهذا غير بعيد، لكن الأنسب على ما فهم الفقير أن يقال: المراد من حبوط العمل، حبوط  
كمال عمل النهار/ [٥٥و]. توضيح ذلك أنَّ عمل الليل يرفع بعد الفجر، وعمل النهار  
يرفع بعد العصر ويجتمع فيهما الملائكة التي هم موكِّلون برفع أعمال العباد، فيكون العبادة  
فيها محبوبة ومكتملة، ولذا قال النبي صَلَّى الله عليه وسلم: «لن يلج النار أحد صَلَّى قبل

---

٣٠١ صحيح البخاري، مواقيت الصلاة ٣٦؛ النسائي، الصلاة ١٥؛ مسند أحمد، ٥٤/٣٨؛ مصابيح السنة،  
٢٥٨/١.

٣٠٢ هو الإمام شهاب الدين أبو عبد الله بن الحسن بن الحسين بن عبد الله التوربشتي الحنفي، ت: ٦٦١ هـ. (انظر:  
سلم الوصول إلى طبقات الفحول، ١٢/٣). وهو محدث فقيه من شيراز، شرح مصابيح السنة للبغوي (الميسر  
في شرح المصابيح) وروى صحيح البخاري عن عبد الوهاب بن صالح بن محمد بن المعزم. (انظر: طبقات  
الشافعية الكبرى للسبكي، ٣٤٩/٨).

٣٠٣ قال التوربشتي: المراد بحمل معنى حبوط العمل في هذا الحديث إلى نقصان عمل يومه بتركه صلاة العصر لأنَّها  
الصلاة الوسطى وخاتمة فرائض النهار، وأنَّه لو صلاها لرفع عمل ذلك النهار كاملاً، فأُثيب عليه ثواباً موفراً،  
فلما ترك صلاة العصر نقص ثواب عمله.. وقال يحتمل وجه آخر وذلك أن يقال: يتفاوت أهل الإيمان في  
درجات الثواب؛ فمنهم إذا عمل حسنة، جوزي عليها عشرًا وتتضاعف إلى أضعاف كثيرة، فالذي ترك صلاة  
العصر وعمل حسنة بعدها، لا يثاب عليها إثابة من يقوم بها إذ عمل مثل تلك الحسنة، بل يتأخر عنه في  
مراتب الثواب حيث لا يلحق شأوه؛ فلذلك هو المراد عن حبوط العمل في هذا الحديث، والله أعلم. انظر: أبو  
عبد الله، شهاب الدين التوربشتي، الميسر في شرح مصابيح السنة، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، ط: ٢:  
(مكة المكرمة- مكتبة نزار مصطفى الباز ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م)، ١٨٣/١.

طلوع الشمس وقبل غروبها»<sup>٣٠٤</sup>. وإنما خصّصهما لزيادة فضيلتهما؛ لأنّ ملائكة الليل والنهار الذين ينزلون لعرض الأعمال يجتمعون في ذينك الوقتين، وإذا يرون المؤمن فيهما مشغلاً بعبادة معبوده، يحصل بذلك فضيلة الإنسان والمباهاة بعبادتهم على الملائكة، كما قال النبيّ عليه السلام: «يتعاقب فيكم ملائكة الليل والنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ويعرجون ويخبرون بأنّ العبد مشغول بالصلاة وقت إتيانهم وذهابهم»<sup>٣٠٥</sup>، وإذا ترك العبد صلاة العصر يذهب كمال عمل النهار؛ لأنّ تمام الأمور بخواتمها، فيكون عمل النهار ناقصاً، والناقص كالمحبوط في جنب الكامل.

وقد عرفت أنّ البلغاء ينزلون الناقص بمنزلة المعدم والمحبوط، فعلى هذا يجوز أن يقال: قال النبيّ عليه السلام: «من ترك العصر حبط/ [٥٥٥] عمله»، للمبالغة في التهديد والزجر عن تركه، وإن كان لم يحبط ثواب أصل عمله.

### باب الذكر

عن أنس رضي الله عنه أنّ النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «من صَلَّى الفجر في جماعة، ثمّ قعد فذكر الله تبارك وتعالى حتى تطلع الشمس، ثمّ صَلَّى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمره تامّة تامّة تامّة»<sup>٣٠٦</sup>.

فإن قلت: ظاهر هذا مخالف لأصول الشرع أيضاً؛ لأنّ مقدار ثواب العمل يكون بقدر فضيلة ذاته والتعب فيه، وفي الحجّ عبادات شريفة ومشقات كثيرة، فكيف يكون ثواب الذكر بعد الفجر، وركعتي<sup>٣٠٧</sup> مساوياً لثواب الحجّ؟

قلنا: قال الإمام التّوربشتي رحمه الله في الجواب: يجوز أن يكون مساواة ثواب الذكر وصلاة الضحى لثواب الحجّ، باعتبار الأضعاف التي من فضل الله تعالى، لا باعتبار ذات الذكر

---

٣٠٤ صحيح مسلم، المساجد ومواضع الصلاة ٦٣٤؛ النسائي، الصلاة ١٣؛ مسند أحمد، ٤٥٦/٢٨؛ مصابيح السنة، ٢٦٤/١.

٣٠٥ مسند أحمد، ٤٧٧/١٣.

٣٠٦ مصابيح السنة، ٣٦٢/١.

٣٠٧ ص + الضحى.

وصلاة الضحى ٣٠٨.

وقال الأشرقي: ٣٠٩ يجوز أن يكون ذلك باعتبار شرف الوقت وفيهما بحث، لأن الأضعاف تابعة لذات العمل، فأئى عمل فاق في الشرف زادت أضعافه.

وقد عرفت أن في الحجّ عباداتٍ عظيمةٍ وأركاناً شريفة شاقّة، زائدة على الذكر وصلاة الضحى في الفضيلة والفخامة، وأيضاً فيه أوقات شريفة / [٥٦ و] شاملة وقت الذكر ووقت صلاة الضحى، فيلزم منهما أن يكون الأضعاف المرتبة على الحجّ أضعاف أضعاف ثواب الذكر وصلاة الضحى.

فإن قلت: تسوية الأجرين يفيد إخراج الذكر وصلاة الضحى، وأوقاتها عن الحجّ، فلا يلزم التّدافع.

قلنا: وفي الحجّ طواف، وسعي، وإحرام واحتمال مشقّات كثيرة من ترك مشتبهات النفس في الملبس، والمنكح، والمسكن، وفيه أيضاً أنواع البرّ والصدقات، وفضيلة الأوقات سوى أوقات صلاة الضحى وما بينها وبين وقت صلاة الفجر، كوقت عشر ذي الحجّة التي قال النبيّ صلى الله عليه وسلّم في حقّها: أنّها أفضل الأيام، وفي ذلك العشر يوم عرفة ويوم عيد، وفيه أيضاً شرف المكان، كالكعبة وحرّمها، ومقام إبراهيم عليه السّلام، فيكون العبادة في تلك الأيام والأمكنة مفضّلة على غيرها بالاعتبارات المذكورة على تقدير إخراج الوقت الذي بعد

---

٣٠٨ قال التوربشتي في شرحه حديث: « من خرج من بيته متطهراً إلى صلاة مكتوبة فأجره كأجر الحاج المحرم، ومن خرج إلى تسبيح الضحى لا ينصبه إلا إياه فأجره كأجر المعتمر، وصلاة على إثر صلاة لا لغو بينهما كتاب في عليين»؛ أنّه لو جُمِلَ الحديث على المعنى الذي يقتضي التسوية بين العملين: أي الخروج إلى الحجّ وإلى الصلاة المكتوبة، أدى إلى إهمال أبواب كثيرة من الأعمال، ومخالفة أحكام كثيرة من السنن، وأنّه إذا أُلقي على العامة ظواهر تلك الأحاديث من غير تفصيل وبيان، سيكتفون باليسير من العمل وسيدخل عليهم الشك والغرور. وقال بعد استنباطه معاني أمثال هذا الحديث: أن النظائر التي يذكرها الشارع - صلى الله عليه وسلّم - في أمثال ذلك أمثلة لبيان استكمال المثوبات واستيفاء الأجر من جهة التضعيف، لا لبيان المماثلة من سائر الوجوه. مثل قوله - صلى الله عليه وسلّم - في فضل عشر ذي الحجّة (يعدل صيام كل يوم منها بصيام سنة) أي ينتهي ثوابه ذلك من حيث التضعيف إلى هذا القدر، وبيان ذلك أن كل عمل له عند الله قدر مقدر من الثواب فهو مجازى عليه عشراً من ذلك القدر ثم فوق ذلك إلى ما لا سبيل إلى معرفته. انظر: الميسر في شرح مصابيح السنة، ٢١٤/١.

٣٠٩ هو أبو خطاب، محمد بن زنطار الأشرقي، توفي سنة ٦٨٣ هـ. هو خادم الأثر بدار الحديث وأيضاً روى مسند الشافعي. انظر: تاريخ الإسلام، ٥٠٥/١٥.

الفجر، وقبل صلاة الضحى من بينها.

ويجوز أن يقال المشبه ليس الذكر وصلاة الضحى فقط، بل صلاة الفجر مع الجماعة، والاشتغال بعدها بالذكر إلى وقت صلاة الضحى، وصلاة / [٥٦ظ] الضحى بعده فحينئذ لا يبعد أن يكون أجر الجميع مساويًا لأجر حجة وعمرة تامة. والأنسب أن يقال: لا يلزم من التشبيه مساواة أجر الجميع لأجر الحجة والعمرة في المقدار، كما إذا قلت: زيد كأسد<sup>٣١٠</sup>، لا يلزم منه أن يكون مقدار شجاعة زيد مثل مقدار شجاعة أسد في الواقع.

فيكون المراد من قوله: «كأجر حجة وعمرة تامة» بيان اشتراك الأجر في مطلق الفضيلة، أو المراد من التشبيه تشهير حال أجر الجميع لشهرة أجر الحجة والعمرة التامين في الفضيلة. واعلم أنّ الغرض العائد إلى المشبه في التشبيه قد يكون بيان إمكان وجه الشبه في المشبه، وقد يكون بيان حاله ووصفه فيه، وقد يكون مقدار حاله في الزيادة والنقصان، وقد يكون تقدير حاله في نفس السامع، وقد يكون وجه الشبه الاشتراك في تمام الماهية، وقد يكون في جزء الماهية، وقد يكون في الصفة الخاصة بالمشبه به المشهور بها؛ كشهرة الأسد بالشجاعة، وشهرة الحمار بالبلادة، وإذا كان المقصود من التشبيه بيان إمكان المشبه، أو بيان حاله، أو تقرير حاله يكون المشبه به أتم وأشهر في وجه الشبه، ولا يلزم منه / [٥٧] مساواتهما في وجه الشبه.

وإذا كان المقصود من التشبيه بيان مقدار حال المشبه في وجه الشبه، يلزم منه مساواة المشبه للمشبه به فيه. وقيل لا يلزم الأتمية فيما سوى تقدير حال المشبه، لكن المناسب للاستعمال أن توجد الأتمية في جميع الوجوه إلا في بيان المقدار.

وقد يكون الغرض من التشبيه تزيين المشبه، أو تقييحه، أو استطرافه، وهذا لا يقتضي أيضًا التسوية في مقدار وجه الشبه ولا الأتمية والأشهرية في المشبه به.

وقد يعود الغرض في التشبيه إلى المشبه به كما في التشبيه المقلوب لإيهام أنّ المشبه المجهول مشبهًا به أتم وأشهر في وجه الشبه.

وإنما أطبت الكلام في بيان فوائد التشبيه بأدنى مناسبة؛ لأنّ تشبيه العبادة السهلة بالعبادة العظيمة أو ثوابها، وتشبيه المعصية السهلة بالمعصية الكبيرة الفاحشة في القبح أو عقابها

---

٣١٠ ص كالأسد.

كثير في عبارة الشّارع، فيتشوّش منه خاطر المبتدئ لاستغرابه مساواة الأديني للأعلى .  
وإذا عرفت اختلاف الأغراض في التشبيه يستنبط المرام على نسق المقام، ولا يتوهم أنّ  
المقصود من التشبيه بيان تسوية المشبه / [٥٧ظ] للمشبه به في مقدار وجه الشبه في كلّ  
موضع.

قال النبي صلّى الله عليه وسلّم في كتاب الصّلاة: الصّلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة،  
ورمضان إلى رمضان مكفّرات ما بينهنّ إذا اجتنب الكبائر.  
فإن قلت: إذا كان كلّ واحدة من المذكورات الثلاث مكفّرة، فلا يكون في ذكر الباقي  
فائدة.

قلنا: قد عرفت أنّ الأسباب الشرعية يجوز تعدّدها، وفائدة ذكر الثلاث معاً؛ بيان أنّ كلّ  
واحد من شأنه التّكفير والتّخلف لما منع لا يهدر فضيلته، كما عرفت أنّ شأن كلّ عبادة أن  
يكون سبباً لدخول الجنّة، وذلك يكفي في بيان الفضيلة والتّحريض على مواظبته والتّخلف  
لما منع لا يقدر في ذلك، كما رأيت المستدلّين يثبتون مدّعاهم بدليل مستقيم كاف في  
الإثبات، لكنّهم يوردون في إثباته أدلّة أخرى ولا يعدّون ذلك مستدرّكاً، فإنّ أهل الميزان  
يثبتون مدّعاهم بالخلف والافتراض والعكس، وأهل الشّرع يثبتون مقاصدهم بالكتاب،  
والسنّة، والإجماع والقياس؛ لأنّ مقصودهم بيان أنّ كلّ واحد من دلائلهم يصلح لإثبات  
مدّعاهم، مع أنّ تعدد الأسباب / [٥٨و] والدلائل ممّا يقوّي ويحكم الوصول إلى المقاصد،  
وتقدير قبول السّامعين مدّعا ويؤكّده به، بحيث لا يتردّد فيه.

ويمكن أيضاً أن يقال: يكفّر بأحدها الصّغائر ويحصل بالباقي دفعه الدّرجة والفضائل في  
مقابلة التّكفير، ويمكن أن يقال أيضاً: يكفّر كلّ واحد ما يناسبهما من الصّغائر، فلا يلزم  
إهدار أثر البعض أيضاً، فإنّ الصّلاة مكفّرة للصّغائر الحاصلة من الأقوال والأفعال، والجمعة  
مكفّرة للصّغائر الحاصلة من الاجتماع مع أبناء الدّنيا، ورمضان مكفّرة للصّغائر الحاصلة من  
شهوة البطن والفرج.

ولا تستبعد ذلك أيّها المستدلّ المنصف، لما عرفت أنّ لكلّ واحدة من العبادات خاصيّة  
خاصّة من التّرفيع والتّكفير؛ كالأسباب الحسيّة، فإنّ الحمى المحرقة لا تزول إلّا بدواء  
مناسب؛ كالتمر هندي، وماء الرّمانين، وشراب النّيلوفر؛ ولا يزول بالعسل والتّرياق الأكبر.  
ويمكن أن يقال معنى التّكفير: دفع ضرر الصّغائر، وذلك إمّا بإزالة ضرر المحصول، أو الصّون

عن المتوقع، ففائدة الضم في الصّون، لما عرفت أنّ تعاضد الأسباب ممّا يقوّي داعية الدّفع/ [٥٨ظ]، فتأمل فيه تطّلع على المراد.

قال بعض الشّارحين: كلّ واحد مكفّر في حقّ من لم يفعل الباقي. وقال بعضهم: المكفّر كلّها لا بعضها.

وأنت تعرف أنّ كلّ واحدة مكفّرة لقول النبيّ ﷺ: «اتبع الحسنة السيئة تمحها»<sup>٣١١</sup>، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ أَلْسِيئَاتٍ﴾ [هود: ١١٤]، وقوله عليه السّلام: «مكفّرات»، ينادي بذلك أيضًا لمن يسمع، ومن لم يفعل الباقي يكون مرتكبًا في الكبيرة فلا يوجد التّكفير، لأنّه مقيد بالاجتناب عن الكبائر.

نعم يمكن أن يقال يجوز أن يسقط وجوب الجمعة ورمضان بواسطة السّفر، فيكون الصّلاة مكفّرة دون غيرها، لكن لا يتصوّر غالبًا سقوط وجوب الصّلاة عند وجوب الجمعة وصوم رمضان.

### باب القراءة في الصّلاة

[٢٣] قال عقبة: كنت أقود ناقه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في السّفر قال لي: «يا عقبة، ألا أعلمك خير سورتين»، فعلمني قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ بربّ النّاس، فلم يربي سُررتُ بهما، فلما نزل لصلاة الصّبح صلّاهما بهما، فقال بعدها: «يا عقبة، كيف رأيت»<sup>٣١٢</sup>.

فإن قلت: قد ثبت بالأحاديث الصّحيحة أنّ المعوّذين ليستا بأفضل من سورة/ [٥٩و] يس، وتبارك الذي بيده الملك، والزهراوين، وقل هو الله أحد.

قلنا: قد عرفت أنّ جهات التّفصيل كثيرة ومختلفة، فخيرية السّورتين على غيرهما يجوز أن يكون بجهة لا توجد في غيرهما، بأن يكون باعتبار حال المخاطب أو الوقت، لا باعتبار الدّات، فإنّ المعوّذين في السّفر لا سيّما في ظلمة اللّيل تكون أفضل وأولى بحال المخاطب من جهة التّعوذ بهما من ضرب الشّيطان، والجنّ والإنس وضرر سائر المفسدات والمؤذيات من السّباع والهوامّ، وإن كان باقي السّور أفضل منهما باعتبار آخر فلا يلزم التّدافع.

٣١١ ص: اتبع السيئة الحسنة تمحها. تم تخريجه في كتاب الصلاة، ص: ١٠٦.

٣١٢ سنن أبي داود، فضائل القرآن ٣٥٢؛ النسائي، الاستعاذة؛ مسند أحمد، ٦١٤/٢٨؛ مصابيح السنة،

واعلم أنّ جميع آيات القرآن متساوية في الثواب باعتبار ألفاظها وحروفها، لما عرفت أنّ لكل واحد من الحروف عشر ثواب بلا فرق بين حرف وحرف، لكن يجوز أن يكون بعض الآيات مفضلاً على البعض باعتبار الخواص والمقام، كما عرفت تفصيلها بالأحاديث الصّحيحة.

والعقل يحكم أيضاً عندنا بأنّ الآيات الدّالة على وحدانيّة الله تعالى، وأسمائه الحسنی وصفاته العليا، غير متساوية للآيات الدّالة على المعاملات الدّنيوية / [٥٩ظ]، وأوصاف الفجّار، والآيات الدّالة على وظائف العبادات لا تكون متساوية للآيات الدّالة على البيع والشراء، والطلاق والمخاصمات، والآيات الدّالة على أحوال الأنبياء والأولياء تفوق على الآيات الدّالة على أحوال الكفرة والأعداء، وذلك كلّه باعتبار المعنى وقس الباقي عليه. فالمعنى ألا أعلمك خير سورتين لك في هذا الوقت، أو باعتبار التّعوذ عن المضارّ في أيّ وقت كان أو باعتبار حالك، لأنّك تقيم في المفاوز أو في مجاورة أهل الشرّ، لكن سوق الكلام يدلّ على أنّ خيرتهما باعتبار السفر كما قلت أولاً.

### باب الرّكوع

[٢٤] قال رفاعه بن رافع رضي الله عنه: كنّا نصلّي وراء النّبّي ﷺ، فلمّا رفع رأسه من الرّكوع سمع رجلاً يقول: ربّنا لك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، فلمّا انصرف النّبّي عليه السّلام من الصّلاة قال: «من المتكلّم؟ رأيت بضعة وثلاثين ملكاً يتدرونها أيّهم يكتب أوّل»<sup>٣١٣</sup>.

[٢٥] وروي عن أنس رضي الله عنه في باب ما يقرأ بعد التّكبير: «أنّ رجلاً جاء إلى الصّلاة وقد حفزها النّفس، فقال: الله أكبر الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، فلمّا قضى النّبّي صلّى الله عليه وسلّم صلاته / [٦٠و] فقال أيّكم المتكلّم بالكلمات لقد رأيت اثنا عشر ملكاً يتدرونها أيّهم يرفعها»<sup>٣١٤</sup>.

فإن قلت: قال في أحدهما بضعة وثلاثين ملكاً يتدرونها، وقال في الآخر اثنا عشر ملكاً يتدرونها، فلا بدّ من التّوجيه في زيادة الملك.

٣١٣ صحيح البخاري، الأذان ١٢٤؛ مسند أحمد، ٣١/٣٣٢.

٣١٤ صحيح مسلم، المساجد ومواضع الصلاة ٦٠٠؛ سنن أبي داود، استفتاح الصلاة ١٢١؛ النسائي، الصلاة ٢٠؛ مصابيح السنة، ١/٣١٧.

وقال قدوة المحققين قطب المكاشفين صدر الملة والحقّ والدّين رضي الله عنه وأرضاه به منه في توفيقهما: اعتبر النبي صلى الله عليه وسلّم في أحد الحديثين مجموع الحروف للتّحميد، وهي ثلاث وثلاثون، وفي الآخر لم يعتبر الحروف المكررة وقال اثني عشر، والمحققون اتفقوا على أنّ الألف ليس بحرف تامّ، لأنّه عبارة عن امتداد النّفس وليس له مخرج معيّن من مخارج الحروف، فهو مادّة جميع الحروف، وراعى في بعض الحديث جميع الحروف بحسب الظّاهر، لا بحسب النّطق، فقال ثلاث وثلاثين. وفي هذا الحديث إرشاد للعوامّ، وفي ذلك الحديث للخواصّ، فهذا من دقائق النّبوة صوّر معاني الحروف بصور الملائكة.

وقال في حديث آخر: «اقرأوا القرآن، فإنّه يأتي يوم القيامة شفيحاً لأصحاب». وقرأوا الزّهراوين سورة البقرة وسورة آل عمران / [٦٠ظ]، فإنّهما يأتيان يوم القيامة كأثّما غماتان أو غيابتان، أو كأثّما فرقان من طير صوّاف يحاجّان على أصحابهما»<sup>٣١٥</sup>. فرقان من طير كناية عن أرواح صور الحروف أو الكلمات، والغماتان أو الغيابتان، عبارة عن صور أحديّة جمع كلّ سورة منهما، وهذا توفيق جيّد، لكن لقائل أن يقول: لم صوّر الحروف المكررة في أحد الحديثين دون الآخر؟ فممكّن أن يقال: اعتبر الحروف المكررة باعتبار شرف الوقت، أو صفة القائل أو حاله.

وقد عرفت من قبل أنّ لفضيلة القائل من إخلاصه وعلمه، وتهذيب، نفسه دخلاً في تزايد الثّواب، وإن كان الذّكر وسائر العبادة واحداً، وكذا لشرف الوقت والمكان دخل فيه، فيجوز أن يكون الزّيادة في أحد الحديثين لما ذكره الشّيخ المحقّق، أو يكون زيادة الثّواب لفضيلة الوقت، أو المكان أو القائل؛ لأنّ أحد القائلين قال التّحميد في الرّكوع، والآخر حاله افتتاح الصّلاة، ولا شبهة في أنّ التّحميد داخل الصّلاة أشرف من التّحميد في ابتدائها، ولذا قال في التّحميد في الرّكوع بضعة وثلاثين، وفي التّحميد في [٦١و] ابتدائها اثني عشر.

ويمكّن أن يقال أيضاً: أنّ عبارة التّحميدين متغايرة، فيجوز أن يرجع فائدة الزّيادة إلى اختلاف العبارة، لما عرفت أنّ لخواصّ التّراكيب أثرًا في التّفضيل، ولأنّ بضعة ليست بمعيّنة للثلاث، حتّى يتعيّن أن يكون الزّيادة لزيادة الحروف وقدرها.

[٢٦] عن عقبه بن عامر رضي الله عنه قال: لما نزلت ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾، قال

٣١٥ صحيح مسلم، صلاة المسافرين وقصرها ٨٠٤؛ مصابيح السنة، ١١١/٢.

عليه السّلام: «اجعلوها في ركوعكم»، ولما نزلت ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ قال: «اجعلوها في سجودكم»<sup>٣١٦</sup>.

[٢٧] وقال في باب السّجود: «أمرت أن أسجد على سبعة أعظم؛ على الجبهة واليدين، والركبتين، وأطراف القدمين»<sup>٣١٧</sup>، وظاهر الحديثين يدلّ على أن يكون تسبيح الركوع والسّجود، والسّجدة على أعظم واجبًا وليس كذلك.

أجيب: بأنّ النّبّيّ عليه السّلام لم يذكر التّسبيحين، ووضع الأعظم السّبع في بيان فرائض الصّلاة وواجباتها، ولذا لم يكونا واجبين، وفيه بحث لأنّ بيان النّبّيّ صلى الله عليه وسلّم ثبت بخبر الواحد، وذلك لا يفيد القطع.

وأجيب أيضًا: بأنّ قوله عليه السّلام ( واركعوا واسجدوا ) لا يدلّ على التّسبيح، ووضع الأعظم السّبع في / [٦١ ظ] اللّغة، فخير الواحد لا يفيدهما، وفيه بحث لأنّ خبر الواحد يجوز أن يبيّن أنّ المراد من السّجود في الشّريعة؛ وضع الجبهة مع الأعظم الباقية، فيكون خبر الواحد لبيان الإجمال.

فلأظهر في الجواب أن يقال: قد أجمع جمهور العلماء على أنّ التّسبيحين، ووضع جميع الأعظم ليس بواجب، فيكون إجماعهم دليلًا على أن يكون الأمر في قوله عليه السّلام: اجعلوها في ركوعكم وسجودكم، وأمرت أن أسجد للندب لا للوجوب.

### باب الصّلاة على النّبّيّ عليه الصّلاة والسّلام

[٢٨] قال النّبّيّ صلى الله عليه وسلم: «من صلّى عليّ صلاةً صلّى الله عليه عشراً، وحطّت عنه عشرٌ خطيئات، ورفعت له عشر درجات»<sup>٣١٨</sup>.

[٢٩] قال عليه السّلام: «ما من أحد يسلم عليّ إلا ردّ الله عليّ روحه حتى أردّ عليه السّلام»<sup>٣١٩</sup>.

---

٣١٦ سنن أبي داود، الصلاة ١٥٠؛ سنن ابن ماجه، اقامة الصلاة والسنة فيها ٢٠؛ سنن الدارمي، ٣٣٢/١؛ مسند أحمد، ٦٣٠/٢٨؛ مصابيح السنة، ٣٣٩/١.

٣١٧ صحيح البخاري، الأذان ١٣٢؛ صحيح مسلم، الصلاة ٤٩٠؛ النسائي، الصلاة ١٣٦؛ سنن الدارمي، ٣٣٥/١؛ مصابيح السنة، ٣٤٠/١.

٣١٨ النسائي، الصلاة ٥٥؛ مسند أحمد، ٢٧٣/٢٦؛ مصابيح السنة، ٣٥٠/١.

٣١٩ سنن أبي داود، المناسك ٩٧؛ مسند أحمد، ٤٧٧/١٦؛ مصابيح السنة، ٣٥٢/١.

فإن قلت: قال في موضع صلى الله عليه عشر، أو زاد في موضع آخر عليه حط عشر خطيئات ورفع عشر درجات، فكيف التوفيق بينهما؟

قلت: فهم جواب مثل هذا السؤال في الضابطة المذكورة: فقل هنا يجوز أن يكون المقصود من بيان فضيلة الصلوات بعبارات مختلفة التحريض عليه، لا التعيين، ويجوز أن يكون جميع الفضائل بل أضعافها / [٦٢و] حاصلة في الصلوات على النبي عليه السلام، والزيادة والتقصان في بيان الثواب، لاقتضاء المقام فلا يوجد التدافع، لأن ذكر البعض لا يدل على نفي الزيادة.

واعلم أن الظاهر من ردّ الروح تصريح اطلاع النبي عليه السلام على المصلين بقوة نفسه القدسيّة؛ لأنّ الدنيا غير خالية عن المصلين، فيجوز أن تتعاقب الصلوات من غير فصل، ولو كان في بعض الأيام، فيلزم منه دوام التعلّق، ولا يتصوّر الردّ في كلّ مرة لعدم الانقطاع.

#### باب الذكر بعد الصلاة

[٣٠] عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّه قال: قالوا يا رسول الله صلى: «ذهب أهل الدثور بالدرجات والنعم المقيم صلّوا كما صلينا، وجاهدوا كما جاهدنا، وأنفقوا من فضول أموالهم وليست لنا أموال، قال: أفلا أخبركم بأمر تدركون به من قبلكم وتسبقون به من جاء بعدكم ولا يأتي أحد بمثل ما جئتم به إلا من جاء بمثله، تسبّحون في دبر كلّ صلاة عشراً، وتحمدون عشراً، وتكبرون عشراً»<sup>٣٢٠</sup>.

[٣١] وفي رواية: «تسبّحون وتحمدون وتكبرون خلف كلّ صلاة ثلاثاً وثلاثين»<sup>٣٢١</sup>.

فإن قلت: قد فهم من / [٦٢ظ] هذا الحديث أنّ تلك الأذكار أكثر ثواباً، وأعظم درجة من الصدقات، وأنّ المشتغل بها يسبق العباد العاملين سائر الطاعات من الصلاة، والصوم، وتلاوة القرآن والحجّ، وليس كذلك.

يمكن أن يجاب عنه: بأنّ المراد مما ذكر؛ بيان فضيلة تلك الأذكار والترغيب فيه.

وقوله: «يدركون به من قبلكم ويسبقون به من جاء بعدكم» الخ، يدل عليه بأبلغ الوجوه، كما يقال لمن أدرك شيئاً مرغوباً، أدرك<sup>٣٢٢</sup> شيئاً لم يدرك<sup>٣٢٣</sup> مثله أحد في الدنيا، مع أنّك

٣٢٠ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ مصابيح السنة، ١/٣٦٠.

٣٢١ صحيح البخاري، الأذان ١٥٣؛ صحيح مسلم، المساجد ومواضع الصلاة ٥٩٥؛ مصابيح السنة، ١/٣٦٠.

٣٢٢ ص: أدركت.

تعرف أنّ أمثاله بل أمثل منه وأفضل كثير في أيدي النَّاس، فيريد منه أنّه أدرك شيئًا نفيًا، ويعرف أهل الفهم مرادك أيضًا؛ لأنَّهم يعرفون أنّ في أيدي الناس أمثاله أكثر من أن يحصى. أو يقال: المراد أنّكم تسبقون به من جاء بعدكم، وتسبقون به من سبقكم في العبادة التي من جنس الأذكار والتَّسبيح والتَّحميد، بقريظة قولهم صلُّوا كما صلَّينا، وجاهدوا كما جاهدنا ولم يذكروا الباقي للاكتفاء؛ لأنَّ السَّامعين ما كانوا عاملين ذلك على التَّرتيب والعدد الذي بيَّنها رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، فلم يوجد تلك الفضيلة في السَّابِقين؛ / [٦٣و] لعدم معرفتهم بمهما، لكن سبقتهم على من جاء بعدهم على تقدير أن لا يجيئون الأذكار المذكورة على الترتيب والعدد المخصوصين، لقوله عليه السَّلام: «إلا من جاء بمثله» فيفهم.

أو يقال: المراد تفضيل الأذكار المذكورة على الصَّدقة فقط لقولهم «وليست لنا أموال»، ولو سلَّم تفضيلها على العبادات الباقية مطلقًا عملاً بظاهر الإطلاق.

يمكن أن يقال: الأذكار المذكورة أفضل من سائر العبادات البدنيَّة، والماليَّة بجهة لا توجد فيهما؛ لأنَّ فضيلة كلِّ عبادة أنَّها مذكرة للمعبود؛ فالتَّسبيح، والتَّحميد والتَّكبير مُذكَّر له بمفهومه الصَّريح، وجامع<sup>٣٢٤</sup> لأنواع المذكَّرات التعظيمات<sup>٣٢٥</sup>؛ لأنَّ التَّسبيح عبارة عن عبادة جامعة لأنواع التَّزبيحات، والتَّحميد عبارة عن أقوال جامع لأنواع الصِّفات التَّبويَّة، والتَّكبير عبارة عن أذكار مشملة لأنواع التعظيمات والمدحات، ولا بعد في أن يكون الأذكار المذكورة أشرف من سائر العبادات بتلك الجهة، وإن كان غيرها أشرف منها باعتبار المشقَّة، وقهر النَّفس، وبذل المال المحبوب للنَّفس وبذل الرُّوح الأنفس من كلِّ<sup>٣٢٦</sup> / [٦٣ظ] مشتبهات النَّفس، أو كونه كلام الله تعالى، أو يدلُّ عليه أيضًا قوله إلا من جاء بمثله.

فإن قلت: هذا لا يناسب المقام، إذ لا يلزم منه تفضيلهم على الأغنياء المتصدِّقين. قلنا: مناسب؛ لأن مقصودهم من الكلام تسليتهم بتفضيلهم على الأغنياء بجهة أخرى؛ ليجتهدوا فيها ويواظبوا عليها، حتَّى يسبقون بها غيرهم بتلك الجهة، كما تقول لتسليته صاحبك إن كان لفلان فضيلة المال والرَّئاسة، فلك فضيلة العلم والعبادة.

٣٢٣ ص: يدركه.

٣٢٤ ف: جامعة.

٣٢٥ ف: التعظيمات.

٣٢٦ ص، + كل.

ويمكن أن يقال أيضًا أفضليّة الأذكار باعتبار سهولتها وحصولها في عموم الأوقات بدون مشقّة كثيرة، مع حصول ثواب كثير، ويرمز إليه عدم إخباره عن سبب السّبِق بغير الذّكر من كثرة الصّوم والصّلاة، والتّوجيهات من محتّمات الكلام، وأنت تعرف أيّها أقرب وأنسب للمقام بفهمك التّام.

### باب الجماعة وفضلها

[٣٢] عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال النّبِيّ عليه السّلام: «صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة»<sup>٣٢٧</sup>.

[٣٣] وقال في فضل الأذان: «شاهد الصّلاة يكتب له خمس وعشرون صلاة، ويكفّر عنه فيما بينهما»<sup>٣٢٨</sup>.

فما التّوفيق بينهما؟ قلنا: يمكن أن يقال المراد/ [٦٤و] من الأعداد المذكورة كثرة الثّواب، أو يقال اللام في الفذّ والجماعة للجنس، فيجوز أن يكون ثواب بعض الجماعة فاضلاً على بعض الفذ بخمس وعشرين، وعلى البعض بسبع وعشرين، والزيادة تكون باعتبار حال الجماعة، والإمام والوقت، لكنّ هذا غير مناسب للمقام المقتضي للعموم ويجوز أن يكون الزيادة في الدّرجة بسبب ترقّي مرتبة نبيّنا عليه الصّلاة والسّلام إن صحّ تأخّر الحديث المشتمل على الزيادة، كما قال<sup>٣٢٩</sup> تعالى في شأن أمة نبيّنا عليه السّلام: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ۖ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ [الواقعة: ٣٩-٤٠].

ويجوز أن يقال ذكر خمس وعشرين لا يدلّ على نفي الزيادة، ولذا لم يذكر التّكفير في سبع وعشرين، فلا تعارض وجه<sup>٣٣٠</sup> التّخصيص بمقدار خمس وعشرين وسبع وعشرين لا يدرك إلّا بنور النّبوة.

---

٣٢٧ صحيح البخاري، الأذان ٣٠؛ صحيح مسلم، المساجد ومواضع الصلاة ٦٥٠؛ سنن الترمذي، الصلاة ١٦١؛ النسائي، الإمامة ٤٢؛ موطأ مالك، صلاة الجماعة ١؛ مسند أحمد، ٩/٢٣٨؛ مصابيح السنة، ٣٩٠/١.

٣٢٨ سنن أبي داود، الصلاة ٣١؛ سنن ابن ماجه، الأذان والسنة فيه ٥؛ مسند أحمد، ١٥/١٩٠؛ مصابيح السنة، ٢٧٥/١.

٣٢٩ ص الله.

٣٣٠ ص: ووجه.

## باب تسوية الصفوف

[٣٤] قال النبي ﷺ: «وما من خطوة أحبّ إلى الله من خطوة يمشيها يصل بها صفًا»<sup>٣٣١</sup>.

فإن قيل: الخطوة إلى الجهاد والحجّ أفضل من الخطوة الموصلة إلى الصفّ في الصلاة.

/ [٦٤ظ] قلنا: لانم ذلك؛ لأنّ الصلاة أفضل منهما لكونها حسنة في نفسها وجامعة لأنواع العظائم، فتكون الخطوة إليها أفضل.

فإن قلت: الخطوة ليست إلى الصلاة، بل إلى صفّها. قلنا: المقصود منه الصلاة مع الجماعة، وقد عرفت الفضائل الفرائض الأربعة الفرعية، واختصاص كلّ واحدة بفضيلة لا يوجد في غيرها، وأنّ الصلاة أفضلها فلا نعيدها.

فإن قلت: خطوة من دار الكفر إلى دار الإسلام للإيمان أفضل منها. قلنا: فعلى هذا يراد من الأحبية الزيادة في ذاتها وبجهة خاصّة.

## باب السنن وفضلها

[٣٥] قال النبي ﷺ: «من صلّى كلّ يوم ليلة ثنتي عشرة ركعة تطوعًا، بني له بيت في الجنة»<sup>٣٣٢</sup>.

فإن قلت: قد ذكر في باب فضيلة صلاة الضّحى، وستّ ركعات بعد المغرب مبالغات كثيرة من رفع الدرجات وحطّ السيئات، وذكر في بيان فضيلة ثنتي عشرة سنة مؤكّدة بناء بيت في الجنة فقط، ففهم منه أنّها دون صلاة الضّحى وستّ ركعات، وليس كذلك.

قلنا: لم يرد بذكر بناء البيت حصر فضائل السنن المؤكّدة، / [٦٥و] بل بيّن<sup>٣٣٣</sup> بعض فضائل السنن؛ لكفايته في التحريض باعتبار الحال والمقام، أو المراد من بناء البيت استحقاق المصلّين لدخول الجنة أوّلاً؛ بسبب السنن وذلك من أعظم المقاصد، لأنّ الجنة مشتملة على أنواع الدرجات الرّفيعة واللذات الشريفة، فلذا اقتصر عليه، فلا تلزم منه كون صلاة الضّحى وستّ ركعات أفضل من السنن الموظّفة.

[٣٦] وقال عليه السلام: «من صلّى بعد المغرب ستّ ركعات لم يتكلّم فيما بينهنّ بسوء،

<sup>٣٣١</sup> سنن أبي داود، الصلاة ٤٦.

<sup>٣٣٢</sup> صحيح مسلم، صلاة المسافرين وقصرها ٧٢٨؛ سنن الترمذي، الصلاة ٣٠٦؛ مصابيح السنة، ١/٤١٥.

<sup>٣٣٣</sup> -ص.

عدلن له بعبادة ثنتي عشرة سنة»<sup>٣٣٤</sup>.

قال القاضي ناصر الدين: <sup>٣٣٥</sup> فإن قلت: كيف يعادل العبادة القليلة العبادات الكثيرة، ففيه تضييع ثواب العبادات الزائدة.

قلت: الفعلان وإن اختلفا نوعًا فلا إشكال، وإن اتفقا فلعلّ القليل يكتسي بمقارنة ما يخصّها من الأوقات <sup>٣٣٦</sup> والأحوال ما يرجّحه على أمثاله <sup>٣٣٧</sup>.

وقال الإمام التّوربشتي: يحتمل أن تكون زيادة ثواب القليل باعتبار الأضعاف التي من فضل الله تعالى وفيه بحث؛ لأنّ عبادة ثنتي عشرة سنة مشتملة على الفرائض التي دلّت على فضيلتها على النّوافل الأحاديث/ [٦٥ظ] الصّحيحة، وعلى أضعاف الوقت الذي بعد المغرب، ولو لم يعتبر ذات العبادة في الفضيلة، ويعتبر شرف الوقت فقط، يلزم أن يكون ثواب عبادة ثنتي عشرة ركعة أضعاف ستّ ركعات باعتبار الوقت.

فإن قلت: العبادة الواقعة بعد وقت المغرب مخرجة عن تلك العبادات بقريضة العقل، كما أنّ ليلة الفجر خارجة من ليالي ألف شهر في قوله تعالى: ﴿لَيْلَةٌ أَلْقَدَرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: ٣]، والفرائض أيضًا مخرجة عنها بقريضة الأحاديث الواردة في فضائلها.

قلنا: لو سلّمنا ذلك، لكنّ التّفضيل باعتبار أحوال المصلّي لا يناسب؛ لعموم قوله من صلّي، فنفي التّفضيل باعتبار الوقت، فيلزم من التّفضيل بذلك الاعتبار أن لا يكون وقت أشرف من الوقت الذي بعد المغرب، وليس كذلك لما ثبت في الأحاديث الصّحيحة أنّ

---

٣٣٤ سنن الترمذي، الصلاة ٣٢١؛ سنن ابن ماجه، إقامة الصلاة والسنة فيها ١١٣؛ مصابيح السنة، ١/٤٢٠.  
٣٣٥ المفسر والقاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر بن علي البيضاوي الشيرازي الشافعي، توفي بمدينة تبريز سنة ٦٨٥هـ، من مصنفاته: «أنوار التنزيل وأسرار التأويل»، «شرح المنتخب في الأصول». انظر: تفسير البيضاوي، ص: ٩٠. وله أيضا شرح لمصابيح السنة «تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة» حيث قام بتفسير بعض مشكلات كتاب مصابيح السنة وحلها واكتشاف أسرارها، ذاكراً أنواع الحديث مشيراً إلى ما كان فيها من غريب أو ضعيف، معرضاً عن ذكر ما كان منكراً أو موضوعاً.

٣٣٦ الأوقات مكررة في نسخة ص.

٣٣٧ قاله القاضي في كتابه تحفة الأبرار في شرح مصابيح السنة، كتاب الصلاة باب السنن وفضلها؛ وقال أيضاً: يحتمل أن يكون المراد منه أن ثواب القليل مضعفا يعادل ثواب الكثير غير مضعف. انظر: القاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي، تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة، تحقيق: لجنة مختصة بإشراف نور الدين طالب، (الكويت- وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م)، ١/٣٥٢-٣٥٣.

الوقت الذي بعد الصبح، وفي الجمعة، وشهر رمضان، وبعد الثلثين من الليل أشرف منه. ولو كان معادلة ست ركعات بثواب عبادة ثنتي عشر سنة<sup>٣٣٨</sup> باعتبار الأضعاف التي من فضل الله تعالى، يلزم أن يكون الأضعاف المرتبة ست ركعات واقعة بعد المغرب / [٦٦ و] أكثر من الأضعاف المرتبة على عبادة ثنتي عشرة سنة<sup>٣٣٩</sup> من نوافل الصلوات مع الصيامات، والصدقات، وسائر العبادات؛ لأنّ العبادة مطلقة مع أنّها مشتملة على الأوقات الشريفة سوى الوقت الذي بعد المغرب، وسوى الفرائض.

ولا يستقيم ذلك، لما عرفت أنّ ترتب الأضعاف وزيادتها باعتبار فضائل المقتضيات من ذات العامل، أو عمله، أو حاله، أو وقته وترجيح ست ركعات بعد المغرب على اثنتي عشرة ركعة من السنن المؤكّدة، وعلى عبادة ثنتي<sup>٣٤٠</sup> سنة مشتملة على فضائل العبادات، وشرائف الأوقات بالجهات المذكورة، أو بوحدة منها لا يناسب.

فالأوجه في الجواب أن يقال: المراد من معادلة ثواب ست ركعات بعد المغرب، والتّحريض على مواظبتها لإتيان مساواة ثوابها لثواب عبادة ثنتي عشرة سنة.

فإن قلت: ما وجه تخصيص ثنتي عشرة سنة في بيان كثرة الثّواب.

قلنا: لا يتركّ حكمة تعيّن مقدار الرّكعات، والصدقات، والحدود الرّاجرات إلّا بنور النّبوة.

ويجوز أن يقال لما غلب استعمال الألف والمئة والسبع والسبعين واثنا عشر / [٦٦ ظ] في إرادة الكثرة، لا الحصر جرى النّصوص الشّرعية في بعض المواضع على ذلك العرف والعادة، ويؤيد ما ذكرنا من عدم إرادة الحصر قوله عليه السّلام: «من صلّى بعد المغرب عشرين ركعة بنى الله له بيتاً في الجنّة»<sup>٣٤١</sup> ولقائل أن يتكلّف.

ونقول: يجوز أن يفضّل تلك الست على عبادة ثنتي عشرة سنة، وعشرين ركعة بوجه من الوجوه غير ثابت فيهما. قلنا: لا يمتنع ذلك عقلاً، لكن أنت تعرف أنّ التّأويل المناسب للعقول المصنوع عن البعد في الأصول، غير التّأويل لمجرّد الاحتمال العقلي، إذ لو اعتبر ذلك الاحتمال، لا يوجد دليل قطعيّ في التّقليدات، ولا يعوّل على أكثر ما ثبت في الشّرعيّات.

٣٣٨ ف: ركعة.

٣٣٩ ف: ركعة.

٣٤٠ ص، + عشر.

٣٤١ سنن الترمذي، الصلاة ٣٢١؛ مصابيح السنة، ١/٤٢٠.

## باب صلاة الليل

[٣٧] عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «بتت عند خالتي ميمونة فصلّى النبي عليه السلام ثلاث عشر ركعة، ثم اضطجع فنام حتى نفخ وكان إذا نام نفخ، فأذنه بلال بالصلاة، فصلّى ولم يتوضأ»<sup>٣٤٢</sup> يتوضأ»<sup>٣٤٣</sup>

[٣٨] وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه رقد عند النبي صلى الله عليه وسلم، فاستيقظ فصلّى ركعتين أطال فيهما القيام والركوع والسجود، ثم انصرف فنام حتى نفخ، ثم فعل ذلك ثلاث مرّات ست ركعات كلّ ذلك يستاك ويتوضأ ويقرأ [٦٧ و] بعد كلّ وضوء ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٩٠] حتى ختم السّورة<sup>٣٤٤</sup>.

قال المظهر:<sup>٣٤٥</sup> لم يتوضأ في الرواية المتقدمة، وتوضأ في هذه الرواية؛ لتجديد الوضوء، لا لانتقاض وضوئه بالنوم، لأن قلبه لا ينام<sup>٣٤٦</sup>. وقال شارح المشكاة<sup>٣٤٧</sup>:<sup>٣٤٨</sup> لعله علم انتقاض

٣٤٢ ف: لم.

٣٤٣ صحيح البخاري، الأذان ١٥٩؛ صحيح مسلم، صلاة المسافرين وقصرها ٧٦٣؛ مسند أحمد، ٤/٣٤٠؛ مصابيح السنة، ١/٤٢٣.

٣٤٤ سنن أبي داود، التطوع وركعات السنة ٣١٤؛ مصابيح السنة، ١/٤٢٤.

٣٤٥ مظهر الدين، وهو الحسين بن محمود بن الحسن الزيداني، نسبة إلى صحراء زيدان بالكوفة. من علماء الحديث. من مؤلفاته: «معرفة أنواع الحديث»، «فوائد في أصول الحديث» أنظر: الأعلام للزركلي، ٢/٢٥٩. و «المفاتيح في شرح المصابيح»: وهو شرح على مصابيح السنة، حيث قام مظهر الدين بذكر أنواع علم الحديث جميعها في المقدمة وقسمها إلى عشرين نوعاً، ثم شرح أحاديث الكتاب حديثاً حديثاً على ترتيب البغوي. ومن خلال شرحه يتضح أنه قام بذكر أسماء الرواة وضبطهم. انظر: المفاتيح في شرح المصابيح، المقدمة، ص: ٢١، بتصرف.

٣٤٦ هذا الشرح نقله الإزنيقي من شرح مظهر الدين لكتاب مصابيح السنة. انظر: مظهر الدين الزيداني، المفاتيح في شرح المصابيح، تحقيق: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب، ط ١ (الكويت - دار النوادر ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م)، ٢/٢٦٠.

<sup>٣٤٧</sup> ص، السنة.

٣٤٨ شارح المشكاة؛ المحدث والمفسر الحسين بن محمد بن عبد الله شرف الدين الطيبي، توفي سنة ٧٤٣هـ. من أهل توريث من عراق العجم. من مؤلفاته: «التبيان في المعاني والبيان»، «شرح الكشاف» و «شرح مشكاة المصابيح». انظر: الأعلام، للزركلي، ٢/٢٥٦. و «مشكاة المصابيح» لمحمد بن عبد الخطيب التبريزي شرح ل «مصابيح السنة» للبغوي، انظر: مصابيح السنة، البغوي، ١/٦٥، والطيبي شرح كتاب مشكاة المصابيح وسماه: «شرح الطيبي على مشكاة المصابيح» المشهور بـ «شرح مشكاة المصابيح».

وضوئه في تلك الرواية، فتوضاً<sup>٣٤٩</sup>. لذلك قال شارح السنة: <sup>٣٥٠</sup> ولم ينم قلبه، ليعلم ما أوحى إليه في نومه. قال أبو عبيدة بن عمرو: رؤيا الأنبياء وحي<sup>٣٥١</sup>، وإذا ثبت أن نومه لا ينقض وضوءه فالتوجيه المذكور مستقيم، وإن لم يثبت، يمكن أن يقال نفخه لا يدل على نومه على سبيل القطع، إذ يجوز أن ينفخ بدون النوم، ولذا<sup>٣٥٢</sup> لم يتوضأ عند أذان بلال، ويجوز أن يعلم نومه في المرة الأخرى لاستغراق السنة<sup>٣٥٣</sup>.

### باب صلاة التسبيح<sup>٣٥٤</sup>

[٣٩] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «أنَّ أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته، فإن فقد أفلح ونجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر، وإن انتقص من فرضه تُكْمَلُ من نَفْلِهِ وكذا الصَّوم والزَّكاة»<sup>٣٥٥</sup>. وقوله: قد أفلح، يناهز بظاهر التهديدات / [٦٧ظ] الواردة في تارك الزكاة والحج، وفاعل سائر المعاصي؛ لأنَّ المؤمن إذا ارتكب الكبائر لا ينجيه عن عذابها مجرد إتمام صلاته. ويمكن<sup>٣٥٦</sup> أن يجاب عنه بأنَّ قوله: قد أفلح من باب المبالغة في التحريض على المواظبة على الصلوة، أو معناه فقد أفلح إن لم يمنع مانع من فعل سبب دخول النار، أو يقال: من واظب على الصلوة على وجه التعديل والصلاح، يتم سائر الفرائض، ويجتنب عن المعاصي

---

٣٤٩ بعد الرجوع إلى شرح الطيبي لهذا الحديث فإنه قال في شرحه كما قال المظهر. قال الطيبي: (...إنما توضأ حيث توضأ لتجديد الوضوء، لا أن وضوءه بطل. أقول: ويجوز أن يقال: إن قلبه صلى الله عليه وسلم كما أحس ببقاء الطهارة في الرواية الأولى، كذلك أحس في الثانية بحدوث الحدث). انظر: شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي، شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، تحقيق: د. عبد الحميد هندواوي، ط ١، (الرياض - مكتبة نزار مصطفى الباز ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م)، ٤/١١٨٥.

٣٥٠ الإمام البغوي.

٣٥١ هذا الكلام من شرح الإمام البغوي في كتابه شرح السنة. انظر: الحسين بن مسعود البغوي، شرح السنة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد زهير الشاويش، ط ٢، (دمشق - المكتب الإسلامي ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م)، ٦/٤.

٣٥٢ ص فلذا.

٣٥٣ ص + فتوضاً فيها.

٣٥٤ ص باب صلاة التطوع.

٣٥٥ سنن الترمذي، الصلاة ٣٠٥؛ مصابيح السنة، ١/٤٥٨. (روي الحديث باختصار).

٣٥٦ ص فيمكن.

كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، فيكون بين إتمام الصلوة وفعل سائر العبادات، والاجتناب عن السيئات ملازمة شرعية. ويحتمل أن يراد من الفلاح النجاة عن العقاب على ترك الصلوة، ومن الإنجاح الظفر بفضيلة الصلوة ورفع الدرجات بها.

واعلم أنّ الفلاح الكامل لا يكون إلاّ بأداء جميع الفرائض، والاحتراز عن جميع السيئات، وإذا علّق النجاة عن العقاب والفوز بالثواب بعبادة واحدة، ينبغي أن يشتغل بتأويل ذلك. وعادة الفقير تكثير التأويلات وعدّ بعض المحتملات؛ لتعليم المبتدئين طرق التأويلات، ولا يشير إلى أقربها أو نسبها/ [٦٨و] في أكثر المواضع تعويلاً على فهم العارف، وبعثاً له على أعمال الرؤية، وتشحيد الفكرة في استنباط أنسبها وتعيين أقربها، والله الهادي والموفق لفيض الصواب على من أقبل إلى جناب فيضها باستجماع الشرائط والآداب.

#### باب الجمعة

[٤٠] قال النبي ﷺ: «خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها، ولا تقوم الساعة إلاّ يوم الجمعة»<sup>٣٥٧</sup>.  
«وفيه ساعة لا يسأل عبد مسلم فيه خيراً إلاّ أعطاه إياه»<sup>٣٥٨</sup>.

فإن قلت: قد ثبت في الحديث أنّ خير الأيام يوم عرفة، فما وجه التوفيق<sup>٣٥٩</sup>؟ قلنا: قد فهمت ممّا أسلفت من الأجوبة ما يرشدك إلى التوفيق، ودفع التعارض الظاهريّ في مثل هذا السؤال، من أنّ الشّيء يجوز أن يكون أفضل من غيره باعتبار، ومفضولاً عنه باعتبار، فيوم الجمعة يجوز أن يفضل على سائر الأيام باعتبار الفضائل المخصوصة المذكورة في الحديث؛ من خلق آدم فيه وغيره. وعرفة تكون مفضلة على سائر الأيام باعتبار حصول معظم أعمال الحجّ فيها، فلا يلزم منه أن يكون يوم الجمعة مفضلاً ومفضلاً عليه/ [٦٨ظ] بجهة واحدة، لما عرفت أنّ جميع الأيام تساويه<sup>٣٦٠</sup> في ذواتها، والتفضيل لا يكون إلاّ باعتبار

---

٣٥٧ صحيح مسلم، الجمعة ٨٥٤؛ موطأ مالك، الجمعة ١٦٦؛ مسند أحمد، ١٥/٢٤٠؛ مصابيح السنة، ١/٤٦٤.  
٣٥٨ صحيح البخاري، الجمعة ٣٣؛ صحيح مسلم، الجمعة ٨٥٢؛ سنن الترمذي، الجمعة ٣٥٤؛ سنن ابن ماجه، إقامة الصلاة والسنة فيها ٧٩؛ النسائي، الجمعة ٤٥؛ مسند أحمد، ١٣/١١٧؛ مصابيح السنة، ١/٤٦٥.

٣٥٩ ص + فيه.

٣٦٠ ص، متساوية.

أمر عارض، فلا بعد في أن يكون حصول اجتماع الحجّاج وأعمال الحجّ في الأيام العشر من ذي الحجّة، سبب تفضيلها على سائر الأيام، ويوم عرفة يكون أفضلها باعتبار وجود أفضل أعمال الحجّ فيه، أو يكون يوم عرفة خارجًا عن الأيام التي فضّل عليها يوم الجمعة بقريئة حديث تفضيل يوم عرفة على سائر الأيام.

فإن قلت: دخول آدم في الجنّة في يوم الجمعة، وقبول الدّعاء في ساعته يكون سبب فضيلته، وأمّا خروج آدم عن الجنّة فيه، وقيامه القيامة فيه، لا يكون بسبب فضيلته، بل يكون بسبب سأمته كيوم الأربعاء.

قلنا: خروج آدم عن الجنّة، أو قيام الساعة أمر محزن ومهيب في ذاته، لكنّها<sup>٣٦١</sup> سبب السّرور والسّعادة باعتبار ثمراته، فإنّ خروج آدم عن الجنّة سبب نزوله في الدّنيا، ونزوله فيها سبب للعبادات، ولوجود الأولياء والأنبياء، ومن جملتهم نبينا محمد<sup>٣٦٢</sup> صلى الله عليه وسلّم، وهو المقصود من الكونين.

وقيام القيامة أيضًا سبب وصول العابدين والمقربين إلى لقاء ربّ العالمين، / [٦٩و] وإلى النّعيم المؤبّد والسّرور المخلّد، وأنواع اللذات والكرامات للمطيعين، وكونه سببًا لعذاب الأشقياء والفجّار؛ لسوء أعمالهم التي لم يخلق الإنسان لأجلها، ولذا قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْإِنْسَانَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] لا يقدر في فضيلة القيامة بالنسبة إلى الأبرار الذين دارهم دار القرار، بل الفجّار بمنزلة المعدوم، لعدم ترتب مقتضى الإنسانيّة عليهم، كما يقول الإنسان: والله ليست بإنسان لعدم ترتب مقتضى الإنسانيّة عليه.

ولا يُخطأك أصل اللّغة والإفهام في ذلك القول والكلام، والقيمة الصّغرى نظير الكلمة الكبرى في ذلك الاعتبار؛ لأنّ الموت منفوض مستنكر عند الفجّار، ومحبوب مستنقّس عند الأبرار، ولذا قال الله تعالى لليهود الذين زعموا أنّهم أولياء الله وأحبّاءه: ﴿فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الجمعة: ٦] يعني أنّ الموت سبب لوصول الحبيب إلى المحبوب، ووجدان اللذة الفاضلة والقربة الكاملة عنده، فيكون الموت مطلوبة ومرغوبة؛ لأنّ الحياة مانع عن الوصول، والموت وسيلة إليه.

٣٦١ ص، لكنهما.

٣٦٢ ص + المصطفى.

[٤١] قال أبو موسى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم / [٦٩ظ] يقول: «السّاعة التي يستجاب فيها الدعاء من يوم الجمعة ما بين أن يجلس الإمام إلى أن تقضى الصّلاة»<sup>٣٦٣</sup> وقال عبد الله بن سلام هي آخر ساعة من يوم الجمعة.

[٤٢] وقال أبو هريرة: «كيف يكون آخر ساعة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي»، وتلك السّاعة لا يصلي فيها»، فقال عبد الله بن سلام: ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من جلس مجلسًا ينتظر الصّلاة فهو في صلاة» وقال أبو هريرة: بلى فهو ذاك<sup>٣٦٤</sup>.

[٤٣] وقال أنس -رضي الله عنه- رواية عن النبي صلى الله عليه وسلم: «التمسوا السّاعة التي يرجى في يوم الجمعة بعد العصر إلى غيبوبة الشمس»<sup>٣٦٥</sup>.

فإن قلت: السّاعة إذا كانت بين جلوس الإمام وبين صلاته لا تكون في غيرها، فما وجه التّوفيق بين الأحاديث المذكورة؟

قلنا: إن صحّ جميع الأحاديث، يكون السّاعة دائرة، لكن في أكثر الأحوال يكون في واحد من الأوقات المذكورة، وإن لم يكن دائرة، يكون الواقع من الأوقات واحدها، ويكون سببًا لاختلاف عدم ضبط الرّواة.

### باب التّنظيف والتّبكير

[٤٤] «من غسّل يوم الجمعة، واغتسل، وبكر وابتكر، ومشى ولم يركب، ودنا من الإمام / [٧٠و] واستمع ولم يبلّغ؛ كان لكلّ خطوة عمل سنة، أجرُ صيامها وقيامها»<sup>٣٦٦</sup>.

وفهم من هذا الحديث أنّ خطوة للجمعة أفضل من صيام السنّة وصلاتها، وهذا مخالف لقاعدة الأصول؛ لأنّ الصّلاة أفضل العبادات الفرعيّة بالاتّفاق، والصّوم أشرف من الخطوة للجمعة بالاتّفاق أيضًا بدرجات كثيرة، فكيف يعادل ثواب خطوة للجمعة بثواب الصّوم والصّلاة فضلًا أن يساوي بثواب صلاة سنة وصيامها؟

فنقول وبالله التّوفيق: المراد من هذا الحديث التّحريض على التّبكير ببيان فضيلة ثوابه بالوجه

٣٦٣ صحيح مسلم، الجمعة ٨٥٣؛ سنن أبي داود، الجمعة ٢٠٨؛ مصابيح السنّة، ١/٤٦٥.

٣٦٤ سنن أبي داود، الجمعة ٢٠٦؛ مسند احمد، ٣٩/٢٠٢؛ مصابيح السنّة، ١/٤٦٥.

٣٦٥ سنن الترمذي، الجمعة ٣٥٤؛ مصابيح السنّة، ١/٤٦٦.

٣٦٦ سنن أبي داود، الطهارة ١٢٤؛ سنن ابن ماجه، إقامة الصلاة والسنة فيها ٨٠؛ مصابيح السنّة، ١/٤٧٢.

الأبلغ، لما عرفت بالنصوص القاطعة أنّ الصلّاة والصّوم أفضل عن التّبكير. ويمكن أن يقال: المضاف مقدّر، فمعناه مثل ثواب عمل سنة بقرينة بيانه بقوله أجر صيامها، وقد عرفت أنّه لا يلزم من التّشبيه المساواة في مقدار الثّواب.

ويمكن أن يقال: لا يحتاج إلى إخراج الحديث عن ظاهره، لما عرفت أنّ سبب فضيلة الأعمال، وتضعيف المثوبات قد يكون ذات العمل، كالإيمان والصلّاة، وقد يكون حال العامل؛ كإخلاصه وورعه، / [٧٠ظ] وحضور قلبه ورقته، وتضرّعه واضطراره وتوجّهه بالكليّة، وقد يكون شرف الوقت والمكان، كوقت ليلة القدر، ويوم عرفة، ويوم الجمعة والثّلاث الأخير من كلّ ليلة، والكعبة وتربة رسول الله ﷺ، والمسجد الأقصى، فلا تستبعد أن يكون ثواب العمل القليل أضعاف ثواب العمل الكثير، بأمر خارج عن ذات العمل، بأن يقع في محلّ القبول والرّضا بذلك الأمر الخارج.

كما عرف بالحديث الصّحيح أنّ من تسامح في بيعه وشرائه، أفلح مع جنائيات عظيمة، ومن قتل ما به رجل وندم عليه وتوجّه إلى قرية ليسأل عالماً فيها عن كفّارة قتله؛ ولم يصل إليها ومات في الطّريق دخل الجنّة بواسطة ذلك النّدم. وأنّ المرأة المعتادة بالزّنا غفرت لإرواء الكلب، وأنّ رجلاً غفر بسبب قطع غصن الشّجرة عن الطّريق.

فإنّ الله تعالى أخفى رضاه بين العبادات، حتّى يواظب على جميعها لتحصيل الرّضا، كما أخفى ليلة القدر بين ليالي رمضان، وساعة الإجابة بين أوقات يوم الجمعة، ليشغل بالعبادة في كلّ ليالي رمضان، وأوقات الجمعة بالطّاعة والدّعاء، وأخفى أيضاً سخطه بين المعاصي ليحتز عن كلّها، فعلى هذا يجوز / [٧١و] أن يقال: وصل ثواب كلّ خطوة إلى ثواب صلاة سنة وصيامها، بأمر خارج عن ذات الخطوة من غاية صدق المبتكر وإخلاصه. وتحريض الغير على الاغتسال والتّبكير، فيكون ذلك سبباً لغاية القبول وكمال الرّضا، فإنّ رضا الله تعالى أعظم الأسباب في تضعيف المثوبات وترفيه الدّرجات، كما قال تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢] هذا على تقدير أن لا يوجد ذلك المفضّل والمضعّف في صيام السنّة وقيامها.

فإن قلت: ذات الصلّاة والصّوم يقتضي الأضعاف لفضيلتهما الذاتية، فكيف يرجح الأضعاف الرّاجعة إلى أمر خارج على الإضعاف الرّاجعة إلى الذات؟

قلنا: قد عرفت أنّ رضا<sup>٣٦٧</sup> الله أعظم الأسباب المفضّلة، فيجوز أن يحصل باعتبار الأمر الخارج، ولا تغفل عن التّكثّر، فإنّها تعينك على التّشويش والتّحيّر في ترتّب الوعيدات والتّعليقات على أدنى المعاصي، والوعد بالدرجات والمبالغات في أقلّ العبادات. فإن قلت: لم لم يقل تلك التّكثّر في تفضيل أجر الذّكر بعد الفجر، وأجر صلاة الصّحى فيه؟

قلنا: لأنّ ذلك التّوجيه احتمال / [٧١ظ] عقلي فلا يصار إلى مثله إلّا للضرورة والندرة في القضايا المذكورة.

وقد عرفت أنّ الفقير يذكر الاحتمالات المتقاربة في الظّاهر لشحذ الأفهام، وتعليم طرق التأويل في الكلام، وأنت تعرف أنّ التأويل الأقرب والأولى منها هو الأوّل. واختلف الشّارحون<sup>٣٦٨</sup> في معنى غسّل واغتسل، وبكر وابتكر، والأنسب أن يكون معنى اغتسل وابتكر؛ باشر في الغسل والتّبكر، ومعنى غسّل وبكر حرّض غيره على الغسل والتّبكر، حتّى يتّصف بالشفقة والرّحمة على خلق الله، والأمر بالمعروف والعمل بعلمه والتّعليم به، فلعلّ بعض السّبب تفضيله الخطوة تلك الشّفقة والرّأفة. وقال عليه السّلام عقيب هذا الحديث: «من تخطى رقاب النّاس يوم الجمعة اتّخذ جسراً إلى جهنّم»<sup>٣٦٩</sup>. فإن قلت: التّخطي صغيرة تمحى بأداء الفرائض، لا يعاقب عليها لما ثبت في أصول الشّرع، ذلك وإنّ من صلّى الجمعة تمحى صغائره.

قلنا: معناه، اتّخذ جسراً إن لم يمنع مانع، كالمأحي؛ كالحسنة، والتّوبة والشفاعة، وقد عرفت أنّ المعصية من حيث هي مخالفة للملك الجبار لا صغيرة فيها، وإنّ سخط الله مكنون بين المعاصي، وقول العلماء الصّغيرة / [٧٢و] تتمحى بالفرائض، والكبيرة تمحى بالتّوبة، لا يدلّ

---

٣٦٧ ص، رضاء.

٣٦٨ قال الخطابي في كتابه معالم السنن: اختلف في معنى غسل واغتسل وبكر وابتكر، حيث ذهب بعضهم إلى أنّه يراد من الكلام التوكيد. وقال بعضهم: المراد من قوله عليه السلام: «غسل» غسل الرأس خاصة وذلك لأنّ العرب لهم ليم وشعور، وإلى هذا ذهب مكحول. وقوله واغتسل معناه غسل سائر الجسد. وقوله بكر وابتكر زعم بعضهم أن معنى بكر أدرك باكورة الخطبة وهي أولها، ومعنى وابتكر قدم في الوقت. وقال ابن الأنباري معنى بكر تصدق قبل خروجه. انظر: معالم السنن، ١/١٠٨.

٣٦٩ سنن الترمذي، الجمعة ٣٦٩؛ سنن ابن ماجه، إقامة الصلاة والسنة فيها ٨٨؛ مصابيح السنة، ١/٤٧٣.

على الوجوب، بل معناه أنّ المفهوم من ظواهر النصوص الشرعية ذلك.

وقد ثبت أيضاً بالحديث الصحيح جواز العقاب العظيم على بعض الصغائر، والنجاة عن العذاب بأقلّ العبادات، كما أشار إليه النبي المختار صلى الله عليه وسلم وعلى آله الأخيار: «إنّ العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي بها بالاً يرفعه الله بها له درجات، وإنّ العبد ليتكلم بالكلمة من سخطٍ لا يلقي بها بالاً إلاّ يهوي بها في جهنم أبعد ما بين المشرق والمغرب»<sup>٣٧٠</sup>.

[٤٥] وقال عليه السلام: «ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان، إلا غفر لهما»<sup>٣٧١</sup> والظاهر أنّ قوله اتخذ جسراً، للتحذير والمنع من تخطّي الناس بوجه بليغ، وتخصيص اتخذ جسراً من بين التمثيلات الزاجرة ليكون مناسباً للجناية.

### باب صلاة الخوف

[٤٦] عن يزيد بن رومان عن صالح بن خوات عمّن صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم ذات الرقاع صلاة الخوف: «أنّ طائفة صفت مع رسول الله وطائفة قامت وجاء العدو، فصلّى النبي عليه السلام بالطائفة التي معه / [٧٢ظ] ركعة ثمّ ثبت قائماً، وأتموا لأنفسهم ثمّ انصرفوا فصفوا وجاء العدو، وجاءت الطائفة الأخرى فصلّى بهم الركعة التي بقيت من صلاته، ثمّ ثبت جالساً وأتموا لأنفسهم ثمّ سلم بهم»<sup>٣٧٢</sup>.

وروى القاسم عن صالح بن خوات عن سهل بن أبي حثمة عن النبي عليه السلام ذلك الحديث أيضاً.

[٤٧] وقال جابر رضي الله عنه: «أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كنّا بذات الرقاع فيؤدي بالصلاة فصلّى بطائفة ركعتين، ثمّ تأخر<sup>٣٧٣</sup> وصلّى بطائفة أخرى ركعتين

٣٧٠ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ مسند أحمد، ١٤/١٣٥؛ مصابيح السنة، ٣/٣١٨.

٣٧١ سنن أبي داود، النوم ١٥٣؛ سنن الترمذي، الاستئذان والآداب ٣١؛ سنن ابن ماجه، الأدب ١٥؛ مسند أحمد، ٣٠/٥١٧؛ مصابيح السنة، ٣/٢٨١.

٣٧٢ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ صحيح مسلم، صلاة المسافرين وقصرها ٨٤٢؛ سنن الترمذي، الصفوف

٢٨٢؛ النسائي، الاستسقاء ١؛ موطأ مالك، صلاة الخوف ١؛ مصابيح السنة، ١/٤٧٨.

٣٧٣ ص، تأخروا.

آخرتين، وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم أربع ركعات وللقوم أربع ركعات<sup>٣٧٤</sup>»<sup>٣٧٥</sup>.  
 فإن قلت: في ظاهر الحديثين تدافع، لأنَّ أحد الحديثين يدلُّ على أنَّه عليه السَّلام صَلَّى  
 ركعة واحدة مع طائفة، وركعة أخرى مع الطَّائفة الأخرى. والحديث الآخر يدلُّ على أنَّه  
 عليه السَّلام صَلَّى مع كلِّ طائفة ركعتين، مع أنَّ الموضع واحد والرَّوَاة عدول.  
 قلنا: يمكن أن يقال يجوز أن يصلي النَّبي عليه السَّلام صلاة الخوف في موضع واحد مرَّتين  
 على حسب اقتضاء الوقت، بأن يكون إحدى الصَّلَاتين؛ صلاة الفجر، والأخرى ذوات  
 الأربع ركعات، أو يكون أحديهما / [٧٣و] في مدَّة السَّفر، والأخرى في الحضرة، فيندفع  
 بتلك التَّوجيه التَّدافع الظَّاهري.

ويجوز أن يكون الموضع متعدِّدًا، لأنَّ بعض النَّاس قالوا سمَّى تلك الغزوة بذات الرِّقاع؛ لوقوع  
 المقاتلة في موضع ألوان ترابه مختلفة. وقال بعضهم: سمَّيت بها للفَّ بعض الغزاة أرجلهم بحرق  
 الأثواب ورقاعها، وكلاهما يحتمل أن يكون في بعض الأوقات، لكنَّ الظَّاهر أن يكون  
 الموضعان مختلفين حتَّى لا يتعارض الحديثان.

### باب صلاة الكسوف<sup>٣٧٦</sup>

[٤٨] روت عائشة رضي الله عنها أنَّ النَّبي عليه السَّلام صَلَّى صلاة الكسوف ركعتين بأربع  
 ركوعات.

[٤٩] وروى علي رضي الله عنه: أنَّه صلَّاهما بثمان ركوعات. وروى سمرة رضي الله عنه: أنَّه  
 صلَّاهما بأربع ركوعات، ولم يجهر بالقراءة فيهما<sup>٣٧٧</sup>.

فإن قلت: كيف التَّوفيق بين الأحاديث المذكورة، مع أنَّ الحنفيين يقولون صلَّاهما بركوعين؟  
 قلنا: يمكن أن يدفع التَّعارض الظَّاهري بينهما بحسب اختلاف الوقت، بأنَّ صلَّاهما في

<sup>٣٧٤</sup> ص، للقوم ركعتان.

<sup>٣٧٥</sup> صحيح مسلم، صلاة المسافرين وقصرها ٨٤٣؛ مسند أحمد، ١٩٢/٢٣؛ مصابيح السنة، ٤٧٩/١.

<sup>٣٧٦</sup> في كتاب مصابيح السنة: باب صلاة الخسوف. انظر: الحسين بن مسعود البغوي، مصابيح السنة، تحقيق:  
 لدكتور يوسف عبد الرحمن المرعشلي، محمد سليم إبراهيم سمارة، جمال حمدي الذهبي، ط ١ (بيروت: دار المعرفة  
 للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٧هـ) ٤٩٧/١.

<sup>٣٧٧</sup> في مسند أحمد روى سمرة بن جندب رضي الله عنه أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم صَلَّى في كسوف الشمس  
 ركعتين، لا نسمع له فيهما صوتًا. مسند أحمد، ٣٣/٣٩٦.

بعض الوقت بركوعين، وفي بعضه بأكثر منهما، وإن اتَّفَق الرَّوَاةُ عَلَى أَنَّ الْوَقْتَ وَاحِدٌ يُدْفَعُ التَّعَارُضُ بِأَنَّ<sup>٣٧٨</sup> صَلَّاهُمَا بِرُكُوعَيْنِ / [٧٣ظ] عَلَى الْأَصْلِ، لَكِنْ لَمَّا أَطَالَ الرَّكُوعُ فِيهِمَا عَلَى خِلَافِ سَائِرِ الرَّكُوعَاتِ فِي الصَّلَاةِ، رَفَعَ بَعْضُ الْمُقْتَدِينَ رَأْسَهُ عَنِ الرَّكُوعِ بَعْدَ رُكُوعِهِ عَلَى الْوَجْهِ الْمَعْتَادِ ظَنًّا بِأَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَفَعَ رَأْسَهُ عَنِ الرَّكُوعِ، فَلَمَّا أَطَّلَعَ عَلَى أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يَرْفَعْ رَأْسَهُ عَنِ الرَّكُوعِ، رَكَعَ ذَلِكَ مَرَّةً أُخْرَى، فَلَمَّا رَأَى مِنْ خَلْفِ هَذَا الرَّكَعِ مَرَّةً أُخْرَى ظَنَّ أَنَّهُ تَابَعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي تَكَرُّرِ الرَّكُوعِ، فَرَكَعَ ذَلِكَ الرَّائِي ثَانِيًا، ثُمَّ أَخْبَرَ النَّاسَ، بِأَنَّ<sup>٣٧٩</sup> رَسُولَ اللَّهِ رَكَعَ فِي رُكْعَةٍ وَاحِدَةٍ رُكُوعَيْنِ.

وَكَذَا تَأْوِيلٌ مِنْ أَخْبَرَ بِأَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَكَعَ بِأَرْبَعِ رُكُوعَاتٍ فِي رُكْعَةٍ وَاحِدَةٍ، وَإِنْ اتَّفَقَ الرَّوَاةُ عَلَى أَنَّهُمْ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي الصَّفِّ الْأَوَّلِ، لَكِنْ قَالَ بَعْضُهُمْ: رَكَعَ رُكُوعًا وَاحِدًا فِي رُكْعَةٍ وَاحِدَةٍ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: رَكَعَ أَكْثَرَ مِنْ وَاحِدٍ. نَقُولُ: يَجُوزُ أَنْ يَرَكَعَ فِي رُكْعَةٍ وَاحِدَةٍ رُكُوعًا وَاحِدًا، وَفِي رُكْعَةٍ أَكْثَرَ مِنْهُ، فَيَكُونُ اخْتِلَافُ الرَّوَايَاتِ بِذَلِكَ الْإِعْتِبَارِ.

وَإِنْ وَقَعَ اخْتِلَافُهُمْ فِي جَمِيعِ الرَّكْعَاتِ فِي زَمَانٍ وَاحِدٍ، نَقُولُ فِيهِ: أَنَّ الرَّوَايَةَ أَخْطَأَ أَوْ نَسِيَ، لَمَّا عَرَفَتْ أَنَّ ذَلِكَ لَا يُتَصَوَّرُ فِي رُكْعَةٍ وَاحِدَةٍ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ، فَيَعْمَلُ فِي مِثْلِهِ بِمَا يَنْسَبُ الْقَاعِدَةُ / [٧٤و] الشَّرْعِيَّةُ وَيَتْرَكَ الْبَاقِي.

وَإِنَّمَا يَصِلُ بِنَا بِالتَّأْوِيلَاتِ الْمَذْكُورَةِ؛ لِدْفَعِ شُبُهَةِ الْمُبْتَدئينِ فِي كَلَامِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَرَدِّدِهِمْ وَتَحْيِرِهِمْ، حَتَّى لَا يَقَعَ فِي قُلُوبِهِمْ وَسُوسَةُ شَيْطَانِيَّةٍ وَنَزْغِ نَفْسَانِيَّةٍ.

### بَابُ سَجُودِ الشُّكْرِ

[٥٠] عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَكَّةَ يَرِيدُ الْمَدِينَةَ، فَلَمَّا كُنَّا قَرِيبًا مِنْ عَزُوزًا نَزَلَ ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ؛ فَدَعَا اللَّهَ سَاعَةً ثُمَّ خَرَّ سَاجِدًا قَالَ: «إِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي وَشَفَعْتُ لِأُمَّتِي، فَأَعْطَانِي ثَلَاثَ أُمَّتِي، فَخَرَرْتُ سَاجِدًا لِرَبِّي، ثُمَّ رَفَعْتُ رَأْسِي فَسَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي، فَأَعْطَانِي ثَلَاثَ أُمَّتِي فَخَرَرْتُ سَاجِدًا لِرَبِّي شُكْرًا، فَسَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي فَأَعْطَانِي الثَّلَاثَ الْآخَرَ، فَخَرَرْتُ سَاجِدًا لِرَبِّي شُكْرًا»<sup>٣٨٠</sup>.

<sup>٣٧٨</sup> ص، +نقول.

<sup>٣٧٩</sup> ف، فَإِنَّ.

<sup>٣٨٠</sup> سنن أبي داود، الجهاد ١٧٢؛ مصابيح السنة، ١/٥٠٣.

قال بعض الشّراح: ليس معنى الحديث أنّه تعالى غفر جميع أمّته بحيث لا تصيبهم النّار؛ لأنّ هذا مناقض لكثير من الآيات والأحاديث الواردة في تعذيب العصاة من أمّته، بل معناه أنّه عليه السّلام سأل ربّه تعالى أن لا يستأصل أمّته / [٧٤ظ] بالخسف، والمسح، والغرق والحرق كسائر الأمم الماضية، أو لا يخلّدهم في النّار<sup>٣٨١</sup>، بل يخرج من النّار من مات منهم على الإسلام، وهذا توجيه حسن وتوفيق بين النصوص الشرعيّة.

ويمكن أيضًا أن يقال: قد اطلع رسول الله صلى الله عليه وسلّم في ذلك السّفر على نزول بليّة عظيمة من السّماء، فنزل ودعا وسعى وبالغ في الدّعاء؛ لدفع هذه البليّة عن جميع أمّته، فاستجاب الله دعاه، فأخبر ذلك رفقاءه وأصحابه إظهارًا للمنة، وشكرًا لتلك النّعمة كما حكّت أمّ سليم عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم.

وقال: استيقظ ليلةً فرغًا يقول: سبحان الله ماذا أنزل اللّيلة من الخزائن، وماذا أنزل من الفتن من يوقظ صواحب الحجرات يريد أزواجه لكي يصلّين، ربّ كاسية في الدّنيا عارية في الآخرة. ويحتمل أن يراد من أمّتي؛ الخواصّ الذين يتبعونه في جميع الأمور الشرعيّة كما قال النّبي عليه السّلام: «أمّتي أمة مرحومة ليس لها عذاب في الآخرة»<sup>٣٨٢</sup> لكنّ المقام يأبى عنه.

### باب عيادة المريض وثواب المريض<sup>٣٨٣</sup>

[٥١] سئلت عائشة رضي الله عنها عن قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ تُبَدُّوْا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوْهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤] / [٧٥و]. وعن قول الله تعالى: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء: ١٢٣] فقالت: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلّم فقال: هذه معاتبه الله العبد بما يصيبه من الحمى والنّكبة، حتّى البضاعة يضعها في يد قميصه، فيفقدّها فيفزع<sup>٣٨٤</sup>،

---

٣٨١ هذا ما قاله مظهر الدين في شرحه على مصابيح السنة في فصل السجود، قال: دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لأمرته وإعطاء الله تعالى إياه، لا يعني أن يكون جميع أمّته مغفورين بحيث لا يصيبهم العذاب، بل أنّه عليه الصلاة والسلام سأل الله عز وجل أن يخصّ أمّته من بين الأمم بأن لا يخلّدون في النار بسبب الكبائر بل يخرج من مات مسلمًا بعد تطهيره من الذنوب وأن لا تمسخ صورتهم بسبب الذنوب. انظر: المفاتيح في شرح المصابيح، ٣٦٨/٢.

٣٨٢ سنن أبي داود، الفتن ٧؛ مسند أحمد، ٤٥٤/٣٢. (لكن في مسند أحمد روي بلفظ آخر: ليس عليها في الآخرة عذاب).

٣٨٣ هذا الباب أحد أبواب كتاب الجنائز في مصابيح السنة. انظر: مصابيح السنة، ٥١٣/١.

٣٨٤ ص، + لها.

حتى إنَّ العبد ليخرج من ذنوبه كما يخرج التُّبر الأحمر من الكبريت<sup>٣٨٥</sup>.

قال المظهر<sup>٣٨٦</sup> المعاتبه جريان العتاب بين الصّديقين مع أنّه في قلبه محبّته، وليس المراد منه أنّ جميع ذنوبه تكفر بالمكارة والأمراض، بل يذهب بعضها بها، فيكون معنى قول عائشة رضي الله عنها بيان أنّ ليس معنى الآية أنّ المجازاة لا تكون إلّا بعذاب الآخرة، حتّى يلزم منه أن لا يعاقب في الآخرة، بل كثير من ذنوب المؤمنين تمحى ويكفّر من مصائب الدّنيا.

ويمكن أن يقال لما كان الغالب تكفير ذنوب المؤمنين بالأمراض كما أشار النّبي عليه السّلام بقوله: «المؤمن كالخامة والمنافق كالأرزّة»<sup>٣٨٧</sup> حتى يخرج العبد من ذنوبه باعتبار الغالب، أو المراد من العبد؛ العبد المؤمن الكامل، لما عرفت أنّ الذُّنوب لا يمحي بدون الصّبر على البلاء، والمؤمن الصّابر عند البلاء يكون كامل الإيمان محكم / [٧٥ظ] الإيقان، فيكون ذنبه صغائر، إذ لو وقع منه كبيرة يتدارك سريعًا بالتّوبة والاستحلال.

والمراد من قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُبْدُوا﴾ [البقرة: ٢٨٤] ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ﴾ [النساء: ١٢٣] بعض المؤمنين بقرينة سبب النزول والسيّاق حتّى يناسب الحديث تفسير الآية.

والمراد من قوله تعالى: ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤] عزم القلب واستمراره على المعصية؛ لأنّ مبدأ الخواطر غير مقدور فلا يحاسب عليه.

وأنت تعرف الفرق بين توجيه المظهر وتوجيه الفقير فاختر منهما ما يقارب التّحقيق.

عن سعيد سئل النّبي صلى الله عليه وسلّم أيّ النّاس أشدّ بلاء قال: «الأنبياء، ثمّ الأمثل فلامثل، يبتلى الرّجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلبا اشتدّ بلاءه، وإن كان في دينه رقة هوّن عليه، فما زال كذلك، حتى يمشي على الأرض ما له ذنب»<sup>٣٨٨</sup>.

٣٨٥ ص، الكبير.

٣٨٦ قال المظهر في شرحه لهذا الحديث: قوله: «هذه معاتبه الله العبد»، (المعاتبه): جريان العتاب بين صديقين، و (العتاب): أن يُظهِر أحد الخليلين من نفسه الغضب على خليله؛ لسوء أدبٍ ظهر منه مع أن في قلبه محبته. وليس معناها أنّ الله يعذب المؤمنين بجميع ذنوبهم يوم القيامة، بل معناها: أنّه عز وجل يصيبهم بالحزن والجوع والعطش والمرض، حتى إذا خرجوا من الدنيا خرجوا منها متطهرين من ذنوبهم، لأن مصائب الدنيا تكون كفارةً لذنوب المؤمنين. انظر: المفاتيح في شرح المصابيح، ٤٠٤/٢.

٣٨٧ هنا روي الحديث بالمعنى. أخرجه البخاري: «مثل المؤمن كالخامة من الزرع، تفيئها الريح مرة، وتعدها مرة، ومثل المنافق كالأرزّة، لا تزال حتى يكون أنجعافها مرة واحدة» صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧.

٣٨٨ مسند أحمد، ٧٨/٣.

[٥٢] وقال عليه السلام: «إذا أراد الله بعبده الخير، عجل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد الله لعبده الشر، أمسك عنه بذنبه حتى يوافيه به يوم القيامة»<sup>٣٨٩</sup>.

[٥٣] وقال: «إنَّ عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإنَّ الله تعالى إذا أحبَّ قومًا ابتلاهم، فمن رضي به، فله الرضا، ومن سخط فله السخط»<sup>٣٩١</sup>.

[٥٤] وقال: «لا يزال البلاء بالمؤمن أو المؤمنة في نفسه/ [٧٦و]، وماله وولده حتى يلقي الله وما عليه من خطيئة»<sup>٣٩٢</sup>.

[٥٥] وقال: «إنَّ العبد إذا سبقت له من الله منزلة لم يبلغها، ابتلاه الله في جسده، أو في ماله أو في ولده، ثم صبره على ذلك حتى يبلغه المنزلة التي سبقت له من الله»<sup>٣٩٣</sup>.

فإن قلت: كم من مؤمن وليّ تقيّ لم تعجل له عقوبته ولم يشتدّ بلاؤه، بل لم يصب إليه بلاء، فيلزم منه أن لا يريد الله تعالى به خيراً، ويلقى ربه بخطيئة، وأن لا يحبّه وأن لا يكون صلماً في دينه، وليس كذلك، وكم من فاسق فاجر اشتدّ بلاؤه من جهة المرض وضياع المال، وموت الولد، فيلزم منه كونه محبوباً عند الله ويمحو جميع خطاياهم وليس كذلك. ولم أجد في الشروح التي وصل إليها مطالعتي هذا السؤال الصّعب ظاهر الورد، فكيف جوابها؟

فنقول: وبالله التوفيق لتأويل الكلام الدقيق، ليس المراد من البلاء؛ الشرّ والشدة والضرّ والعقوبة، بل هو شامل للنفع والضرّ، كما قال تعالى: ﴿وَبَلَوْنَهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٨] ﴿وَنَبَلُوكُمْ بِالْأَشْرِّ وَالْأَخْيَرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥] لكن المراد من البلاء؛ هنا ما يتألم المؤمن منه بقريته السيّاق؛ لأنّ / [٧٦ظ] إذا العبد ارتقى مقامه، تترقى صعوبة توفية وظائفه ورعاية مقتضياته، وتلك التكتة قيل: حسنات الأبرار، سيئات المقربين، فإنّ الأنبياء يعاتب بذنب صدر على السهو والنسيان، والزلة والخطأ، لأنّ الاحتراز عن أسبابها اختياري ولا يؤخذ به غيرهم. وقد عرفت أنّ مقام التقوى غير مقام

٣٨٩ سنن الترمذي، الزهد ٥٦؛ مصابيح السنة، ١/٥٢٨.

٣٩٠-ف.

٣٩١ سنن الترمذي، الزهد ٥٦؛ مصابيح السنة، ١/٥٢٨.

٣٩٢ مسند أحمد، ١٥/٥٠٤؛ مصابيح السنة، ١/٥٢٨.

٣٩٣ سنن أبي داود، الجناز ٢؛ مصابيح السنة، ١/٥٢٨.

٣٩٤-ص.

الفتوى، والأنبياء في أعلى مقامات التقوى، فيكون الأنبياء أشد الناس بلاءً، ثم أشد الناس بلاءً الأولياء بالنسبة إلى العوام.

وقد عرفت أن ما يخالف النفس ويتألم منه كثيرة، حتى قال النبي عليه السلام: «انطفاء سراج المؤمن مصيبة»،<sup>٣٩٥</sup> وإذا كان كذلك، فمن كان صلباً في دينه اشتد بلاؤه من جهة مخالفة النفس والشيطان ومجاهدتهما، ومنع دواعيهما، ومن جهة الدنيا وأهلها، ومن جهة رؤية المنكرات منهم أو معرفتها وسماعها، فإنه لا يتمالك على نفسه لقوة إيمانه، وينهى الناس عن المنكرات، فيكون ذلك سبباً إلى عداوتهم وسببهم وطعنهم في حقه، بل إلى ضربه وجرحه وقتله، وهذه مشقة عظيمة، ومصيبة مستمرة وبلية متنوعة، ولذا قال عليه السلام: «الدنيا سجن» [٧٧و] المؤمن<sup>٣٩٦</sup> والفاجر لا يتأذى منها؛ لموافقته لنفسه وشيطانه، والتذاذه برؤية المنكرات وسماعها، بل بمباشرتها وفعلها. ومصائب الدنيا قليلة سهلة بالنسبة إلى مصائب المؤمن بسبب تلك الأشياء.

فإن قلت: قوله: «عجل له العقوبة»، وقوله: «في نفسه وماله وولده»، وقوله: «ابتلاه الله في جسده وماله»، يدل على أن المراد من البلاء؛ المصيبة والمضرة الواصلة إلى النفس والمال والأولاد، لا الابتلاء بتكاليف الأوامر والنواهي.

قلنا: هذا لا ينافي أن يكون المراد من البلاء فيما سبق ما ذكرنا وفي المواضع المذكورة المصائب الدنيوية، فالمعنى على هذا، أن الولي أو النبي والمؤمن الصلب إذا ابتلي، يكون بلاؤه مشتتاً بالنسبة إلى غيرهم؛ لأنّ بلاءهم لرفع درجاتهم، وشدّة البلاء يكون سبباً لقوة الرّفعة وهم مستحقّون بها. ومن لم يكن صلباً هوّن وقلّ بلاؤه؛ لأنّه غير مستحق بأرفع الدرجات، فيكون بسببه مناسباً له، وتعجيل العقوبة سبب الخير والرّفعة أيضاً، وإمساكه وتأخيره سبب

---

٣٩٥ لعلّه قصد الازنيقي هنا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما أصاب المؤمن مما يكره، فهو مصيبة» أخرجه الطبراني في المعجم الكبير وهو حديث ضعيف الإسناد، والله أعلم، لأنه لا يوجد حديث للنبي عليه السلام بهذا اللفظ: «انطفاء سراج المؤمن مصيبة». انظر: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط: ٢، (القاهرة - مكتبة ابن تيمية)، ٢٠٣/٨.

٣٩٦ صحيح مسلم، الزهد والرفائق ٢٩٥٦؛ سنن الترمذي، الزهد ١٦؛ سنن ابن ماجه، الزهد ٣؛ مسند أحمد، ١٦/١٩٨؛ مصابيح السنة، ٣/٤١٥.

الشّر بالنسبة إلى فوت رفعة الدرجة، وذهاب الذنب / [٧٧ظ] بسبب تعجيل العقوبة. كما أنّ تهوين البليّة صار سبباً لعدم زوال الذنب بسبب شدة البليّة، ولا يلزم منه أن لا يوجد فيهم خير ورفعة، وذهاب وذنوب من جهة أخرى، لعدم انحصار أسباب الخير والرفعة في شدة البليّة وتعجيل العقوبة ومجرد المصيبة، إذ يجوز أن يجتهدوا في طاعة الله وتكميلها بقوة بدنهم وصحتهم وشكر نعمتهم، ويصلوا بذلك إلى مرتبة الشاكرين، وإن فات عنهم رفعة الصّابرين، وتذهب بسبب تلك العبادة ذنوبهم؛ لأنّ الحسنه تمح السيئة، ويرشد إلى ذلك قوله عليه السلام: «إنّ عظم الجزاء مع عظم البلاء» وقوله: «إذا سبقت للعبد من الله منزلة لم يبلغها بعمله، ابتلاه في جسده وفي أهله وماله ثم صبره على ذلك حتى ينال المنزلة التي سبقت له من الله تعالى».

مع أنّ قوله: «فإن كان في دينه صلماً»، وقوله: «إذا أراد الله بعبد خيراً»، وقوله: «إذا أحبّ قومًا ابتلاهم»، «ولا يزال البلاء بالمؤمن أو المؤمنة»، قضايا جزئية، فلا يلزم منه العكس الكلّي بطريق عكس التقيض، حتّى يلزم المحذور المذكور. والعكس الجزئي لا يضرنا؛ لأنّ بعض من لم يشتدّ بلاؤه، ولم يعجل عقوبته، لا يكون محبوباً عند الله ولم يذهب / [٧٨و] دينه.

فإن قلت قوله: «وإذا أراد الله بعبد الشّرّ أمسك عنه بذنبه حتى يوفيه به يوم القيامة»، يدلّ على أنّ ذنبه<sup>٣٩٧</sup> لا يزول بدون العقوبة.

قلنا: ليس كذلك، لما عرفت من النصوص الشرعيّة القاطعة في تكفير السيئات بما سوى العقوبة والبلاء من الحسنات، والعفو والشفاعة والتوبة، فهذه قرينة مخرجة هذا الكلام عن ظاهره، فالمراد: «حتى توفيه بذنبه»، لذا لم يذهب بجهة أخرى من الأسباب. وليس المراد أيضاً من قوله: «حتى يمشي على الأرض ما له ذنب، وحتى يلقي الله وما عليه من خطيئة» ظاهره، لما عرفت بالنصوص القاطعة أنّ حقوق العبادة، والمظالم، وترك الفرائض الأربع، بل الكبائر مطلقاً لا يذهب بالبلاء وشدة العقوبة في الدنيا.

فيكون المراد من الذنب والخطيئة الصغائر أو المعصية الحاصلة من الكبر والعجب، وغلبة الهوى والنفس، بسبب قوّة البدن وتربية النفس الأمّارة، أو لازم الذهاب وهو التحريض على

<sup>٣٩٧</sup> ف، دينه.

التّصبر على البليّة؛ لنيل الرّفعة المنوطة به. والفاجر المصاب بأشدّ البلايا وتعجيل العقوبة لا يكون صلّبًا في دينه ومحبوبًا/ [٧٨ظ] عند الله وذاهبًا خطاياها، لأنّ ذلك مشروط بالصّبر لقوله عليه السّلام: «ثمّ صبره على ذلك»، ولو صبر، لا يستبعد أن يكون صلّبًا ومحبوبًا وذاهبًا بعض خطاياها، من جهة الصّبر على البليّة، وإن كان نقوضًا ومستغرقًا في المعصية من الجهة الأخرى.

ويمكن أن يقال يجوز أن يجري قوله: «حتى يمشي على الأرض ماله»<sup>٣٩٨</sup> قوله فمن رضي به فله الرّضا»، وقوله: «حتى يلقي الله وما عليه من خطيئة» على ظاهره، فإنّ المؤمن إذا صبر على البليّة الشّديدة وانكسر قلبه، يرجع إلى ربّه بحضور القلب، والتّضرّع، والإخلاص، وفراغ البال وصفاء الحال، فيستغفر ويتوب عن جميع معاصيه، ويتدارك في تقصيراته برد المظالم واستحلالها إن وجدت، وأداء الفرائض إن فات، فتزول جميع خطاياها. وقوله: «ثمّ صبره على ذلك حتى يبلغ المنزلة التي سبقت» لم يرمز إليه، أو المؤمن الصّابر على البلايا والعقوبات، لا يوجد فيه المظالم والكبائر غالبًا، فأخرج الكلام على ذلك الأمر الغالب، لما عرفت أنّ صدور كلام الشّارع على الحكم الغالب غالبًا، لأنّ مقام الوعظ والخطابة غير مقام الجدل والمناظرة.

/ [٧٩و] وإذا تأملت بالنظر الصّائب والفكر الغالب، عرفت أنّ العبارات في النّصوص الشّرعيّة على خلاف العبارات في الفنون الفلسفيّة، فلا يحيك في صدرك ما لا ينعكس ولا يطرّد مطلقًا، فليكن ما أسلفت من الضّوابط وما سألقه بها إن شاء الله تعالى في المواضيع المناسبة على ذكر منك وحفظ في قلبك، حتّى ينقضي به عن التّردّد في مثل هذه المواضيع، ولا يتزلزل عقيدتك<sup>٣٩٩</sup> بالنّوازع النّفسائيّة.

### باب تمّي الموت<sup>٤٠٠</sup>

[٥٦] عن عبادة بن الصّامت -رضي الله عنه- قال النّبي عليه السّلام: «من أحبّ لقاء الله أحبّ الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه، والموت قبل لقاء الله»،<sup>٤٠١</sup> قالت<sup>٤٠٢</sup>

٣٩٨ ص، +ذنب.

٣٩٩ ص +فيها.

٤٠٠ أحد أبواب كتاب الجنائز. انظر: مصابيح السنة، ٢/٥٣٠.

٤٠١ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ صحيح مسلم، الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ٢٦٨٣؛ مسند أحمد،

عائشة: إِنَّا نكره<sup>٤٠٣</sup> الموت يا رسول الله، قال عليه السّلام: ليس ذاك، ولكنّ المؤمن إذا حضره الموت بُشِّرَ برضوان الله وكرامته، فليس شيء أحبّ إليه ممّا أمامه، فأحبّ لقاء الله، وأحبّ الله لقاءه. وإنّ الكافر إذا حضره الموت بشّر بعذاب الله وعقوبته، فليس شيء أكره إليه<sup>٤٠٤</sup> أمامه، فكره لقاء الله وكره الله لقاءه.

وقد جاء هذا الحديث في أكثر الموضوع مختصراً هكذا «من أحبّ لقاء الله أحبّ الله لقاءه/ [٧٩ظ] ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه»<sup>٤٠٥</sup>.

وزعم بعض الشّراح: أنّ المراد من لقاء الله الموت، واعترض بأنّ الموت يكرهه كلّ أحد حتّى الأنبياء.

وقال الفقير فيه قبل اطلاعه على بيان النّبّي عليه السّلام: مراده بقوله: «والموت قبل لقاء الله»، المراد من المحبة والكرهية؛ المحبة والكرهية الاختياريتان لا الطّبيعتان، لأنّ طبيعة كلّ واحد ينفر من الموت بالجيلة ولا إثم فيه، لكنّ الموت لما كان سبباً للقاء المحبوب، ونيل المطلوب من رؤية الله تعالى أنواع<sup>٤٠٦</sup> القربة والكرامة عنده، وأصناف اللذات الرّوحانية والجسمانية الكاملة الأبدية، يحبّه الأولياء والأنبياء، ويكرهه الفجّار والأشقياء، كما أشير إليه بقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة: ٦-٧].

والمراد من الحديث على ما بيّنه النّبّي عليه السّلام، أنّ المؤمن المتّقّي يحبّ لقاء الله باختياره عند حضور الموت؛ لبشارة الملائكة برضوان الله كما قال تعالى: ﴿تَنْزِيلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَكُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠] / [٨٠] لأنّ المقام الأعلى والمنزلة الرّفيعة مخصوصة للمطيعين المتّقين عند الله تعالى، ومحبة المتّقّي لقاء الله تعالى

٢٠٣/١٦؛ مصابيح السنة، ٥٣١/١.

٤٠٢ ص فقالت.

٤٠٣ ص، لنكره.

٤٠٤ ص +مما.

٤٠٥ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ صحيح مسلم، الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ٢٦٨٣.

٤٠٦ ف، أنواع.

لازمة لرؤية ذلك المقام الرفيع عند قرب الموت.

فإن قلت: سلّمنا ذلك، لكن محبة المؤمن لقاء الله لا تستلزم ولا يكون سبباً لمحبة الله، فكيف قال: «من أحب لقاء الله أحب لقاءه»؟ قلنا: المضاف في الجزاء مقدر وهو ظهور محبة الله له أو معرفته إيّاه؛ لأنّ من أحب لقاء الله يواظب على طاعة الله تعالى، فيكون ذلك سبباً لظهور محبة الله إيّاه ومعرفته به بسبب بشارة الملائكة برضوان الله تعالى.

واعلم أيّها المستدلّ، أنّك إذا لم تجد استلزام الشرط أو سببته للجزاء فليتأمل فيه، وليعلم أنّ الجزاء في الحقيقة الإخبار به، أو قام مقام الجزاء لازمه، أو ملزومه، أو أثره ودليله، أو فائدته أو متعلّق له، واستنبط من بينها ما يناسب المقام، لما عرفت أنّ الاطلاع على أنّ المراد من الكلام غير حقيقته وظاهره بقريّة عقليّة، أو نقليّة، أو عرفيّة وعاديّة سهل، لكن الشّان في تعيين معنى مناسب للمقام من المعاني المجازيّة<sup>٤٠٧</sup> لو تعدّدت، واحتمل الكلام لكل واحد منها ولا تغفل عنه.

#### باب المشي بالجنّازة / [٨٠ظ] والصلاة عليها

[٥٧] قال النبي ﷺ: «ما من مسلم يموت، فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئاً، إلّا شفّعهم الله فيه»<sup>٤٠٨</sup>.

[٥٨] وقال: «ما من ميت يصلي عليه أمة من المسلمين، يبلغون مائة كلّهم، يشفعون له، إلّا شفّعوا فيه»<sup>٤٠٩</sup>.

[٥٩] وقال أنس -رضي الله عنه-: مرّوا بجنّازة فأثنوا عليه<sup>٤١٠</sup> خيراً، فقال عليه السّلام: وجبت، ثمّ مرّوا بأخرى فأثنوا عليه شراً، فقال عليه السّلام: وجبت، فقال عمر رضي الله عنه: ما وجبت؟ قال: هذا أثنتم عليه خيراً فوجبت له الجنّة، وهذا أثنتم عليه شراً فوجبت له النّار، أنتم شهداء الله في الأرض. وفي رواية: المؤمنون شهداء الله في الأرض<sup>٤١١</sup>.

[٦٠] وقال عمر رضي الله عنه: قال النبي ﷺ: «أيّما مسلم يشهد له أربعة بخير أدخله الله

٤٠٧ ص، إذ.

٤٠٨ سنن أبي داود، الجنّاز ٤٦؛ مسند أحمد، ٤/٣٠٧؛ مصابيح السنة، ١/٥٤٦.

٤٠٩ النسائي، الجنّاز ٧٨؛ مسند أحمد، ٦/٣١٥.

<sup>٤١٠</sup> مكررة.

٤١١ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ مصابيح السنة، ١/٥٤٧.

الجنة» قلنا: وثلاثة قال: «وثلاثة» قلنا: واثنان، قال: «واثنان» ثم لم نسأله عن الواحد»<sup>٤١٢</sup>.

فإن قلت: قوله عليه السلام: «يبلغون مائة» يدلّ بظاهره على أنّ شفاعته من دون المائة لا يفيد هذه الفائدة، وإلاّ، لا يكون في تخصيص المائة فائدة، وقوله: «أربعون رجلاً» يدلّ على أنّ من دونه يفيد تلك الفائدة، وقوله عليه السلام: «وجبت»، يدلّ على أنّ ثناء المؤمنين وشهادتهم يُوجب / [٨١و] دخول الجنة وليس كذلك.

قلنا: قد ظهر جواب هذه الاعتراضات عن الضوابط التي ذكرناها، لكن لما كان تفصيلها وتبينها عوناً للمبتدئين، فصلنا في كلّ موضع ما يناسبه للتأكيد والتقرير والتوضيح والتحرير، فنقول: حديث الأربعين لو كان متأخراً يكون الحظّ لتزايده رتبة نيّنا عليه السلام، لتزايده فضل الله ورحمته عليه يوماً فيوماً، فيكون دعاء الأربعين سبباً لشفاعة الميت المؤمن، بعد كون دعاء المئة بسبب شفاعته، ولو لم يكن متأخراً.

يجوز أن يكون المراد من الأعداد المختلفة كثرة الجماعة من المصلّين على الميت، كما يطلق السبعون والمئة، ويراد الكثرة لا الحصر.

أو نقول: قول المئة لا ينافي الأربعين، كما لم يناف كون<sup>٤١٣</sup> شهادة الأربعة سبب دخول الجنة، كون الثلاثة والاثنتين سبباً له أيضاً، إذ يجوز أن تكون الأسباب الشرعيّة متعدّدة، واختصاص كلّ واحد بالذكر لاقتضاء المقام ذلك. قوله: <sup>٤١٤</sup> وجبت، لا يدلّ على الوجوب الدّاتي كما زعمت المعتزلة، بل المراد منه الوجوب الوعدي كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [البروج: ١١] / [٨١ظ] وقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [البقرة: ٢٥] وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٣-١٤] وقال تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ [القلم: ٣٥] ﴿أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨]. وخلف الوعد والوعيد محال.

٤١٢ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ النسائي، الجنائز ٥٠؛ مسند أحمد، ٢٨٧/١؛ مصابيح السنة، ٥٤٧/١.

٤١٣ -ص.

٤١٤ ص، وقوله.

فإن قلت: شهادة المؤمن<sup>٤١٥</sup> بطاعة الميِّت وتقواه، أو على معصية وهواه لا يدلّ على الوقوع، فكيف يلزم الوجوب الوعديّ من شهادتهم؟  
قلنا: القاضي يحكم بشهادة العدلين على القطع؛ لوجوب الحكم عند إقامة الحجّة، مع أنّ الحاكم هنا من يؤيّد بنور التّوبة والقوّة القدسيّة، أو نقول: أكثر جريان كلام الشّارع باعتبار الغالب، واللائق بحال الصّحابة أن تكون شهادتهم مطابقة للواقع: أو نقول: معناه وجبت إن كان الواقع ما ذكرتم.

### باب البكاء على الميِّت

[٦١] قال<sup>٤١٦</sup> النّبي عليه السّلام لعبادة بن<sup>٤١٧</sup> سعد بن عبادة مع عبد الرّحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم: فلمّا دخل وجده في غاشية الموت فبكى، وبكى القوم معه، فقال النّبي ﷺ: «ألا تسمعون أن الله لا يعذب بدمع العين، ولا بحزن» [٨٢و] القلب، ولكن يعذب بهذا - وأشار إلى لسانه - أو يرحم، وإنّ الميِّت ليعذب ببكاء أهله عليه<sup>٤١٨</sup>.

فإن قلت: عذاب الميِّت ببكاء الأهل مخالف لقواعد الشّرع؛ لأنّ العذاب يكون بمباشرة المكلف في المعاصي، أو يكون سبباً لمباشرتها، ولم يوجد في الميِّت أحدهما.

### [أجوبة بعض الشّراح]

قلنا: أجاب الشّراح عن هذا السّؤال بأجوبة؛

قال بعضهم<sup>٤١٩</sup>: قالت عائشة رضي الله عنها في هذا الحديث: سمع ابن عمر هذا الحديث ولم يحفظ القضية، لأنّ قضيتّه أنّ جنازة يهوديّ مرّت على رسول الله وقومه بيكون فقال

٤١٥ ص، المؤمنين.

٤١٦ ص، + ابن عمر أتى.

٤١٧ -ص.

٤١٨ صحيح البخاري، الجمعة ٢٠٤؛ صحيح مسلم، الجنائز ٩٢٤؛ مصابيح السنة، ١/٥٦٣.

٤١٩ خرج أبو داود هذا الحديث في سننه: حدثنا هناد بن السري، عن عبدة وأبي معاوية -المعنى- عن هشام ابن عروة، عن أبيه عن ابن عمر، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "إن الميِّت ليعذب ببكاء أهله عليه" فذكر ذلك لعائشة، فقالت: وهل -تعني ابن عمر- إنما مر النبي -صلى الله عليه وسلم- على قبر فقال: "إن صاحب هذا ليعذب وأهله بيكون عليه" ثم قرأت: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الإسراء: ١٥]. قال عن أبي معاوية: على قبر يهودي. سنن أبي داود، الجنائز ٢٩.

عليه السلام: أنتم تبكون، وإنه ليعذب، وقالت حسبكم القرآن ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [فاطر: ١٨].

قال الخطابي: هذا الحديث مخصوص بميت وجب عليه العذاب، فالمعنى ليعذب عند بكاء أهله، فيكون بكاء أهله حالاً<sup>٤٢٠</sup>.

وقال بعضهم: المراد من الميت من قُرب موته، فإنه يتألم ببكاء أهله في سكرات الموت. وقال المظهر: هذا ضعيف لما ثبت في حديث آخر أنه ليعذب في قبره. ويمكن أن يقال: يجوز أن يكون الميت يعذب في قبره ببكاء أهله، ويتألم عند الموت أيضاً ببكاء أهله، ولا يمنع أحدهما الآخر.

وقال بعضهم: / [٨٢ظ] يعذب بسبب وصيته بالبكاء عليه؛ لأنهم يوصون بالبكاء عليهم حولاً كاملاً<sup>٤٢١</sup>.

وقال بعضهم: يعذب لكونه راضياً بالبكاء عليه؛ لأنهم يبكون حولاً كاملاً وأكثر، ويتفجعون عليه ويتكلمون فيه كلاماً مخالفاً للشرع.

واعلم، أن سوق الكلام من قضية العبادة والبكاء يدل على أن المراد من الميت من يشارف الموت، ومن العذاب تألمه بسبب الصياح والعيول عليه، كما هو عادة الأهل والأقارب عند مشاركة الموت.

ويحتمل أن يراد من الميت، معناه الحقيقي، ومن التعذيب تألمه أيضاً من بكاء الباكين على مقبرته على وجه غير مشروع، لأن نفس الميت مؤمناً كان أو كافراً يعرف الزوار وغيرهم، كما قال النبي عليه السلام في بدر لجيف الكفار الملقاة في البئر: إننا وجدنا ما وعد ربنا حقاً، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟ وقال بعض الصحابة: يا رسول الله وهذا جيف الموتى،

---

٤٢٠ قال الخطابي في كتابه معالم السنن: (...قد يحتمل أن يكون الأمر في هذا على ما ذهبت إليه عائشة لأنها قد روت أن ذلك إنما كان في شأن يهودي والخبر المفسر أولى من الجمل ثم احتجت له بالآية، وقد يحتمل أن يكون ما رواه ابن عمر صحيحاً من غير أن يكون فيه خلاف الآية وذلك أنهم كانوا يوصون أهلهم بالبكاء والنوح عليهم وكان ذلك مشهوراً من مذاهبهم وهو موجود في أشعارهم كقول القائل وهو طرفة:

إذا مت فأنعيني بما أنا أهله... وشقي عليّ الجيب يا أم معبد). انظر: أبو سليمان الخطابي، معالم السنن، ٣٠٣/١.

٤٢١ هذا قول الخطابي، ونقله عنه بعض العلماء في كتبهم في شرح هذا الحديث مثل بدر الدين العيني في كتابه عمدة

القاري. انظر: بدر الدين العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه:

شركة من العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، لصاحبها ومديرها محمد منير عبده أغا الدمشقي، ٧٩/٨.

وقال النبي عليه السلام وهذه أعرف منكم، لكن لم يؤذن لهم في الكلام، ولا يعد في ذلك؛ لأنّ النفس إذا تخلّصت عن العوائق الجسمانيّة تصفو وتقوى إدراكها، لكنّ سنة الله جرت على أن يكون تكلمهم بواسطة اللسان/ [٨٣و] على حسب العادة، ولو أريد خرق العادة يتكلم بدونه.

ويحتمل أيضاً أن يسمع<sup>٤٢٢</sup> رسول الله كلام أهل الميت الفاجر من نديبتهم ومرثيتهم بعد أفعاله السيئة وأخلاقه المذمومة؛ كالنهب، والكبر، والغارة، والقتل، والغلبة بوجه غير مشروع، زاعمين أنّها سبب مدح وفضيلة له.

ثمّ قال: إنّ الميت ليعذب ببكاء أهله يعني أنّ أهل الميت يمدحون الميت بشيء يعدّونه من الفضائل والكمالات، مع أنّ الميت يعذب بسبب تلك الافضل والحصل المذمومة في الشريعة، فهذا أمر أساليب البلاغة وطرائق الرمز والدقة، لذا يفهم منه المنع عن البكاء والتدبة على خلاف الشريعة، وهذا أيضاً إذا لم يكن، وإنّ الميت من تتمّة قضية العبادة، فتأمل في التوجّهات المذكورة واختر منها ما يناسب المقام.

### [وجوب الجنّة أو النار للميت]

[٦٢] وقال النبي عليه السلام: «لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد، فيلج النار إلا تحلة القسم»<sup>٤٢٣</sup>.

[٦٣] وقال النبي صلى الله عليه وسلم لنسوة من الأنصار: «لا يموت لإحداكن ثلاثة من الولد فتحتسبه، إلا دخلت الجنة، فقالت امرأة: أو اثنان يا رسول الله؟ قال: أو اثنان»<sup>٤٢٤</sup>.

[٦٤] وقال: «يقول الله تعالى: ما لعبدي المؤمن عندي جزاء، إذا قبضت/ [٨٣ظ] صفية من أهل الدنيا، ثم احتسبه، إلا الجنة»<sup>٤٢٥</sup>.

فإن قلت: مجرّد موت الاثنين من الولد، أو موت الثلاث لا يوجب دخول الجنة لوالديه، إذ ربّما يكون عليهما مظالم أو ترك الفرائض.

قلنا: معنى الحديث، أنّ صبر الوالدين على تلك المصيبة يكون سبباً لدخول الجنة لو لم يفعلوا

٤٢٢ ص، سمع.

٤٢٣ صحيح البخاري، الجمعة ١٧٣؛ مسند أحمد، ٢٠٦/١٢.

٤٢٤ صحيح مسلم، البر والصلة والآداب ٢٦٣٢؛ مسند أحمد ٤٩٠/١٤؛ مصابيح السنة، ٥٦٥/١.

٤٢٥ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ مسند أحمد، ٢٣٠/١٥؛ مصابيح السنة، ٥٦٥/١.

ما يوجب دخول النَّار، لما عرف<sup>٤٢٦</sup> أن كلَّ عبادة من شأنه أن يكون سبباً لدخول الجنَّة، إن لم يعارض معارض من المعاصي، كما أن كلَّ معصية من شأنها أن يكون سبباً لدخول النَّار، إن لم يوجد المانع والمأحي، وتخصيص بعض الطَّاعات لكونه سبباً لدخول الجنَّة، أو لوصول القربة والرَّفعة على الإطلاق، من غير ضمِّ باقي العبادات، والاجتناب عن السيئات في بعض المواضع، للتَّحريض عليه بطريق أوضح وأبلغ.

وكذا<sup>٤٢٧</sup> تخصيص بعض المعاصي بكونه سبباً لدخول النَّار أو للعقاب العظيم، من غير قيد عدم المأحي من فعل الحسنة السَّاترة، أو العفو والشفاعة للزَّجر عن ارتكابه بوجه بليغ؛ لأنَّ الفوز بدخول الجنَّة والقربة من أعلى المطالب وأعظم المآرب، فيجتهد كلُّ عاقل في تحصيل سببه، والوقوع في / [٨٤و] شدائد جهنم والعقاب بالنَّار من أهول المزاجر والمضارِّ، فيحتسب كلُّ عارف عن سببه بغاية الاحتياط والتَّوقي، لعلمه بغاية ضعفه وعدم طاقته عليه.

ولتلك التَّكثيرة والدَّقيقة، قال النَّبيُّ عليه السَّلام عند ثناء القوم على ميِّت: وَجبت الجنَّة له، وعند ذكر مساوئه ومعاصيه: وجبت له النَّار؛ لأنَّ ذلك الكلام البليغ أبلغ في التَّحريض على مواظبة العبادة والزَّجر عن ارتكاب المعصية.

ولا تغفل عن مثل تلك الرِّمزة إن كنت من أهل الفكرة وأرباب الدِّقة. ويجوز أن يراد من دخول الجنَّة بالصَّبر على المصيبة الدَّخول، ولو كان بعد عذابه بمقدار معصية، فتأمل فيه بالنَّظر الدَّقيق تطلع على التَّحقيق.

وقد عرفت في فوائد التَّخصيص التَّفصيل والتَّدقيق، فلا يحتاج إلى الإعادة، إذ العاقل تكفيه الإشارة، والعاقل لا تنفعه تكثير العبارة.

واختلف الشَّراح في معنى «إلا تحلَّة القسم»، قيل: معناه، لا يدخل النَّار إلا مقدار تحلَّة القسم؛ أي لا يدخلها إلا زماناً قليلاً، لأنَّ من لا يريد فعلاً ويتنقَّر عنه، لكنَّه حلف على فعله لا يفعل ذلك الفعل إلا مقداراً يحصل به التَّخلص عن الحنث، / [٨٤ظ] وهو لا يكون إلا في زمان قليل.

٤٢٦ ص، عرفت.

٤٢٧ ص، ولذا.

وقيل: إن الله تعالى قسم على أن يردَّ كلَّ النَّاسِ جهنم بقوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهِنَّ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ [مریم: ٦٨] أو بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مریم: ٧١] على أن يكون القسم مقدراً<sup>٤٢٨</sup> قبل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِّنْكُمْ﴾ فيكون المعنى لن يلج إلا<sup>٤٢٩</sup> تحلة قسم الله أو إلا لتحلة قسمه.

وقيل: في تقدير القسم خروج عن الظاهر بدون الضرورة، مع أن الآيتين لا يدلان على الدخول، وعدم الدخول في الحضور<sup>٤٣٠</sup> حول جهنم ظاهر. والورود أيضاً لا يدل عليه كما قال تعالى في حق موسى عليه السلام: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ﴾ [القصص: ٢٣] ولم يدخل موسى مدين، فيكون التوجيه الأول أولى.

ويجوز أن يكون التوجيه الثاني مستقيماً بأن يرد من قوله عليه السلام: «إلا تحلة القسم»، الدخول كما لم يرد من الآيتين، فمعناه: لا يلج النار بل يحضر، ثم يمر كالمقربين<sup>٤٣١</sup>، مع أن المحلوف عليه لا يجب أن يكون في كل صورة فعلاً منكرًا. ويجوز أن يكون الاستثناء منقطعاً، أي لكن تحلة القسم يوجد.

### باب زيارة القبور

[٦٥] عن بريدة - رضي الله عنه - أنه قال: قال النبي عليه السلام: «نهيتمكم عن زيارة القبور فروروها، ونهيتمكم عن / [٨٥و] لحوم الأضاحي فوق ثلاثة أيام، فأمسكوا ما بدا لكم، ونهيتمكم عن التبيد إلا في سقاء، فاشربوا في الأسقية كلها، ولا تشربوا مسكراً»<sup>٤٣٢</sup>.  
فهذا دليل ظاهر على أن الحديثين إذا تعارضا، ينبغي أن نجعل أحدهما ناسخاً إذا علم التاريخ.

٤٢٨ ف، مقدراً.

٤٢٩ ص، +مقدار.

٤٣٠ ص، الحصول.

٤٣١ وهو قريب من قول الخطابي في كتابه: أنه لا يدخل النار ليعاقب بها، لكنه يجوز عليها، وقال ذلك بتأويل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مریم: ٧١]. انظر: أبو سليمان الخطابي، أعلام الحديث، تحقيق: د. محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، ط ١ (مكة المكرمة - جامعة أم القرى (مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي) الأولى، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م)، ١/٦٦٩.

٤٣٢ صحيح مسلم، الجناز ٩٧٧؛ النسائي، الجناز ١٠٠؛ مسند أحمد، ٣٤١/٦؛ مصابيح السنة، ١/٥٦٨.

## باب من لا يحلّ المسألة ومن يحلّ

[٦٦] قال النبي صلى الله عليه وسلم: «من سأل الناس وله ما يغنيه، جاء يوم القيامة ومسألته في وجهه خموش أو خدوش، أو كدوح». قيل: يا رسول الله وما يغنيه؟ قال: «خمسون درهماً»<sup>٤٣٣</sup> وقيمتها من الذهب»<sup>٤٣٤</sup>. وسأل البعض عمّا يغنيه<sup>٤٣٥</sup> موضع آخر، فأجاب بقوله: قدر ما يغديه ويعشيه، وفي<sup>٤٣٦</sup> شبع ليلة ويوم.

[٦٧] وفي رواية: «من سأل منكم وله أوقية أو عدلها؛ فقد سأل إلحافاً»<sup>٤٣٧</sup>. وقال: «المسألة لا تحلّ لغني، ولا لذي مِرّة سوي، إلاّ لذي فقر مدقع، أو عُرم مفضّع»<sup>٤٣٨</sup>.

[٦٨] وقال: «من أصابته فاقة فأنزلها بالناس، لم يسد فاقته، ومن أنزلها بالله أو شك الله له بالغنى»<sup>٤٣٩</sup>، إما بموت عاجل، أو غنى جاهل»<sup>٤٤٠</sup>.

فإن سألت عن جواب دافع للتعارض الظاهري المفهوم من الأحاديث؛ فقد أمضيت ما يغنيك عن جوابه وتصريحه، لكن لا بأس لنا في أن نشرع في تفصيله وتحريره. / [٨٥ظ]  
فنقول: إذا علم تأخر حديث الأوقية والخمسين، يكون ذلك ناسخاً لما دونها للتوسعة والتّرفيه، وإلاّ ندفع التّعارض ببيان اختلاف الجهة، بأن يكون مرخص السؤال للفقير الصّابر المتوكّل فوات ما يغديه وما يعشيه، ووصول الغرم المفضّع والفقر المدقع، وللعامي المترفه الذي يشوّش خاطره فوات الأوقية أو خمسين درهماً فواتهما، وهذا الأسلوب كثير في علم الحديث يعرفه المتدرّب فيه.

وقوله عليه السّلام: «من أصابته فاقة» الحديث، يحرض ويرشد إلى سلوك سبيل التّوكل والتّعفف؛ لأنّ ذلك عزيمة، وأصل، وكمال وفضل.

فإن قلت: قد سدّ الفقر والفاقة لكثير من النّاس سؤاله، وعرض فقره على الأغنياء الكرماء

<sup>٤٣٣</sup> ص، أو.

٤٣٤ سنن الترمذي، الزكاة ٠٢٢؛ مصابيح السنة، ٣٥/٢.

٤٣٥ ص، +في.

٤٣٦ ص، +رواية.

٤٣٧ سنن أبي داود، الزكاة ٢٣؛ سنن النسائي، الزكاة ٩٠؛ موطأ مالك، الصدقة ١١؛ مصابيح السنة، ٣٧/٢.

٤٣٨ سنن الترمذي، الزكاة ٢٣؛ مصابيح السنة، ٣٧/٢.

٤٣٩ ص، بالعفاء.

٤٤٠ سنن أبي داود، الزكاة ٢٨؛ مسند أحمد، ٤١٥/٦؛ مصابيح السنة، ٣٨/٢.

المتصدّقين، ولم يسدّ فقر كثير من المتعقّفين المتوكّلين، بل مات على الفقر والضّرورة. قلنا: المراد من الفقر والفاقة؛ فقر القلب، فمن اعتاد السّؤال وعرض فقره على النّاس للطّمع في أموالهم، يغلب عليه حرصه ولا يشبع قلبه، وإن كان ماله أكثر من مال المسؤول. ومن تعقّف واختار القناعة وتوكّل على الله، غني قلبه وانقطع حرصه فيموت غنيّ القلب، أو يصل إلى الغنى إذا تعقّف بقلبه / [٨٦و] وتوكّل على الله حقّ توكّله. والمحروم من الغنى هو المتعقّف الصّوريّ، كما نشاهد أنّ معيشة أكثر المتعقّفين والمتوكّلين أطيب وأوسع، ولذا قال إمّا يموت عاجل أو غني عاجل، والموت العاجل يكون بغنى القلب أيضًا.

### باب الإنفاق وكرهه الإمساك

[٦٩] قال النّبي صلّى الله عليه وسلّم: «ما من يوم يصبح العباد فيه، إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكًا تلفًا»<sup>٤٤١</sup>. فإن قلت: كم من ممسك لا يتلف ماله، بل يتزايد يومًا فيومًا إلى أن يموت، وكم من منفق لا يحصل له خلف بل يموت بالفقر.

قلنا: قد عرفت أنّ أكثر الأحاديث صادر باعتبار الغالب.، فإذا نظرت إلى عاقبة الأمر، يكون الأمر على ما دلّ عليه الحديث في الغالب.

أو نقول: المراد من الخلف تبديل الفائني بالباقي، وهو الثّواب المؤبّد والنّعيم المخلّد، فنعم الخلف ذلك. والمراد من التّلف الحرمان عن ذلك الخلف المفضّل والمؤبّد، كما قال الله تعالى:

﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦] ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [الأعلى: ١٧].

أو نقول: المراد من دعاء الملكين التّحريض على الصّدقة والتّغيير عن الإمساك، / [٨٦ظ] فلا يلزم من دعائهما وقوع الخلف والتّلف؛ لأنّ استجابة دعائهما غير واجبة، ويمكن أن يقال: المراد من دعائهما؛ الدّعاء الحالي، وتخصيص التّزول لبيان رفعة الملكين، وتخصيص الصّباح، لأنّ داعية الجود والحرص تتجدّد كلّ صباح.

ولذا كثر في عبارة الشّارع أصبح وأمسى، كما قال عليه السّلام: «من أصبح وأكبر همّه الدّنيا فليس من الله في شيء وألزم قلبه أربع خصال»<sup>٤٤٢</sup>. وقال عليه السّلام: «من صلّى

٤٤١ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ صحيح مسلم، الزكاة ١٠١٠؛ مصابيح السنة، ٣٩/٢.

٤٤٢ لم أجد هذا الحديث في الكتب التسعة، ولكن وجدته في كتاب كشف الخفاء رواه الديلمي عن ابن عمر: «من أصبح والدنيا أكبر همّه؛ ألزم الله قلبه أربع خصال لا ينفك من واحدة حتى يأتيه الموت: هم لا ينقطع أبدًا».

أربعين صباحًا». ومن تصوّر في الصّباح دعاء الملكين فيه، تُقوّى فيه داعية البرّ والإحسان، وتضعف داعية البخل والإمساك.

لكن قد عرفت أنّ الخروج عن الظّاهر موقوف على امتناعه بقريظة عقلية أو نقلية، قوّة أو حسّية ظاهرة، وهنا إذا أريد من الخلق الثّواب الباقي الكامل في مقابله<sup>٤٤٣</sup> الزّائل، ومن التّلف عدمه، لا يمتنع إرادة الظّاهر.

فالأولى أن لا يعدل عنه حتّى يستجاب دعاء الملكين أيضًا، فتأمّل في الأجوبة واختر أعجبها، وما وجدت في الشّروح التي عندي هذا السّؤال المعضّل، وذلك الجواب المفضّل قال النّبي عليه السّلام: «خصلتان لا تجتمعان في مؤمن: البخل، وسوء الخلق»<sup>٤٤٤</sup>. وقال النّبي عليه السّلام: «لا يجتمع / [٨٧و] الشّح والإيمان في قلب عبد أبدًا»<sup>٤٤٥</sup>، وعن أبي بكر الصّديق رضي الله عنه أنّه قال: قال النّبي صلّى الله عليه وسلّم: «لا يدخل الجنة حَبٌّ ولا بخيل ولا منّان»<sup>٤٤٦</sup>.

فإن قلت: البخل وسوء الخلق لا يخرج العبد من الإيمان، والخديعة والمثّة لا يكون سبب الحرمان عن الجنان. قلنا: قد عرفت جواب مثل هذا السّؤال من الصّواب المذكورة، والقواعد المسطورة من أنّ الكبائر سوى كلمة الكفر لا تخرج العبد من الإيمان عند جمهور المتكلّمين من أهل السّنة.

فالمعنى: لا يجتمعان في مؤمن، بأن يكون التّنوين للتّعظيم، أو في مؤمن عاملاً بمقتضى إيمانه، أو من شأن المؤمن أن لا يجتمعا في قلبه.

والمراد من العبد أيضًا؛ عبد كامل. أو المعنى شأن العبد المؤمن أن لا يجتمعا في قلبه. أو المراد بيان عدم خليقة الإيمان بالشّح والبخل وسوء الخلق.

أو المراد من النّفي والنّهي، والحَبّ، والخديعة والمثّة؛ بالصدقة والإحسان والعبادة، معصية من

---

انظر: أبو الفداء، إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي الجراحي العجلوني الدمشقي، كشف الحفاء، تحقيق: عبد

الحميد بن أحمد بن يوسف بن هندواوي، ط: ١، (مصر - المكتبة المصرية ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م)، ٢/٢٦٩.

٤٤٣، ص، +القليل.

٤٤٤ سنن الترمذي، البر والصلة ٤١؛ مصابيح السنة، ٤٣/٢.

٤٤٥ مسند أحمد، ٤٣٣/١٥؛ مصابيح السنة، ٤٣/٢.

٤٤٦ سنن الترمذي، البر والصلة ٤١؛ مسند أحمد، ٢٠٩/١، مصابيح السنة، ٤٣/٢.

شأنها أن لا تدخل المتّصف بها الجنّة، ما دام تبعثها في ذمّته، بأن لا تمحى تلك الخصال بالتوبة، أو الشفاعة، أو العفو والمغفرة، أو لا يدخل الجنّة من أوّل الأمر.

أو المراد من عدم الدّخول / [٨٧ظ] لازمه وهو المنع بوجه بليغ عن الاتّصاف بتلك الخصال المذمومة، والتّحريض على إزالتها إن اتّصف بها. والمعاصي المانعة عن دخول الجنّة كثيرة، وتخصيص الثّلاث هنا لاقتضاء المقام، وقد عرفت بعض التّفاصيل فيه.

قال الإمام المحقّق التّوربشتي: المراد من ذلك اجتماع الخصلتين فيه مع بلوغهما النّهاية، بحيث<sup>٤٤٧</sup> لا ينفكّان عنه<sup>٤٤٨</sup>، وإفراد البخل وسوء الخلق بالذكر؛ لزيادة شناعتهما.

وإذا عرفت أنّ عدم الانفكاك لا يخرج المؤمن عن إيمانه بالنّصوص القاطعة، فاختر من الأجوبة أنسبها. نعم يمكن أن يقال: قد يؤدّي الإصرار إلى الشّقوة وسوء الخاتمة، فلذلك قال لا يجتمعان، لكن قد عرفت أنّ إخراج الكلام على غير الغالب؛ غير الغالب في عرف الشّرع.

### باب فضل الصدّقة

[٧٠] قال النّبي صلّى الله عليه وسلّم: «من أصبح منكم اليوم صائماً؟» قال أبو بكر: أنا، قال: «فمن تبع منكم اليوم جنازة؟» قال أبو بكر: أنا، قال: «فمن أطعم منكم اليوم مسكيناً؟» قال أبو بكر: أنا، قال: «فمن عاد منكم اليوم مريضاً؟» قال أبو بكر: أنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما اجتمعن في امرئ، إلّا دخل الجنّة»<sup>٤٤٩</sup>.

فإن قلت: كلّ واحدة من تلك العبادات سبب لدخول الجنّة مع زيادة / [٨٨و] رفع الدّرجات، فما الفائدة في جعلها سبباً له مع قيد الاجتماع؟

قلنا: قد عرف أنّ كلّ عبادة من شأنها أن يكون سبباً لدخول الجنّة، إذا لم يمنع مانع، فإنّ

٤٤٧ ص، + لا ينفكّ عنهما.

٤٤٨ قاله التّوربشتي في كتابه الميسر في شرح مصابيح السنة: (تأويل هذا الحديث أن يقول أراد به اجتماع الخصلتين فيه مع بلوغ النّهاية منهما بحيث لا ينفكّ عنهما ولا ينفكّان عنه، ويوجد منه الرضا بهما، فأما الذي يؤنس عنه شيء من ذلك بحيث يخل حيناً، وتقلع عنه حيناً أو يسوء خلقه وقتاً دون وقت أو في أمر دون أمر، أو يبدر منه فيندم عليه أو يجوز نفسه أو تدعوه النفس إلى فينازعها؛ فإنه بمعزل عن ذلك). انظر: الميسر في شرح مصابيح السنة، ٤٤٠/٢.

٤٤٩ صحيح مسلم، الزكاة ١٠٢٨؛ مصابيح السنة، ٤٥/٢.

الأسباب الشرعية يجوز أن يكون متعدّدة، وإن جعلها سبباً مع الاجتماع، لا ينافي سببية كلّ واحدة على الانفراد.

فنقول: فائدة الاجتماع إيراد طرق القصر؛ لأنّ ذلك يدلّ على قوّة الأسباب وتعاضدها. أو نقول: لما كان أبو بكر رضي الله عنه وسائر المخاطبين عند صدور ذلك الحديث من أصحاب التّقوى والمقربين؛ اكتفى بذكر دخول الجنّة في التّحريض، ولم يذكر باقي فضائل الاجتماع من رفع الدرجات وكمال المثوبات، لما عرفت أنّ المحتاج إلى المبالغة في التّريغ والتّرهيب، والوعد أو الوعيد؛ هم العوام، والأغنياء، وأهل القساوة والغفلاء، لا المقربون والأقوياء. بل خواصّ الخواصّ لا يعبدون لخوف النار وطلب الجنّة، بل لمجرد توفية مواجب العبوديّة، وتعظيم المعبود والرّبوبيّة.

فإن قلت: فائدة الكلام لا تختص بالمخاطبين بقريظة قوله عليه السّلام: «ما اجتمعن في امرئ». قلنا: ليس كذلك؛ لأنّ البلغاء يوجبون رعاية / [٨٨ظ] مقتضى المقام والخطاب، وإن انتشر كلامهم وسمعه بعد ذلك المقام كلّ سامع ولو سلّم.

قلنا: لما كان دخول الجنّة موصلاً إلى جميع اللذات الرّوحانية، والجسمانيّة، والكمالات السّرمديّة؛ اقتصر في بيانها على دخول الجنّة، كما يسمع النّاس يقولون عند الوصول إلى أعلى المطالب واللذات، وأعظم المآدب والمشتهيات: دخلنا الجنّة.

ولتلك التّكّة قال النّبي عليه السّلام في بيان فضيلة: «لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كلّ شيءٍ قدير»،<sup>٤٥٠</sup> كتب لقاءه ألف ألف حسنة، ومُحّي عنه ألف ألف سيئة، ورفّع له ألف لألف درجة، وُبني له بيتاً في الجنّة، ولو لم يكن بيت من الجنّة أعلى وأكمل من تلك الفضائل، لما ختمت بناء البيت فيها.

[٧١] قال النّبي عليه السّلام: «غفر لامرأة مؤمّسة مرّت بكلب على رأس ركي يلهث، قد كاد يقتله العطش، فنزعت خفها، فأوثقته بخمارها، فنزعت له من الماء، فغفر لها بذلك»<sup>٤٥١</sup>.

[٧٢] وقال النّبي عليه السّلام: «عذّبت امرأة في هرة؛ أمسكتها حتى ماتت من الجوع، فلم

٤٥٠ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ صحيح مسلم، المساجد ومواضع الصلاة ٥٩٣؛ سنن أبي داود، فضائل

القرآن ٣٥٨؛ موطأ مالك، ٤٢١/١؛ مصابيح السنة، ٢٥٣/٢.

٤٥١ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ مسند أحمد، ٣٦٣/١٦؛ مصابيح السنة، ٤٨/٢.

تطمعها، ولا ترسلها فتأكل من حَشَاش<sup>٤٥٢</sup> الأرض»<sup>٤٥٣</sup>.

فإن قلت: فلعلَّ امرأة زانية يكون فيها كبائر كثيرة، ولو لم يكن يكفي في عذابها إصرارها في الفاحشة وإرواء/ [٨٩و] الكلب حسنة قليلة، فكيف محبت بها كبيرة؟ وقد عرفت أنَّها لا تعفى إلا بالتَّوبة. وحبس الهرة من الصَّغائر فكيف يكون سبباً لدخول النَّار، مع أنَّ المرأة الحابسة يجوز أن يكون لها عبادات كثيرة؟

قلنا: قد عرفت الإشارة إلى جواب مثل هذا السَّؤال؛ بأنَّ رضا الله يكون بين العبادات، فأبي عبادة حصل فيها رضا الله؛ يكون بتلك العبادة<sup>٤٥٤</sup> كالترِّياق<sup>٤٥٥</sup> الأكبر والإكسير<sup>٤٥٦</sup> الأحمر يمحو جميع المعاصي كبيرها وصغيرها، قليلها وكثيرها.

وسخطه أيضاً مخفي بين المعاصي؛ فأية معصية يكون سبباً للقهْر والعذاب لا يعلم، وإذا كانت سبباً له لا ينفع بعده كثير من العبادات لصاحبها، واعتبر فيهما قاتل مئة نفس بدون الموجب ومغفورته لطلب التَّوبة، وحابسة هرة عدّبت لمجرد الحبس المؤدي إلى موت هرة، وإن كانا نادرين حتّى لا تقع في ورطة الأمان بكثرة عبادتك وحفره القنوط بغزارة سيئاتك.

### [رأي المتكلمين والفقهاء في المعاصي صغائرها وكبائرها]

وما قاله المتكلمون والفقهاء: إنَّ الصَّغيرة يذهب بأداء الفرائض واجتناب الكبائر، والكبائر محتاجة إلى التَّوبة<sup>٤٥٧</sup>. والمظالم لا يذهب إلا بالأداء أو الاستحلال؛ نظراً إلى النصوص

٤٥٢ حَشَاش: جمع (حَشَاشَة) وهي حشرات الأرض وهوامها. انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، ١/٦٤٥.

٤٥٣ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ صحيح مسلم، البر والصلة والآداب ٢٢٤٢؛ مصابيح السنة، ٢/٤٨.

٤٥٤ ص + التي.

٤٥٥ الترياق: باليونانية: الترياق؛ وهو دواء مركب من الأدوية النافعة المشروبة السامة. أو هي من الأدوية التي تمنع امتصاص السم من المعدة أو الأمعاء. انظر: إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار.

المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، القاهرة، ١/٨٥. والقاموس المحيطة، ص: ٨٨٢. بتصرف.

٤٥٦ الإكسير: هي مادة مركبة تضاف إلى المعادن الرخيصة فتحولها إلى ذهب، هذا ما كان يزعمه الأقدمون. وكانوا يزعمون أيضاً بأنه شراب يطيل الحياة. انظر: المعجم الوسيط، ١/٢٢.

٤٥٧ قال ابن رجب رحمه الله: اختلف الناس في مسألة: هل تُكفِّر الأعمال الصالحة الكبائر والصغائر أم لا تُكفِّر سوى الصغائر؟ قال: منهم من قال أنَّها لا تُكفِّر سوى الصغائر، الوضوء يُكفِّر الصغائر والمشى إلى المسجد والصلاة يكفرا أكبر من ذلك وهذا قول العطاء وسلمان الفارسي. وأمَّا الكبائر يجب فيها التوبة، لأنَّ الله أمر بالتوبة في الكبائر، وأنَّ التوبة فرض، والفرائض لا تؤدي إلا بنية وقصد، ولو كانت الكبائر تقع مكفرة بالوضوء والصلاة، وأداء بقية أركان الإسلام، لم يحتج إلى التوبة، وهذا باطل بالإجماع. وقال ابن عبد البر: إنَّ حديث أبي

الشَّرِيعَةُ الْوَارِدَةُ بِاعْتِبَارِ الْغَالِبِ / [٨٩ظ]، لِأَنَّكَ قَدْ عَرَفْتَ أَيْضًا أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا حَصَلَ لَهُ رِضَى رَبِّهِ الْكَرِيمِ، وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ بِأَسْهَلِ عِبَادَاتٍ يُحِبُّهُ وَيَرْضِي خُصُومَهُ وَيَعْفُو عَنْ جَرَائِمِهِ وَيَدْخُلُهُ الْجَنَّةَ، كَمَا أَنَّ الْمَلِكَ الْجَبَّارَ وَالْعَزِيزَ الْقَهَّارَ إِذَا غَضِبَ عَلَى عَبْدِهِ، وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ بِأَدْنَى الْمَعَاصِي، يَقْهَرُهُ وَيَدْخُلُهُ النَّارَ وَلَا تَنْجِيهِ كَثْرَةُ عِبَادَاتِهِ.

فَنَقُولُ: إِرْوَاءُ الْكَلْبِ حَسَنَةٌ يَسِيرَةٌ، لَكِنْ إِذَا وَقَعَ فِي مَحَلِّ الرِّضَا وَالْقَبُولِ مِنْ جِهَةِ الْفَاعِلِ أَوْ الْمَفْعُولِ، كَشِدَّةٌ إِخْلَاصِ فَاعِلِهِ، أَوْ غَايَةٌ رِقَّةِ قَلْبِهِ، أَوْ غَايَةٌ اضْطِرَارِ الْمَحَلِّ؛ يَمْحُو كُلَّ السَّيِّئَاتِ وَيُوصِلُ صَاحِبَهُ إِلَى أَعْلَى الدَّرَجَاتِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التَّوْبَةُ: ٧٢]. وَحَسَّ الْهَرَّةَ إِذَا صَارَ سَبَبًا لِلْغَضَبِ وَالْقَهْرِ، أَقْحَمَ صَاحِبَهُ فِي الْعُقُوبَاتِ، وَلَمْ تَنْفَعَهُ كَثْرَةُ الطَّاعَاتِ.

وَإِذَا عَرَفْتَ ذَلِكَ أَيُّهَا الْعَامِلُ، الْمُجَاهِدُ، وَالْمُتَّقِي وَالْمُعَاوِدُ، فَاشْتَغَلْ بِكُلِّ الْعِبَادَاتِ جَلِيلِهَا وَدَقِيقِهَا، حَتَّى تَفُوزَ بِرِضَا اللَّهِ تَعَالَى فِيهَا، وَاحْتَرِزْ عَنِ كُلِّ السَّيِّئَاتِ، حَتَّى تَتَخَلَّصَ عَنْ كَوْنِكَ مَظْهَرًا عَنِ غَضَبِ اللَّهِ، لَمَا سَمِعْتَ أَنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يَعْرِفُ أَنَّ رِضَاهُ فِي أَيِّ عِبَادَةٍ، وَسَخَطُهُ فِي أَيِّ مَعْصِيَةٍ، وَمِنْ ذَلِكَ الْبَابِ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنَّ رَجُلًا كَانَ قَبْلَكُمْ، أَتَاهُ الْمَلِكُ لِيَقْبِضَ رُوحَهُ، فَقِيلَ لَهُ: هَلْ عَلِمْتَ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: مَا أَعْلَمُ، قِيلَ لَهُ: انْظُرْ / [٩٠و]، قَالَ: مَا أَعْلَمُ شَيْئًا غَيْرَ أَنِّي كُنْتُ أَبَايَعِ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا وَأَجَازِيهِمْ، فَأَنْظِرِ الْمَوْسِرَ، وَأَتَجَاوِزِ عَنِ الْمَعْسِرِ، فَأَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ»<sup>٤٥٨</sup>، وَفِي رِوَايَةٍ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا أَحَقُّ بِذَا مِنْكَ، أَتَجَاوِزُ عَنِ عِبْدِي»<sup>٤٥٩</sup>.

وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَتَقَلَّبُ فِي الْجَنَّةِ؛ فِي شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِنْ ظَهْرِ الطَّرِيقِ كَانَتْ يُؤْذِي النَّاسَ»<sup>٤٦٠</sup>. قَالَ أَبُو بَرَزَةَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَّمَنِي شَيْئًا أَنْتَفِعَ بِهِ، قَالَ:

---

هَرِيرَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْصَّلَاةُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانَ إِلَى رَمَضَانَ، مَكْفَرَاتٌ لِّمَا بَيْنَهُنَّ مَا اجْتَنَبْتَ الْكِبَائِرَ» صَحِيحُ مُسْلِمٍ، الطَّهَارَةُ، ٢٣٣. يَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الْفَرَائِضَ مَكْفَرَةٌ لِلصَّغَائِرِ لَا لِلْكِبَائِرِ. انْظُرْ: ابْنُ رَجَبٍ الْبَغْدَادِيُّ، جَامِعُ الْعُلُومِ وَالْحِكْمِ فِي شَرْحِ خَمْسِينَ حَدِيثًا مِنْ جَوَامِعِ الْكَلِمِ، تَحْقِيقٌ: شُعَيْبُ الْأَرْنَؤُوطُ؛ إِبْرَاهِيمُ بَاجِسٌ، ط٧ (بِيْرُوت - مَوْسَسَةُ الرِّسَالَةِ ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م)، ١/٤٢٥-٤٢٦.

٤٥٨ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ مصابيح السنة، ٣١٣/٢.

٤٥٩ صحيح مسلم، المساقاة ١٥٦٠؛ مصابيح السنة، ٣١٣/٢.

٤٦٠ صحيح مسلم، البر والصلة والآداب ١٩١٤؛ مصابيح السنة، ٤٨/٢.

«اعزل الأذى عن الطريق»<sup>٤٦١</sup>.

ومراد النبي عليه السلام على ما فهمت الإعلام لأبي برزة أن كلَّ عبادة نافع وإن سهل، لذا ربما يكون ذلك سبباً لرضا الله، وأنَّ الواجب على كلِّ مؤمن أن يعمل كلَّها ويواظب عليها من أعلاها إلى أدناها، وإلا لم يكن لأمره أبا برزة بعزل الأذى دون العبادات الفاضلة، والمقربات الكاملة نكتة.

وقال بعض الشراح: إنّما أمر به؛ لأنَّ للأمر بالأدنى أمر بالأعلى. وقيل: أبو برزة من كبار الصحابة متّصف بالأخلاق الحسنة، ويواظب على العبادات الفاضلة، فاللائق بحاله الأمر بعزل الأذى، فتدبّر في الأجوبة تطّلع على ما يناسب المقام ويقارب للأفهام، ولا تغفل أيضاً أنّ تعليق النّجاة بأسهل أمر من بين العبادات / [٩٠ظ] لل منع عن القنوط عن رحمة الله تعالى. وإنَّ تعليق العذاب بأدنى المعاصي لل منع عن الأمن والتواني<sup>٤٦٢</sup> في طاعة الله تعالى، ولذا لم يصدر مثل ذلك الحديث إلا نادراً.

### باب أفضل الصدقة

[٧٣] قال النبي عليه السلام: «خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى، وابدأ بمن تعول»<sup>٤٦٣</sup>.  
[٧٤] وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله أيّ الصدقة أفضل؟ قال: «جهد المقل وابدأ بمن تعول»<sup>٤٦٤</sup>.

فإن قلت: الحديثان متدافعان، إذ الأوّل يدلّ على أن يكون خير الصدقة؛ صدقة الغنى عما فضّل عمّا يحتاج إليه، والثاني يدلّ على أنّ خير الصدقة؛ صدقة الفقير عمّا يحتاج إليه. قلنا: قد عرفت أنّ الأولى<sup>٤٦٥</sup> في دفع التعارض إلى<sup>٤٦٦</sup> أن يصار إلى الجمع والتّوفيق إن أمكن، فهنا يمكن أن يقال: المراد من الغنى؛ غنى النفس لا غنى اليد، كما قال النبي عليه

٤٦١ صحيح مسلم، البر والصلة والآداب ٢٦١٨؛ سنن ابن ماجه، الأدب ٧؛ مسند أحمد، ١٤/٣٣؛ مصابيح السنة، ٤٩/٢.

٤٦٢ التّوّابي: التقصير. انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري. لسان العرب، الحواشي: ليازي وجماعة من اللغويين، (دار صادر - بيروت، ١٤١٤هـ)، ٩٨/٤.

٤٦٣ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ النسائي، الزكاة ٦٠؛ مسند أحمد، ١٦٧/١٣؛ مصابيح السنة، ٥٦/٢.

٤٦٤ سنن أبي داود، الزكاة ٤٠؛ مسند أحمد، ٣٢٤/١٤؛ مصابيح السنة، ٥٩/٢.

٤٦٥ ص، الأول.

٤٦٦ -ص.

السّلام: «الغنى غنى النّفس»<sup>٤٦٧</sup> لا غنى اليد.

فمعنى الحديث الأول: خير الصّدقة أن تكون من جهة غنى النّفس، بأن يتصدّق بكل ما في يده، أو بما يحتاج إليه كأبي بكر رضي الله عنه، أو يتصدّق بطيب النّفس وقوّتها، بأن لا يندم عليها ولا يضطرب قلبه ولا يتغير لما ذهب عن يده من وجه معيشة، بل يفرح ويتهجج بصدقته، فلا يلزم من / [٩١و] هذا أن يكون المتصدّق غنيًا من كثرة المال، فلا يلزم التّدافع. فإن عدت وقلت: يلزم؛ لأنّ خيرية الصّدقة إذا كان لأجر غنى النّفس، يلزم منه أن لا يوجد الخيريّة في غير تلك الجهة، وصدقة الفقير يجوز أن لا يكون من تلك الجهة، فوجود الخيريّة فيها يدفعه.

قلنا: الظاهر أنّ خيريّة صدقة الفقير من جهة غنى النّفس أيضًا؛ لانعدام غنى اليد فيه. ويمكن أيضًا أن يقال: صدور الحديث الأوّل بالنّسبة إلى أهل التّرف الذين لم يصلوا إلى درجة حقيقة التّوكل وقطع الأسباب، فإنّ بذل ما يحتاج إليه مضرّ لهم؛ لأنّ ذلك يشوّش قلوبهم، ويذهب حضورهم في الطّاعة، فيكون الصّدقة من فضول أموالهم خيرًا لهم. والحديث الثاني خرج بالنّسبة إلى أهل التّوكل والتّبتل الذين يساوي عندهم ذهب الدّنيا ومددها، وبذل ما يحتاج إليه لا يضرّهم؛ لأنّهم مستبشرون ومفتخرون بالفقر والعجز عن تكميل أسباب المعاش واللّدات الدّنيويّة.

وحال السّائلين قرينة لما قلنا، فإنّ السّائل في الحديث الأوّل حكيم بن حزام وهو من أهل الجاه والتّنعم، ومن المعتادين باستيفاء اللّدات الدّنيويّة. / [٩١ظ] والسّائل في الحديث الثاني أبو هريرة رضي الله عنه وهو من كبار الصّحابة ومن المرتاضين في التقوى، والدّيانة، والرّهد والعبادة.

[٧٥] وعن ابن عبّاس أنّه قال: قال النّبّي عليه السّلام: «ألا أخبركم بخير الناس؟ رجل ممسك بعنان فرسه في سبيل الله. ألا أخبركم بالذي يتلوه؟ رجل معتزل في غنيمة له يؤدي حق الله فيها. ألا أخبركم بشرّ الناس؟ رجل يُسأل بالله ولا يُعطي»<sup>٤٦٨</sup>.

فإن قلت: يفهم من هذا الحديث أنّ الجهاد أفضل من جميع العبادات، وأنّ منع الصّدقة

---

٤٦٧ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ صحيح مسلم، الزّكاة ١٠٥١؛ سنن الترمذي، الزهد ٤٠؛ سنن ابن ماجة،

الزهد ٩؛ مسند أحمد، ١٢/٢٦٧؛ مصابيح السنة، ٣/٤١٩.

٤٦٨ سنن الترمذي، فضائل الجهاد ١٨؛ مصابيح السنة، ٢/٦٠.

بعد السؤال بالله شرّ المعاصي والسيئات، وليس كذلك.

يمكن أن يقال: خيرية الجهاد يجوز أن يكون باعتبار الوقت، بأن يكون الإسلام في ذلك مغلوباً، وأهل الكفر غالباً، أو يكون باعتبار السفر بأن يكون المسافر للغزو في ذلك الوقت أفضل من سائر المسافرين، أو يكون المراد من الخيرية زيادة الخير في ذاته، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيَّ﴾ [الروم: ٢٧]. ويجوز أن يكون خيرية المعتزل بالغنم بالنسبة إلى المعتزل لأجل تكثير المال، كأهل الأخبية المعتزلين؛ لتكثير المواشي، لا للاجتناب عن مصاحبة أهل الشرّ، أو الزيادة في ذاته. ويجوز أن يكون زيادة شريّة المسؤول المذكور/ [٩٢و] بالنسبة إلى سائر البخلاء الذين لا يتصدّقون بدون السؤال بالله، إذ لو سألوا بالله يتصدّقون، فهذا أمانة البخل وحبّ الدنيا، وهو شرّ.

ويجوز أن يراد من الأحاديث التحريض على الجهاد، والاعتزال للعبادة مع القناعة، والمنع عن البخل بوجه بليغ وزجر صريح.

### باب صيام التطوّع

[٧٦] قالت عائشة رضي الله عنها: «ما رأيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم استكمل صيام شهر قطّ إلاّ رمضان»<sup>٤٦٩</sup>. وقالت في رواية أخرى: «كان يصوم شعبان كلّ»<sup>٤٧٠</sup>. يمكن أن يجاب عنه<sup>٤٧١</sup>، بأنّ قولها الأوّل على سبيل تغليب سائر الشهور على شعبان، وقولها الآخر على سبيل الواقع والتّحقيق.

أو يقال: المراد من الاستكمال على سبيل الفرضيّة، أو على سبيل الدوام والعادة. أو يقال: لم يصم النبيّ عليه السّلام كلّ الشّعبان عند قولها الأوّل، ويساعد عليه قوله ما رأيت. وصيام شعبان كلّ عند قولها الثّاني، هذا إذا علم أنّ الحديث الثّاني متأخّر.

[٧٧] قال النبيّ عليه السّلام: «ما من أيام أحبّ إلى الله أن يتعبّد فيها من عشر ذي

---

٤٦٩ صحيح مسلم، الصيام ١١٥٦؛ سنن أبي داود، الصوم ٥٩؛ موطأ مالك، ٣٠٩/١؛ مسند أحمد،

٤٣/١٧٥؛ مصابيح السنة، ٨٧/٢.

٤٧٠ صحيح مسلم، الصيام ١١٥٦؛ النسائي، الصيام ٣٥؛ سنن ابن ماجه، الصيام ٤؛ مسند أحمد، ٤٣٦/٤١،

مصابيح السنة، ٨٧/٢.

٤٧١ ص - عنه.

الحجّة، يعدل صيام كل يوم منها بصيام سنة، وقيام كل ليلة منها بقيام ليلة القدر»<sup>٤٧٢</sup>.  
 فإن قلت: قد ثبت بالأحاديث الصّحيحة/ [٩٢ظ] أنّ أفضل الصيام صيام شهر رمضان،  
 وأفضل القيام قيام ليلة القدر، فما وجه قوله عليه السّلام يعدل صيام كلّ يوم منها بصيام  
 سنة، وقيام كلّ ليلة منها بقيام ليلة القدر؟  
 قلنا: إذا كان كذلك، فالمراد من الحديث غير ظاهره بقرينة نقلية، فمعنى الحديث؛ بيان  
 فضيلة عشر ذي الحجّة بوجه صريح بليغ، لا بيان مقدار ثوابه، حتّى يلزم المحذور.  
 ويحتمل أن يراد ظاهره ويستثنى من الأيام أيّام رمضان، ومن الليالي ليلة القدر.  
 وأن يقال: يجوز أن يفضّل عبادة عشر ذي الحجّة على صيام سنة وقيام لياليها بأمر خارج،  
 وفضيلة خاصّة له، لكن قد عرفت أنّ ذلك من الاحتمالات العقلية، لا من التّأويلات  
 التّحقيقية.

### باب فضائل القرآن

[٧٨] عن أبي بن كعب -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلّى عليه وسلم: «يا أبا  
 المنذر، أي آية من كتاب الله تعالى معك أعظم؟ فقلت: الله لا إله إلا هو الحي القيوم. قال:  
 فضرب صدري وقال: ليهنك العلم يا أبا المنذر»<sup>٤٧٣</sup>.  
 [٧٩] قال النّبى عليه السّلام: «﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] يعدل ثلث القرآن»<sup>٤٧٤</sup>.  
 [٨٠] عن عقبة بن عامر -رضي الله عنه- قال النّبى عليه السّلام: «ألم تر آيات أنزلت  
 اللّيلة لم تر مثلهنّ قطّ، قل أعوذ بربّ الفلق،/[٩٣و] وقل أعوذ بربّ النّاس»<sup>٤٧٥</sup>.  
 [٨١] وقال عليه السّلام لأبي بن كعب: «ما أنزل في التوراة، ولا في الإنجيل، ولا في الزبور،  
 ولا في الفرقان مثل الفاتحة، إنّها السّبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أعطيته»<sup>٤٧٦</sup>.  
 [٨٢] وقال عليه السّلام: «إنّ لكلّ شيء قلباً، وقلب القرآن: يس، ومن قرأ يس، كتب الله

٤٧٢ سنن الترمذي، أبواب الصوم ٥٢؛ مصابيح السنة، ٩٥/٢.

٤٧٣ صحيح مسلم، صلاة المسافرين وقصرها ٨١٠؛ مصابيح السنة، ١١٢/٢.

٤٧٤ صحيح مسلم، صلاة المسافرين وقصرها ٨١١؛ سنن الترمذي، فضائل القرآن ١١؛ سنن ابن ماجه، الأدب

٥٢؛ موطأ مالك، ٢٠٩/١؛ سنن الدارمي، ٧٧٩/١؛ مسند أحمد، ٣٣٠/٢٨؛ مصابيح السنة، ١١٥/٢.

٤٧٥ صحيح مسلم، صلاة المسافرين وقصرها ٨١٤؛ مصابيح السنة، ١١٦/٢.

٤٧٦ مسند أحمد، ٣١١/١٤.

له بقراءتها قراءة القرآن عشر مرّات»<sup>٤٧٧</sup>.

[٨٣] وقال: «إِنَّ اللَّهَ قَرَأَ ﴿طه﴾ [طه: ١] و﴿يس﴾ [يس: ١] قبل أن يخلق السّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِأَلْفِ عَامٍ»<sup>٤٧٨</sup>.

[٨٤] وقال عليه السّلام: «﴿إِذَا زُلْزِلَتْ﴾ [الزلزلة: ١] يعدل نصف القرآن، و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] يعدل ثلث القرآن، و﴿قُلْ يَتَّخِئَهَا الْكٰفِرُونَ﴾ [الكافرون: ١] يعدل ربع القرآن»<sup>٤٧٩</sup>.

فإن قلت: فهم من هذه الأحاديث المذكورة أن يكون بعض السّور مفضلاً ومفضلاً عليه، فما التّوفيق والتّأويل فيه؟

قلنا: إذا كانت جهة التّفصيل متعدّدة ومتغايرة، لا يلزم ذلك، إذ يجوز أن يكون آية الكرسي أعظم الآيات بخصوصيّة ووجه لا يُوجدُ تلك الخصوصيّة في سائر الآيات، فتكون تلك الآية مفضّلة على باقي الآيات بتلك الجهة، ولا يمنع ذلك أن يكون الباقي أو البعض الآخر منه مفضّلاً على آية الكرسي بخصوصيّة وجهة أخرى، / [٩٣ظ] فيجوز أن يكون أعظميّة آية الكرسي باعتبار اشتمالها على كلمة التّوحيد، والأسماء العظمى، والصّفات العليا على ترتيب خاصّ لا يوجد في غيرها، أو يكون أفضليّتها بالنّسبة إلى أبيّ بن كعب.

ويجوز<sup>٤٨٠</sup> أن يكون معادلة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] ثلث القرآن مع وجازة نظمه وقلة عبارته، باعتبار اشتماله التّوحيد والأوصاف المذكورة فيه على نظم ومعنى خاصّ به، وإلا قد عرفت أن لكلّ حرف من حروف القرآن عشر ثواب لا مفاضلة بين آي القرآن وسورها، بمجرد اعتبار النّظم والحروف.

وكذا التّأويل والنّكتة في معادلة ﴿إِذَا زُلْزِلَتْ﴾ [الزلزلة: ١] بنصف القرآن، ومعادلة ﴿قُلْ يَتَّخِئَهَا الْكٰفِرُونَ﴾ [الكافرون: ١] برقع القرآن، وكون (يس) بمنزلة قلب القرآن، وعدم مثل المعوّذتين

٤٧٧ لم أجد تحريج هذا الحديث في الكتب التسعة. في مسند الدارمي عليه تعليق في الحاشية بأنّه غريب؛ لأنّ فيه هارون أبو محمد مجهول. انظر: مسند الدارمي، ١٠٨٣/٢.

٤٧٨ ذكر ابن الجوزي في كتابه «الموضوعات» بأنّ هذا الحديث موضوع. انظر: ابن الجوزي، الموضوعات، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، ط: ١، (المدينة المنورة - المكتبة السلفية ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م)، ١٠٩/١ - ١١٠.

٤٧٩ سنن الترمذي، فضائل القرآن ١٠؛ مسند أحمد، ٤٧٣/١٩؛ مصابيح السنة، ١٢٤/٢.

٤٨٠ ص، +أيضاً.

والفاتحة.

فإن قلت: نسلم ذلك، لكن ما حكمة تعيين الثلث، والتّصف، والرّبع في التّفصيل دون غيرها، والتشبيه بالقلب دون غيرها؟ قلنا: معرفة تلك الحكمة مخصوصة بعقل نبينا عليه السلام.

### [أقسام القرآن]

وقد تكلف الشّراح فيه وقالوا القرآن منقسم باعتبار إلى ثلاثة أقسام؛ التّوحيد، والأمر والنهي، والقصص والأمثال.

فقل هو الله أحد مشتمل على قسم / [٩٤ و] التّوحيد.

وهو منقسم أيضًا إلى أربعة أقسام باعتبار آخر؛

\* منسوخ الحكم والتلاوة.

\* ثابت الحكم والتلاوة.

\* ومنسوخ الحكم دون التلاوة.

\* وعكسه.

فقل يا أيها الكافرون مشتمل على قسم منها، وهو منسوخ الحكم دون التلاوة.

وقيل: هو منقسم إلى صفات الله، وأحوال العباد، وأحوال الدّنيا، وأحوال الآخرة، و﴿قُلْ

يَأْتِيهَا الْكُفْرُونَ﴾ [الكافرون: ١] مشتمل على أحوال العباد. وهو منقسم أيضًا إلى قسمين؛

حكم الدّنيا وحكم الآخرة، و﴿إِذَا زُلْزِلَتْ﴾ [الزلزلة: ١] مخصوص بحكم الآخرة، ويس تشتمل

على حكم الآخرة، وهو بمنزلة القلب بالنسبة إلى حكم الدّنيا.

وأنت تعرف ما فيه؛ لأنّ القارعة مخصوصة أيضًا بحكم الآخرة، ويوجد سورة مشتملة على

حكم الآخرة أكثر ممّا اشتمل عليه سورة يس.

ويحتمل أن يقال: إثبات الشّيء لا يدلّ على نفي ما عداه. لكنّ التّأويل المناسب غير

التّأويل بالاحتمال العقليّ.

### كتاب الدّعوات

[٨٥] قال النّبي صلّى الله عليه وسلم: «إِنَّ رَبَّكُمْ حَيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ إِلَيْهِ

يديه أن يردهما صفرًا»<sup>٤٨١</sup>.

[٨٦] وقال عليه السّلام: «ثلاث دعوات مستجابات لا شكّ فيهنّ؛ دعوة الوالد، ودعوة المسافر، ودعوة/ [٩٤ ظ] المظلوم»<sup>٤٨٢</sup>.

[٨٧] وقال: «ثلاث<sup>٤٨٣</sup> لا تردّ دعوتهم: الصّائم حين يفطر، والإمام العادل، ودعوة المظلوم»<sup>٤٨٤</sup>.

[٨٨] وقال: «دعوة المرء المسلم لأخيه المسلم بظهر الغيب مستجابة، عند رأسه ملك موكل كلّما دعا لأخيه بخير، قال الملك الموكل: آمين ولك بمثل»<sup>٤٨٥</sup>.

[٨٩] وقال: «إنّ أسرع الدّعاء إجابةً، دعوة غائب لغائب»<sup>٤٨٦</sup>.

فإن قلت: قد دلّ الحديث الأوّل أن الله تعالى لا يرّد دعاء العبد مطلقًا كما قال الله تعالى: ﴿أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] وقال تعالى: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦] فما فائدة تقييد الدّاعي بكونه مسافرًا، أو إمامًا عادلًا، أو مفطرًا، أو مظلومًا، أو والدًا في الحديثين الآخرين؟

قلنا: يجوز أن يكون معنى الحديث الأوّل: أنّ الله يستحيي أن يرّد دعاء عبده إذا وجد فيه شرائط الاستجابة، واعلم أنّ الدّعاء قد يكون لطلب النّفع والتّعماء، وقد يكون لدفع الضّرّ والبلاء، كما قال النّبّي عليه السّلام: «ما من أحد يدعو بدعاء إلا آتاه الله ما سأل، أو كفّ عنه من السّوء مثله، ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم»<sup>٤٨٧</sup>. وقال عليه السّلام: «إنّ الدّعاء ينفع ممّا نزل وممّا لم ينزل، فعليكم عباد الله بالدّعاء»<sup>٤٨٨</sup>.

٤٨١ سنن أبي داود، فضائل القرآن ٣٥٦؛ سنن ابن ماجه، الدعاء ١٣؛ مصابيح السنة، ١٤٢/٢.

٤٨٢ سنن أبي داود، فضائل القرآن ٣٦٢؛ سنن الترمذي، البر والصلة ٧؛ مسند أحمد، ١٥٣/١٦؛ مصابيح السنة، ١٤٤/٢.

٤٨٣ - ف.

٤٨٤ سنن الترمذي، صفة الجنة ٢.

٤٨٥ صحيح مسلم، الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ٢٧٣٣؛ مسند أحمد، ٥٤٠/٤٥؛ مصابيح السنة، ١٣٧/٢.

٤٨٦ سنن أبي داود، فضائل القرآن ٣٦٢؛ مصابيح السنة، ١٤٣/٢.

٤٨٧ سنن الترمذي، أبواب الدعوات ٩؛ مصابيح السنة، ١٤٠/٢.

٤٨٨ سنن الترمذي، أبواب الدعوات ١٠٢؛ مصابيح السنة، ١٤٠/٢.

وإذا عرفت ذلك، فاعلم أيضًا أنَّ للدَّعاء شروطًا / [٩٥و] كثيرًا على ما ثبت في النصوص الشرعيَّة ومنها،

\* أن يعظَّم رغبته ويصمِّم همته في استجابة دعائه نظرًا إلى كمال رحمة الله تعالى وعنايته في حقِّ عباده المحتاجين، ولا يتردّد فيه نظرًا إلى قصوره، كما قال النَّبيُّ عليه السَّلام: «فلا يقل أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت، أو ارحمني إن شئت»، وليعزم مسألته، إنَّه تعالى يفعل ما يشاء ولا مكره له»<sup>٤٨٩</sup>.

\* ومنها: أن لا يدعو لحصول معصية، وإيصال مضرّة على من لا يستحقُّ لها، كما قال النَّبيُّ عليه السَّلام: «يستجاب للعبد<sup>٤٩٠</sup> ما لم يدع بإثم»<sup>٤٩١</sup>.

\* ومنها: أن يكون عادته الدَّعاء في حالة الصَّحة، والأمن والرِّخاء، حتّى يستجاب دعاؤه في المرض، والفتنة والبلاء.. كما أشار إليه الملك الحكيم يقول: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبَيْهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زِينٌ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ١٢].

[٩٠] وقال النَّبيُّ عليه السَّلام: «من سرّه أن يستجيب الله له عند الشَّدائد، فليكثر الدَّعاء في الرِّخاء»<sup>٤٩٢</sup>.

\* ومنها: أن يكون دعاؤه بحضور القلب وبالتَّضرّع، كما قال النَّبيُّ عليه السَّلام: «أنَّ الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه»<sup>٤٩٣</sup>.

\* ومنها: الدَّعاء في الأوقات الشَّريفة<sup>٤٩٤</sup>، «لا تدعوا على / [٩٥ظ] أنفسكم، وأولادكم، وأموالكم، ولا<sup>٤٩٥</sup> توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء، فيستجيب لكم»<sup>٤٩٦</sup>.

وقد ثبت بالأحاديث الصَّحيحة خاصّيّة وقت الصُّبح، والثَّلاث الأخير من اللّيل، ويوم

٤٨٩ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ مسند احمد، ٥٣٨/١٣؛ مصابيح السنة، ١٣٧/٢.

<sup>٤٩٠</sup> ف، العبد.

٤٩١ صحيح مسلم، الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ٢٧٣٥؛ مصابيح السنة، ١٣٧/٢.

٤٩٢ سنن الترمذي، الدعوات ٩؛ مصابيح السنة، ١٤١/٢.

٤٩٣ سنن الترمذي، الدعوات ٦٦؛ مصابيح السنة، ١٤١/٢.

٤٩٤ ص، + كما قال النبي عليه السلام.

<sup>٤٩٥</sup> ف، -ولا.

٤٩٦ صحيح مسلم، الزهد والرفاق ٣٠٠٩؛ سنن أبي داود، فضائل القرآن ٣٦٠؛ مصابيح السنة، ١٣٨/٢.

الجمعة، ويوم عرفة، وليلة القدر، ووقت الإفطار، والمحاربة مع الكفار وما بين الآذان والإقامة في استجابة الدعاء.

\* ومنها: أكل الحلال، وصدق المقال، وردّ المظالم واستحلالها وأداء الديون من حقوق الله وحقوق العباد، والتوبة عن باقي المعاصي، كما قال النبي عليه السلام في بيان فضيلة طلب الحلال: «إِنَّ الرَّجُلَ يَطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبَّ يَا رَبَّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغَدْيُهُ بِالْحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابَ لِذَلِكَ؟»<sup>٤٩٧</sup>.

والمراد من إطالة السفر؛ سفر الحج، فإذا منع أكل الحرام ولبسه استجابة الدعاء في سفر الحج، فما ظنك في غيره؟

\* ومنها: أن لا يستعجل، قيل يا رسول الله ما الاستعجال قال: «يقول: قد دعوت، وقد دعوت فلم يستجب لي»<sup>٤٩٨</sup>، فيستحسر عند ذلك، ويدع الدعاء»<sup>٤٩٩</sup>.

قال قدوة المشايخ المحققين<sup>٥٠٠</sup> الشيخ صدر الدين<sup>٥٠١</sup> رضي الله عنه<sup>٥٠٢</sup>: ومن شروط الدعاء، تصوّر الحقّ المدعوّ، ولذا كان أكثر دعوات الأنبياء/ [٩٦و] مقبولة؛ لكونهم تامّ المعرفة والشهود.

فإن قلت: إذا كان للدعاء شروط كثيرة، فما فائدة تخصيص الوالدية، والمسافرية، والمظلومية والصّائمية، والغائبية بالذكر؟

قلنا: قد عرفت فائدة التخصيص الذكرى مرارًا، فقل: هنا فائدته الإعلام بزيادة خصوصيتها

---

٤٩٧ صحيح مسلم، الزكاة ١٠١٥؛ سنن الترمذي، تفسير القرآن ٣؛ سنن الدارمي، ١/٦٥٢؛ مسند أحمد،

١٤/٩٠؛ مصابيح السنة، ٢/٣٠٦.

<sup>٤٩٨</sup> ص، فلم أر استجاب لي.

٤٩٩ صحيح مسلم، الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ٢٧٣٥؛ مصابيح السنة، ٢/١٣٧.

٥٠٠ ص، والمحققين.

٥٠١ هو الشيخ الزاهد محمد بن اسحاق صدر الدين القونوي، توفي سنة ٦٧٣ هـ في قونية. صاحب التصانيف في

التصوف، شيخه محيي الدين ابن عربي. من مؤلفاته: «الفتوحات الملكية» وله تفسير الفاتحة في مجلد. انظر:

طبقات الشافعية الكبرى للسبكي، ٨/٤٥٠. و ابن الملقن، سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد

الشافعي. طبقات الأولياء، تحقيق: نور الدين شريبه من علماء الأزهر، ط: ٢، (القاهرة- مكتبة الخانجي ١٤١٥

هـ - ١٩٩٤ م)، ص: ٤٦٨.

٥٠٢ ص، رحمه الله.

بشروط الدّعاء، لما عرفت من حقّ الوالد على ولده، ومن انكسار قلب المسافر والمظلوم واضطرابها، ومن دلالة الدّعاء في الغيبة على إخلاص الدّاعي، وغلبة وعونه ورأفته على أخيه المسلم، فإنّ ذلك كلّ من المعونات والمقرّبات إلى الاستجابة، أو باقتضاء الحال والمقام ذكرها.

فإن قلت: قد يستجاب الدّعاء بدون اجتماع تلك الشّروط. قلنا: اشتراط الأمور المذكورة باعتبار الغالب، أو ربّما يضطرّ العبد وينكسر قلبه، ويرقّ ويتذلّل، ويتضرّع ويقوى، ويكمل قابليّته لاستجابة دعائه، فيستجاب دعاؤه لذلك. ولا يتوقّف على وجود الشّروط الباقية، لكن ذلك نادر.

وهذا كما عرفت أنّ سبب دخول الجنّة باعتبار الغالب توفية وظائف جميع / [٩٦ظ] الطّاعات، والاجتناب عن جميع السيّئات. لكن ربّما يكون أيسر عبادة سبباً لدخول الجنّة، كما سمعت بعضه في القضايا المذكورة، ويكون أدنى معصية سبباً لدخول النّار بسبب أمرٍ خارج مؤدّ إلى التّغليظ والقهر.

فإن قلت: قد لا يستجاب الدّعاء مع اجتماع الشّروط المذكورة كما حكي في دعاء الأنبياء، لا سيّما في نبينا أفضل الأنبياء على نبينا وعليهم السّلام، إذ حكي أنّه دعا مراراً على رَعْل، ودَكَوَان ومُضَرَّ وعُصِيَّه؛ حتّى نزل ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٧﴾﴾ [آل عمران: ١٢٨] ظاهره أنّ لا يُنجز مسؤوله، لذا لم يكن من المعلّقات وإن اختلف فيه المؤوّلون. وفي رفع المقاتلة عن أمته ودعائه لعبد الله بن أبيّ عند مرض موته، لأجل استدعاء ابنه فقال الله تعالى: ﴿إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠].

قلنا: للدّعاء شرط آخر مخفيّ على الدّاعين؛ وهو كون المأمول من المعلّقات، فكلّ نبيّ، بل كلّ مؤمن معتقد يعلم ذلك، لكن لا يعلم أنّ مسؤوله من المعلّقات حصولها بالأسباب حتّى يحصل سبب الدّعاء، أم من المبرمات التي لا ينفع في تحصيلها / [٩٧و] تحصيل الأسباب بحسب العادات، وإذا كان مسؤوله من المعلّقات بالدّعاء يستجاب، وإلا لا؛ لانعدام ذلك الشّروط.

فإن قلت: إذا لم يعلم أنّ مسؤوله من المعلّقات أو من المبرمات، فأبيّ فائدة في ملازمة الدّعوات والإلحاح فيها؟

قلنا: فائدة الدعاء ليست محصورة على حصول المسؤل، بل له فوائد أخرى عظيمة، وعند العباد جسيمة؛ وهي إظهار العجز والاحتياج<sup>٥٠٣</sup> إلى مالكه ومعبوده في حصول مطلوبه ومقصوده، وإظهار تعظيمه، وكمال كرمه ورافته على عباده في إنجاز تعيينه. ولذا قال النبي عليه السلام: «الدعاء معَّ العبادة»<sup>٥٠٤</sup>، «الدعاء أعظم العبادة»، «وإنَّ ربَّكم حييٌّ كريم، يستحيي من عباده إذا رفع إليه يديه، أن يرده صفرًا»، وأثبتته على أعظم الفائدة ولا تغفل عن النكتة والدقة.

فإن قلت: ظاهر قوله عليه السلام: «ما من أحد يدعو بدعاء إلا آتاه الله ما سأل أو كفَّ عنه من السوء مثله، ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم»، يدلُّ على أنَّ أحد الأمرين لازم للدعاء.

قلنا: قد عرفت أنَّ ذلك عند اجتماع شروط الاستجابة، فلا تنس ذلك، وإذا عرفت بما ذكرنا/ [٩٧ظ] أنَّ دعوات الأنبياء، بل دعوات المؤمنين مستجابة إذا وجد فيها شروط الاستجابة فاندفع النَّقص، كما إذا قلت: كلَّ صلاة لها ثواب عظيم، فإذا لم يحصل لها ثواب لانعدام بعض شروط الصلَاة، لا يجوز لعاقل أن يقول وجدت الصلَاة ولم يترتب عليها الثَّواب.

وللغفلة عن تلك النكتة ذهب كثير من المؤلِّين إلى المحتملات العقلية في تأويل النصوص الشرعية المختلفة الواردة في باقي<sup>٥٠٥</sup> الدعاء واستجابته، كما قال الزمخشري<sup>٥٠٦</sup> المراد من الدعاء في قوله تعالى: ﴿أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] ومن قوله: ﴿أُجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦] العبادة من الإجابة الإثابة<sup>٥٠٧</sup>.

٥٠٣ ص، الاحتياط.

٥٠٤ سنن الترمذي، الدعوات ١؛ مصابيح السنة، ١٣٩/٢.

٥٠٥ ص، باب.

٥٠٦ هو النحوي واللغوي أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري الخوارزمي، ولد بزخشر سنة ٤٦٧ هـ وتوفي سنة ٥٣٨ هـ في جرجانية. معتزلي المذهب ولقب بجار الله لأنه سافر إلى مكة وجاور بها زمناً. من مصنفاته: «الكشاف» في التفسير و«المفضل» في النحو، و«الفائق» في غريب الحديث. انظر: تاريخ الاسلام، ٦٩٧/١١ والأعلام للزركلي، ١٧٨/٧. بتصرف.

٥٠٧ قال الزمخشري في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ﴾ أن المقصود من أدعوني اعبدوني، لأنَّ الدعاء بمعنى العبادة كثير في القرآن الكريم ويدل عليه قول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ [غافر،

وقال الإمام أبو حفص النسفي رحمه الله<sup>٥٠٨</sup>: المراد من قوله تعالى: ﴿أَجِيبُ﴾ [البقرة: ١٨٦] أن يقول لبيك يا عبدي، كما يقول العبد يا ربّي، أو يكون بعض الإجابة في الآخرة. وأنت تعرف أنّ إجابة الدعاء والعبادة بالتبنيه والإثابة على وجود الشرائط، وأنّ ما قاله الفقير أقرب إلى التحقيق والدقة.

فإن قلت: قال النبي عليه السلام: «إنّ الدعاء ينفع بما نزل ومّا لم ينزل»، فإذا نفع فيما لم ينزل بالتأويل الذي ذكرت، فما فائدة في الذي نزل؟

قلنا: / [٩٨و] فائدته؛ إظهار العجز والعبودية وتعظيم ربّه، بإظهار كمال قدرته والربوبية، وإظهار الصبر والرضا بما أنزل الله تعالى وقضى، فإنّ ذلك يهون أمر البلاء، بل يلتذّ به أهل الحبّ والرضا، فذلك أنفع من الدّفع عند الأولياء. وأمر الرسول عليه السلام بالتداوي من هذا القبيل؛ لأنّ الإنسان لا يعرف أنّ زوال ألمه ومرضه معلق بالدواء أم لا، فيشتغل بالتداوي على موجب أمر الرسول، لكنّه يعلم أنّ علته ومرضه لو جعل في القضاء سبب موته، لا ينفع فيه الدواء. فمن وصل إلى مقام الثبات وحقيقة التوكّل، لا يشتغل بالدواء ولا يلاحظ الأسباب، لكن لما لم يكن ذلك المقام عشر أمثالنا يلاحظ أسباب آمالنا.

---

٦٠ [والاستجابة: الإثابة وهذا ما فسره مجاهد في تفسيره: اعبدوني أتبكم، وروى النعمان بن بشير رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«الدعاء هو العبادة» وقرأ هذه الآية. ويجوز أن يريد الدعاء والاستجابة على ظاهرهما، ويريد بعبادتي: دعائي، لأنّ الدعاء باب من العبادة ومن أفضل أبوابها. وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿أَجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ سهولة إجابته لمن دعاه وسرعة تلبية حاجته لأن في بداية الآية الكريمة قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ فهي تدل على سرعة استجابة الله سبحانه وتعالى للدعاء، ويدل عليه قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَوَسَّخْنَا أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق، ١٦]. انظر: أبو القاسم الرمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ط ٣ (بيروت - دار الكتاب العربي ١٤٠٧ هـ)، ٢٢٨/١؛ ١٥٧/٤.

٥٠٨ هو عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن علي بن لقمان النسفي، ولد في سنة ٤٦٢ هـ في نسف وتوفي سنة ٥٣٧ هـ في سمرقند. إمام فقيه عارفاً بالمذهب والأدب، أحب الحديث وطلبه. سمع لعلماء وجماعة كثيرة منهم: أبو محمد إسماعيل النوحى النسفي وأبو البسر محمد بن محمد بن الحسين البزدوي. من مصنفاته: «الجامع الصغير» «الفتاوى» «الحصر» «تطويل الأسفار لتحصيل الأخبار». انظر: تاج التراجم لابن قطلوبغا، ص: ٢٢٠. والمروزي، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني. التحبير في المعجم الكبير، تحقيق: منيرة ناجي سالم، ط: ١، (بغداد - رئاسة ديوان الأوقاف، ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م)، ٥٢٧/١ بتصرف

ويمكن أن يقال فائدة الدعاء فيما<sup>٥٠٩</sup> لم ينزل؛ الدّفع وفيما نزل الدّفع. قال النّبّي عليه السلام: «لا يردّ القضاء إلاّ الدعاء، ولا يزيد في العمر إلاّ البرّ»<sup>٥١٠</sup>.

فإن قلت: قد جاء في الحديث الآخر أنّ صلة الرّحم تزيد في العمر، والصّدقة تمنع ميته السّوء، فكيف يكون معنى الحصر في الحديثين الأوّلين؟

قال بعض الشّراح:<sup>٥١١</sup> المراد من ردّ القضاء؛ تهورينه بحيث صار كأنّه لم ينزل / [٩٨ظ]، أو ردّه بحسب زعم الدّاعي؛ لأنّ الدّاعي إذا خاف من مكروه يدعو ويتضرّع وينجو من ذلك المكروه، فيظنّ أنّه دفع القضاء وردّ بدعائه.

والمراد من زيادة العمر؛ حصول الثّواب الكثيرة بالبرّ. قال صاحب الكشّاف في قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَضُ مِنْ عُمْرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ [فاطر: ١١] وفي قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٣٩]، المراد من الكتاب: اللّوح المحفوظ، والمراد من الزيادة؛ أنّه كتب أنّ فلاناً إذا حجّ أو غزا، يكون عمره ستّين، وإذا لم يحجّ ولم يغز، يكون عمره أربعين، وإذا حجّ أو غزا ازداد عمره إلى ستّين، وإذا لم يحجّ ولم يغز نقص من عمره من ستّين<sup>٥١٢</sup>.

وقال محيي السنّة في معالم التّنزيل مثل هذا القول، ثمّ اعترض وقال: قال الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَعْجِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [يونس: ٤٩] فكيف يزيد العمر؟ وأجاب: بأنّ ذلك إذا جاء الأجل المسمّى بعد تطويل العمر، وقد يعرف المدقق أنّ فيه اعتراضاً خفياً رامز إلى أنّ الأجل أجلاّن، وأهل السنّة لا تقول به.

ويمكن أن يقال: الزيادة والتّقصان يجوز أن يكون بالنّسبة إلى علم المؤكّلين بقبض الأرواح؛

٥٠٩ ص: وفيما.

٥١٠ سنن الترمذي، القدر ٦؛ مصابيح السنّة، ٢/١٣٩.

٥١١ القاضي نصر الدين البيضاوي في شرحه لـ مصابيح السنّة «تحفة الأبرار شرح مصابيح السنّة». انظر: تحفة الأبرار، ٢/٤٥١.

٥١٢ قال الزمخشري في تأويل الآية الكريمة ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَضُ مِنْ عُمْرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾: إنّ عمر الإنسان لا يطول ولا يقصر إلاّ في كتاب، وصورته: أن يكتب في اللوح: إن حجّ فلان أو غزا فعمره أربعون سنة، وإن حجّ وغزا فعمره ستون سنة، فإذا جمع بينهما فبلغ الستين فقد عمر. وإذا أفرد أحدهما فلم يتجاوز به الأربعون، فقد نقص من عمره الذي هو الغاية وهو الستون. وإليه أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله «إن الصدقة والصلة تعمران الديار وتزيدان في الأعمار». انظر: الزمخشري، الكشاف، ٣/٦٠٤.

بأن كتب / [٩٩و] في اللوح المحفوظ أنّ عمر فلان كذا، وأطلع عليه الملائكة، ثمّ علموا أنّه زاد بسبب أو نقص بسبب، أو يقال: التّعمر والتّقيص بالنّظر إلى العرف والعادة، لا بالنّظر إلى الحقيقة، كما إذا مات صبيّ، أو مات إنسان بأجل اختراقية كجزّ الرّقبة، والغرق والحرق، يقال نقص من عمره. وإذا مات في أوان الشّيخوخة والخُرَافة؛ يقال زاد عمره، وأمثال هذا كثير في اعتبار الشّارح كقوله تعالى: ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [التوبة: ١٠٥] ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيَّ﴾ [الروم: ٢٧]. فتبارك الله أحسن الخالقين.

فإن قلت: قوله تعالى: ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ ينافي هذا. قلنا: لا ينافي؛ لأنّ الموت في حالة الصّبا أو الأجل الاختراقية من الأمور المقدّرة في كتاب الله تعالى، كالموت بالمرض والخُرَافة، وفيه رمز إلى تجهيل من قال الآجال أجلان.

وقوله: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾ [الرعد: ٣٩] يحتمل وجوهاً كثيرة؛ بأن يكون ما عبارة عن الأمم والبلدان، والمعاصي ومراتب النَّاس. ولو أبقى على عمومه، لقلنا تزيد العمر وتنقيصه باعتبار الحقيقة خارجان عنه بقريّة عقليّة ونقليّة؛ لأنّ تغير متعلّق علم الله تعالى محال، نعم يجوز أن يندرجا فيه باعتبار / [٩٩ظ] علم الملائكة.

وقيل الأعمار ثلاثة؛ عمر من مدّة الولادة إلى مدّة الموت، وعمر من مدّة الولادة إلى مدّة الحشر، وعمر من مبدأ العالم إلى منتهاه. والعمر الأوّل يزيد وينقص والباقي لا يتغير

### [أضرب المقدّرات]

وقال الشّيخ المحقق صدر الملّة والدّين رضي الله عنه أعلم أنّ المقدّرات على ضربين؛  
\* ضرب يختص بالكليات.

\* وضرب يختصّ بالجزئيات التفصيليّة.

فالكليات المختصّة بالإنسان قد أخبر النبيّ عليه السّلام أنّها محصورة في أربعة أشياء وهي؛ العمر، والرّزق، والأجل، والشّقاوة والسّعادة. وقال في حديث متضمّن ذكر خِلْقَةِ الإنسان: «أنّه يأتيه الملكان في الشّهر الرّابع فينفخ فيه»<sup>٥١٣</sup> ويقول: يا ربّ أذكر أم أنثى، أشقيّ أم

---

٥١٣ روى الحديث بالمعنى ولفظه: "إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد، فالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار، فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار، حتى ما

سعيد، ما رزقه، ما علمه، ما أجله؟ فالحق يملي والملك يكتب<sup>٥١٤</sup>. وقال أيضاً: فرغ ربكم من الخلق، والرزق، والأجل، وشقي أو سعيد.

وقال الله تعالى في الجزئيات: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيَّةَ تَقْلَانِ﴾ [الرحمن: ٣١] فافهم. وأما اللوازم الجزئية والتفصيلية لا يكاد ينحصر، ولم يمكن تعيين ذكرها، وأيضاً فظهور بعضها وحصوله للإنسان قد يتوقف على أسباب وشروط ربما كان الدعاء، والكسب، والسعي والتعمّل من جملتها، بمعنى أنه لم يقدر / [١٠٠] حصوله بدون ذلك الشرط، بخلاف تلك الأربعة الأولى، ولا تؤثر فيه سعي. وسبب كلّ ذلك نتيجة قضاء الله تعالى وقدره بموجب علمه السابق، فعلى هذا يكون المراد من زيادة العمر الانتفاع به.

واعلم أنّ كلّ الأمور من الكليات الإجمالية، والجزئيات التفصيلية متعلّق بها علم الله في أزل الأزال، وتغيّرها عن ذلك التّسق بسبب ما محال، وكتبة الملائكة والأربعة عند نفخ الرّوح لا ينافي الزيادة والنقص، كما عرفت تأويل ما كتب في اللوح المحفوظ. ويمكن أن يوجّه كلام الشّيخ المكاشف بأنّ الأمور الأربعة يجوز أن يكون من المبرمات، أو لا يتعلّق بها الأسباب غالباً، والزيادة والنقصان المذكوران في الآية باعتبار العادة أو الانتفاع وعدمه.

### **[التأويل في معنى قوله عليه السّلام: «لا يردّ القضاء إلاّ الدعاء»]**

والله يعلم حقيقة المرام، وما قلته من محتملات الكلام، وإذا عرفت هذا القدر من التّفصيل في معنى قوله عليه السّلام: «لا يزيد في العمر» واعلم أنّ تأويل قوله عليه السّلام: «لا يردّ القضاء إلاّ الدعاء»: أنّ الدعاء يردّ القضاء المعلق اندفاعه بالدعاء، ولا يردّ المبرم، وقد عرفت تفصيل ذلك وتحقيقه فلا نعيدهما.

فإن قلت: قد يردّ القضاء غير / [١٠٠] الدعاء لما ثبت في النصوص الشرعية، كالصدقة والإحسان، قال النبيّ عليه السّلام: «إنّ الصدقة لتطفئ غضب الرّبّ وتدفع ميتة

---

يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة، فيدخلها» صحيح مسلم، القدر

٢٦٤٣.

٥١٤ وهنا روي الحديث بالمعنى ولفظه؛ «وكل الله بالرحم ملكا فيقول أي رب نطفة أي رب علقة أي رب مضغة فإذا أراد الله أن يقضي خلقها قال أي رب أذكر أم أنثى أشقي أم سعيد فما الرزق فما الأجل فيكتب كذلك في

بطن أمه». صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧.

السوء»<sup>٥١٥</sup> فكيف يكون معنى الحصر في «لا يردّ القضاء إلا الدعاء»؟  
قلنا: قد عرفت أنّ لا تعارض في النصوص الشرعية في الحقيقة، فوجب عليك أن تدفع ما  
يتخايل من التعارض بوجه من الوجوه التي ذكرت، فقل ههنا:  
\* يجوز أن يراد من الردّ؛ الردّ الكامل، كما تقول لزيد: أنت الرجل وليس غيرك رجل، وأنت  
تريد حصر كمال الرجولية عليه.

\* أو الردّ العامّ أو الحصر الإضائي؛ أي: بالنسبة إلى غير الداعي كما قال الله تعالى: ﴿لَا  
يَصْلَحُهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾ [الذي كَذَبَ وَتَوَلَّى] [البقرة: ١٥-١٦].

\* أو بالنسبة إلى قوم مخصوصين؛ أي قوم لا يقدرّون في دفع القضاء على غير الدعاء، كما  
قال عليه السلام لأصحاب الصفة: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم»<sup>٥١٦</sup>.

وقد عرفت التحقيق فيه الحاصل، أنّ النصوص الثقلية والعقلية متظاهرة متظاهرة في أنّ لا  
تعارض في النصوص الشرعية، وكلّما توهم التدافع بحسب الظاهر، يجب على المستدلّ  
والمأوّل دفعه بما ذكر الفقير من الضوابط المعدودة والقواعد المسطورة<sup>٥١٧</sup>، طرائق دفع  
التعارض من وجوه الكلام/ [١٠١ و] النبوي؛ لأنّه اطّلع في أثناء التعليم يشوش قلوب أكثر  
المتعلّمين، وتردّد خواطر جلّ المستدلّين من التدافع الظاهريّ في كلام سيّد المرسلين، فصرف  
همّه وثني عزمه إلى دفع تشويشهم وتردّددهم، حتّى لا يقع الخلل في عقائدهم بتسويّلات  
شياطين الإنس والجنّ، لما سمعت وعرفت أنّ أهل الأهواء قد فسد عقائدهم وضلّ  
ضمايرهم، لغفلتهم عن ذلك الأمر الذي هو مقتضى البلاغة وموجب الخطابة، كما عرفت  
بعض تفاصيله في باب الإيمان والإسلام بأوجز الكلام.

ويستمدّ بذلك الأمر من عناية نبيّه عليه السلام، ويستجلب بتلك الوسيلة شفاعته رسوله،  
ولغاية افتقاره ونهاية اشتهاه على ذلك الاستمداد والاستجلاب، ارتكب في ذلك الخطب  
المعضل والشأن المشكل، ولم يمنعه عن معرفته بتور بضاعته، وفتور فراسته، واعتقاده على  
كتلة كياسته وقلة فطانته<sup>٥١٨</sup>؛ لأنّ شغف القلب وشغف اللب يعمي المرء ويصمّ ويخفي

٥١٥ سنن الترمذي، الزكاة ٢٨؛ مصابيح السنة، ٥٠/٢.

٥١٦ سنن الترمذي، الدعوات ٦؛ سنن ابن ماجه، الأدب ٥٣؛ مسند أحمد، ٣٦/٣٣؛ مصابيح السنة، ١٤٨/٢.

٥١٧ ص + فإن أعظم مآربه وأهمّ مطالبه في تأليف هذا المختصر تعليم المتعلمين.

٥١٨ ص - قلة فطانته.

العيب وبيكم، بل ويزينه ويرم، بل يُكثِّره ويتم. وهذا من أخفى مكائد النفس الأمارة، وأقوى مصائد الهوى الغدارة.

وأرجو من/ [١٠١ظ] فضل ربنا الكريم وعون خالقنا الرحيم أن يلهمنا الحق والصواب، ويعصمنا عن الخطأ في الكتاب، ويخلصنا من أهواء النفس وتسويلاتها، ومن إغواء الشياطين وتضليلاتها، إنَّه مرشد المعرفين بقصورهم ومنقذ المتضرعين بقلوبهم.

### باب ذكر الله والتَّقرب إليه

[٩١] قال النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا أَنْبِئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعَهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرَ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرَقِ، وَخَيْرَ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟» قالوا: بلى، قال<sup>٥١٩</sup>: «ذَكَرَ اللهُ»<sup>٥٢٠</sup>.

[٩٢] وسئل النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ قَالَ: «أَنْ تَفَارِقَ الدُّنْيَا وَلِسَانِكَ رَطْبٌ مِنْ ذِكْرِ اللهِ»<sup>٥٢١</sup>.

فإن قلت: قد فهم من هذا الحديث أنَّ الذِّكْرَ أَفْضَلُ جَمِيعِ الْعِبَادَاتِ، مَعَ أَنَّ بَعْضَ الْأَحَادِيثِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ أَفْضَلَ الْأَعْمَالِ<sup>٥٢٢</sup> الْحَبُّ فِي اللهِ وَالْبَغْضُ فِي اللهِ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ الْحَبُّ فِي اللهِ، وَالْبَغْضُ فِي اللهِ»<sup>٥٢٣</sup>، وَبَعْضُهَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ أَفْضَلَ الْأَعْمَالِ الصَّلَاةَ، وَبَعْضُهَا عَلَى أَنَّ أَفْضَلَهَا الْحَجَّ، كَمَا أورد المصنّف في مناسك الحجّ؛ أنّ/ [١٠٢و] أبا هريرة -رضي الله عنه- قال سئل النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: «الإيمان بالله ورسوله»، قال: ثم ماذا؟ قال: «الجهاد في سبيل الله»، قيل: ثم ماذا؟ قال: «حجّ مبرور»<sup>٥٢٤</sup>. وفي بعضها على أنّ أفضلها الصدقة. وقد عرفت أيضًا أنّ أفضل الأعمال الفرعية الصَّلَاةَ، ثُمَّ الزَّكَاةَ، ثُمَّ الصَّوْمَ،

٥١٩ ص - قال.

٥٢٠ سنن الترمذي، الدعوات ٦؛ سنن ابن ماجه، الأدب ٥٣؛ مسند أحمد، ٣٦/٣٣؛ مصابيح السنة، ١٤٨/٢.

٥٢١ مصابيح السنة، ١٤٩/٢.

٥٢٢ - ص.

٥٢٣ سنن أبي داود، السنة ٣؛ مصابيح السنة، ٣٨٠/٣.

٥٢٤ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ صحيح مسلم، الإيمان ٨٣؛ سنن الترمذي، فضائل الجهاد ٢٢؛ النسائي،

مناسك الحج ٤؛ سنن الدارمي، ١/٥٧٠؛ مسند أحمد، ١٣/٣٣؛ مصابيح السنة، ١٤٩/٢.

ثم الحجّ ثمّ الجهاد، فما وجه التّوفيق؟

قلنا: قد عرفت وجه التّوفيق والترجيح من القواعد السّالفة، فقل هنا: أنّ التّعاض إنّما يلزم إذا كان جهة التّفضيل متّحدة، أمّا إذا كانت متعدّدة متغايرة فلا يلزم، فيجوز أن يكون أفضليّة الذّكر وخيريته؛ باعتبار أنّه مدحّ المعبود، وتعظيمه بالصّراحة، بخلاف سائر العبادات؛ لأنّه وسيلة إلى التّعظيم، ودالّ عليه بالرمز والإشارة، ولتلك النّكتة والدّقيقة صار الإقرار جزءاً من الإيمان، بخلاف باقي الأعمال، وقد عرفت وجهه. أو باعتبار يُسرّه لكل مكلف من القويّ والعاجز عن الأعمال الشّاقة البدنيّة والماليّة، أو باعتبار سهولة المواظبة عليه باللسان أو الجنان، أو باعتبار تحصيله في عموم الأوقات والأحوال والأزّمان. ولا تناقض بتلك الفضيلة بتلك / [١٠٢ ظ] الجهة المذكورة خيريّة سائر الأعمال عليه، وأفضليّته بجهة أخرى كما عرفت تفصيل ذلك. ولا تستبعد هذا التّوجيه؛ لأنّ أمثاله في النّصوص الشّرعيّة كثيرة، لورودها على أساليب كلام البلغاء.

قد سئل النّبّي عليه السّلام: «ما الحجّ؟ قال: «الشّعث التّفّل»<sup>٥٢٥</sup>» وقال الآخر: أي الحجّ أفضل؟ قال: «العجّ والثّجّ»<sup>٥٢٦</sup>.

وأنت تعرف، أنّ الحجّ لا يتمّ بالشّعث والتّفّل، وأنّ العجّ والثّجّ<sup>٥٢٨</sup> ليس من أركان الحجّ ومفضّلاته، وتعرف أيضاً أنّ مراد النّبّي عليه السّلام أنّ أفضل أعمال الحجّ من جهة الإظهار الشّعث والتّفّل، ورفع الصّوت بالتّلبية والأذكار، وإراقة الدّم. ويمكن أن يقال: معناه أفضل الحجّ ما يتمّ فيه جميع أركانه وآدابه وشروطه، فبيّن فيه المبدأ والمنتهى من الشّعث، والتّفّل وإراقة الدّم بالتّلبية.

ومن ذلك القبيل قوله عليه السّلام: «أفضل الصّدقات ظلّ فسطاط في سبيل الله، أو منحة خادم في سبيل الله، وطروقة فحل في سبيل الله»<sup>٥٢٩</sup>.

٥٢٥ التّفّل: ترك الطيب. رجل تفل يعني غير متطيب. انظر: لسان العرب، ١١/٧٧.

٥٢٦ العجّ: رفع الصوت بالتّلبية. والثّجّ: الذبح. انظر: لسان العرب، ٢/٣١٨.

٥٢٧ سنن الترمذي، أبواب تفسير القرآن ٤؛ سنن ابن ماجه، المناسك ٦؛ مصابيح السنة، ٢/٢٢٩.

٥٢٨ ص - العج والثج.

٥٢٩ سنن الترمذي، فضائل الجهاد ٥؛ مصابيح السنة، ٣/٤٨.

وأنت تعرف أنّ صدقة عين الفسطاط<sup>٥٣٠</sup> أو الخادم والفحل؛ أفضل من صدقة منفعتها، وأنّ صدقة أموال عظام حلال أفضل من صدقة منفعتها، وتعرف أيضًا أنّ أفضليتها/ [١٠٣ و] بجهة مخصوصة بها. وأنّ المراد، أنّ صدقة تلك المنافع في سبيل الله أفضل من صدقتها في غيرها، أو يكون المختصّ بمقتضى الوقت والحال، أو بالنسبة إلى المتصدّق أو المحلّ.

وقد عرفت بعض التفاصيل فيه، وإن لم يصل فهمك إلى تعيين الجهة الخاصة في أمثاله، فقل: يجوز أن يراد منه الفضيلة التامة في ذاته لا بالنسبة إلى غيره، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧] وإذا عرفت هذا الكلام الوارد على سبيل الاستطراد، واعلم أيضًا أنّ النصوص الشرعية الدالة على خيرية الذكر كثيرة؛ كقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤١] وقوله تعالى: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥] وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩١] وقوله تعالى: ﴿وَأذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ [الأعراف: ٢٠٥] وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَسِكَكُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة: ٢٠٠].

وفي الآيات المذكورة أنواع دلالات على أفضليته<sup>٥٣١</sup> الذكر، وإن لم تطلع على الدلالات الدقيقة، فافهم أنّ الأمر بالذكر على وجه التأكيد، والتكثير، والتشديد والمدح/ [١٠٣ ظ] عليه يدلّ على فضيلته.

[٩٣] وكقول النبيّ عليه السّلام: «من عجز منكم عن الليل أن يكابده، ويخلّ بالمال أن ينفقه، وجبن عن العدوان أن يجاهده، فليكثر ذكر الله عزّ وجلّ»<sup>٥٣٢</sup>.

<sup>٥٣٠</sup> ف، الفسطاط.

٥٣١ ص، فضيلة.

٥٣٢ لم أجد تحريجه في الكتب التسعة. إلا أنّ البزار خرج في مسنده؛ «حدثنا محمد بن عثمان بن كرامة، قال: حدثنا عبيد الله بن موسى، عن إسرائيل، عن أبي يحيى، عن مجاهد، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من عجز منكم عن الليل أن يكابده ويخلّ بالمال أن ينفقه وجبن عن العدو أن يجاهده فليكثر ذكر الله»، وقال: لا يعلم لهذا الحديث طريقا عن ابن عباس إلا هذا الطريق، وأبو يحيى كوفي معروف لا نعلم به بأسا. انظر: البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلد بن عبيد الله العتكي، مسند البزار = البحر الزخار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله (ج ١ - ٩)، عادل بن سعد (ج ١٠ - ١٧)، صبري عبد الخالق الشافعي (ج ١٨)، ط: ١، (المدينة المنورة - مكتبة العلوم والحكم ٢٠٠٩م)، ١١/١٦٨.

[٩٤] وقوله عليه السّلام لرجل قال: «إنَّ شرائع الإسلام قد كثرت عليّ، فأخبرني بأمر أتشبهت به، قال: «لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله»<sup>٥٣٣</sup>.

[٩٥] وقوله عليه السّلام: «لا يقعد قوم يذكرون الله عز وجل إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرّحمة، وتنزلت عليهم السّكينة، وذكرهم الله عز وجلّ، فيمن عنده»<sup>٥٣٤</sup>.

[٩٦] وكقوله<sup>٥٣٥</sup> عليه السّلام: «سبق المفردون» قالوا: وما المفردون؟ قال: «الذّاكرون الله كثيرًا، والذّاكرات»<sup>٥٣٦</sup>.

[٩٧] وقوله عليه السّلام حاكبًا عن الله تعالى: «أنا مع عبدي إذا ذكرني، إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه»<sup>٥٣٧</sup>.

[٩٨] وقوله عليه السّلام: «إن لله ملائكة يطوفون في الطّرق يلتمسون أهل الذّكر، فإذا وجدوا قومًا يذكرون الله تنادوا هلمّوا إلى حاجتكم قال: فيحقّوهم بأجنتهم إلى السّماء الدّنيا»<sup>٥٣٨</sup> وإذا تفرّقوا عرجوا الحديث.

واعلم، أنّ دلالة الأحاديث على فضيلة الذّكر غير خفيّة، وقد عرفت أيضًا فيها وجهها عقليًّا.

واعلم أيضًا، أنّ الآيات والأحاديث دالّة على فضيلة الذّكر مطلقًا؛ أي: بالجمهور والإخفاء، لما ثبت في فنّ الأصول وجوب إجراء [١٠٤] المطلق على إطلاقه، حتّى لا يجوز تقييده

---

وقال أبو العباس شهاب الدين الكناني في كتابه إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة: قال ابن حنبل: روى إسرائيل عن أبي يحيى أحاديث كثيرة مناكير جدا. وقال ابن معين: في حديثه ضعف. انظر: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم بن قايماز بن عثمان البوصيري الكناني، إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، تقديم: فضيلة الشيخ الدكتور أحمد معبد عبد الكريم، تحقيق: دار المشكاة للبحث العلمي بإشراف أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ط: ١، (الرياض - دار الوطن للنشر ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م)، ٣٧٩/٦.

٥٣٣ سنن الترمذي، الدعوات ٤؛ سنن ابن ماجه، الأدب ٥٣.

٥٣٤ صحيح مسلم، الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ٢٧٠٠؛ مسند أحمد، ٣٧٨/١٨؛ مصابيح السنة، ١٤٤/٢.

٥٣٥ ص، قوله.

٥٣٦ صحيح مسلم، الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ٢٦٧٦؛ مسند أحمد، ١٩٢/١٥؛ مصابيح السنة، ١٤٤/٢.

٥٣٧ مسند أحمد، ٣٨٥/١٢.

٥٣٨ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ مصابيح السنة، ١٤٦/٢.

بخبر الواحد والقياس.

و<sup>٥٣٩</sup> مفهوم المخالفة كما فهم ترك الجهر من الأمر بإخفاء الذكر عند بعض الشافعية، ولذلك الوجوب استدلل العلماء على وجوب التكبيرات الجهرية في أيام التشريق بإطلاق قوله تعالى: ﴿وَأذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٠٣].

فإن قلنا: إذا كان أفضلية الذكر وخيريته على سائر العبادات بجهة مخصوصة، فما وجه بيانها على صورة الإطلاق؟

قلنا: قد عرفت بعض التفاصيل فيه من أن المراد منه المبالغة في التحريض على تلك الطاعة بحسب الظاهر، وإن كان السامع يعلم تقييدها وتخصيصها بجهة خاصة، كما تقول لأخيك عند المبالغة في التحريض على الاشتغال بأمر: إن فعلت ذلك يحصل لك أفضل الأشياء، أو يكون فريد لا نظير لك، أو يكون سلطاناً أو يحصل لك جميع ما في الدنيا، لكون قولك هذا مقوياً داعيه وجدّه في ذلك الفعل، وإن كان يعلم أن ذلك الفعل والأمر ليس أفضل من جميع الأشياء، وأنه لا يكون سلطاناً أو فريداً بذلك الأمر.

وتقول أيضاً: إن فعلت ذلك أقتلك، أو تكون كافراً أو [١٠٤ ظ] يكون ملعوناً في الدنيا والآخرة، ومحاطبك تعرف أنه لا يكون كافراً ولا ملعوناً بذلك، وأنت لا تقدر على قتله، وأن مرادك من ذلك القول بيان غاية قبح ذلك الفعل وضرره، وكونه مبغوضاً عندك وذلك من ضروب الفصاحة.

ولذا يقول الداعي البليغ: رحمك الله، غفر الله لك، بصيغة الماضي، وإن كان المراد من صيغة الماضي معنى المستقبل، والعدول إليها لا يراد رحمة الله ومغفرته في صورة الحاضر للتفاوت وإظهار الرغبة<sup>٥٤٠</sup> في حصولهما لك.

فإن قلت: قد فهمت التكتة والحكمة فيه، لكني أقول ما فائدة تفضيل بعض الطاعات على بعض بجهة خاصة له، ثم تفضيل غيرها عليها بجهة أخرى؟ وكذلك، ما فائدة تقبيح بعض المعاصي وتغليظها على وجه يفهم أنه أعظم المعاصي قبحاً وإثماً، ثم تقبيح غيره وتغليظه على ذلك الوجه، مع أن قبح كل واحدة وغلظتها بجهة مخصوصة لا على الإطلاق؟

٥٣٩، ص، في.

٥٤٠، ص، رغبته.

قلنا: نكتة ذلك وحكمته، التحريض على كل عبادة والتخويف عن كل معصية بوجه بليغ وزجر كامل، حتى يجتهد السامع في جميع العبادات، والتجنب عن جميع السيئات، لما عرف أنّ رضا الله تعالى مكنون في ضمن العبادات/ [١٠٥و] ولا يعرف العابد تعيين حصوله في بعضها، وغضب الله وسخطه مخفي لا يعلم تعيين حصولها في بعض السيئات، ومن تلك الحكمة اشتماله.

قلت: كلّ عابد وتقوية داعيه على عبادة يقدر على فعلها، فإنّ من عجز عن الجهاد كالنساء والمرضى والزمناء<sup>٥١</sup>، ينكسر قلبه عند معرفته فضائل الغزاة والشهداء، فبين النبيّ عليه السلام كثرة فضائل ذكر الله تعالى، وكثرة فضائل ذكر الموت وأفضليتهما على غيرها بوجه من الوجوه، حتى تطيب نفس العاجز عن الجهاد وينشغل بمواظبة ذكر الله، وذكر الموت.

ومن عجز عن الصدقة والحجّ ينحسر باله أيضاً، ويشوش حاله عند سماع فضائل الصدقة والحجّ، فبين النبيّ عليه السلام فضائل الصلاة والصوم والذكر، بل بين أفضليتها على غيرها مطلقاً، وإن كانت بوجه يخصّها في الواقع، حتى يقول السامع العاجز عنهما: إن عجزت عنهما ولم أعجز عن المواظبة على الصلاة والصوم والحجّ، فوجب عليّ أن أواظب عليها وأظفر بالفضيلة والقربة والدرجة الرفيعة عند الله تعالى بسببها.

ومن تلك النكتة بعث الطالبين فضيلة الكمال والسالكين طريقة الوصال على جمع جميع أسباب الكمال ووسائل/ [١٠٥ظ] الوصال، وعلى الاحتراز عن جميع المعاصي والسيئات، حتى يفوز والديك بأعلى الدرجات.

كما ترى طلاب العلم لا يقتصر على تحصيل بعض العلوم، بل يجتهد على تحصيل جميع ما يسمع من الفنون إذا قصد الكمال فيه. وتبصر الحراس المتهالك على حطام الدنيا كيف يتحملّ التبعات الكثيرة، والمشقّات المديدة في تحصيل الكمال فيها والرياسة، والشهرة بها، ويرضى بتضييع عمره النفيس في جمع أسبابها، ويرتكب في مكائد قطع المفاوز، والفيافي والمسافات البعيدة، وبمفارقة أولاده ومحبوباته من أزواجه وجواربه ومسكنه الطيبة، مع معرفته أنّ الغالب في ذلك السفر ضياع البضاعة، بل هلاك النفس الأمانة، وأنّ التجار الكثيرون

٥٤١ ص، الزمناء.

خسروا في تجارة تلك المسافة، بل هلكوا في طريقها المخوِّفة المساوفة، لكثرة قطاعها ومترصد بها للنهب والغارة.

وإذا تحمّل طالب الرّياسة الباطلة والفضيلة الرّائثة بتلك المشقّات الشّديدة العديدة المديدة، كيف لا يتحمّل طالب الدّولة الدّائمة الكاملة والرّفعة الباقية الفاضلة في الدّار الآخرة على متاعب العبادة القليلة الموصلة إلى تلك الدّولة الدّائمة، واللّذة الكاملة الباقية<sup>٥٤٢</sup>؟

### / [١٠٦و] باب ثواب التّسبيح

[٩٩] قال النّبّي عليه السّلام: «أفضل الكلام أربع، سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر»<sup>٥٤٣</sup> [١٠٠] وفي رواية: «أحبّ الكلام إلى الله أربع»<sup>٥٤٤</sup>.

فإن قلت: يلزم من عموم هذا وإطلاقه أن تكون الأذكار المذكورة أفضل من كلام الله تعالى، وليس كذلك؛ لما ثبت في الحديث الصّحيح أنّ فضيلة كلام الله على غيره كفضيلة ذاته على سائر الموجودات.

قلنا: ذلك قرينة نقلية صارفة عن إجراء الحديث المذكور على حقيقته، فنقول: المراد من الكلام في قوله: أفضل الكلام وأحبّ الكلام؛ كلام النّاس كما جاء في رواية أخرى «أفضل الذّكر بعد كتاب الله» أربع.

فإن قلت: ما سبب أفضليّته على سائر كلام النّاس؟ قلنا: اشتماله على تنزيه الله تعالى وتحميده وتهليله وتكبيره بالصّراحة، وقد عرفت فضيلة الصّراحة.

فإن قلت: أسماء الله الحسنى وصفاته العليا الدّالة على تعظيمه وتنزيهه بالصّراحة كثيرة، فما وجه فضيلتها عليها؟

قلنا: وجهها اشتمالها على نظم خاصّ وترتيب خاصّ، لا يوجد في غيرها، ولذا ورد في القرآن والحديث التّنزيه والتّحميد والتّهليل والتّكبير على هذا النّظم النّاصّ / [١٠٦ظ] والترتيب الخاصّ.

وإن لم تقدر على استنباط وجه خاصّ، فقل: المراد من الأفضليّة والأحبيّة؛ كمال فضيلته ومحبوبيه في ذاته لا على جميع أغياره، أو المراد، بيان فضيلته بوجه بليغ، لما عرفت أنّ المجاز

٥٤٢ ص + عن المعاصي القبيحة المردثة.

٥٤٣ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ مصابيح السنة، ١٥٦/٢.

٥٤٤ صحيح مسلم، الآداب ٢١٣٧؛ مسند أحمد؛ ٣٨٦/٣٣؛ مصابيح السنة، ١٥٦/٢.

أبلغ من الحقيقة، كما إذا تريد أن تبلغ في مدح شيء تقول: ليس في الدنيا أفضل وأحبّ منه، وإذا تريد ذمّه بوجه أبلغ تقول هذا أقبح الأشياء وأشرفها.

وأهل اللسان يعرف مرادك إذا امتنع إجراء كلامك على ظاهره وحقيقته، وكثير ما يقول الشارحون في تأويل مثله المراد من اسم التفضيل الزيادة المطلقة، إذا لم يستقم تفضيله على ما أضيف إليه، لكن ذلك خطأ؛ لأنّ معنى الزيادة المطلقة أن تقصد تفضيله على جميع أغيره، شرط أن لا يكون المضاف من جنس المضاف إليه؛ كقولك: زيد أشعر جلدته. وهذا لا يتسّى في مثل هذا الحديث لقوله: أفضل الأعمال الحجّ، وأفضل الذكر أو أفضل الكلام لا إله إلا الله؛ لأنّ المضاف فيه من جنس المضاف إليه. ولو قصد منه الزيادة المطلقة يفسح دائرة الاعتراض، لذا يلزم منه تفضيله على ما أضيف إليه وغيره ممّا يشاركه في أصل المعنى.

فالمناسب / [١٠٧و] فيه أن يقال: المراد من اسم التفضيل؛ الزيادة في حدّ ذاته، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيَّ﴾ [الروم: ٢٧].

واعلم أنّ اسم التفضيل إذا استعمل بمن يجب أن يقصد تفضيله على مدخول من، لكن إذا استعمل بالإضافة أو بحرف التعريف يجوز أن يراد منه الزيادة المطلقة، أو الزيادة في حدّ ذاته، وعلى التحقيق الذي فصلته يؤوّل قوله عليه السلام: «أفضل الكلام ما اصطفى الله لملائكته: سبحان الله وبجمده»<sup>٥٤٥</sup>.

[١٠١] وقوله عليه السلام: «أفضل ما قلت أنا والتّبيون من قبلي: لا إله إلا الله».

[١٠٢] وقوله عليه السلام في وقوف عرفة: «خير ما قلت أنا والتّبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير».

واستنبط منه ما يقارب التحقيق، ويناسب التدقيق بفطانتك الصّائبة، إذ العارف تكفيه الإشارة، والفتى يشوّشه تكثير العبارة.

[١٠٣] قال النّبّي صلّى الله عليه وسلّم: «أول من يدعى إلى الجنّة يوم القيامة الذين يحمدون الله في السّراء والضّراء»<sup>٥٤٦</sup>.

[١٠٤] وقال النّبّي عليه السلام: «من سبح الله مائة بالعادة، ومائة بالعشيّ، كان كمن

---

٥٤٥ صحيح مسلم، الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ٢٧٣١؛ سنن الترمذي، أبواب الدعوات ١٢٨؛ مصابيح

السنة، ١٥٧/٢.

٥٤٦ مصابيح السنة، ١٦٠/٢.

حجّ مائة حجّة، ومن حمد الله مائة بالغداة، ومائة بالعشيّ، كان كمن حمل على مائة فرس في سبيل الله، ومن / [١٠٧ظ] هلّل الله مائة بالغداة، ومائة بالعشيّ كان كمن أعتق مائة رقبة من ولد إسماعيل، ومن كبر الله مائة بالغداة ومائة بالعشيّ لم يأت في ذلك اليوم<sup>٥٤٧</sup> أحد بأكثر ممّا أتى به إلا من قال مثل ذلك أو زاد على ما قال<sup>٥٤٨</sup>.

[١٠٥] وقال عليه السّلام: «التّسبيح بمائة نصف الميزان، والتّحميد بمائة»<sup>٥٤٩</sup>.

[١٠٦] وقال عليه السّلام: «من قال حين يصبح وحين يمسي: سبحان الله، مائة مرّة، لم يأت أحد يوم القيامة، بأفضل ممّا جاء به، إلاّ أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه»<sup>٥٥٠</sup>.

### [أيّهما أفضل: التّسبيح أم التّحميد؟]

ولو لم نوفّق في الأحاديث المذكورة بما قلت من أنّ أفضليّة كلّ واحد من الأذكار على غيره بجهة وخاصيّة، لا توجد في غيره، أو تفضيل كلّ على غيره صدر لرعاية مقتضى الحال والمقام، أو المراد بيان كثرة ثواب كلّ واحد. وفضّلته بطرق مختلفة ومخصّصات متنوّعة مناسبة لحاله أو حال قائله، لا الحصر وتعيين المقدار بتوهم التدافع؛ لأنّ قوله عليه السّلام: «أوّل من يُدعى»، يدلّ على أفضليّة التّحميد على غيره، مع أنّ الأحاديث السابقة تدلّ على أنّ أفضل الأذكار التّهلّيل، وتخصيص مئة حجّة بالتّسبيح، وتخصيص مئة فرس بالتّحميد؛ يدلّ على أنّ التّسبيح أفضل من التّحميد.

وقوله: «التّسبيح بمائة نصف / [١٠٨و] الميزان والتّحميد بمائة»، يدلّ على أنّ التّحميد أفضل.

وقوله: «من قال حين يصبح وحين يمسي: سبحان الله وبحمده، مائة مرّة، لم يأت أحد يوم القيامة، بأفضل ممّا جاء به، إلاّ أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه». يدلّ على أنّ التّسبيح

---

٥٤٧ ف، ثم مات في ذلك اليوم.

٥٤٨ سنن الترمذي، أبواب الدعوات ٦٢؛ مصابيح السنة، ١٦٢/٢.

٥٤٩ روى الأزيقي الحديث بالمعنى ولفظه؛ عن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: التّسبيح نصف الميزان، والحمد لله بمائة، ولا إله إلا الله ليس لها دون الله حجاب حتى تخلص إليه». وقال الترمذي في

سننه أنه حديث غريب وإسناده ليس قوي. سنن الترمذي، الدعوات ٨٧.

٥٥٠ صحيح مسلم، الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ٢٦٩٢؛ سنن الترمذي، أبواب الدعوات ٦٢؛ مسند أحمد،

٤٢٩/١٤؛ مصابيح السنة، ١٥٦/٢.

والتَّحْمِيدَ أَفْضَلَ مِنْ غَيْرِهِمَا.

وَإِذَا لَمْ يَصِلْ فَهَمَّكَ إِلَى التَّوْفِيقِ بِاسْتِخْرَاجِ خُصُوصِيَّةٍ مُقْتَضِيَةٍ لِلتَّخْصِیصَاتِ الذِّكْرِيَّةِ، فَقُلْ:  
لَا يَعْلَمُ وَجْهَ اخْتِصَاصِ كُلِّ بِنُوعٍ مِنَ الْمَثُوبَاتِ؛ كَالْحَجِّ، وَالْعِتْقِ، وَوَقْفِ الْفَرَسِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ  
أَوْ تَجْهِيزِ الْمُجَاهِدِ إِلَّا بِنُورِ التَّوْبَةِ.

أَوْ قُلْ: الْمُرَادُ مِنَ الْأَحَادِيثِ الْمَذْكُورَةِ بَيَانُ كَثْرَةِ ثَوَابِ التَّسْبِيحِ، وَالتَّحْمِيدِ، وَالتَّكْبِيرِ وَالتَّهْلِيلِ  
بِطَرِيقٍ آخَرَ، وَيُؤَيِّدُ تَأْوِيلَكَ هَذَا قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لَمْ يَأْتِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ أَحَدٌ بِأَكْثَرِ مِمَّا  
أَتَى بِهِ إِلَّا مِنْ قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ أَوْ زَادَ عَلَيَّ مَا قَالَ»<sup>٥٥١</sup> وَقَوْلُهُ: «لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،  
بِأَفْضَلِ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلَّا أَحَدٌ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ أَوْ زَادَ عَلَيْهِ». فَتَأَمَّلْ فِيهِ تَعَلُّمَ تَأْيِيدِهِ، وَاعْلَمْ  
أَنَّكَ إِذَا تَأَمَّلْتَ فِي كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْعِبَادَةِ؛ كَالصَّلَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَالْجِهَادِ،  
وَحَسَنَ الْخُلُقِ، وَالْجُودِ وَالرَّفْقِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْأَعْمَالِ وَالْأَخْلَاقِ، وَجَدْتَ فِيهِ مِبَالِغَاتٍ فِي ثَوَابِهِ/  
[١٠٨ ظ] وَمَدَحِ فَاعِلِهِ، حَتَّى ظَنَنْتَ أَنَّهُ أَفْضَلُ الْعِبَادَاتِ وَأَعْظَمُهَا.

وَكَذَا إِذَا تَأَمَّلْتَ فِي كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْمَعْصِيَةِ الْقَلْبِيَّةِ وَالْقَالِبِيَّةِ، وَجَدْتَ فِيهِ تَشْدِيدَاتٍ  
وَتَغْلِيظَاتٍ فِي عِقَابِهِ وَذَمِّ فَاعِلِهِ، حَتَّى اعْتَقَدْتَ أَنَّهُ أَفْبَحُ الْمَعَاصِي وَأَشَدُّهَا، فَيَلْزِمُ مِنْهُ كَوْنُ كُلِّ  
مِنْهُمَا مُفَضَّلًا وَمُفَضَّلًا عَلَيْهِ، فَيَتَوَهَّمُ التَّعَارُضُ وَالتَّدْفَعُ.

لَكِنْ إِذَا تَدَبَّرْتَ وَأَمَعَنْتَ<sup>٥٥٢</sup> النَّظَرَ، وَتَفَكَّرْتَ وَأَنْعَمْتَ<sup>٥٥٣</sup> فِي التَّوْفِيقِ بِفَطَانَتِكَ الْكَامِلَةِ،  
وَفَرَسْتِكَ الشَّامِلَةِ، تَطَّلَعَ عَلَى أَنَّ تَفْضِيلَ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنَ الْعِبَادَاتِ، وَتَقْبِيحَ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْ  
السَّيِّئَاتِ بِجَهَةِ مَخْصُوصَةٍ لَا يَوْجَدُ فِي غَيْرِهَا، يَنْقَمِعُ عَنْ سَاحَةِ تَوَهُّمِكَ التَّعَارُضِ، وَتَنْقَلِعُ عَنْ  
عَرَضَةِ ظَنِّكَ التَّدْفَعِ.

وَإِنَّ فَائِدَةَ ذَلِكَ النَّظْمِ الْبَلِيغِ، مَا ذَكَرْنَا مِنَ التَّحْرِیضِ عَلَى مِلَازِمَةِ جَمِيعِ الطَّاعَاتِ، وَالْمُجَانِبَةِ  
عَنْ جَمِيعِ السَّيِّئَاتِ.

### بَابُ الْاسْتِغْفَارِ وَالتَّوْبَةِ

[١٠٧] قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنْ عَبْدًا أَذْنَبَ ذَنْبًا فَقَالَ: رَبِّ، أَذْنَبْتَ فَاغْفِرْهُ،  
فَقَالَ رَبِّي: عَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ، غَفَرْتُ لِعَبْدِي، ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ

٥٥١ سنن الترمذي، الدعوات ٦٢؛ مصابيح السنة، ١٦٣/٢.

٥٥٢ ص، أنعمت.

٥٥٣ ص، أمعنت.

الله، ثمّ أذنب ذنبًا»،<sup>٥٥٤</sup> الحديث. الحاصل، أنّه أذنب ذنبًا ثلاث مرّات، واستغفر ثلاث كمرّات، وقال تعالى: غفرت لعبدي في كلّ [١٠٩ و] مرّة، وقال في الثالثة: فليعمل ما شاء. فإن قلت: قوله تعالى: (فليعمل ما شاء) أمر بالمعاصي؛ كقتل المسلم البريء، والرّياء والشّرك، فلا يكون ذلك مقتضى الحكمة.

### آراء وأقوال بعض الشّراح والعلماء في تأويل هذه المسألة

قال بعض الشّراح في تأويله أنّه لما صار مغفورًا، لا يكتب عليه المعاصي فيما بعد، ولا يضربه الذّنْب.

وقال بعضهم: معناه «فليعمل ما شاء»، من الطّاعة.

وقال بعضهم: «فليعمل ما شاء»، كلام يستعمل تارة في معرض السّخَط<sup>٥٥٥</sup>، وأخرى في معرض التّلطّف<sup>٥٥٦</sup>، وليس المراد منه في كلتا الصّورتين الحثُّ على الفعل أو التّرخّص فيه، بل التعريض بالتّرك له.

وقال الإمام النّووي في شرح المشكاة<sup>٥٥٧</sup> معناه: «فليفعل ما شاء»، فإنّه يتوب<sup>٥٥٨</sup>. فاعلم أيّها الأخ الطّالِب للتّحقيق والجازم الحريص على التّدقيق، قد عرفت فيما سبق أنّ المتعلّم لا يتخلّص عن ريقّة التّردّد، ولا ينقضي عن ذلّة التّحير بضبط جزئيات أجوبة السّؤالات المختلفة.

٥٥٤ مصابيح السنة، ١٦٧/٢.

٥٥٥ هذا ما ذهب إليه الطّبي في شرح الحديث، فشرح قوله: «فليعمل ما يشاء» أنّه كلام يستعمل تارة للسّخَط والنكير. انظر: شرح مشكاة المصابيح، ١٣٤٨/٦.

٥٥٦ في معرض التّلطّف، هذا ما وضحه البيضاوي في تحفة الأبرار؛ أنّه المقصود بقوله: «فليعمل ما شاء» ليس المراد منه الحث على المعاصي، بل هنا يقصد به التّلطّف وإظهار الشفقة والعناية. أي أنّه إن فعل الذنوب واستغفر وداوم على التوبة سيغفر الله له ذنوبه. انظر: تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة، ٧٣/٢. بتصرف.

٥٥٧ يجب أن يكون في شرح صحيح مسلم، ونقول لعل سبب الخطأ في النسخ أن الناسخ نسخ قول الطّبي من كتابه شرح المشكاة ثم توجه إلى قول الإمام النّووي لذلك أخطأ في النسخ، فلعله أراد توثيق قول الطّبي لكنه نسبه إلى النّووي أثناء الإملاء عليه.

٥٥٨ ذهب الإمام النّووي إلى هذا القول في كتابه شرح صحيح مسلم، في باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت، قال: لو تكرّر الذّنْب مئة مرة وتاب المذنب في كلّ مرة قبلت توبته وسقطت ذنوبه، وقال المعنى من قوله: «اعمل ما شئت قد غفرت لك»: مهما تكررت الذنوب ثم تبت قبلت توبتك وعُفِرَ لك. انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ٥٧/١٧.

فيجب عليك أن تتعلم القواعد في دفع التعارض والتوفيقات، وتتحفظ الضوابط في طرق الترجيح والتحقيقات، حتى تقدر على التأويل المناسب والتحقيق المقارب في الجزئيات، ولذا ذكر الفقير في أول الكتاب بعض قواعد الجمع والتوفيق، وقوانين/ [١٠٩ظ] الترجيح والتحقيق، فاعلم في هذا المقام أيضًا أصلاً مناسباً للكلام؛ من أن الأمر المطلق عندنا لإنجاز ما اشتمل عليه من المصدر، وإذا<sup>٥٥٩</sup> تعذر ذلك بقرينة نقلية، أو عقلية، أو عادية، يصار إلى المعنى المجازي؛ كالإباحة والندب، والتهديد والامتنان، والإكرام والتعجيز، والتسخير والإهانة، والتسوية والدعاء، والتبني والاحتقار والتكوين. كذلك النهي المطلق عندنا للتحريم، وإذا تعذر التحريم بقرينة صارفة، يحمل على المعنى المجازي؛ كالكراهة والتنزيه، والتحقيق، وبيان العاقبة، والإرشاد والشفقة.

وقد عرفت أن معرفة تعذر إرادة المعنى الحقيقي من الكلام بقرينة سهل يسير، لكن الأمر المعضّل والخطب المشكّل؛ تعيين معنى من المعاني المجازية مناسب للمقام، مقارب إلى الأفهام.

ولذا يعرف بذلك التفاوت بين مراتب المستدلين ومناصب المؤولين، فتأمل في قوله «فليعمل ما شاء»، واستنبط منه المعنى المجازي الموافق للمقام، والمقارب إلى الأفهام إذا تعذر إرادة المعنى الحقيقي من الكلام.

فليفهم أن سياق الكلام مشتمل على قرينة التلطف والترحب، وقرينة التهديد والترهيب؛ لأن تكرار المغفرة/ [١١٠و] وعدم المؤاخذه في أول الجناية، يدل على سعة رحمة الله وكرمه في شأن ذلك المذنب، وتكرار ارتكابه الذنب أو إصراره قرينة استحقاق القهر والتعذيب.

وعلى كلا التقديرين لا يراد من الأمر وقوع مضمونه فضلاً عن الإيجاب؛ لأن عموم قوله (ما شاء) يمنع ذلك، فيراد من الأمر أحد المعنيين المجازيين، لكن الأنسب للسياق أن يراد به التلطف والمحبة، لتكرار إنابته وسرعة توبته، وترتب المغفرة عليها، فيكون بذلك السبب مظهرًا للترحيب كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢] وقوله: «سبقت رحمتي على غضبي»<sup>٥٦٠</sup>. ولأن النظر إلى الماحي أولى من النظر إلى

<sup>٥٥٩</sup> ف، ولذا.

٥٦٠ روي الحديث بطريقتين مختلفة ولفظه: «إن رحمتي سبقت غضبي» صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧.

المحمو، ولأنَّ التائب من الذَّنْبِ كمن لا ذنب له، وما قاله الإمام النووي<sup>٥٦١</sup> من أن<sup>٥٦٢</sup> يراد<sup>٥٦٣</sup> حقيقة العمل؛ لأنَّه لا يضرُّه الذَّنْبُ لرتب التَّوْبَةِ عليه، غير مستبعد بأن يقال لما ظهر تكرار توبته يصير أوَّابًا، ولما وصل إليه مغفرة الله تعالى وقبول توبته يصير محبوبًا، والمحجوب لا يعاقب بجرمه.

لكنَّك قد عرفت الفرق بين التَّوْبِيعِ المحتلِّ للصَّواب في عقل بعض الأنام بين التَّحْقِيقِ المناسب للمقام، والمقرَّر في الأفهام، مع أنَّه / [١١٠ ظ] يجب أن يخصَّص: «ما شاء»، من الذَّنُوبِ القابل زوالها بالتَّوْبَةِ، لما ثبت في الشَّرْعِ أنَّ المظالم وحقَّ العباد، بل فوائد الفرائض لا تزول غالبًا بالتَّوْبَةِ، كما أشار إليه النَّبِيُّ عليه السَّلَام: أنَّ جبرائيل عليه السَّلَام قال لي: «القتل في سبيل الله يكفِّر كلَّ شيءٍ، إلَّا الدَّيْنَ»<sup>٥٦٤</sup>. ويندرج في الدَّيْنِ حقوق العباد، بل فوائد الفرائض لأنَّ توبتها قضاؤها.

وما قاله غيره في التَّوْبِيعِ من أنَّ الذَّنْبَ لا يضرُّه بعد ذلك فليعمل ما شاء، أو فليعمل ما شاء من الطَّاعَةِ، بعيد عن الأفهام غير مناسب لمقام الكلام.

[١٠٨] وقال النَّبِيُّ عليه السَّلَام: «والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله، فيغفر لهم»<sup>٥٦٥</sup>.

[١٠٩] وقال: «كان في بني إسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين إنسانًا، ثمَّ خرج يسأل، فأتى راهبًا فسأله فقال له: هل من توبة؟ قال: لا، فقتله، فجعل يسأل، فقال له رجل: ائت قرية كذا وكذا، فأدركه الموت، فناء بصدرة نحوها، فاخصمت فيه ملائكة الرَّحْمَةِ وملائكة العذاب، فأوحى الله إلى هذه أن تقربي، وأوحى الله إلى هذه أن تباعدي، وقال: قيسوا ما بينهما، فوجد إلى هذه أقرب بشير، فغفر له»<sup>٥٦٦</sup>. ويشاكل هذا الحديث ما قال النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: / [١١١ و] «أسرف رجلٌ في المعصية، وأوصى بنيه أن يحرقوه ليتخلَّص عن

٥٦١ ص، النواري.

٥٦٢ ص - أن.

٥٦٣ ص، راد.

٥٦٤ صحيح مسلم، الإمارة ١٨٨٦؛ مصابيح السنة، ٤٢/٣.

٥٦٥ صحيح مسلم، التوبة ٢٧٤٩؛ مسند أحمد، ٤٤٥/١٣؛ مصابيح السنة، ١٦٦/٢.

٥٦٦ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ مصابيح السنة، ١٦٥/٢.

ضرر ذنبه، فأحرقوه فغفر لذلك»<sup>٥٦٧</sup>.

[١١٠] وقال النبي عليه السلام: «قال الله تعالى: يا ابن آدم؛ إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي، يا ابن آدم؛ لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي»<sup>٥٦٨</sup>.

فإن قلت: بعض هذه الأحاديث يدل على أن الذنوب مراد الله، فيجب على العبد أن يعمل الذنب حتى يحصل مراد الله، ويتخلص من الإذهاب والهلاك، وبعضها يدل على أن المظالم تغفر بالتوبة، وبعضها يدل على أن الذنوب لا يضر ولا تقبح؛ لقوله: «غفرت لك ولا أبالي»، وهذا يخالف أصول الشرع، بل يعارض؛ لأن النصوص القاطعة متعاضدة في الدلالة على وجوب الاجتناب عن الذنب وتركه، وعلى أن المظالم لا يغفر بالتوبة، لا سيما القتل الذي قال الله تعالى في حقه: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءُ لَهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾ [النساء: ٩٣].

قلنا: قد عرفت أن بعض الأحاديث مبين إجمال بعضها، وبعضه رافع إبهام بعضها، وبعضها مقيد ومخصص بعضها، وبعضها قوي راجح يمنع عن العمل بمرجوح يخالفه. فنقول في [١١١ ظ] تأويل الحديث الأول: أن الكلام المشتمل على القيد مثبتا كان أو منفيًا، يكون نصًا في بيان القيد وموردًا له وإشارة، وغير مسوق لغيره، فيكون سوق الكلام فيه لبيان فضيلة ترتب الاستغفار على الذنب بقريته قوله: «فيستغفرون الله»، لا لإباحة الشروع في الذنب؛ لدلالة النصوص الراجحة القاطعة على وجوب الاجتناب عنه، وفرضية تركه، ويرشد إلى ذلك قوله عليه السلام: «وكل بني آدم خطاؤون، وخير الخطائين التوابون»<sup>٥٦٩</sup>.

---

٥٦٧ روى الازنيقي الحديث هنا بالمعنى ولفظه: عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «أسرف رجل على نفسه، فلما حضره الموت أوصى بنيه فقال: إذا أنا مت فأحرقوني، ثم اسحقوني، ثم اذروني في الريح في البحر، فوالله لئن قدر علي ربي ليعذبني عذابا ما عذبه به أحدا، قال ففعلوا ذلك به، فقال للأرض: أدي ما أخذت، فإذا هو قائم، فقال له: ما حملك على ما صنعت؟ فقال: خشيتك، يا رب - أو قال مخافتك - فغفر له بذلك» صحيح مسلم، التوبة ٢٧٥٦؛ سنن ابن ماجه، الزهد ٣٠.

٥٦٨ سنن الترمذي، الدعوات ٩٩؛ سنن الدارمي، ١/٦٦٨؛ مسند أحمد، ٣٥/٣٧٥؛ مصابيح السنة، ٢/١٦٨.

٥٦٩ سنن ابن ماجه، الزهد ٣٠؛ سنن الدارمي، ١/٦٥٤.

وما ثبت اقتضاءً وتضمناً لا يعتبر به، كما يعرف أنّ الله تبارك وتعالى بالغ في ثواب الشهادة، ورفع درجة الشهداء، وكذا النبيّ عليه السّلام؛ لتحريض المؤمنين على الشهادة مع أنّها متضمنة لغلبة الكفّار عليهم وقتلهم، لكن لما كان المقصود شهادتهم لا غلبة الكفّار لا يعبأ بها.

ولو سلّم أنّ الحديث يدلّ على أنّ الذنب مراد الله تعالى بالأصالة، يلتزم به. لكننا نقول: ليس كلّ ما يريد الله تعالى جائر الشّرع<sup>٥٧٠</sup>؛ لأنّ كفر الكافر مراد الله تعالى عندنا، مع أنّ الشّرع فيه أقبح المحرّمات، وأبغض المنهيات؛ لأنّ إرادة الله تعالى عبارة عن تخصيص أحد المقدورين وترجيحه بالوقوع، وترجيحه في أيّ وقت شاء/ [١١٢و] معصيةً كان ذلك الأحدث، أو طاعة فعلا كان أو تركاً.

لكنّ ذلك التّخصيص والترّجيح بعد اختيار الفاعل ذلك الطّرف على سبيل السنّة الإلهيّة، فلا يلزم الجبر على الذنب والكفر، ولا قبح العقاب عليهما، أو خروجه عن نسق العدل والحكمة.

ونقول أيضاً: كل ما كان مرضياً عند الله تعالى بعضه مستحسن الشّرع، وبعضه واجب الشّرع؛ كالعبادات المفروضة والمتطوّعة، فمدار الثّواب والعقاب توجّه العبد واختياره، لا إيجاد الله تعالى بعد ذلك.

وقد عرفت بعض التّفصيل والتّحقيق فيه، فلا نعيده، فإنّ التّعمق في هذا الباب يفضي إلى كشف سرّ القدر، ولولا تكدرّ قلوب المبتدئين بسماع كلام المبتدعين، لما شرعنا في البحث عن هذا الكلام، وإن اقتضى<sup>٥٧١</sup> المقام.

ونقول في تأويل الحديث المشتمل على قتل تسع وتسعين ومغفرته: يجوز أن يكون المقتولون مباحي الدّم، لكنّ القاتل ليس له ولاية القتل<sup>٥٧٢</sup>، ولذا احتاج إلى التّوبة، وأيضاً الرّاهب الذي قال له: لا تقبل توبتك، يجوز أن يباح دمه لإقناطه القاتل/ [١١٢ظ] عن رحمة الله تعالى، وهذا من المحتملات العقليّة.

فالأقرب أن يقال: ظفر القاصد لتكفير ذنبه وتوبته برضا الله تعالى؛ لغاية ندامته على ذنبه،

٥٧٠ ص الشّرع.

٥٧١ ص اقتضاه.

٥٧٢ ص، قتلهم.

واستيلاء الخوف والتضرع والمسكنة، والرقة على قلبه، وتوجهه بالكلية إلى طلب رحمة الله تعالى منقطعاً عن الأسباب، ولا يبعد أن يكون ذلك الأمر سبباً لإرضاء الخصوم أيضاً كما ثبت في الشرع ذلك.

ويجوز أن يكون له حُلُقٌ مخفيّ يصير سبباً لرضا الله المؤدّي إلى رضا الخصوم، وقد عرفت أنّ رضا الله تعالى مخفيّ بين العبادات، فربّما حصل بسبب يسير وعبادة سهل، ويدلّ على ذلك وحيه تعالى إلى مسافة قرية العالم أن تلتمني حتى يقرب إليك عبدي النّادم؛ لأنّ ذلك الوحي لم يصدر إلّا لوجود خصلة مقتضية لذلك، لما عرفت أنّ مقتضى الحكمة ذلك، وإن أمكن عقلاً أن يكون ذلك المقتضى، كما حكى النبيّ عليه السّلام عن الله تعالى أنّه قال: «أنا عند ظنّ عبدي بي»،<sup>٥٧٣</sup> وبهذا التّأويل والتّوجيه يُصحّح قضية الرّجل المسرف الموصي إحراره، ونثر نصف رماده في البرّ، ونصفه في البحر.

وإذا عرفت تأويل الأحاديث/ [١١٣و] المذكورة الرّامزة إلى طرف الرّجاء وسعة رحمة الله، وستعرف في طرف الخوف والتّرهيب الأحاديث المنبّهة على الجدّ في الاجتناب عن المعاصي؛ للتّعديل والإخراج عن العُلوّ في الرّجاء المؤدّي إلى التّهاوي في مهاوي الأمان. فاعلم أنّ حكاية القاتل التائب، والمسرف المحرق من التّوادر، لا نظير بها إلّا واحد من الآلاف كالواصلة<sup>٥٧٤</sup> إلى ليلة القدر، وإنّ الغالب والمطرّد الوصول إلى القرية ونعم الجنة بسبب استجماع العبادات، والاجتناب عن جميع السيئات.

وإنّ التّارك في باب الدّين والعبادة ما يغلب ويطرّد في العادة الشّرعية والسّنة الإلهية، والمتميّ لما يندر ويعسر؛ أحمق وأخرف، كمن ترك حرفته التي يحصل بسببها كلّ يوم وجه معيشته، ودخل بيته وغلق بابه واشتغل بنقب جداره، وصحن بيته وداره وسؤال<sup>٥٧٥</sup> النّاس عن حاله وشغله، فقال: أريد أن أجد كنزاً في بيتي، وأظفر به كثيراً من الذهب والياقوت الأحمر والجواهر النّفيسة، وأتخلّص عن تعب الكسب به، فإنّ السّامعين يسخرون منه، ويضحكون،

---

٥٧٣ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ صحيح مسلم، الذكر والدعاء والاستغفار ٢٦٧٥؛ سنن الترمذي، الدعوات

١٣٢؛ سنن ابن ماجه، الأدب ٥٨؛ سنن الدارمي، ١/٦٥٥؛ مسند أحمد، ١٢/٣٨٦؛ مصابيح السنة،

١٤٥/٢.

٥٧٤ ص كالواصل.

٥٧٥ ص سأل.

وينسبون/ [١١٣ظ] إلى الحمق والجهل؛ لترك العمل بالأمر المطرد والغالب، واشتغاله بالشيء النادر وإن كان ممكناً؛ لأن كثيراً من الناس وجدوا الكنز.

فلا تترك أنت أيها العامل المتعظ، والعامل المتيقظ الاشتغال بالأمر المطرد من المواظبة على الأعمال الصالحة الجامعة شروطها الظاهرة والباطنة، والاجتناب عن الأعمال الطالحة المهلكة، ولا تتشبث بالأمر النادر المستبعد، قائلاً: لعل رضا الله تعالى يحصل لي في أمر يسير من العبادة، فيغفر لي من غير إعتاب النفس في توفية وظائف الطاعات، وقهرها في المنع عن المشتبهات، حتى لا يكون من الحمقى المغرورين والكسالى المفتونين، وضحكة للعقلاء من المؤمنين في باب العبادة والدين.

وإذا لم ترض بكونك ضحكة للجهلة والعوام، وأحمق بين الأنام في باب الدنيا، ولن ترضى بالجهالة والحماقة في أمر الدين والعقبى، مع أنك عرفت أن ترك أسباب الدنيا جائز، بل هو من وظائف المقرّبين وخصائص المتوكّلين، ومرتبة العلماء العاملين.

وترك أسباب الآخرة جهل جبلي، بل كفر خفي، كما قال الله تعالى: / [١١٤و] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آَبَاؤُنَا وَلَا حَرَمًا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [النحل: ٣٥].

[١١١] وقال النبي عليه السلام: «والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله عز وجل»<sup>٥٧٦</sup>.

وإذا عرفت هذا القدر من التفصيل في توجيه الحديثين والتأويل، نقول: لأن قوله عليه السلام حكاية عن الله تعالى: «يا ابن آدم؛ إنك ما دعوتني ورجوتني، غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي»، لا يدل على أن التوبة غير محتاجة في مغفرة الذنوب، أي ذنب كان على ما يدل عليه قوله تعالى: «على ما فيك»؛ لأن ما عام، والمغفرة غير مقيد بالتوبة؛ لأن التوبة عبارة عن عزم القلب على ترك الذنب مع الندم، لمعرفته قبح ذنوبه ومخالفته لأمر مالكة، وقوله: «دعوتني ورجوتني»، يدل على ذلك ولو سلّم عدم دلالة عليه.

قلنا: قد عرفت أن بعض الأحاديث مقيد ومخصّص بعضها، وقد ثبت بالأحاديث

٥٧٦ سنن الترمذي، صفة القيامة والرقائق والورع ٣٥؛ سنن ابن ماجه، الزهد ٣١؛ مسند احمد، ٢٣/٣٥٠؛

مصايح السنة، ٣/٤٤٤.

الصَّحِيحَةَ أَنَّ حَقُوقَ الْعِبَادِ لَا تَغْفِرُ لِمَجْرَدِ التَّوْبَةِ، بَلْ مَحْتَاةٌ إِلَى الْأَدَاءِ أَوْ الْاسْتِحْلَالِ عَنِ صَاحِبِهَا، وَأَنَّ مَغْفِرَةَ الذَّنُوبِ مَقْبُودَةٌ بِالتَّوْبَةِ، كَمَا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ»، وَقَالَ أَيْضًا: «فَمَنْ عَلِمَ مِنْكُمْ أَنِّي ذُو قُدْرَةٍ / [١١٤ظ] عَلَى الْمَغْفِرَةِ فَاسْتَغْفِرْنِي غَفَرْتُ لَهُ وَلَا أَبَالِي»<sup>٥٧٧</sup>.

وَقَالَ بَعْضُ الشَّرَاحِ: مِثْلُ هَذَا الْحَدِيثِ صَدَرَ لِتَغْلِيْبِ الرَّجَاءِ عَلَى الْخَوْفِ؛ لِأَنَّ صِفَةَ الرَّحْمَةِ وَالْعَفْوِ غَالِبَةٌ.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مِثْلُ هَذَا الْحَدِيثِ عِنْدَ غَلْبَةِ الْخَوْفِ عَلَى الْأَصْحَابِ، وَأَنْتَ تَعْرِفُ أَنَّ بِهَذَا التَّأْوِيلِ لَا يَصِحُّ مِثْلُ تِلْكَ الْأَحَادِيثِ عَلَى ظَوَاهِرِهَا.

وَلَا تَلْمِزْنِي أَيْهَا الْعَاقِلُ الْمَتَدَبِّرُ، وَالْعَامِلُ الْمَتَحَفِّظُ عَلَى تَطْوِيلِ التَّأْوِيلِ وَالْكَلامِ فِي هَذَا الْبَابِ وَالْمَقَامِ؛ لِأَنَّ بَعْضَ عُلَمَاءِ الْأَنَامِ سَفَهَاءَ الْأَحْلَامِ أَزَالُوا خَوْفَ الْقَوْمِ وَأَهْلَكُوهُمْ فِي مِتَالِفِ التَّهَوُّنِ وَالْمَنَامِ، بِالْإِفْرَاطِ فِي بَابِ الرَّجَاءِ بِظَاهِرِ الْكَلَامِ، حَتَّى سَمِعْتُ أَنَّ يَقُولُ أَنَّ النَّارَ أَعَدَّتْ لِلْكَفَّارِ فَلَا يَدْخُلُهَا الْمُؤْمِنُ.

وَمَا نَقَلُوا مِنَ النَّصُوصِ فِي بَابِ التَّخْوِيفِ وَالْوَعِيدِ بِمَجْرَدِ الزَّجْرِ وَالتَّهْدِيدِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ٢٤﴾ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ٢٥﴾ [البقرة: ٢٤-٢٥]. [١١٢] وَقَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أُمَّتِي مَرْحُومَةٌ، لَا<sup>٥٧٨</sup> عَذَابُ عَلَيْهَا فِي الْآخِرَةِ»<sup>٥٧٩</sup>.

وَقَالَ الْفَقِيرُ لِلْسَّامِعِينَ النَّاقِلِينَ كَلَامَهُ: لَا تَعْتَمِدُوا عَلَى كَلَامِهِ، فَإِنَّ الْعَالَمَ النَّاقِصَ، وَالْوَاعِظَ الْقَاصِرَ / [١١٥و] يَفْسِدُ قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ أَكْثَرَ مِمَّا يَصْلِحُهَا؛ كَالطَّيِّبِ الْجَاهِلِ فَإِنَّهُ كَثِيرًا مَا يَفْسِدُ أَبْدَانَ الْمَرْضَى، بَلْ يَهْلِكُهُمْ بِمَعَالِجَتِهِ.

وَنَقُلُ طَرَفًا مِنَ النَّصُوصِ<sup>٥٨٠</sup> الشَّرْعِيَّةِ فِي بَابِ الْخَوْفِ؛ لِتَعْدِيلِ قُلُوبِهِمْ وَإِصْلَاحِهَا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحریم: ٦] وَلَوْ لَمْ يَدْخُلِ الْمُؤْمِنُ النَّارَ، لَا يَسْتَقِيمُ بِتَخْوِيفِهِ مِنْهَا، وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْجَنَّةِ بِشَرَطِ مَقَارَنَةِ

٥٧٧ سنن الترمذي، صفة القيامة والرقائق والورع ٤٨.

٥٧٨ ف، ليس لها.

٥٧٩ مسند أحمد، ٤٥٤/٣٢.

٥٨٠ ص - ونقل طرفًا من النصوص.

إيمانهم بالعمل الصالح.

وقال الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

ولو كان قوله تعالى في حق جهنم ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤] يدل على اختصاصها بهم، لدل اختصاص الجنة بالمتقين المتصفين بما ذكر في الآية الشريفة، فلا يدخلها المتقي الغير المتصف فضلاً عن المؤمن.

وقد علق الفلاح عن النار أيضاً بمؤمن متصف بالأعمال الشريفة الكثيرة في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿١﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ [المؤمنون: ٢-٥] فهذا يدل أيضاً على أن المؤمن لا ينجو من النار بدون الأوصاف المذكورة.

وأوعد المؤمن بخلود النار على القتل، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾ [النساء: ٩٣].

وغلظ في حق تارك الحج كما قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ﴾ [آل عمران: ٩٧] أي من ترك الحج بعد الاستطاعة.

وأوعد النبي عليه السلام على مؤمن ارتكب معصيته بالنار، كما قال عليه السلام: [١١٣] «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من الكبر»<sup>٥٨١</sup>.

[١١٤] وقال عليه السلام: «لا يدخل الجنة قتات»،<sup>٥٨٢</sup> «ولا نمام»،<sup>٥٨٣</sup> وقال الصحابة في حق صحابي قتل شهيداً: هنيئاً له الجنة، فكره النبي عليه السلام كلامهم، وقال: لعله يتكلم بما لا يعنيه.

٥٨١ سنن الترمذي، البر والصلة ٦١؛ سنن ابن ماجه، الزهد ١٦؛ مسند أحمد، ٣٣٥/٧؛ مصابيح السنة، ٢٢١/٤.

٥٨٢ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ صحيح مسلم، الإيمان ١٠٥؛ سنن أبي داود، الأدب ٣٨؛ سنن الترمذي، أبواب البر والصلة ٧٩؛ مسند أحمد، ٣٣٨/٣٨؛ مصابيح السنة، ٣٢٠/٣.

٥٨٣ هنا اختصر المؤلف الحديث ولفظه: قال حذيفة: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لا يدخل الجنة نمام» صحيح مسلم، الإيمان ١٠٥.

[١١٥] وقال عليه السّلام: «إِنَّ الرَّجُلَ لِيَتَكَلَّمَ بِالْكَلِمَةِ مِنَ الشَّرِّ مَا يَعْلَمُ مَبْلَغَهَا، يَكْتُبُ اللَّهُ بِهَا عَلَيْهِ سَخَطَهُ إِلَى يَوْمٍ يَلْقَاهُ»<sup>٥٨٤</sup>.

[١١٦] وقال عليه السّلام: «إِنَّ الْعَبْدَ لِيَتَكَلَّمَ بِالْكَلِمَةِ يُضْحِكُ بِهَا جُلُوسًا<sup>٥٨٥</sup>، يَهْوِي بِهَا مِنْ أْبَعْدَ مِنَ الثَّرِيَا»<sup>٥٨٦</sup>.

[١١٧] وقال: «بَيْنَ الْعَبْدِ وَالْكَفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ»<sup>٥٨٧</sup>، وقال: «مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ مُتَعَمِّدًا فَقَدْ كَفَرَ».

[١١٨] وقال عليه السّلام في باب القصاص: «مَنْ قَتَلَ مَعَاهِدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنْ رِيحَهَا تَوَجَّدَ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ خَرِيفًا»<sup>٥٨٨</sup>.

ولم يقتصر النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْإِعَادِ / [١١٦ و] بِدخول جهنم على المعصية، بل أُوْعِدَ بِالْخُلُودِ فِيهَا عَلَيْهَا، وَقَالَ: «مَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَتَرَدَّى فِيهَا خَالِدًا مَحَلَّدًا أَبَدًا، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَجَأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مَحَلَّدًا فِيهَا»<sup>٥٨٩</sup>.

وغلّظ أيضًا على بعض المعاصي وقال في بيان حرم المدينة: «مَنْ أَحْدَثَ فِي الْمَدِينَةِ حَدَثًا وَآوَى مُحَدِّثًا، فَعَلِيهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يَقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ»<sup>٥٩٠</sup>.  
وقال إذا حضر جنازة من الصّحابة: «هل عليه دين؟ قالوا: نعم، ولم يصلّ عليه، وقال:

---

٥٨٤ مصابيح السنة، ٣/٣٢٣.

٥٨٥ ف، الناس، يهوي بها أبعد ما بين السماء والأرض.

٥٨٦ مسند أحمد، ١٥/١٢٠؛ مصابيح السنة، ٣/٣٢٤.

٥٨٧ سنن أبي داود، أول كتاب السنة ١٥؛ سنن الترمذي، أبواب الإيمان ٩؛ سنن ابن ماجه، إقامة الصلاة والسنة فيها ٧٧؛ مسند أحمد، ٢٣/٢٢٨؛ مصابيح السنة، ١/٢٥٢.

٥٨٨ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ سنن أبي داود، أول كتاب الجهاد ١٦٤؛ سنن ابن ماجه، الديات ٣٢؛ مصابيح السنة، ٢/٥٠٤.

٥٨٩ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ النسائي، الجنائز ٦٨؛ مصابيح السنة، ٢/٥٠٤.

٥٩٠ أضاف المؤلف هنا عبارة «في المدينة» بعد عبارة «من أحدث» لأنه كان يوضح لتلاميذه مقصده والله أعلم. وعبارة «لا يقبل منه صرف ولا عدل» مذكورة في مسند أحمد فقط. وتخرّج الحديث كالتالي: صحيح البخاري،

الجمعة ٢١٧؛ سنن أبي داود، الديات ١١؛ النسائي، القسامة ٨؛ مسند أحمد، ٢/٢٦٧.

صَلُّوا عَلَى صَاحِبِكُمْ»<sup>٥٩١</sup>. وقال بعض المحققين في تأويله: لم يصلَّ عليه؛ لأنَّه علم أنَّ دعاءه لا يقبل في حقه لوجود الدين في رقبته<sup>٥٩٢</sup>، وقتل مدعم في الغزا بسهمٍ غائر، فقال النَّاسُ: هنيئًا له الجنَّة، فقال النَّبِيُّ عليه السَّلام: «والَّذي نفسي بيده إنَّ الشَّملة التي أخذها يوم خيبر من المغنم لم يصبها المقاسم لتشتعل عليه نار»<sup>٥٩٣</sup> يوم القيامة. ومات كِرْكِرَةً، فقال النَّبِيُّ عليه السَّلام: «هو في النَّار»<sup>٥٩٤</sup> لعباءة غلَّها في المغنم قبل التَّقسيم/ مع أنَّ مدعمًا وكرْكِرَةً غازيان خادمان لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومات أيضًا/ [١١٦ظ] رجلٌ من الأنصار يوم خيبر ولم يصلَّ النَّبِيُّ عليه السَّلام، فتغيَّرت وجه الغزاة من الملالة فقال النَّبِيُّ عليه السَّلام: «غلَّ خرزًا فوجدوا في ثقله خرزًا لا يساوي درهمين»،<sup>٥٩٥</sup> وأمثاله كثيرة.

ولو حكم ذلك المنتحل لأهل العلم بظاهر الآية والحديث اللَّذين نقلهما، بأنَّ المؤمن لا يدخل النَّار لاختصاصها بالكفَّار، وأنَّ كلَّ أمةٍ ممَّدَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرحومة لا تعذب في الآخرة؛ لوجب عليه أن يحكم بالآيات والأحاديث التي نقلتها بكفر المؤمن بسبب ترك الصَّلَاة والحجِّ ودخول النَّار، بل خلوده فيها ببعض المعاصي.

---

٥٩١ روى الحديث بالمعنى (اختصره) ولفظه: عن جابر بن عبد الله، قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يصلي على رجل عليه دين، فأُتي بميت، فسأل: "هل عليه دين؟" قالوا: نعم، ديناران، قال: "صلوا على صاحبكم"، فقال أبو قتادة: هما علي يا رسول الله، فصلى عليه، فلما فتح الله على رسوله صلى الله عليه وسلم، قال: "أنا أولى بكل مؤمن من نفسه، فمن ترك دينًا فعلي، ومن ترك مالا فلورثته". مسند أحمد، ٦٥/٢٢؛ مصابيح السنة، ٣٤٢/٢.

٥٩٢ هذا ما قاله البيضاوي في شرحه على مصابيح السنة، قال: لعل النبي صلى الله عليه وسلم امتنع عن الصلاة على المديون الذي لم يدع وفاء، تحذيرًا عن الدين وزجرًا عن المماطلة في الأداء، أو كراهةً أن يوقف دعاؤه ويعاقب عن الإجابة بسبب ما عليه من حقوق الناس ومظالمهم. انظر: تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة، ٢٦٧/٢.

٥٩٣ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ سنن أبي داود، أول كتاب الجهاد ١٤٢؛ النسائي، الأيمان والنذور ٣٧؛ موطأ مالك، ٤٥٩/٢؛ مصابيح السنة ١٠٠/٣.

٥٩٤ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ سنن ابن ماجه، الجهاد ٣٤؛ مسند أحمد، ٣٢/١١؛ مصابيح السنة، ١٠٠/٣.

٥٩٥ لعله قصد الحديث: أنَّ رجلا من أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- توفي يوم خيبر، فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "صلوا على صاحبكم" فتغيرت وجوه الناس لذلك، فقال: "إن صاحبكم غل في سبيل الله"، ففتشنا متاعه فوجدنا خرزا من خرز يهود لا يساوي درهمين. موطأ مالك، ٤٥٨/٢.

وهذان حُكمان متناقضان لا يذهب إليهما من له أدنى حظّ من العقل والعلم: إنّما قال الفقير: هذان حكمان متعارضان على زعم القائل والعامل بظواهر أحاديث الأمن، والعاجز عن التّأويل والتّوفيق، والجاهل بالترجيح والتّحقيق؛ لمنع السّامعين عن الاعتقاد على قوله وحكمه، وإلاّ قد عرفت أنّ لا تعارض في النّصوص الشّرعيّة، وسمعت<sup>٥٩٦</sup> دفع المعارضة الظّاهريّة وتوفيق مثل تلك المدافعة بما ذكره الفقير من الضّوابط الشّريفة، والقواعد المنيفة، فاحفظها ولا تنسها فإنّها<sup>٥٩٧</sup> تنفعك في / [١١٧و] مواضع متعدّدة من أمور دينيّة، ويصونك<sup>٥٩٨</sup> عن الرّيب، والزّلل، والضّلالة والخل، لما عرفت أنّ بسبب ظهور الأهواء والبدع كان غالبًا من العمل بظواهر النّصوص الشّرعيّة، وعدم الاقتدار على التّأويل والتّوفيق والترجيح والتّحقيق، بل كان ذلك سببًا للاختلاف بين أهل السنّة في الأمور الدّينيّة والدّنيويّة<sup>٥٩٩</sup>، للاختلاف بين أهل المذهب الواحد والملة الواحدة، ومن ذلك ما قال أيضًا بعض العلماء بالنّظر إلى الظّاهر والصّورة، والقصور عن الجمع والتّحقيق والدّقة: إنّ العلم المجرد أفضل من العبادة وتحصل به النّجاة ورفع الدّرجة، ولا يحتاج إلى إتيان النّفس في التّكاليف الشّرعيّة الشّاقة، فصار ذلك سببًا للضّلال والإضلال، إذ كثير من المتعلّمين والجهّال يعتقدون على صدق هذا المقال؛ لصدوره ممّن اشتهر بالدّرس والأفضال في علم المجادلة والقال، فصار ذلك سببًا للتّكاسل في تخليص النّفس وتكميلها بالتّورع والأعمال، وقد سمع الفقير أنّ هذا المنتحل إلى أهل العلم يقول: قال الله تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١] وقال: / [١١٧ظ] ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩].

[١١٩] وقال عليه السّلام: «فضل العالم على العابد كفضلي<sup>٦٠٠</sup> على أدناكم»<sup>٦٠١</sup>،

٥٩٦ ص + طرف.

٥٩٧ ف فإنّك.

٥٩٨ ص فتصونك.

٥٩٩ ص + بل.

٦٠٠ ص، كفضله.

٦٠١ سنن الترمذي، العلم ١٩؛ سنن الدارمي، ١٥٧/١؛ مصابيح السنّة، ١٧١/١.

و«فضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب»<sup>٦٠٢</sup>.

ولم يقيّد تفضيل العالم فيها بمقارنة العمل بالعلم، ففهم منه أنّ مجرد العلم سبب الكمال والفضل في الدنيا والآخرة.

قال الفقير: النصوص الدالة بظاهاها على فضائل العلم وكونه سبب النجاة والقربة بدون القيد باقتران العمل أكثر وأبلغ مما ذكرت، وكافيك في بيان ذلك قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢] وقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣١-٣٢].

وفي الآيتين أنواع من الدلالة على فضيلة العلم بالتص والإشارة، يطلع عليه أهل الفطنة، وإن أردت أن تسمع بعضاً، فاعلم: أنّ المفهوم من الآية الأولى، أنّ المصلحة والحكمة من خلق العالم، وتنزيل الوحي، وإرسال الرسل وإيصال الكتب؛ العلم الديني، لكن اقتصر على ذكر/ [١١٨و] بعض متعلق العلم؛ لإظهار شرفه، واكتفى به عن ذكر الباقي رعاية لأسلوب البلاغة على طريق الوجازة، لما عرفت أنّ أصل العلوم الدينية، علم المعتقدات وأفضلها وأهمها معرفة ذات الله والصفات، فاقتصر فيهما على إثبات كمال القدرة والعلم لذاته المؤدّي إلى معرفة وحدانيته وكمال ذاته.

وذلك باعث تامّ ومحرض قويّ على معرفة الباقي من العلوم الدينية، وتوفية وظائف العبادات الشرعية على أقصى الجدّ والطاقة، ولذا اكتفى به في بيان خلق العالم ونزول الوحي.

والمتمم ذكيّ أن يقول: لما كان غاية خلق العالم وحكمته، العلم بكمال قدرة الله تعالى وعلمه، يدلّ ذلك على فضل العلم الديني وكماله بأبلغ الوجوه، فاعلم ذلك كلّه وتنبّه عليه

---

٦٠٢ قصد الإزنيقي حديث فضل العالم حيث تبعه بالحديث الذي يسبقه كلاهما يختلف اسنادهما ومتنهما. ولفظ

الحديث: عن أبي الدرداء قال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات، ومن في الأرض، والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد، كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً، ولا درهما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر». سنن أبي داود، العلم ١؛ سنن ابن ماجه، افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة

ولا تغفل عن النكتة النبوية والحكمة الدقيقة الخفية.

### [الحكمة من خلق آدم عليه السلام وتفضيله]

واعلم أيضاً: أنّ المفهوم من الآية الثابتة، تفضيل آدم عليه السلام على الملائكة المستغرقين الكاملين في العبادة، بالعبادة في العلم، فالظاهر أنّه يوجد مُفضَّل أفضل وأعظم من العلم يُفضَّلُ به.

وإن جاز عقلاً أن يقال: لعلّ فيه حكمة خفية مخصصة، وإن لم نفق على باقي المفضّلات تفضيله/ [١١٨ظ] أنّ الملائكة لما اطّلعوا بإعلام الله تعالى على أنّ بني آدم يصدر منهم المعاصي المتنوّعة، فسألوا عن حكمة خلقهم وقالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ [البقرة: ٣٠] يعني مصلحة خلق ذوي العقول معرفة الخالق والجدّ في المواظبة على عبادته، وهم أهل المعصية والمخالفة، فخفي علينا في الظاهر مصلحة خلقهم، إذ لا مصلحة فيه بحسب عقلنا إلّا الطاعة، ولذا قالوا: ﴿نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠] وإلّا لا يناسب المقام، بل نفهم منه عجبهم.

فتأمّل، قال الله تعالى في جوابهم وتعليم مصلحة خلقهم: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠] يعني أنّتم تعلمون الظواهر والحواضر، ولا تعلمون البواطن والمعيّبات، وفيه رمز إلى أنّ في خلقه آدم مصالح عظيمة خفية، وفضائل جسيمة شريفة ومن جملتها:

العلم الكامل وهو أفضلها، ولذا فضّله عليهم به ويبيّن ذلك بقوله: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١] حاصل الكلام المناسب للمقام: أنّ آدم خلق من أحسن السفليات وهو الحمأ المسنون، وهو قابل لصدور الفساد والسيئات. والملائكة مخلوقون من النور ومشرّفون بأنواع الذّكر والعبادات/ [١١٩و] وأصناف المحامد والتّسبيحات، لا يفترون عليها في المدد الطّويلات، ومطهّرون عن المعاصي والمنقّصات.

فإذا فضّل آدم بالعلم مع ذلك الأصل والعنصر الديني، والقصور في الوصف والحال الويّ على أولئك الملائكة المشرّفين بالذّات، والأفعال الشّريفة، والوصف والأحوال المنيفة، فهم أنّ العلم المجرّد مفضّل على العبادات الجديدة الدّائمة.

وإذا فهمت هذا فلنا أن نقول: هذا بالنّظر إلى الظاهر الجليّ، والغفلة والقصور عن الجمع والتّحقيق الخفيّ؛ لأنّ الآيات والأخبار الدّالة على فضائل العلم كثيرة جدّاً، والمذكور بعض

قليلٌ منها، لكنَّ التَّصوُّصَ التَّقْلِيَّةَ والبراهينَ العقليَّةَ القاطعةَ الرَّاجحةَ، تدلُّ ٦٠٣ أنَّ فضيلةَ العلمِ مقيدةٌ باقتِرانِ تحصيلِ الفرائضِ من العباداتِ الاعتقاديَّةِ، والحلقيَّةِ، والعمليةِ، والاحترازِ عن العوارضِ والقوادحِ المفسدةِ، والعوائقِ والعلائقِ المنقصةِ كما بيَّن تفصيله في العلومِ الدِّينيَّةِ.

وإن أردت أن تعرف بعض الدلائل النَّقْلِيَّةِ والعقليةِ؛ لعدم اطمئنانِ نفسك بمجرد سماعِ الأصولِ الشَّرعيَّةِ، فاعلم أنَّ الله تعالى / [١١٩ ظ] قال: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢-٣] وقال تعالى: ﴿\* أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [البقرة: ١٠٢].

وفي الآياتِ تهديداتٍ شديدةٍ وتوبيخاتٍ عديدةٍ على التاركين العمل بعلمه، يعرف تفصيلها من له حظٌّ من وظائف الاستدلال، وفيها أيضًا رموز وإشارات لا يطلع عليها إلا أرباب القلوب والكمال.

وما يفهم من ظاهرها، أنَّ العلمَ الغيرَ المقترنَ بالعمل سبب القهر والعذاب، فكيف يكون سبب النَّجاةِ والثَّوابِ؟ لأنَّ المقت شدَّة الغضب والبغض، ولم يكتف به في الدَّمِ والوعيد، بل قيَّد بالكبر لغاية التَّشديد، وذلك بعد الإنكار والتَّعيير عليهم بهمزة الاستفهام.

وفي الآية الثانية أنكر العلماء الأمرين بالعبادة التاركين لها، مع وجود المانع القويِّ عن التَّركِ والباعث التَّام على العمل، من العقل وعلم كتاب الله.، وفي ذلك توبيخاتٍ وتجهيلاتٍ / [١٢٠ و] متنوِّعة، وتعابيرٍ وتضليلياتٍ متغايرةٍ من جعل أمور أنفسهم أنقص من أنفس الغير، وترك اهتمامهم بتخليصها من القهر والعذاب، وعدم علمهم بكتاب الله وعدم انتفاعهم به مع قابليتهم له، وحصول استعدادهم بالعقل والعلم. وفي الخطاب بهم في الآيتين أشدَّ زجرٍ وتغليظ، وأغلظ قهرٍ وتنجيل، لما عرفت أنَّ العتاب والسَّخَطَ بالمشافهة أغلظ وأشدَّ.

وفي الآية الثانية<sup>٦٠٤</sup> جعل علمهم بمنزلة المعدوم؛ لعدم عملهم به، وأنت تعرف أنّ لا أحقر من العدم.

وفيها أيضًا رمز إلى أنّهم أحرموا أنفسهم عن الكمالات الدنيوية والأخروية، بعد إتياب أنفسهم في المدد الطويلة في تحصيل أسباب الكمال والآلة، مع سهولة المآخذ في وقت الفرصة، وإلى أنّهم اختاروا الأمور الرذيلة الفانية القليلة على الأمور الجليلة الباقية الكاملة، مع علمهم بذلك، وفيها تشديدات وتوبيخات أخرى، وكلّ ذلك لعدم عملهم بعلمهم. وأنّ النبيّ عليه السّلام قال: «من طلب العلم ليجاري به العلماء، أو ليماري به السّفهاء، أو ليصرف به وجوه النّاس إليه، أدخله الله النّار»<sup>٦٠٥</sup>.

[١٢٠] وقال عليه السّلام: / [١٢٠ ظ] إنّ أوّل النّاس يقضى عليه يوم القيامة: «رجل تعلّم العلم وعلمه وقرأ القرآن، فأُتيّ به فعرفه نعمه فعرّفها، قال الله تعالى: فما عملت فيها؟ قال: تعلّمت العلم وعلمته، وقرأت فيك القرآن. قال: كذبت، ولكنك تعلّمت العلم وعلمته ليقال عالم، وقرأت القرآن ليقال قارئ، فقد قيل، ثمّ أمر به فسحب إلى النّار»<sup>٦٠٦</sup>.

[١٢١] وقال عليه السّلام: «من ازداد علمًا ولم يزدد هدى لم يزدد عند الله إلاّ بعدًا»<sup>٦٠٧</sup>. وإذا فهمت ما ذكرنا من الآيات والأخبار، علمت أنّ مجرد العلم بدون العمل لا ينجي، بل يردي. وإنّ النصوص الدّالة بظاهاها على أنّ مجرد العلم يكفي في الفضل والكمال مقيد بما ذكرنا، كما أنّ إضافة الثّواب إلى العمل، وتعليل الخلق به في مواضع كثيرة، كما في قوله تعالى: ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأحقاف: ١٤] وقوله تعالى: ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [التوبة: ٨٢] وقوله تعالى: ﴿لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [البروج: ١١] وقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] وقوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ

٦٠٤ ص، الثالثة.

٦٠٥ سنن الترمذي، العلم ٦؛ مصابيح السنة، ١/١٧٣.

٦٠٦ صحيح مسلم، الإمارة ١٩٠٥ «في صحيح مسلم: يقضى يوم القيامة عليه»؛ مصابيح السنة، ١/١٦٨.

٦٠٧ هذا الحديث ضعيف جدًّا، حيث رواه الديلمي عن علي رفعه، وسنده ضعيف؛ ورواه الأزدي في الضعفاء من حديث علي بلفظ: «من ازداد بالله علمًا ثم ازداد للدنيا حبًّا؛ ازداد من الله عليه غضبًا». انظر: أبو الفداء، إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي الجراحي العجلوني الدمشقي، كشف الحفاء، تحقيق: عبد الحميد بن أحمد بن يوسف بن هندراوي، ط: ١، (مصر - المكتبة المصرية ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م)، ٢/٢٧٥.

أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿[الملك: ٢]. لا يدلّ ٦٠٨ أنّ مجرد العمل بدون العلم يكفي، وإذا سمعت هذا القدر من النصوص الشرعية الواردة في باب العلم والعبادة، فمعك طرفًا وقدرًا/ [١٢١و] من الدلائل العقلية الدالة على أنّ العلم المجرد لا ينفع السالك، ولا يرشد الناسك.

فاعلم: أنّ العلم بضاعة نفيسة وفضيلة نبهة، لكنّها وسيلة إلى العبادة، إذ لا بدّ لكلّ من طلب تكميل درجة العبادة، وتحصيل مرتبة الاستقامة من أن يعرف أولًا؛ عظمة معبوده بقدر الوسع والاحتمال، وكمال اتّصافه بنعوت الجمال والجلال، حتّى يجتهد في توفية وظائف طاعته على قدر وسعه وطاقته، ومقدار فهمه ومعرفته، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، وقال النبي عليه السلام: «أما والله إنّني لأخشاكم لله وأتقاكم له» ٦٠٩.

وأفهم من ذلك أنّ ٦١٠ ثمرة العلم؛ الخشية والتقوى، وكلّ عالم لم يوجد له تعظيم الله بملازمة طاعته، والخوف عن مخالفته، لا يُعتَبَرُ علمه، وكذلك لا بدّ من أن يعلم العبادة الخلقية والعملية بأركانها، وشرائطها، وآدابها، ومفاسدها، ومنقصاتها، وفائدتها في الدنيا والآخرة، حتى يجتهد فيها أيضًا بقدر معرفتها وتصوّر فائدتها.

وأن يعرف أيضًا المعاصي ومضراتها، حتّى يجتنب عنها بقدر معرفة مضرتها، وعدم قدرته على تحمّل عقابها، ولا يجترئ/ [١٢١ظ] على ارتكابه فيها، وأنّ الوسيلة لا تنفع بدون إحراز المقصود بها، كمن علم أنّ الأغذية والأشربة تسبّب النّماء والحياة، ولم يأكل ولم يشرب مع قدرته عليهما يموت بالجوع والظّمأ، ولا ينفعه علمه بأنّ الأكل والشّرب سبب الحياة والنّماء.

ومن علم أنّ النّار محرقة والبحار مغرقة، وألقى نفسه في النّار والبحار؛ يهلك ولا ينجيه علمه من التّيّار.

وأفهم من ذلك أنّ من علم أنّ العبادة منجية والمعصية مردية، ولم يشغل بالعبادة، ولم يجتنب عن المعصية؛ لا ينفعه علمه فيحرم عن التّنعّم في دار القرار، ويحرق في عذاب النّار، بل عدم

٦٠٨ ص، +على.

٦٠٩ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ مصابيح السنة، ١/١٥٢.

٦١٠ ص بأنّ.

التَّفَع في الأمور الشَّرعية أقوى وأرجح؛ لأنَّ ترك أسباب الدُّنيا جائز في الجملة، وترك أسباب الآخرة غير جائز؛ لأنَّ التَّخَلَّف فيها غير جائز شرعًا وعقلًا، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾ [الانفطار: ١٣-١٤]. ويعرف أنَّ الكذب في خبره محال، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخَلِّفُ الْمِيْعَادَ﴾ [آل عمران: ٩]، وقال: ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٢].

والتَّخَلَّف في الأسباب الدُّنيويَّة جائز، كعدم حصول الشَّبَع بتناول الأغذية كما فيمن له جوع الكلب، وعدم حصول الرِّيِّ بالأشربة/ [١٢٢و] كالمستسقى، وجواز الشَّبَع بدون أكل الأغذية والرِّيِّ بدون الشُّرب كالملائكة وبعض البرية.

وإذا سمعت أيضًا طرفًا من الدَّلِيل العقليِّ الدَّالَّ على أنَّ مجرد العلم لا ينفَع اطمأنُّ في قلبك ما قال الفقير، وعرفت أيضًا أنَّ العبادة لا تتصوَّر شرعًا بدون العلم، فكيف يكون سبب الفضيلة والكمال بدونها؟ وعرفت الجمع والتَّوفيق، والتَّأويل والتَّحقيق في النَّصوص الواردة في باب العلم والعبادة الدَّالَّة بظواهرها على أنَّ مجرد العلم ومجرد العمل ينفَع وينجي.

واعلم أيضًا، أنَّ العالم في اصطلاح أهل الشَّرع من عمل الفرائض وصرف باقي أوقاته إلى تحصيل العلوم الدِّينيَّة والفنون التَّقنيَّة، والعابد من يعلم من العلم مقدار ما وجب عليه تعلِّمه، وصرف باقي أوقاته إلى نوافل العبادات، فهذا العالم مفضَّل على هذا العابد.

فإن قلت: هذا العابد مشغول بالمقاصد، وذلك العالم مشغول بالوسائل، فكيف يفضل عليه؟

قلنا: قد عرفت أنَّ جهات التَّفْضيل والتَّرجيح متغايرة ومتفاوتة، إذ تعادَّل بل تفاضل جهة واحدة على جهات شتَّى من المفضلات، كالعلم، فإنَّ الكامل/ [١٢٢ظ] في العلم الدِّيني مع الاقتصار على العبادات الواجبة، مفضَّل على من يجمع فيه حسن الحظِّ، والصَّوت، والشَّجاعة، والسَّخاوة، والرَّهد، والعقَّة وأنواع العبادة.

كما سمعت نصوصًا شرعيَّة تدلُّ على ذلك، وذلك باعتبار الثَّمرات؛ لأنَّ العابد يشتغل بتخليص نفسه وتكميلها، والعالم يرشد النَّاس إلى عبادته تعالى<sup>٦١١</sup>، ويكون سبب قربتهم ونجاتهم عن العذاب، ومتخلِّفًا بصفة العون والرَّأفة على خلق الله؛ وهو في نفسه عبادة

٦١١ ص عبادة الله تعالى.

أيضاً، فيكون كاملاً ومكتملاً.

ولذا فضّل درجة الرّسالة على الولاية، وإن كان الولي مشتغلاً بعبادة الخالق ومشرّفاً بالكشف والتجليّ، والرّسول مشتغل بالخلق والمجادلة بأكثرهم، وبتلك الحكمة قال النّبّي صلى الله عليه وسلم: «من أحيا سنّي عند فساد أمّتي، فله أجر مائة شهيد»<sup>٦١٢</sup>.

فإن قلت: تفضيل آدم عليه السّلام على الملائكة كان في أوّل خلقته، ولم يصدر منه عبادة بعد، فيدلّ ذلك على أنّ مجرد العلم يكفي في الفضيلة. قلنا: لا نم<sup>٦١٣</sup> ذلك، لما عرفت أنّ العبادة ثلاثة أقسام؛ اعتقاديّة، وخلقّيّة وعمليّة، وأفضلها وأصلها الاعتقاديّات، ولم تجب على آدم في ذلك الوقت / [١٢٣و] سوى الاعتقاد بوحدانيّة الله تعالى وصفاته، وقد حصل له ذلك في ذلك الوقت على وجه الكمال والقرار، فيكون علمه مقارناً بما وجب عليه من العمل.

واعلم، أنّ الملائكة نظروا إلى مادة آدم وقابليّته للمعاصي، وغفلوا عن قابليّته للكمالات الحاصلة من امتزاج الأمور الرّوحانيّة؛ كالرّوح، والعقل، والقلب والنّفس النّاطقة المطمئنّة بالأموال الجسمانيّة من آلات العبادة وقواها، وعن كونه مظهرًا لمجمع صفات الله تعالى وأفعاله المختلفة التي لم تجتمع في مخلوق قبل آدم عليه السّلام، كما أشار إليه النّبّي عليه السّلام بقوله: «إنّ الله تعالى خلق آدم في صورة الرّحمن»،<sup>٦١٤</sup> وقوله: «تخلّقوا بأخلاق الله»<sup>٦١٥</sup>.

---

٦١٢ ورد هذا الحديث بلفظ: «من تمسك بسنّي عند فساد أمّتي فله أجر مائة شهيد» من حديث أبي هريرة، وأخرجه أبو نعيم الأصبهاني في كتابه حلية الأولياء بأنه غريب من حديث عبد العزيز عن عطاء. انظر: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، مصر - مطبعة السعادة ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م، ٢٠٠/٨.

٦١٣ لا نم هي اختصار لا تمنع، والله أعلم.

٦١٤ هذا الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بلفظ: «إذا قاتل أحدكم أخاه، فليجتنب الوجه، فإن الله خلق آدم على صورته» وهو حديث صحيح، انظر: صحيح مسلم، البر والصلة والآداب ٢٦١٢. أما لفظ الحديث هنا: «أنّ الله خلق آدم على صورة الرحمن» سبب هذه الرواية بسبب اختلاف العلماء في تأويل الضمير (الهاء) في (صورته) هل هي عائدة إلى الله تعالى أم إلى آدم عليه السلام؟ قال ابن تيمية في كتابه بيان الجهمية أنّ: الهاء يحتمل أن تعود على شيء غير صورة آدم عليه السلام ويرى الله تعالى، ويحتمل أن تكون عائدة على آدم عليه السلام، ويحتمل أن يكون عائداً إلى الله عز وجل لذلك فهم بعض العلماء على أنه سبحانه خلق آدم على صورته. انظر: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، تحقيق: مجموعة من المحققين، ط: ١،

ولو لم يكن آدم قابلاً لتلك الكمالات الفائقة، لما أفاض عليه في لحظة واحدة علمًا عجز عنه الملائكة المقربون. ولتلك النكته والدقيقة قال المحققون: الإنسان الكامل أكمل من الملك الكامل، والمعتزلة ينكرون ذلك لغفلتهم عن تلك الدقيقة، ونظرهم إلى مجرد المادة. ولا تغفل أيها الحبيب المتدبر، والسامع المتفكر عن قابليتك، ولا تهدرها بالتهاون في تحصيل المكملات من العلوم الدينية والعبادات، / [١٢٣ظ] ولا تنسب الفقير إلى الإبرام بتكثير العبادات، لما عرفت أنّ باب العلم والعبادة أحرى بأضعف ما ذكره من التفصيلات والتلفيقات؛ لأنّ الإنسان الذي هو العالم الأصغر والسموات والأرض وما بينهما هو العالم الأكبر، لم يخلقا إلا للعلم والعبادة، كما سمعت فيه بعض الدلائل والبيّنات.

### باب ما يقال عند الصّباح والمساء

[١٢٢] قال النّبّي صلّى الله عليه وسلّم: «ما من عبد يقول صباح كل يوم، ومساء كل ليلة: بسم الله الذي لا يضرّ مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء، وهو السميع العليم، ثلاث مرّات، فيضرّه شيء»<sup>٦١٦</sup> وفي رواية: «لم يصبه فجأة وبلاء»<sup>٦١٧</sup>. فإن قلت: كم من عبد قال في صباحه ومساءه هذا الذّكر والدّعاء، لكنّه لم يدفع عنه البلاء؟

قلنا: قد بيّن جواب مثل هذا الاعتراض في باب الدّعاء، فيقال: هنا لم يدفع لانعدام شرط من شروطه؛ كعدم حضور قلب القائل، وضعف اعتقاده، أو لانعدام كون البلاء من المعلّقات.

وقد عرفت أنّ خواص الأشياء وآثارها يجوز أن لا يترتّب عليها لوجود المانع.

وقال النّبّي عليه السّلام: «من قال حين يصبح: سبحان الله حين تمسون وحين/[١٢٤] و

(المدينة المنورة - مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ١٤٢٦هـ)، ٣٥٧/٦. بتصرف.

٦١٥ قال الألباني في تخريجه لهذا الحديث: هذا الحديث لا أصل له في كتب السنة، انظر: ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: مجموعة من العلماء، تخريج أحاديثه: ناصر الدين الألباني، ط: ٩٠، بيروت - المكتب الإسلامي ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م)، ص: ١٢٠. وقال ابن تيمية لا يعرف هذا اللفظ عن النبي صلى عليه وسلم وقال بأنّ هذا الحديث موضوع، انظر: بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، ٥١٨/٦.

٦١٦ سنن الترمذي، الدعوات ١٣؛ سنن ابن ماجه، الدعاء ١٤، مصابيح السنة، ١٨٥/٢.

٦١٧ مسند أحمد، ٥٤٦/١.

تصبحون ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ ١٨ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿ [الروم: ١٨-١٩] أدرك ما فاته في يومه، ومن قاهنَّ حين يمسي أدرك ما فاته في ليلته»<sup>٦١٨</sup>.

فإن قلت: يفهم من عموم ما فاته أن يقضي بتلك الآية الشريفة ما فاته من الفرائض؛ كالصلاة، والصوم وتلاوة جزء من القرآن.

قلنا: قد عرفت أنَّ بعض الحديث مخصَّص ومقيّد بالبعض، ولما ثبت بالنصوص القاطعة الرَّاجحة أنَّ فوات الفرائض لا يقضى بالدعاء، والقراءة والذكر الكثير، وأنَّ القليل من العبادة اليسيرة لا يقوم مقام العبادات الكبيرة الكثيرة.

فنقول: هنا المراد منه بيان كثرة ثواب قراءة تلك الآية الشريفة في اليوم واللييلة على وجه المبالغة، لا بيان قيامها مقام كلِّ الفوائت في اليوم واللييلة. ويمكن أن يقال معناه: أدرك ما فاته من شكر يومه وليلته كما جاء في بعض الأحاديث ذلك مصرحًا.

فإن قلت: إذا كان المراد شكر اليوم واللييلة لا يحتمل غيره من التأويل؟ قلنا: يحتمل أن يراد من شكر اليوم/ [١٢٤ظ] ثواب كثير، ويحتمل أن يراد منه ما فاته من النوافل المؤدية شكر اليوم واللييلة؛ لجواز تعدد الأسباب الشرعية، كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: «خُلِقَ كُلُّ إنسان من بني آدم على ستين وثلاثمائة مفصل، فمن كبر الله، وحمد الله، وهلل الله، وسبح الله، واستغفر الله، وعزل حجرًا عن طريق النَّاس، أو شوكة أو عظمًا عن طريق النَّاس، وأمر بمعروف أو نهى عن منكر، عدد تلك الستين والثلاثمائة، فإنه يمسي يومئذ وقد زحزح نفسه عن النَّار»<sup>٦١٩</sup>.

[١٢٣] وقال: «إنَّ كلَّ تسيحة صدقة، وكلَّ تكبيرة صدقة، وكلَّ تهليل صدقة، وكلَّ تحميدة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة، وفي بضع أحدكم أهله صدقة»<sup>٦٢٠</sup>.

[١٢٤] وكما قال: «من قال حين يصبح: اللهم ما أصبح بي من نعمة، أو بأحد من خلقك، فمناك وحدك لا شريك لك، فلك الحمد، ولك الشكر، أدى شكر يومه، ومن

٦١٨ سنن أبي داود، النوم ١٠٩؛ مصابيح السنة، ١٨٧/٢.

٦١٩ صحيح مسلم، الزكاة ١٠٠٧؛ مصابيح السنة، ٤٦/٢.

٦٢٠ صحيح مسلم، الزكاة ١٠٠٦؛ مسند أحمد، ٣٨٧/٣٥؛ مصابيح السنة، ٤٧/٢.

قاله مثل ذلك حين يُمسي فقد أدّى شكر ليلته»<sup>٦٢١</sup>.

[١٢٥] قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إذا قال المؤمن بعد انصرافه من صلاة المغرب قبل أن يتكلم: اللهم أجرني من النار سبع مرّات، ثم مات في ليلته ذلك كتب له جواز من النار، وإذا قاله بعد صلاة الصبح، ومات في يومه كتب له [١٢٥ و] جواز من النار»<sup>٦٢٢</sup>.

فإن قلت: لعلّ القائل بهذه الكلمات يكون ملوّثاً بالمعاصي والكبائر؛ من قتل النفس بغير حقّ، والزنا، وترك الفرائض، فكيف يجيره هذا الدعاء من النار؟

قلنا: قد عرفت مراراً أنّ بعض الأحاديث مبين بعضها، فالمراد أنّ دعاءه يقبل إذا استجمع شروطه، أو من شأنه أن يجيزه إذا لم يعارضه معارض من فعل موجبات النار بمقتضى الوعيد، وبهذا التأويل يوجّه<sup>٦٢٣</sup> الزحزحة عن النار في الحديث السابق.

ويحتمل أن يراد من المؤمن جنس المؤمن، فيستقيم بإجاره البعض ببركة غاية تضرّعه، وجزمه، وإخلاصه وتحصيل رضا ربّه فيه، كما عرفت مثله في القضايا المذكورة وندرته أيضاً. وأمثال هذه التوجيهات مرّت مراراً، لكن الفقير يكرّرها ويعيدها للتيسير على المبتدئين؛ لأنّ المتعلّم إذا لم يحضر في قلبه ما سبق، يتردّد أو يحتاج إلى الاستفسار والعود إلى مطالعة القواعد والأجوبة، فيتعب في استنباط الجواب وتعيينه. والتيسير من أسباب جلب رحمة الله تعالى، كما قال النبي عليه السلام / [١٢٥ ظ]: «الله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه المسلم»<sup>٦٢٤</sup> «ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»،<sup>٦٢٥</sup> وإذا عرفت ذلك لا تعد الفقير مملاً ومكثراً، بل اجعله مطنّباً وميسراً.

### باب الدعوات في الأوقات

[١٢٦] قال النبي عليه السلام: «من قال في سوق جامع يباع فيه: لا إله إلا الله وحده لا

٦٢١ سنن أبي داود، النوم ١٠٩؛ مصابيح السنة، ١٩٣/٢.

٦٢٢ سنن أبي داود، النوم ١٠٩؛ مسند أحمد، ٥٩٢/٢٥، ٥٩٣/٢٩؛ مصابيح السنة، ١٨٨/٢.

٦٢٣ ص التوجيه يؤول.

٦٢٤ صحيح مسلم، الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ٢٦٩٩؛ سنن أبي داود، الأدب ٦٧؛ سنن الترمذي، الحدود ٣؛ سنن ابن ماجه، افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة ١٧؛ مسند أحمد، ٣٢٥/١٣؛ مصابيح السنة، ١٦٨/١. ملاحظة: في هذه الكتب ورد لفظ «ما كان» وهنا الازنيقي رواه بلفظ: «ما دام» وأضاف لفظ: «مسلم».

٦٢٥ سنن أبي داود، الأدب ٦٥؛ سنن الترمذي، البر والصلة ١٦، مصابيح السنة، ٣٦٨/٣.

شريك له، له الملك، وله الحمد، يحيي ويميت وهو حي لا يموت، بيده الخير وهو على كل شيء قدير، كتب الله له ألف ألف حسنة، ومحا عنه ألف ألف سيئة، ورفع له ألف ألف درجة، وبني له بيتًا في الجنة»<sup>٦٢٦</sup>.

فإن قلت: قد ذكر فضائل هذا الدعاء في مواضع كثيرة، ولم نذكر هذه المبالغة في ثوابه فما فائدة تخصيص ذكرها بالقول في السوق؟

قلنا: يجوز أن يكون هذه المبالغة باعتبار الوقت والحال، فإنَّ السوق محلَّ الاشتغال بأمر الدنيا، وسبب ازدحام الغفلة والوساوس النفسانية، وتراكم القسوة والعوائق الشيطانية، فمن غلب في ذلك المكان والحال على هوى النفس الأمارة، واشتغل بالذكر والطاعة، يكون قوي القلب والثبات في باب العبادات، فيكون فضيلة ذكره أكثر/ [١٢٦و] مما سواه كما قال النبي عليه السلام: «أفضل الأعمال أشقها»<sup>٦٢٧</sup>.

[١٢٧] وقال عليه السلام: «أحب الصلاة عندي صلاة داود، ينام نصف الليل ويقوم ثلثه، ثم ينام سدسه، وأحب الصيام صوم داود؛ لأنه يصوم يومًا ويفطر يومًا»<sup>٦٢٨</sup>. وسبب زيادة محنة صومه وصلاته باعتبار زيادة مشقة النفس فيه؛ لأنَّ الصائم والمصلّي إذا استمرَّ تعاد النفس ولا يتألم، كما يتألم في صيام داود عليه السلام وصلاته، وذلك معلوم ومقبول بالتجربة والوجدان.

ويمكن أن يقال: المراد من الألف المذكورة بيان كثرة ثوابه، لا الحصر لورود الاختلاف في ذكر فضائل هذا الذكر، كما قال النبي عليه السلام في بيان الوقوف في عرفة: «خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير»<sup>٦٢٩</sup>.

---

٦٢٦ سنن الترمذي، الدعوات ٣٦؛ سنن ابن ماجه، التجارات ٤٠؛ سنن الدارمي، ١/٦٤٦؛ مسند أحمد، ١/٤١٠؛ مصابيح السنة، ٢/٢٠١.

٦٢٧ هذا الحديث لا أصل له ولم أجده في كتب السنة.

٦٢٨ اللفظ الصحيح للحديث: إنَّ أحب الصيام إلى الله، صيام داود، وأحب الصلاة إلى الله، صلاة داود عليه السلام، كان ينام نصف الليل، ويقوم ثلثه، وينام سدسه، وكان يصوم يومًا، ويفطر يومًا» صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ صحيح مسلم، الصيام ١١٥٩؛ سنن أبي داود، أول كتاب الصوم ٦٧.

٦٢٩ سنن الترمذي، الدعوات ١٢٣؛ مصابيح السنة، ٢/٢٥٣.

[١٢٨] وقال في موضع آخر: «من قال مرّة لا إله إلا الله وحده لا شريك، له الملك وله الحمد وهو على كلّ شيء قدير إذا أصبح، كان له عدل رقبة من ولد إسماعيل، وكتب له عشر حسنات وحطّ عنه عشر سيئات ورفع له / [١٢٦ظ] عشر درجات وكان في حرز من الشيطان حتى يمسي، فإن قالها إذا أمسى كان له مثل ذلك»<sup>٦٣٠</sup>.

[١٢٩] وقال في موضع آخر: «من قالها في يوم مائة مرّة كانت له عدل عشر رقاب، وكتب له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل ممّا جاء به إلا رجل عمل أكثر منه»<sup>٦٣١</sup>.

وإذا تأملت فيما ذكرنا من الاختلاف، فهتت أنّ الأنسب والأيسر أن يقال: المراد من بيان ثواب ذلك الذكر باختلاف الفضائل؛ كثرة ثوابه لا الحصر، حتى لا يلزم التّدافع؛ لأنّه عليه السّلام قال: «من قالها مرّة كان له عدل رقبة وعشر حسنات»<sup>٦٣٢</sup>، وقال أيضاً: «من قالها مائة مرّة كان له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة».

والظاهر أن نقول في المئة عدل: «مائة رقاب من ولد إسماعيل وكتب له ألف حسنة»<sup>٦٣٣</sup>، حتى يوفق بين الحديثين.

لكنّ المراد: بيان كثرة ثواب ذلك الذكر لم يوافق المقدارين، ويمكن أن يوفق ويقال ولم يراع المقدار الموافق في المئة لقيام قوله: «ولم يأت بأحد أفضل ممّا جاء به إلا رجل عمل بأكثر منه» مقام الزيادة.

ويقال: يجوز / [١٢٧و] زيادة الثّواب في السّوق لزيادة قوله: «يحيي ويميت وهو حيّ لا يموت بيده الخير»، لكنك تعرف الفرق بين المحتملات العقلية والتّأويلات التّحقيقية.

---

٦٣٠ سنن أبي داود، النوم ١٠٩؛ سنن ابن ماجه، الدعاء ١٤؛ مسند أحمد، ١٢٣/٢٧؛ مصابيح السنة، ١٨٨/٢.

٦٣١ صحيح البخاري، الدعوات ٦٦؛ صحيح مسلم، الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ٢٦٩١؛ سنن الترمذي، الدعوات ٦٠؛ سنن ابن ماجه، الأدي ٥٤؛ موطأ مالك، ٢٠٩/١؛ مسند أحمد ٣٨٤/١٣؛ مصابيح السنة، ١٥٨/٢.

٦٣٢ لعله قصد الحديث: «كان له عدل رقبة من ولد إسماعيل، وكتب له عشر حسنات» أخرجه أبي داود في سننه، النوم ١٠٩. أو أنّ النّاسخ أسقط عبارة (من ولد إسماعيل). والله أعلم.

٦٣٣ لعله قصد الحديث: «كان له عدل رقبة من ولد إسماعيل، وكتب له عشر حسنات» أخرجه أبي داود في سننه، النوم ١٠٩؛ مصابيح السنة، ١٨٨/٢.

## التّوفيق بين قراءة القرآن والانشغال بالأذكار

فإن قلت: قد فهمت التّأويل الأقرب والتّوفيق الأنسب، لكن ثار من قلبي بشبهة أخرى في باب الدّعاء، وهي أنّ قراءة القرآن أفضل من الاشتغال بالأذكار المذكورة، لما ثبت بالحديث أنّ فضيلة كلام الله تعالى على كلام النّاس كفضيلة ذاته على ذوات الممكنات، فيجب على هذا أن يشتغل النّبّي عليه السّلام لقراءة القرآن بدل اشتغاله بالأذكار؛ لأنّ ترك الأفضل والأعلى إلى الاشتغال بالمفضول والأدنى لا يليق بشأنه في العبادات والأمر الدّينيّة.

قلنا: لا يليق ذلك إذا لم يكن فيه مصلحة أخرى مقتضية له، إذ يجوز أن يكون الاشتغال بالأذكار والدّعوات المعبرة بغير عبارة القرآن؛ لعدم وجدان عبارة في القرآن موافقة لمقصوده في الذّكر والدّعاء، والتّحميد، والاستغفار والتّسبيح، لما عرفت أنّ مقاصد الإنسان ودواعيه وحاجاته مختلفة متنوّعة، فرمّا يقصد العبد أن يحمّد الله تعالى / [١٢٧ظ] ويسبّحه ويتضرّع إليه، ويسأل حاجته بعبارة موافقة لمقصوده، ولا يجد في القرآن عبارة مناسبة له، فيضطرّ إلى أن يعبر عنه بعبارة غير قرآنيّة.

وإذا لم تنقل عن قلبك وشيكة التّردد بهذا الأصل الجمل والكلام المحتمل، نورد لك مثلاً تتمكّن به في قلبك ما أصلت، وتبيّن في فهمك ما أجملت، فاعلم أنّ النّبّي عليه السّلام إذا أراد الرّكوب يكبر ثلاثاً ثمّ يقول [١٣٠]: « سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنّا له مقرّنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون»،<sup>٦٣٤</sup> لأنّه وجد عبارة قرآنيّة مناسبة لمقصوده ودعائه وقت الرّكوب.

[١٣١] وقال عليه السّلام في بعض أسفاره: «اللّهم إنّنا نسألك في سفرنا هذا البرّ والتّقوى، ومن العمل ما ترضى، اللّهم هوّن علينا سفرنا هذا، واطو عنا بعده، اللّهم أنت الصّاحب في السّفر، والخليفة في الأهل، اللّهم إنّي أعوذ بك من وعثاء السّفر وكآبة المنقلب، وسوء المنظر في الأهل والمال»<sup>٦٣٥</sup>. وذلك لانعدام عبارة في القرآن تؤدّي مراده في السّفر بتلك العبارة.

وتعوّذ أيضاً في بعض الأوقات بالمعوّذتين؛ لتوافق المعوّذتين لأداء مراده في التّعوّذ، وتعوّذ في بعضها بقوله: / [١٢٨و] «بسم الله الذي لا يضرّ مع اسمه شيء في الأرض ولا في السّماء

٦٣٤ صحيح مسلم، الحج ١٣٤٢؛ سنن أبي داود، الجهاد ٧٨؛ سنن الترمذي، الدعوات ٤٧؛ سنن الدارمي،

٦٤٢/١؛ مسند أحمد، ١٤٨/٢٢، مصابيح السنة، ٩٧/٢.

٦٣٥ صحيح مسلم، الحج ١٣٤٢؛ مسند أحمد، ٤٤٠/١٠، مصابيح السنة، ١٩٧/٢.

وهو السميع العليم»،<sup>٦٣٦</sup> وفي بعضها تعوذ بغيره من التعويذات المشهورة؛ لأنه قد يتعوذ من الجنة، وظلم الظالم، والسباع وغيرها من أنواع المضار.

فإذا لم يجد من القرآن ما يؤدّي به مراده، يذهب إلى غيره، وقس الباقي من التحميدات، والتسيحات، والتهليلات، والدعوات في الدخول والخروج، والأكل والشرب، واللباس والتكاح وغيرها من الأمور الدنيوية والدنياوية مما جاء في الأحاديث الصحيحة الثابتة.

فإن قلت: يمكن أن يوجد في كلّ واحد منها عبارة قرآنية يدلّ على مراده بالعموم والإجمال. قلنا: وجد أئمة متعسرة وإن سلّم. قلنا: مقام التصريح والتفضيل غير مقام التعميم والإجمال، ويجب على البليغ أن يراعي كلّه.

ويمكن أن يقال: يجوز أن يكون العدول إلى غير عبارة القرآن في بعض الوقت؛ لكونه غير متوضّئ أو غير طاهر، أو في وضع وحال ووقت ومكان لا يليق بها قراءة القرآن، بأن يكون مضطجعا، أو في حمام، أو في سوق أو جماعة مشغولين بأمر الدنيا/ [١٢٨ظ] ولا يستمعون القرآن، ويؤيد ذلك قوله عليه السلام: «نحائي ربّي أن أقرأ القرآن في الركوع والسجود»<sup>٦٣٧</sup>. وقال بعض المحققين: لأنّ الركوع والسجود من أوضاع الأحوال، أو يكون للعدول لانعدام الدّوق والنشاط، وذلك أمر وجدائيّ وطبيعيّ لا يقدر الإنسان على إزالته، ولذا استراح النبيّ عليه السلام بعد التهجد؛ ليعود نشاطه لصلاة الصّبح.

وقال المحققون: يكره المجاورة في الكعبة؛ لأنّ كثرة الرّؤية يوجب زوال العظيم بالطّبع لا بالاختيار، ومما يؤيد ذلك أنّ أرباب الرّياضة قالوا: إذا تنفّر النّفس من ملازمة الذّكر، والطّاعة، والمطالعة، ينبغي أن تشتغل بأمر دنيويّ مشروع أو مباح؛ كالمحادثة مع الأهل، والأقارب، والولدان، أو مع الصّلحاء والإخوان، حتى يعود النّشاط والدّوق في العبادة ثم يشتغل بها.

واشتغال النبيّ عليه السلام بالمزاح المباح في بعض الوقت؛ لدفع تثاقل النّفس الطّبيعي في الطّاعة، أو تسلية قلوب المصاحبين، ودفع وحشتهم وانقباض خاطرهم، حتى يقبلوا الوعظ

٦٣٦ تم تخريجه في باب ما يقال عند الصباح والمساء، ص: ١٨٢.

٦٣٧ هنا روي الحديث بالمعنى ولفظه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إني نهيتم أن أقرأ في الركوع والسجود، فإذا ركعتم فعظموا الله، وإذا سجدتم فاجتهدوا في المسألة فقمتم أن يستجاب لكم» أخرجه أحمد في مسنده،

.٤٤٩/٢

والنصيحة، ويسألوا عما يهّمهم من الأمور الدنيّة/ [١٢٩و] والدنيويّة المشروعة. هذا ما خطر على الخاطر الفاتر في وجه العدول، والله الموفق للصواب.

### باب دخول مكّة

[١٣٢] قال النبيّ عليه السّلام: «نزل الحجر الأسود من الجنّة، وهو أشدّ بياضًا من اللبن فسوّدته خطايا بني آدم»<sup>٦٣٨</sup>.

[١٣٣] وقال: «والله لبيعته الله يوم القيامة، له عينان يبصر بهما ولسان ينطق به، يشهد على من استلمه بحق»<sup>٦٣٩</sup>.

قال بعض الشّراح في توجيهه: يحتمل أن يكون تمثيلًا ومبالغة في تعظيم بيان الحجر، وبيان شرفه ويمنه وبركته، وفي تفضيح شأن الذّنوب؛ لشدّة تأثيره في الحجر، فكيف قلوب بني آدم<sup>٦٤٠</sup>؟

وأن يراد منه الظاهر وقد عرفت أنّ عادة أكثر أهل الشّرع إجراؤهم النّصوص الشّرعية على ظواهرها، وعدم إخراجها عن ظواهرها بدون الضّرورة الدّاعية إليه من قرينة عقلية مستقيمة، ونقلية قويّة راجحة.

لكنّ بعض الخائضين في العلوم الشّرعية من العلماء الرّسميّة يتكاسون<sup>٦٤١</sup> ويخرجون النّصوص الشّرعية عن ظواهرها بدون الضّرورة، كما ترى الفلاسفة وأهل الأهواء يخرجون النّصوص

---

٦٣٨ سنن الترمذي، أبواب الحج ٤٩؛ مصابيح السنة، ٢/٢٤٧.

٦٣٩ سنن الترمذي، أبواب الحج ١١٣؛ سنن الدارمي، ١/٤٤٨؛ مسند أحمد، ٤/٩١؛ مصابيح السنة، ٢/٢٤٨.

٦٤٠ هذا ما ذهب إليه البيضاوي في شرحه لهذا الحديث، قال: لعل هذا الحديث جرى مجرى التمثيل والمبالغة في بيان مكانة الحجر الأسود وتعظيم شأنه، وبيان ما له من كرامة وشرف، وبيان مدى تأثير خطايا بني آدم في الجماد فجعلت الحجر الشديد البياض مسودًا، فكيف بقلوب بني آدم. انظر: تحفة الأبرار في شرح المصابيح، ٢/١٤٧.

ونقل هذا القول أيضا الطيبي في كتابه شرح المشكاة عند شرحه هذا الحديث، انظر: شرح مشكاة المصابيح، ٦/١٩٨١.

٦٤١ يتكاسون: تكيس: بمعنى إظهار الذكاء والفتانة، ويقصد هنا بأنهم أظهروا الذكاء والفتانة، انظر: عمر، أحمد مختار عبد الحميد. معجم اللغة العربية المعاصرة، ط: ١، (عالم الكتب، الرياض، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨ م)، ٣/١٩٧٧.

الشَّرعية / [١٢٩ظ] القويّة للدلالة على أنّ المراد ظاهرها، ويجرونها بالتكليفات البعيدة عن قواعد اللغة وأصول الشريعة، والتأويلات السخيفة السفيهة إلى ما يناسب هواهم، كما رأيت الرّمخشري<sup>٦٤٢</sup> يحرف كثيراً من الآيات الظاهرة في هدم مذهبه إلى ما يناسب زعمه الفاسد، وأصله الكاسد.

ومع ذلك الزّيف الظاهر والتعصب الباهر، أكبّ أكثر العلماء على الاشتغال بشرح تفسيره وإصلاح كلامه؛ لاستحسانهم في تأويلاته الرّاجعة إلى حلّ التراكيب على أصل العربيّة، واعتباراته الواردة على أساليب البلاغة والقواعد البيانيّة، وغفلوا عن أنّ ذلك يؤدّي إلى تعظيم أهل الأهواء، بل إلى ترويح<sup>٦٤٣</sup> مذهبه عند المبتدئين من العلماء، فالأولى لهم أن ينشغلوا بتأليف التفسير وإيراد اعتباراتهم الدّقيقة وتأويلاتهم الرّقيقة فيه، حتّى لا يلزم المخدور. وإذا عرفت ما ذكره بعض الشّراح، فاعلم: أنّ الأحكام الشّرعية إذا كانت من أحوال القبر، والحشر، والحساب، ووزن الأعمال، والمرور على الصّراط، وتكلم الأعضاء، وأحوال الجنّة / [١٣٠و] والنّار وغيرها من أمور المعاد، ينبغي أن لا تخرج النّصوص الدّالة عليها عن ظواهرها بدون الضّرورة الدّاعية إليه من وجود البرهان العقليّ المستقيم الدّالّ على امتناع إجرائها على ظواهرها وحقيقتها، ووجود نصّ نقليّ شرعيّ راجح دالّ على خلافها؛ لأنّ أكثر أحكام المعاد والآخرة على خلاف أحكام الدّنيا والعادة. لكن النّصوص الواردة في غير أحكام الآخرة يجوز أن تخرج عن ظواهرها لمخالفتها للعادة، كما عرفت أنّ قرينة المجاز قد تكون عاديّة، فعلى هذا يجوز أن يكون الحجر الأسود من أحجار الجنّة، وأنّه كان أشدّ بياضاً من اللّبن، فسوّدته خطايا بني آدم على خلاف العادة؛ لإظهار نفاسة أحجار الجنّة، ويؤيّد ذلك قوله عليه السّلام: «إنّ الرّكن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنّة، طمس الله عزّ وجلّ نورهما، ولو لم يطمس نورهما، لأضاءتا ما بين المشرق والمغرب»<sup>٦٤٤</sup>.

ويجوز أن يراد منه التّمثيل المذكور؛ لأنّ ذلك من وجه من أحكام الدّنيا، وتحرف عن ظاهرها بقرينة العادة.

٦٤٢ ترجمته في ص: ١٤٧.

٦٤٣ ص، تروج.

٦٤٤ سنن الترمذي، أبواب الحج ٤٩؛ مسند أحمد، ١١/٥٧٧؛ مصابيح السنة، ٢/٢٤٨.

## باب النكاح

[ ١٣٠ ظ ] [ ١٣٤ ] قال النبي عليه السلام: «الشؤم في المرأة والدار والفرس»<sup>٦٤٥</sup> وفي رواية: «الشؤم في ثلاثة، في المرأة، والمسكن، والداية»<sup>٦٤٦</sup>.

### أقوال الشراح في توجيه الحديث

واختلف الشراح في توجيهه، قيل: هذا على طريق الاحتمال لا القطع، لما في حديث سعد بن أبي وقاص: «إن تكن الطيرة في شيء ففي الفرس والمرأة والدار»<sup>٦٤٧</sup>.

: وقيل ليس المراد منه الطيرة، بل شؤم الدار ضيقها وسوء جوارها، وشؤم الفرس أن لا يذهب بها إلى الغزو، وشؤم المرأة أن لا تلد.

وقيل: شؤم الفرس شموسه، وشؤم المرأة غلاء مهرها وسوء خلقها.

قال الخطابي:<sup>٦٤٨</sup> اليمن والشؤم اسمان لما يتمنى الإنسان من الخير والشر، وهذه الأشياء الثلاثة ليس لها تأثير، بل التأثير لله تعالى، وخصت هذه الأشياء بالذكر؛ لأنها أعم الأشياء التي يفتن بها الناس<sup>٦٤٩</sup>، والله درّ الخطابي ما أقرب كلامه إلى التحقيق في الكلام والتدقيق.

فاعلم أيها الرفيق طالب التحقيق، أنّ الأحاديث الكثيرة الواردة في مدح المرأة والفرس والمسكن، كما في المرأة الصالحة، وفرس الغزاة؛ بل في مطلقها، ومسكن الأنبياء/ [ ١٣١ و ] والأولياء والمسكن الثلاثة.

فيجب أن يقال: شؤم المرأة والدار والفرس لا يجوز باعتبار ذاتها، حتى لا يلزم التدافع، بل

٦٤٥ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧.

٦٤٦ سنن الترمذي، أبواب الأدب ٥٨؛ مصابيح السنة، ٢/٤٠٠.

٦٤٧ مسند أحمد، ٣/١٢٨.

٦٤٨ هو الفقيه الأديب والمحدث أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي الخطابي، توفي سنة ٣٨٨هـ. سمع عن أبي سعيد ابن الأعرابي بمكة، وأبي بكر بن داسة بالبصرة وإسماعيل الصفار ببغداد. وروى عنه أبو عبد الله الحاكم والشيخ أبو حامد الإسفراييني. وأخذ اللغة عن أبي عمر الزاهد، والفقهاء عن أبي بكر القفال الشافعي وعن أبي علي بن أبي هريرة وغيرهما. وقيل أنه كان يشبهه في عصره بأبي عبيد القاسم بن سلام علمًا وزهدًا وأدبًا وورعًا وتأليفًا وتدريسًا. من مصنفاته: «أعلام السنن في شرح البخاري» و«شأن الدعاء» و«إصلاح غلط الحديثين» و«غريب الحديث» وغيرها من التصانيف. انظر: موسوعة مواقف السلف في العقيدة، ٥/٥١٨؛

تاريخ الإسلام، ٨/٦٣٢؛ وفيات الأعيان، ٢/٢١٤.

٦٤٩ أعلام الحديث، ٢/١٣٧٩.

يجب أن يكون باعتبار أمر عارض.

ويقال أيضاً: تخصيص هذه ليس للحصر، وإن دلّ قوله الشؤم بظاهره عليه، لأنّ الشّامة توجد في غيرها من الشّركاء والرّفقاء والخدماء، فيكون تخصيص الثلاثة المذكورة للشّامة باعتبار غالب الأحوال وأمثاله كثيرة، كما قال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم:

\* «خصلتان لا تجتمعان»<sup>٦٥٠</sup>.

\* «ثلاث مهلكات»،<sup>٦٥١</sup> «ثلاث لا يكلمهم الله يوم القيامة»<sup>٦٥٢</sup>.

\* «أربع من كنّ فيه»،<sup>٦٥٣</sup> «ستة لعنتهم ولعنهم الله»<sup>٦٥٤</sup>.

\* «ثلاث من كنّ فيه وجد بهنّ حلاوة الإيمان»،<sup>٦٥٥</sup> «ثلاث من كنّ فيه يسرّ الله حتفه»<sup>٦٥٦</sup>.

\* «سبعة يظلمهم الله في ظلّ عرشه»<sup>٦٥٧</sup>.

وليس المراد من الأعداد المذكورة الحصر، لما عرفت بالنقل والحسّ أنّ الأحكام المذكورة

---

٦٥٠ سنن الترمذي، البر والصلة ٤١؛ مصابيح السنة، ١/١٧٢.

٦٥١ لم أجد تخريج هذا الحديث في كتب السنة التسعة، ولكن أخرج البزار من حديث أنس بإسناد ضعيف لفظه: حدثنا محمد بن القاسم بن الحكم قال: وجدت في كتاب أبي، حدثنا أيوب بن عتبة، عن الفضل بن بكر، عن قتادة، عن أنس؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء برأيه. وقال: هذا الحديث لم يروه، عن قتادة، عن أنس إلا الفضل بن بكر ولم يحدث عن الفضل إلا أيوب بن عتبة، انظر: مسند البزار، ١٣/٤٨٦.

٦٥٢ صحيح مسلم، الإيمان ١٠٨.

٦٥٣ صحيح البخاري، الإيمان ٢٥؛ صحيح مسلم، الإيمان ٥٨؛ سنن أبي داود، السنة ١٦؛ سنن الترمذي، الإيمان ١٤؛ مسند أحمد، ١١/٣٨٠؛ مصابيح السنة، ١/١٢٦.

٦٥٤ سنن الترمذي، أبواب القدر ١٦؛ مصابيح السنة، ١/١٤٤.

٦٥٥ صحيح البخاري، الإيمان ٩؛ صحيح مسلم، الإيمان ٤٣؛ سنن أبي داود، السنة ٣؛ سنن الترمذي، صفة القيامة والرقائق والورع ٤٨؛ النسائي، الإيمان وشرايعه ٢؛ سنن ابن ماجه، الفتن ٢٣؛ مسند أحمد، ١٦/٥٣٩؛ مصابيح السنة، ١/١١٤.

٦٥٦ سنن الترمذي، صفة القيامة والرقائق والورع ٤٨؛ مصابيح السنة، ٢/٤٨٠.

٦٥٧ لم أجد تخريجه بهذا اللفظ، ولكن بلفظ آخر: عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سبعة يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله...» الحديث أخرج البخاري في صحيحه كتاب الأذان ٣٦. وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب الزكاة رقم الحديث (١٠٣١).

توجد<sup>٦٥٨</sup> في غير تلك<sup>٦٥٩</sup> المعدودات، فيكون فائدة فيها أيضًا كثيرة وجود تلك الأحكام فيها.

وإذا عرفت ذلك، فاسمع في تأويل الحديث كلامًا أبسط وأظهر مما ذكره الخطّابي، من أنّ المراد من شؤم المرأة ما يتأذى به / [١٣١ظ] زوجها أو مالکها من سوء فعلها وخلقها، كما قال عليه السّلام: «حسن الملكة يُمنّ، وسوء الخلقِ شؤمٌ»<sup>٦٦٠</sup>، لا باعتبار ذاتها؛ لأنّ النّبيّ عليه السّلام قال: «الدّنيا متاع، وخير متاع الدّنيا المرأة الصّالحة»<sup>٦٦١</sup>.

وكذا الأمر في الفرس، لكن الدّار جامدة لا يصدر منها الفعل والخلق السيّء، فيكون المراد من شأمتها ضيقها، أو عدم موافقة هواها أو مقرّها، بأن يكون في مجاورة المذيلة، أو الوحل والغور؛ لما أنّ قومًا شكوا مضرة هواء مسكنهم، فقال عليه السّلام: «ذروها ذميمة»<sup>٦٦٢</sup>، وقال عليه السّلام: «إنّ من القرف التّلف»<sup>٦٦٣</sup> يعني أنّ القرب من المنزل الوخيم يسبب التّلف، أو يكون باعتبار جوارها بأن تكون في محلّة الفساق، وأهل اللّهو والظلمة، فإنّ السّاكن فيها يتأذى من رؤية المنكرات وسماع اللّهو، وأنّ الطّبيعة تسرق منهم الميل إلى المنكرات من غير تنبّه صاحب الطّبيعة على سرقتها، وذلك وجدائيّ يوجد في غير أهل الثّبات.

### باب المباشرة

[١٣٥] جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إني أعزل امرأتي، فقال: لم تفعل ذلك؟ قال: أشفق على ولدها / [١٣٢و] فقال عليه السّلام: «لو كان ذلك ضارًا لضارّ فارس والرّوم»<sup>٦٦٤</sup>.

٦٥٨ ص، يوجد.

٦٥٩ ص، ذلك.

٦٦٠ سنن أبي داود، النوم ١٣٢؛ مسند أحمد، ٤٨٧/٢٥، (جاء في مسند أحمد حسن الخلق بدل حسن الملكة، ونماء بدل يمن)؛ مصابيح السنة، ٤٧٨/٢.

٦٦١ صحيح مسلم، الرضاع ١٤٦٧؛ سنن ابن ماجه، النكاح ٥ (جاء في سنن ابن ماجه عبارة: وليس من متاع الدنيا شيء أفضل من، بدل: وخير متاع الدنيا)؛ مصابيح السنة، ٣٩٩/٢.

٦٦٢ سنن أبي داود، الطب ٢٤؛ مصابيح السنة، ٢٥٤/٣.

٦٦٣ سنن أبي داود، الطب ٢٤؛ مصابيح السنة، ٢٥٤/٣.

٦٦٤ صحيح مسلم، النكاح ١٤٤٣؛ مصابيح السنة، ٤٢٧/٢.

عن جدامة بنت وهب قالت<sup>٦٦٥</sup>: حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم في أناس وهو يقول: «لقد هممت أن أنهي عن الغيلة<sup>٦٦٦</sup> حتى ذكرت أن الروم وفارس يصنعون ذلك فلا يضّرّ أولادهم»،<sup>٦٦٧</sup> ثم سألوه عن العزل فقال عليه السلام: «ذلك الواد الخفي»<sup>٦٦٨</sup>.

[١٣٦] عن أسماء بنت يزيد قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لا تقتلوا أولادكم سرّاً، فإن الغيل يدرك الفارس فيدعثره»<sup>٦٦٩</sup>.

فإن قلت: بين الحديثين تدافع. قلنا: أجب بعض الشراح بأن معنى قوله: «لو كان ذلك ضاراً لضارّ فارس والروم»، نفي كون الغيل مؤثراً في المضرة، وقوله عليه السلام: «فإن الغيل يدرك الفارس»، إعلام كونه سبباً في المضرة، وقيل نهى الأزواج عن مباشرة المراضع، ورخصت الأمتهات في الإرضاع حال الحمل؛ لئلا يهلك الرضيع.

وقد عرفت مثل هذا الجواب فيما قدّمنا من الضابطة ودفع التعارض باختلاف الجهة؛ لأنّ الجهة المؤثر به غير جهة السببية، ويمكن أن يقال أيضاً: ظنّ النبي عليه السلام عدم مضرة الغيلة، ثمّ اطّلع على / [١٣٢ظ] مضرتها، أو بالعكس، لأنّ ذلك جائز في الأمور الدنيوي، بل في الديني.

### باب العتق

[١٣٧] قال النبي عليه السلام: «من أعتق رقبة مسلمة أعتق الله بكل عضو منه عضواً من

٦٦٥ ف، قال.

٦٦٦ الغيلة: هي أن يجامع الرجل المرأة وهي مرضع فإذا حملت فسد لبنها، لذلك سمي بالغيلة بالكسرة، أمّا الغيلة بالفتحة فهو اللبن الذي ترضعه المرأة ولدها وهي حامل أو وهي تؤتى. انظر: الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب. القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، (مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ١٤٣١هـ / ٢٠١٠ م)، فصل الفاء، ص: ١٠٤٠؛ لسان العرب، ٣/٣٣٦.

٦٦٧ صحيح مسلم، النكاح ١٤٤٢؛ سنن أبي داود، الطب ١٦؛ سنن الترمذي، الطب ٢٧؛ النسائي، النكاح ٥٤؛ موطأ مالك، ٢/٦٠٧؛ سنن الدارمي، ١/٥٣٠؛ مسند أحمد، ٤٤/٥٨٤؛ مصابيح السنة، ٢/٤٢٧.

٦٦٨ صحيح مسلم، النكاح ١٤٤٢؛ مصابيح السنة، ٢/٤٢٧.

٦٦٩ سنن أبي داود، الطب ١٦؛ سنن ابن ماجه، النكاح ٦١؛ مسند أحمد؛ ٤٥/٤٥٣؛ مصابيح السنة، ٢/٤٣٠.

النَّارِ حَتَّى فَرَجَهُ بِفَرَجِهِ»<sup>٦٧٠</sup>.

[١٣٨] وقال: «من أعتق نفسًا مسلمة كانت فديته من جهنم»<sup>٦٧١</sup>.

ولا تزعم أن مجرد عتق الرقبة سبب لتخليص النار، لما عرفت من التحقيق، بل معناه من شأنه أن يخلصه إذا لم يعارض معارض من مقتضيات دخول النار، أو المراد منه لازمه؛ وهو التحريض على الإعتاق بوجه بليغ وصریح، فإنَّ تصوّر تخليصه يستلزم إعتاقه في العادة الشرعيّة والقوّة الإيمانيّة.

### باب الأيمان

[١٣٩] «من حلف بغير الله فقد أشرك»<sup>٦٧٢</sup>.

معناه فقد فعلَ فعلَ المشرك؛ لأنَّه يعظم غير الله بقسمه بغيره، ولو خصّص غير الله بالصّتم يكون كافرًا حقيقة.

### باب النذر

[١٤٠] قال النبيّ عليه السّلام: «لا تنذروا فإنّ النذر لا يغني من القدر شيئًا، وإنّما يستخرج

به من البخيل مال»<sup>٦٧٣</sup>.

فإن قلت النذر أمرٌ مشروعٌ حتّى مدح الله تعالى الموفين بالنذر بقوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ [الإنسان: ٧] فكيف نهى النبيّ عليه السّلام عنه؟

قلنا: كون النذر أمرًا مشروعًا [١٣٣و] يدلّ على أنّ المراد من الحديث غير ظاهره، فمعناه لا تنذروا لدفع الأمر المخالف لهواكم، معتقدًا على أنّ النذر يدفع الأمر المقدّر البتّة، فيكون النهي راجعًا إلى القيد وهو اعتقاد أنّ النذر يدفع كلّ بلاء.

وقوله: «فإنّ النذر لا يغني من القدر شيئًا، وإنّما يستخرج به المال من البخي»، يدلّ على ذلك القيد، وإلا لا يكون له وجه ربط بما قبله، فإنّ النذر المطلق لا يكون لدفع القدر حتى

٦٧٠ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ مسند أحمد، ٢٤١/٢٨؛ مصابيح السنة، ٤٨٤/٢.

٦٧١ مسند أحمد، ١٨٧/٣٢؛ مصابيح السنة، ٤٨٥/٢.

٦٧٢ سنن أبي داود، الأيمان والنذور ٦؛ سنن الترمذي، النذور والأيمان ٨؛ مسند أحمد، ٢٧٦/٩؛ مصابيح السنة، ٤٩٣/٢.

٦٧٣ صحيح مسلم، النذر ١٦٤٠؛ سنن الترمذي، النذور والأيمان ١٠؛ النسائي، الأيمان والنذور ٢٥؛ مسند أحمد، ١٩٦/١٥؛ مصابيح السنة، ٤٩٥/٢.

يعلل به، فتكون «لا تنذروا»،<sup>٦٧٤</sup> للنهي عن القدر<sup>٦٧٥</sup> المقيّد الذي يدلّ على قيده التعليل بقوله: «فإنّ النذر»؛ لأنّ نذر المال عند الاضطرار سبب دفع البلاء، والمضارّ دون بذله لحاجة الفقير بالاختيار يدلّ على بخله وحرصه على المال، وأنّه لا يبذل إلا لدفع الأضرار، فتقدير الكلام لا تنذروا بالمال لدفع البلاء، معتقداً على أنّه يدفعه البتّة؛ لأنّ النذر يدفعه بدون ذلك الاعتقاد، فيكون النهي راجعاً إلى سوء الاعتقاد والبخل، لا للنذر المطلق.

## باب القصاص

[١٤١] قال النبيّ عليه السّلام: «أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدّماء»<sup>٦٧٦</sup>. / [١٣٣ظ] فإن قلت قال النبيّ عليه السّلام في باب العلم: «إنّ أول الناس يقضى رجال ثلاث؛ شهيد، وعالم وغنيّ مراوي»<sup>٦٧٧</sup>.

قلنا: قد عرفت قاعدة التّوفيق، فقل: <sup>٦٧٨</sup> يجوز أن يكون أول ما يقضى في المظالم وحقوق العباد الدّم، أول ما يقضى من جهة الرّياء الرّجال الثلاثة، ويؤيّد ذلك قوله عليه السّلام: «إنّ أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته»<sup>٦٧٩</sup>؛ لأنّ الأوّلية مقيّدة فيها

٦٧٤ ص، الأنداز.

٦٧٥ ص، النذر.

٦٧٦ صحيح مسلم، القسامة والمحاربين والقصاص ١٦٧٨؛ النسائي، تحريم الدم ١؛ سنن ابن ماجه، الديات ١؛ مسند أحمد، ١٩٢/٦؛ مصابيح السنة، ٥٠٣/٢.

٦٧٧ روي الحديث بالمعنى، ولفظه: «إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال: جريء، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل تعلم العلم، وعلمه وقرأ القرآن، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم، وعلمته وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال: عالم، وقرأت القرآن ليقال: هو قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل وسع الله عليه، وأعطاه من أصناف المال كله، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال: هو جواد، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه، ثم ألقي في النار» أخرجه مسلم في صحيحه، الإمارة، باب من قتل للرياء والسمعة واستحق النار رقم الحديث (١٩٠٥).

٦٧٨ ص، قيل.

٦٧٩ سنن الترمذي، الصلاة ٣٠٥؛ النسائي، الصلاة ٩؛ سنن ابن ماجه، الصلاة ٢٠٢؛ مسند أحمد، ١٤٩/٢٨؛ مصابيح السنة، ٤٥٨/١. عبارة: (من عمله) مذكورة في سنن الترمذي ومصابيح السنة.

بجنس العبادة، ونظيره ما ثبت في بعض الأحاديث «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ»<sup>٦٨٠</sup>، وفي بعضها أَوَّلَ مَا خَلَقَهُ الْعَرْشُ، وفي بعضها أَوَّلَ مَا خَلَقَهُ رُوحَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ. فيؤوَّل ذلك بأنَّ المعنى أَوَّلَ مَا خَلَقَ مِنْ جِنْسِ الْأَشْجَارِ الْقَلَمَ، وَمِنْ جِنْسِ الْأَفْلاكِ الْعَرْشُ، وَمِنْ جِنْسِ الْأَرْوَاحِ رُوحَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ. [١٤٢] وقال النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ قَتَلَ عَبْدَهُ قَتَلَنَا، وَمَنْ جَدَعَ<sup>٦٨١</sup> عَبْدَهُ جَدَعَنَا، وَمَنْ خَصَا عَبْدَهُ خَصَيْنَاهُ»<sup>٦٨٢</sup>.

فإن قلت: السَّيِّدُ لَا يَعْاقَبُ بِالْجُنَايَةِ عَلَى عَبْدِهِ، فَكَيْفَ يُووَّلُ هَذَا الْحَدِيثَ الْمَخَالَفَ لِأَصْلِ الشَّرْعِ؟

قال بعض الشَّرَاحِ فِي تَأْوِيلِهِ: هَذَا الْحَدِيثُ مَنْسُوخٌ<sup>٦٨٣</sup>، أَوْ الْمُرَادُ مِنَ الْعَبْدِ مَا كَانَ عَبْدًا ثُمَّ خَرَجَ عَنِ مَلِكِ سَيِّدِهِ / [١٣٤و] بِسَبَبٍ، وَيُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ: «قَتَلْنَا، جَدَعْنَا، خَصَيْنَاهُ»، جَازِينَاهُ لَكِنْ سُمِّيَ الْجِزَاءَ بِاسْمِ سَبَبِهِ وَهُوَ الْقَتْلُ، وَالْجَدْعُ وَالْخَصْيُ لِلْمَشَاكِلَةِ، وَذَلِكَ مِنْ طَرُقِ الْبَلَاغَةِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يُخَلِّدُكَ اللَّهُ وَهُوَ خَلِّدُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢] ﴿وَمَكْرُوهٌ وَمَكْرُؤٌ لَللَّهِ﴾ [آل عمران: ٥٤].

أَوْ الْمُرَادُ مِنْ «قَتَلْنَا، جَدَعْنَا، خَصَيْنَاهُ» لَازِمُهُ: وَهُوَ الْعِقَابُ الشَّدِيدُ وَالرَّجْرُ الْأَكِيدُ كَمَا قَالَ فِي مَشَارِبِ الْخَمْرِ، فَإِنْ عَادَ بَعْدَ الرَّابِعَةِ فَاقْتُلُوهُ، وَقَدْ أَخَذَ بَعْدَ الرَّابِعَةِ فَلَمْ يَقْتُلْهُ، بَلْ عَاقَبَهُ، وَيُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ: ذَلِكَ مَخْصُوصٌ بِالنَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى وَجْهِ السِّيَاسَةِ، فَتَأَمَّلْ فِي الْأَجُوبَةِ.

٦٨٠ سنن أبي داود، السنة ١٧؛ سنن الترمذي، أبواب القدر ١٦؛ مسند أحمد، ٣٧/٣٧٨.

٦٨١ الجدع: القطع، أو القطع البائن في الأذن أو الأنف أو الشفة. انظر: لسان العرب ٤١/٨.

٦٨٢ سنن أبي داود، الديات ٧؛ سنن الترمذي، الديات ١٨؛ النسائي، القسامة ٩؛ سنن ابن ماجه، الديات ٢٣؛

سنن الدارمي، ١/٥٦٤؛ مسند أحمد، ٣٣/٢٩٦؛ مصابيح السنة، ٢/٥١١. ملاحظة: عبارة: (ومن خصي

عبده خصيناه) جاءت في مصابيح السنة، أما في سنن النسائي فهي بلفظ: (ومن أخصاه أخصيناه).

<sup>٦٨٣</sup> هذا ما ذهب إليه الإمام الشافعي رحمه الله، قال: إنَّ القتل في هذا الحديث منسوخ. انظر: ابن الأثير، الشافي في

شرح مسند الشافعي، تحقيق: أحمد بن سليمان؛ أبي تميم ياسر بن إبراهيم، ط ١ (الرياض - مكتبة الرشد

١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م)، ٥/٣٣١.

وقال الخطابي في كتابه المعالم: ذهب بعض أهل العمل إلى أنَّ حديث سمرة منسوخ، فلما نسخا نسخا معا، فسقط

حكم القصاص أي الجدع بالإجماع. انظر: معالم السنن، ٩/٤.

## باب قتل أهل الردة والشقاء

[١٤٣] قال النبي عليه السلام في حجة الوداع: «لا ترجعن بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض»<sup>٦٨٤</sup>.

فإن قلت: ضرب بعضهم رقاب بعض لا يؤدي إلى حقيقة الكفر، لما عرفت أن المؤمن لا يخرج عن إيمانه بالكبيرة التي غير كلمة الكفر، أو فعله.

قلنا: ذلك قرينة دالة على أن المراد من الحديث غير ظاهره، فيكون قوله: «يضرب بعضكم»، فعلاً مرتباً على الكفر لا عليه، فالمعنى: لا ترجعن أيها المؤمنون بعدي إلى الكفر بالارتداد حتى يؤدي ذلك إلى فعل / [١٣٤ظ] الكفار، بأن يقتل بعضكم بعضاً.

أو يكون المراد من يضرب بعضكم رقاب بعض؛ القتل مع الاستحلال، فيكون يضرب تعليلاً لكفر القاتل.

أو يكون المراد من الكفر ستر نعمة الإيمان وترك شكره، بأن لا يعمل بمقتضى إيمانه، فيشتغل بالمقاتلة. أو جعل من يتصف بفعل الكافر كالكفار. أو يكون المراد من الكفار من يتستر بالسلاح ويلبسه للمقاتلة. أو المراد من الرجوع إلى الكفر تكفير بعضهم بعضاً، حتى يؤدي ذلك إلى المقاتلة. أو يكون المراد من الحديث الرجوع عن المقاتلة بوجه بليغ؛ لأن أحدًا من أهل الاعتقاد بالآخرة لا يرضى بزوال إيمانه وخلوده في النار بسبب فعل القتل، فينزجر عن القتل بتصوره ذلك.

وإن علم أن المراد خلاف ظاهره، وقد عرفت بعض التحقيق في مثله، [١٣٦] قال النبي عليه السلام: «سيكون في أمي اختلاف وفرقة، قوم يحسنون القيل ويسئون الفعل، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، لا يرجعون حتى يرتد السهم على فوقه، هم شر الخلق والخليقة، طوبى لمن قتلهم وقتلوه، يدعون إلى كتاب / [١٣٥و] الله وليس منّا في شيء، من قاتلهم كان أولى بالله منهم. قالوا: يا رسول الله، ما سيماهم؟ قال: التحليق»<sup>٦٨٥</sup>.

فإن قلت: يفهم من هذا الحديث أن المؤمن يخرج من إيمانه باعتقاد باطل، وترك العمل

٦٨٤ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ مسند أحمد، ١٣٧/٣٤؛ مصابيح السنة، ٥٢٩/٢.

٦٨٥ سنن أبي داود، السنة ٣١؛ مسند أحمد، ٥١/٢١؛ مصابيح السنة، ٥٣١/٢.

بكتاب الله والعمل المخالف لقوله، فيكون مخالفًا لأصول الشّرع، لقوله عليه السّلام: «لا يخرج المؤمن عن إيمانه بعمل ولا نكفره بذنب»<sup>٦٨٦</sup>.

قلنا: يجوز أن يكون سبب خروجهم عن الإيمان لغلوهم في الاعتقاد الباطل؛ كغلاة المجسّمة والجبريّة، أو لاستحلال الحلال المجموع<sup>٦٨٧</sup> عليه، أو لتحرّمه، أو لاستخفافهم بأمر من أمور الدّين هذا إذا أجرى [١٣٧] قوله عليه السّلام: «طوبى لمن قتلهم، قتلهم كان أولى بالله، وهم شرُّ الخلق والخليقة، ولا يرجعون إلى الدّين حتّى يرتد السّهم المرمي على فوقه». ويحتمل أن يراد من الدّين أحكامه لا أصوله، ومن القتل والشّر وعدم الرّجوع إلى الدّين، التّعليظ أو زجرهم على وجه المبالغة.

قال: «يدعون إلى كتاب الله وليسوا منا في شيء»، ولم يقولوا ليسوا من كتاب الله في شيء على مقتضى الظّاهر؛ لأنّ المذكور أبلغ إذ المفهوم الظّاهر / [١٣٥ظ] من الظّاهر أن لا يعملوا بكتاب الله، وذلك يجوز أن يكون لجهلهم كالعوام.

وقوله: «ليسوا منّا»، يدلّ على أنّ ليس فيهم من آثار الإسلام شيء إذا أريد ظاهره، ويكون أبلغ في التّعليظ والرّجر إذا لم يرد ظاهره.

قوله: «من قاتلهم كان أولى بالله منهم»، الظّاهر أنّ الضّمير «منهم» يرجع إلى الأمتة المذكورة الرّائعة، فلا يكون الأولويّة بالنّسبة إلى شيء واحد، بل المراد ثواب قاتلهم وفضيلته أزيد وأقوى من عقابهم وكفرهم، كما يقال العسل أحلى من الخلّ، والصّيف أبرد من الشّتاء؛ يعني حلاوته وحرارته أزيد وأبلغ بالنّسبة إلى حموضة الخلّ وبرد الشّتاء.

والمراد من التّحليق؛ حلق رؤوسهم واعتيادهم به، أو جلوسهم حلّقًا حلّقًا.

فإن قيل: هذا ليس إمارّة الكفر والضّلال، فما وجه قوله عليه السّلام: «علامتهم التّحليق»؟ قلنا: ليس من كون التّحليق علامة لهم بمذمويّته؛ لأنّ أهل الرّيب والضّلال قد يكون في زيّ الصّالحاء؛ كالشّيوخ المبتدعين والمرائين، وكونه علامة لهم اعتيادهم به وجعلهم إيّاه كالشيء المفروض والمسنون.

---

٦٨٦ روى الإزنيقي الحديث بالمعنى ولفظه: «عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ثلاث من أصل الإيمان: الكف عن من قال: لا إله إلا الله، ولا نكفره بذنب، ولا نخرجه من الإسلام بعمل» في سنن أبي داود، أول كتاب الجهاد باب في الغزو مع أئمة الجور. والله أعلم.

٦٨٧ ص: المجمع.

## باب شرب الخمر

[١٤٤] قال النَّبِيُّ عليه السَّلَامُ: / [١٣٦و] «من شرب الخمر لم يقبل الله صلاة أربعين صباحًا، فإن تاب؛ تاب الله عليه، فإن عاد لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحًا، فإن تاب؛ تاب الله عليه، فإن عاد الرابعة لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحًا، فإن تاب لم يتب الله عليه، وسقاه من نهر الخبال»<sup>٦٨٨</sup>.

فإن قلت: إنَّ المعاصي سوى الكفر لا يذهب الحسنات، وأنَّ العاصي تقبل توبته وإن تاب مرارًا إذا كان معصيته من حقوق الله تعالى، فكيف قيل هنا: لم تقبل صلاة وتوبته بعد الرابعة؟

قال في تأويله محيي السنَّة أنَّ لكلَّ عبادة اعتبارين وجهتين<sup>٦٨٩</sup>:

\* جهة سقوط القضاء عن المؤدِّي.

\* جهة ترتب الثَّواب.

والمراد من عدم القبول؛ عدم ترتب الثَّواب، وإتِّمَّ خصَّ الصَّلَاةَ لأَنَّها أفضل العبادات، وإذا لم يقبل ذلك، لا يقبل الباقي.

وقال بعض الشَّرَاح<sup>٦٩٠</sup>: المراد من قوله: «لم يقبل الله صلاته أربعين صباحًا، ولم يتب عليه»؛ الزَّجر والتَّهديد وهذا الأنسب، لأنَّ الثَّلَاثَ مَّا يُتَنَبَّى عليه الأعدار والرَّخص، فمن تجاوز عنه، يصير عانتًا مستحقًّا للزَّجر والتَّغليظ.

وقد عرفت أنَّ المراد من الزَّجر والتَّهديد أن يراد قوله: «لم يقبل» / [١٣٦ظ] الله صلاته ولم يتب عليه، معناه المجازي: وهو المنع عن شرب الخمر، والتَّخويف عنه بالوجه الأكيد؛ لأنَّ

٦٨٨ سنن الترمذي، الأشربة ١؛ مسند أحمد، ٣٥/٣٩٦؛ مصابيح السنة، ٢/٥٦٢.

٦٨٩ شرح محيي السنة هذا الحديث بما ذهب إليه الإمام النووي حيث قال: إنَّ لكل طاعة اعتبارين: أحدهما سقوط القضاء عن المؤدِّي، وثانيهما ترتيب حصول الثَّواب، فكان عدم قبول الصلاة لعدم ترتب الثَّواب وخصَّ الصلاة لأَنَّها أفضل عبادات البدن. انظر: أبو العلا المباركفوري، تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، (بيروت - دار الكتب العلمية)، ٤٨٨/٥.

٦٩٠ هذا ما قاله المظهر في شرحه لهذا الحديث: قوله: «من شرب الخمر لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحًا»؛ أنه مبني على الزجر، وإلا يسقط عنه فرض الصلاة، أذَّاهَا بشرائها، ولكن ليس ثوابُ صلاة الفاسقِ كثوابِ صلاة الصالح، بل الفاسق ينفي كمال الصلاة وغيرها من الطاعات. انظر: المفاتيح في شرح المصابيح، ٤/٢٨٠.

النبي عليه السلام لو قال: «لا تشربوا الخمر»، فهم منه أهل اللسان أن لشرب الخمر مضرة في الدين، ولذا نهى النبي عليه السلام عنه، فينزجر من كان في إيمانه قوة وفي قلبه رقة، لمجرد النهي الدال على الحرمة، لكن من ضعف إيمانه وقسى قلبه، لا ينزجر عنه لمجرد النهي الدال على القبح والضّرر مطلقًا، بل يحتاج إلى الزجر القوي والتّهديد البليغ.

ولذا بيّن ضرر الشرب بمضرة معينة عظيمة، وقبح معين فظيع ينزجر عنه بالكليّة، كما إذا تصوّر المؤمن المنهمك في شهوات نفسه، والمفتون باستيفاء لذاتها من ظاهر النّظم أن شرب الخمر يهدم ثواب صلاة أربعين صباحًا، ويمنع قبولها عند الله تعالى، وأنّ العودة إلى شربه بعد المرّة الرابعة يؤدّي إلى سخط الله تعالى حتى لا يقبل توبته، بعده يخاف منه خوفًا شديدًا، وتقوى فيه داعية التّرك؛ لأنّ التّخويف سوط الغافلين وتنبيه المفتونين، فينزجر بذلك عن شربه على الوجه الأقوى والأبلغ، فأطلق لم يقبل ولم يتب وأريد/ [١٣٧و] لازمه، لأنّ من تصوّر ذلك الضّرر المعين من شربه، يلزم منه أن يتركه ويخاف من شربه.

وهذا وجه بليغ ممدوح، وأسلوب لطيف مستحسن عند البلغاء، ولا كذب ولا خداع للسامعين فيه كما توهم ذلك بعض الحمقى.

وإذا عرفت التّحقيق فيه، فاعلم أنّ المؤلّين كلما قالوا: المراد منه التّحريض والتّريغيب، أو الزجر والتّرهيب، مرادهم منه أنّ اللفظ مستعمل في معناه المجازي الذي هو أبلغ وأحسن من إرادة معناه الحقيقي، إذ يفهم المراد من المعنى الحقيقي بدون الدليل والمبالغة، ومن المعنى المجازي بالدليل والمبالغة والدقّة.

وقد عرفت أنّ الدّعوى المؤيّدّة بالبيّنة أثبت وأقوى وأقرب إلى القبول والقرار في ذهن السّامع؛ لأنّها يقبلها كلّ إنسان، وبدون البيّنة والدليل لا يقبلها إلاّ سليم القلب والجنان، وإمّا أطنبت الكلام فيه؛ لأنّ بعض المتعلّمين لا يفهم تفصيل مراد المؤلّين من إرادة التّحريض والتّريغيب، والتّهديد والتّرهيب.

### باب العمل في القضاء والخوف منه

[١٤٥] قال النبي عليه السلام: «من طلب قضاء المسلمين حتى يناله، ثم غلب عدل/

[١٣٧ظ] جوره فله الجنة، ومن غلب جوره عدله فله النار»<sup>٦٩١</sup>.

٦٩١ سنن أبي داود، الأفضية ٢؛ مصابيح السنة، ٢٣/٣.

المراد من: «غلبه جوره عدله»، أن يقوى عدله بحيث يمنع جوره، لا أن يكون العدل أكثر من الجور؛ لأنَّ الجورَ القليل يكفي في دخول النار.

فإن قلت: الحسنات إذا غلبن<sup>٦٩٢</sup> على السيئات، يعفى لغلبة رحمة الله تعالى.

قلنا: المراد من الجور تضييع حقَّ العبد، فلا يعفى عن ذلك بكثرة العدل.

فإن قلت: طلب القضاء مذموم، وإن عدل فيه القاضي ولم يجر قطعاً، كما قال النبي عليه السلام: «يا عبد الرحمن بن سمرة، لا تسأل الإمارة، فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها»،<sup>٦٩٣</sup> وقال عليه السلام: «إنكم ستحرضون على الإمارة وستكون ندامة يوم القيامة، فنعم المرزعة وبئست الفاطمة»<sup>٦٩٤</sup>.

وعن أبي موسى أن رجلاً من بني عمر دخلاً على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: أمرنا على بعض ما ولّك الله، فقال عليه السلام: «إنا والله لا نولي على هذا العمل أحداً سألناه، ولا أحداً حرص عليه»<sup>٦٩٥</sup>.

قلنا: يمكن أن يقال نبينا عليه السلام مؤيد بالقوة القدسية والكمالات الأنسية، عارف بمقتضيات المقام والأحوال، سابق كلامه على تلك / [١٣٨ و] الطريقة والآمال، فإذا علم في العالم صلابة في الدين، وقوة في اليقين وباقي شروط القضاء، تفوّض إليه الإمارة والقضاء وإن طلب.

وإن علم فيه ضعفاً، أو مُلاينة، أو وصفاً آخر غير ملائم للقضاء، لا تفوّض إليه القضاء وإن لم يطلب، ويشير إلى ذلك أن أبا ذر قال: يا رسول الله ألا تستعملني؟ فضرب بيده على منكب أبي ذر وقال: «يا أبا ذر إنها أمانة، وإنها يوم القيامة ندامة، إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها»<sup>٦٩٦</sup> وقال: يا أبا ذر، إنني أراك ضعيفاً، وإنني أحب لك ما أحب لنفسي، لا تأمرن على اثنين ولا تولين مال يتيم.

---

٦٩٢ ف غلب.

٦٩٣ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ صحيح مسلم، الأيمان ١٦٥٢؛ سنن أبي داود، الخراج والفيء والإمارة ٢؛ النسائي، آداب القضاة ٥؛ سنن الدارمي، ١/٥٦٠؛ مسند أحمد، ٣٤/٢٢٣؛ مصابيح السنة، ٢/٤٩٢.

٦٩٤ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ النسائي، البيعة ٣٩؛ مسند أحمد، ١٥/٤٩١؛ مصابيح السنة، ٣/١٠.

٦٩٥ صحيح مسلم، الإمارة ١٧٣٣؛ مصابيح السنة، ٣/١١.

٦٩٦ صحيح مسلم، الإمارة ١٨٢٥؛ مسند أحمد، ٣٥/٤٠٤؛ مصابيح السنة، ٣/١١.

يفهم منه: أنّ السّؤال ليس بمانع، بل المانع ضعف القلب المؤدّي إلى الميل، أو عدم إجراء الأحكام الزّواجر؛ كالقتل، والحدود الباقية، والتّقرير والقضاء أشرف العبادات المؤدّي إلى رفع الدّرجات، كما قال النّبّي عليه السّلام: «إنّ المقسطين عند الله على منابر من نور، عن يمين الرّحمن عزّ وجلّ، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولّوا». ٦٩٧ فهم منه: أنّ المانع خوف الجور المؤدّي إلى التّار كما قال النّبّي عليه السّلام: / [١٣٨ ظ] «ويل للأمرء، ويل للعرفاء، ويل للأمناء، ليمتدّن أقوام يوم القيامة أنّ نواصيهم معلّقة بالثّريا، يتجلجلون بين السّماء والأرض وأنهم لم يلوا عملاً». ٦٩٨. وقال عليه السّلام: «إنّ العرّافة حقّ ولا بدّ للنّاس من عرفاء، ولكن العرفاء في التّار» ٦٩٩.

فإن قلت: إذا كان القضاء أشرف العبادات، والمانع منه ضعف القلب المؤدّي إلى الجور والجناية، لم قال النّبّي عليه السّلام: «لا تسأل الإمارة يا أبا ذرّ، لا تأمرنّ على اثنين»، «ويل للأمرء والعرفاء في التّار» على الإطلاق؟

قلنا: قد عرفت مرارًا أنّ إطلاق الكلام المقيّد للمبالغة في التّحريض والمنع، والمدح والذّم اكتفاء بالقرائن المقيّدة من العقل والنّقل، وإنّ ذلك من أساليب البلاغة ونتائج الفصاحة، أو لإجراء الكلام على الأمر الغالب، فقل هنا: لما قال النّبّي عليه السّلام في حديث آخر: «من طلب قضاء المسلمين حتى يناله، ثم غلب عدله جوره فله الجنّة» ٧٠٠. وقال عليه السّلام: «إنّ المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرّحمن» ٧٠١. وقال: «إنّ أحبّ النّاس إلى الله يوم القيامة وأقربهم مجلسًا، إمام عادل» ٧٠٢.

فهم منه: أنّ المنع عن سؤال [١٣٩ و] الإمارة؛ لخوف الحرص والجناية، لا لكونه إمارة مطلقًا، كما أشار إليه أيضًا بقوله: «إنّكم ستحرصون على الإمارة وستكون ندامة يوم القيامة»، وقوله عليه السّلام: «إنّ أبغض النّاس إلى الله يوم القيامة وأشدّهم عذابًا إمام

٦٩٧ صحيح مسلم، الإمارة ١٨٢٧؛ النسائي، آداب القضاء ١؛ مصابيح السنة، ١٣/٣.

٦٩٨ مسند أحمد، ٢٧٥/١٤؛ مصابيح السنة، ١٥/٣.

٦٩٩ سنن أبي داود، الخراج والفيء والإمارة ٦؛ مصابيح السنة، ١٥/٣.

٧٠٠ سنن أبي داود، الأفضية ٢؛ مصابيح السنة، ٢٣/٣.

٧٠١ صحيح مسلم، الإمارة ١٨٢٧؛ سنن النسائي، آداب القضاء ١؛ مصابيح السنة، ١٣/٣.

٧٠٢ سنن الترمذي، الأحكام ٤؛ مسند أحمد، ٢٦٤/١٧؛ مصابيح السنة، ١٧/٣.

جائر»، ٧٠٣ وقوله: «والله لا نوّلي على هذا العمل أحدًا أحرص عليه» وقوله: «ومن غلب جوره عدله فله النار»، وقوله عليه السّلام: «يا أبا ذرّ إنّني أراك ضعيفًا». أو قل: لما كان في طالب الإمارة الحرص المؤدّي إلى الميل عن الحقّ، وترك الصّلاية غالبًا، وفي رعاية أمور الخلافة وشروط الحكومة صعوبة لا يقدر على إتمامها أكثر العلماء، ولا يوفي تلك الأمور والشّروط إلّا الأفراد من الأقوياء، قال مطلقًا: «لا تسأل الإمارة إن أُعطيها عن مسألة وكلت إليها»، «والله لا نوّلي هذا العمل أحدًا سأله»، «ويل للأمرء»، أخرج الكلام باعتبار الغلبة والكثرة، لا باعتبار العموم والحقيقة.

### كتاب الجهاد

[١٤٦] قال النّبّي عليه السّلام: «مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصّائم القائم القانت بآيات الله، لا يفتر من صيام، ولا صلاة، حتى يرجع المجاهد» ٧٠٤. فإن قلت: قد ثبت بالأحاديث / [١٣٩ظ] الصّحيحة الرّاجحة أنّ أفضل الأعمال الفرعيّة الصّلاة، وقد عرفت وُجْهَةً من اشتغالها على التّعظيمات البدنيّة والقوليّة الفاضلة، والأذكار والقراءات الشّريفة الكاملة، وبعدها الرّكاة، والصّوم، والحجّ، وبعدها الجهاد، فكيف يكون مرتبة المجاهد وثوابه مثل ثواب المصلّي والصّيام المواظبين؟

قلنا: قد عرفت جواب مثل هذا السّؤال من القاعدة الممهّدة في تشبيه العمل اليسير بالعمل الكثير، لكن لا بأس لنا في إعادة تصرّحه، وتقريره، وتفصيله وتحريره عونًا للمبتدئين، ورأفة على المتعلّمين، لما عرفت أنّ إيراد جزئيات القاعدة وتقريرها، وإيراد الأمثلة وتكثيرها يحقّق القاعدة ويؤكّدها في ذهن السّامع.

فنقول: لا يلزم من التشبيه مساواة ثواب المجاهد لثواب الصّائم الملائم، والمصلّي القائم في المقدار والدرجة، لما عرفت أنّ فوائد التشبيه ليست بمنحصرة على بيان مساواة المشبّه والمشبّه منه في مقدار وجه الشبّه، فيجوز أن يرد هنا تشهير شرف المجاهد واشتراكهما في أصل الفضل والرّفعة، وأن يرد منه لازم التشبيه وهو التّحريض على الجهاد بالوجه البليغ.

/ [١٤٠و] لأنك إذا قلت في ثمرة حلوة: هي كالشّهد والسكر، يقوى اشتهاؤ السّامع في

٧٠٣ سنن الترمذي، الأحكام ٤؛ مسند أحمد، ١٧/٢٦٤؛ مصابيح السنة، ١٧/٣.

٧٠٤ صحيح مسلم، الإمارة ١٨٧٨.

تناولها، وإن كان يعلم أنّ حلاوتها لا تبلغ حلاوة السكر، وأثبتته من عرفك على عرف السامع<sup>٧٠٥</sup> الوارد على أسلوب البلغاء.

قال النبيّ عليه السّلام: «كلّ ميت يختم على عمله إلا الذي مات مرابطاً في سبيل الله، فإنّه ينمى له عمله إلى يوم القيامة، ويأمن من فتنة القبر»<sup>٧٠٦</sup>.

فإن قلت: هذا الحصر يناهض الحصر الذي في قوله عليه السّلام: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: علم ينتفع به، وولد صالح يدعو له، وصدقة جارية»<sup>٧٠٧</sup>.

قال بعض الشّراح في توفيقهما: ثواب عمل المرابط ينمو ولا يحدث مثله أمثاله ساعة فساعة، بخلاف الأعمال الثلاثة، فإنّ ثوابها يتزايد بترادف الأمثال.

وقال بعضهم: المرابط كمن وقف نفسه في سبيل الله، فيندرج في الصدقة الجارية. وقد جاء في الحديث: «من سنّ سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها»<sup>٧٠٨</sup>. والسنة الحسنة أيضاً من جملة العلم المنتفع به، فتندرج السنة الحسنة في الثلاثة.

ولا ينهدم بيان الحصر، وتفصيل ذلك الوجه أن يقال: علّة عدم انقطاع ثواب الصدقة الجارية؛ [٤٠١ ظ] كالمساجد والرّباطات والقناطر، انتفاع النّاس بها بعد الموت، وكذا علّة عدم انقطاع ثواب العلم النّافع، بأن يتعلّم النّاس ذلك العلم ويعمل به ويعلم غيره. وعلّة عدم انقطاع ثواب الأب الذي يولد من نطفته ولدٌ صالح، وجود المؤمن بسببه، وتزايد أمة محمّد صلى الله عليه وسلم بسببه.

ويندرج في تلك الثلاثة أمثالها بدلالة النّصّ أو القياس، فيكون واحد من الثلاثة دالّاً عليها، فلا يخرج عنها فلا يلزم التّدافع، فإنّ السنة الحسنة؛ كإحياء الآذان، والسّواك<sup>٧٠٩</sup>، وصلاة اللّيل، والاعتكاف وغير ذلك من شعائر الإسلام في موضع ترك فيه تلك الشّعائر والأعمال.

---

٧٠٥ ص، الشارح.

٧٠٦ سنن الترمذي، فضائل الجهاد ٢؛ مسند أحمد، ٣٩/٣٧٤؛ مصابيح السنة، ٤٧/٣.

٧٠٧ سنن الترمذي، الأحكام ٣٦؛ النسائي، الوصايا ٨.

٧٠٨ صحيح مسلم، العلم ١٠١٧؛ سنن ابن ماجه، الإيمان وفضائل الصحابة ١٤؛ مسند أحمد، ٣١/٥٣٦؛

مصابيح السنة، ١/١٥٦.

٧٠٩ ص، المسواك.

وإنَّ جهاد الغازي ينقطع به غلبة الكفَّار وإيذاؤهم ويستولي المسلمون عليهم، فيشتغل المسلمون بوظائف العبادات بحضور البال، وفراغ الحال ويستمرّون على ذلك بعد موت المجاهد، فيصل بذلك السبب مثل أجور العمّال والعباد إلى روح المحيي والمجاهد، فيكون الوارد في حقّ العالم المعلم، والمتصدّق بصدقة جارية، كالوراد في حقّ المرابط ومحيي السنّة. ويمكن أن يقال أيضًا: الحصر المستفاد/ [١٤١و] من قوله: «انقطع عمله إلا من ثلاثة» إضائي، فيكون عدم انقطاع ثواب العالم المعلم بالنسبة إلى الغير المعلم، وعدم انقطاع ثواب الولد الصّالح بالنسبة إلى غير الصّالح، أو بالنسبة إلى الأب الذي ليس له ولد، وعدم انقطاع ثواب المتصدّق بالصدقة الجارية بالنسبة إلى المتصدّق بغيرها، وعدم انقطاع ثواب المرابط بالنسبة إلى من لم يغز، لكنّ ظاهر قوله: «إذا مات ابن آدم»، «وكلّ ميّت» ينافي بظاهره هذا التّوجيه.

ويحتمل أن يكون الحصر ادعائيًا، أو المراد من الحصر المبالغة في كثرة الثّواب، كما تقول لرجل: ليس في الدّنيا سخّي إلا أنت، إذا أردت المبالغة. قال النّبّي عليه السّلام: «من قاتل في سبيل الله فواق ناقة فقد وجبت له الجنّة»،<sup>٧١٠</sup> وقال عليه السّلام: «لا يلج النّار من بكى من خشية الله، حتى يعود اللّبن في الضّرع، ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنّم في منخري مسلم أبدًا»<sup>٧١١</sup>. فإن قلت: لعلّ المقاتل فواق ناقة، أو من بكى من خشية الله ترك الصّلاة، أو قتل مسلمًا بغير حقّ، أو فعل كبيرة أخرى، فيدخل النّار بسببها فضلًا عن وجوب/ [١٤١ظ] دخول الجنّة.

قلنا: قد عرفت مرارًا توجيهه مثل هذا الحديث، بأنّ بعض الأحاديث مُقيّد بعضها ومُخصّص، أو كاشف عن إهامه ومبيّن إجماله، فلا بدّ من الجمع بين الحديثين المتدافعين في الظّاهر؛ لأنّ قائلهما واحد مصون عن الخطأ، فلا يجوز العمل ببعض كلامه وإهمال بعضه، فتأويل الأحاديث المذكورة أن يقال فيها: من شأن الجهاد والبكاء من خشية الله أن يكونا سببًا لدخول الجنّة من حيث أنّهما عبادة الله تعالى ووعد عليها بالجنّة، فإن لم يفعل المجاهد

٧١٠ سنن أبي داود، الجهاد ٤١؛ سنن الترمذي، فضائل الجهاد، ١٧؛ سنن الدارمي، ١/٥٧٢؛ مسند أحمد، ٤٥٩/١٦؛ مصابيح السنّة، ٤٧/٣.

٧١١ سنن الترمذي، فضائل الجهاد ٨؛ النسائي، الجهاد ٨؛ مسند أحمد، ١٦/٣٣٠؛ مصابيح السنّة، ٤٨/٣.

والباقي ما يقتضي دخول النار، يترتب عليهما مقتضاهما، وإن فعلا كليهما يدخل النار أوّلاً إن لم يوجد مزيل مقتضيهما، فيمكث فيها بقدر معاصيه ثم يدخل الجنة، فيترتب على كليهما مقتضاهما.

وقد عرفت أنّ الوجوب وعديّ، وأنّ كل عبادة سبب لدخول الجنة لوعده الله على مقتضى رحمته وكرمه إن لم يخطئ، وأنّ كل معصية سبب لدخول النار لم يحبس بسبب، وإنّ اختصاص بعض العبادة بالذكر دون غيرها، واختصاص بعض المعاصي بالذكر دون غيرها؛ لبيان زيادة قوّته في السببية، أو لاقتضاء / [١٤٢] [أو] الحال والمقام ذلك ما سبق بعض تفاصيله فلا تنس ذلك.

قوله: «حتى يعود اللبن في الضرع»، «وأبداً» بمنزلة قوله: «وجبت» وتوجيههما كتوجيهه في كونهما من مقتضى الوعد بدخول الجنة على العبادة، وكون ذكرهما للمبالغة في التحريض على الجهاد والبكاء من خشية الله تعالى لإظهار إنابتهما؛ لأنّ بذل المال والروح في سبيل الله والبكاء، يدلّ على قوّة القلب وكمال رفته وذلك من أعظم الأسباب.

ويمكن أن يقال: ذلك من قبل الاكتفاء وإقامة أشقّ الأعمال وأعظمها ولو بوجه خاصّ، مقام كلّها، فيكون الشروع في الجهاد والبكاء من خشية الله تعالى مستتبعان ومُستلزمان غيرهما من الأعمال والتّروك بحسب الغالب أو الادّعاء، فيكونان سببين قطعيين لدخول الجنة باقتضاء الوعد.

وإن لم يصل فهمك إلى استنباط معنى خاصّ مناسب للمقام في تأويل الأحاديث الثلاثة، فقل: المراد منها لوازمها؛ وهو التحريض على الجهاد والبكاء، وقد عرفت تفصيلها حتى يذهب التّردد عن بالك، وينكشف التّكدر عن حالك بتوهم مخالفتها للأصل.

[١٤٧] عن عبد الله بن حبشيّ أنّ النبيّ عليه السّلام / [١٤٢] [ظ] سئل، أيّ الأعمال أفضل؟ قال: «إيمان لا شكّ فيه، وجهاد لا غلول فيه، وحجّة مبرورة. قيل: فأيّ الصّلاة أفضل؟ قال: طول القنوت<sup>٧١٢</sup>. قيل: فأيّ الصّدقة أفضل؟ قال: جهد المقل. قيل: فأيّ الهجرة أفضل؟ قال: من هجر<sup>٧١٣</sup> ما حرّم الله عزّ وجلّ. قيل: فأيّ الجهاد أفضل؟ قال: من

٧١٢ ف، القيام.

٧١٣ ف، هاجر.

جاهد المشركين بماله ونفسه. قيل: فأَيُّ القتل أشرف؟ قال: من أهرق دمه وعقر جواده»<sup>٧١٤</sup>.

فإن قلت: قد ثبت بالنصّ الرَّاجح أنّ الصَّلَاة أفضل الأعمال الفرعية، كما سأل عبد الله بن مسعود رضى الله عنه، أَيُّ الأعمال أحب؟ قال عليه السَّلَام: «الصَّلَاة في وقتها»، ثمّ قال: أَيُّ؟ قال: «برّ الوالدين»، ثمّ قال: أَيُّ؟ قال: «الجهاد»،<sup>٧١٥</sup> فهم منه: أنّ الصَّلَاة، وبرّ الوالدين أفضل من الجهاد، إذ لا نزاع في أنّ الأُحَبَّ أفضل.

[١٤٨] وقال في بعض الأحاديث: «الدُّكْرُ خير الأعمال وأزكاها»، كما ذكر في الحديث السابق: «ألا أتبتكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم».

[١٤٩] وقال في بعض الأحاديث: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصَّيَام والصَّلَاة والصدقة؟ قالوا: بلى، قال: إصلاح ذات البين»،<sup>٧١٦</sup> فهم منه: أنّ إصلاح ذات البين أفضل من الصَّلَاة/ [١٤٣و] والصَّوْم والصدقة، فبالطَّرِيق الأولى يكون أفضل<sup>٧١٧</sup> من الجهاد.

وقال في بعض الأحاديث أيضًا: «جهاد النَّفس أفضل من جهاد الكفَّار»، فكيف قال هنا جهاد الكفَّار بالمال والنَّفس أفضل من سائر الجهاد؟

قلنا: قد عرفت مرارًا أن لا تناقض في كلام الشَّارع، وعرفت أيضًا وجوه توفيق الحديثين المتعارضين في الظَّاهر، واختلاف جهات التَّفضيل، واختصاص كلّ واحدة من العبادات الكثيرة بجهة مفضَّلة لا يوجد في غيرها.

فقل هنا: الإيمان أفضل الأعمال القلبية بالاتِّفاق، لكنّ الجهاد أفضل الأعمال الفرعية باعتبار أنّ فيه بذل النَّفس والالتزام بجراحات السيوف، والسَّهام والرِّماح المؤدِّي غالبًا إلى

---

٧١٤ سنن أبي داود، الوتر ٣٤٥؛ النسائي، الزكاة ٤٩؛ سنن الدارمي، ١/٣٦٠؛ مسند أحمد، ٢٤/١٢٢؛ مصابيح السنة، ٤٩/٣.

٧١٥ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ صحيح مسلم، الإيمان ٨٥؛ سنن الترمذي، البر والصلة ٢؛ مسند أحمد، ٥/٧؛ مصابيح السنة، ٢٥٢/١.

٧١٦ سنن أبي داود، الأدب ٥٧؛ سنن الترمذي، صفة القيامة والرقائق والورع ٥٦؛ مسند أحمد، ٤٥/٥٠٠؛ مصابيح السنة، ٣٨٦/٣.

٧١٧ ص -أفضل.

الموت، ويحمل مشقة السفر والانقطاع عن الأهل، والأولاد، والأقارب، والأوطان. والحج أيضاً أفضل الأعمال باعتبار الالتزام بتحمل متاعب السفر، ومنع النفس عن مشتبهاتها في الإحرام، والمفارقة عن الأوطان والأحباب من الأهل، والأولاد، والأقارب والإخوان. وجهاد المشركين أفضل من جهاد النفس؛ لأنّ فيه بذل النفس والروح، والالتزام / [١٤٣ظ]

بالجراحات.

وجهاد النفس أفضل منه باعتبار استمراره وتجدده؛ لأنّ النفس تدعو دائماً إلى الاشتغال بفضول المطعومات والمشروبات، والملبوسات والمنكوحات، والأعيان الصّومات، والحيوانات، والمسكن الطيبة، والرّثاسات والتعمّق في أسباب كلّها، ومنع النفس من كلّ واحدة منها على سبيل التعاقب والاستمرار، أمر مشكل وهذا من جهة النفس.

وأنت تعلم أنّ العوائق والنّوازع من جهة الشيطان والخلق أصعب ذلك، وقد عرفت بعض التفصيل فيه.

وإصلاح ذات البين أيضاً أفضل من الصّلاة، والصّوم والجهاد وسائر ما لا يبلغ درجة الصّلاة والصّوم في الفضيلة، باعتبار وجهة مفضّلة لا يوجد في غير إصلاح البين، لما عرفت أنّ العداوة بين المؤمنين إذا استحكمت، تؤدّي إلى اشتغال كلّ واحد منهما بإضرار الآخر باليد، واللّسان، والقلب والجنان، بل ربما يؤدّي إلى القتل بالسيف والسنان، وتزيل دينه، والإصلاح سبب لدفع هذه المفسدات، ونظر إلى المؤمنين بجهة الرّحمة والشفقة، وجانب لرأفة الله تعالى وعنايته.

وقد عرفت جهة فضيلة الصّلاة، والصّوم، / [١٤٤و] والزّكاة على غيرها بوجه آخر، فلا يلزم التعارض. وصدقة الفقير أفضل لزيادة انفعال النفس فيها، ودالاتها على كمال التوكّل وعن ملاحظة الأسباب وذلك أعلى الدّرجات، ولذا قال الله تعالى في مدحها: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢]. وقال تعالى: ﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩] وسبب المدح في كلّها بذل ما يحتاجون إليه ويحبّونه<sup>٧١٨</sup>. الدّال على كمال التوكّل الدّال على الكمال في التوحيد.

٧١٨ ف، ويحبون.

وإن أردت أن تختصر على مجرد<sup>٧١٩</sup> دفع التعارض بالجواب الأيسر والأسهل من غير التفات إلى الجواب الموافق والتحقق والتأويل المناسب والتدقيق، فقل: المراد من تفضيل الجهاد، والحج، وصدقة الفقير بصورة الإطلاق لازمه؛ وهو الترغيب فيها بوجه بليغ أكيد.

أو المراد هو الأفضلية باعتبار ذاتهما، لا باعتبار على غيرها، أو تفضيل كل واحد على صورة الإطلاق باعتبار المخاطب، بأن يكون الأهم له الجهاد أو الحج، أو صدقة ما يحتاج إليه. أو باعتبار الوقت والمقام كما طلب / [٤٤١ظ] رجل من النبي عليه السلام الوصية، فأوصاه بترك الغضب<sup>٧٢٠</sup>، وطلب آخر الوصية، فأوصاه بترك العجلة واختيار التأني، وطلب آخر النصيحة فقال: اعزل الأذى عن الطريق، وطلب آخر ملازمة أفضل الأعمال فأخبره بملازمة الذكر، وقد عرفت أن كل ذلك باعتبار الحال السائل.

قال النبي عليه السلام: «ما من غازية، أو سرية، تغزو فيغنموا ويسلموا، إلا كانوا قد تعجلوا ثلثي أجورهم، وما من غازية أو سرية، تحقق ويصابوا، إلا تم أجورهم»<sup>٧٢١</sup>.  
فإن قلت: الجهاد مع الغنيمة والتحفّظ عن النكبة في سبيل الله تعالى سبب نقصان الدرجة، فكيف يحصل بها ثلثا أجورهم في الجهاد؟

قلنا: الغنيمة وسلامة البدن نقصان الدرجة في الجهاد، وإذا كان المجاهد يجعلهما غرضاً من الجهاد، لكن إذا حصل بدون القصد إليهما وجعلهما غرضاً، لا يقدر في ثواب الجهاد، كما إذا لم يجعل العالم والعابد استمالة قلوب الناس، وتعظيمهم، وحصول الدنيا منهم، والرئاسة عندهم مقصودة وغرضاً، لا يضرب حصولها، لأن الله تعالى وعد إثابة المحسنين في الدنيا والآخرة، وعزّتهم ونصرتهم فيهما، وبقي فيه شيء آخر وهو / [٤٥١و] إطلاق الأجر على الغنيمة والسلامة.

ويمكن أن يقال فيه: المراد من الأجر، الحظّ لا الثواب، فالمعنى: «تعجلوا ثلثي حظوظهم» لأنّ في الجهاد حظّ البدن، وحظّ القوى الحيوانية والدواعي الشهوانية وحظّ الروح والقلب. فالسلامة حظّ البدن، والغنيمة حظّ القوى الشهوانية، والشهادة وإصابة النكبة في الجهاد

٧١٩ ف، مجود.

٧٢٠ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم: أوصني، قال: «لا تغضب، فردد مراراً قال

لا تغضب» أخرجه البخاري في صحيحه، الجمعة ٢١٧.

٧٢١ صحيح مسلم، الإمامة ١٩٠٦؛ مصابيح السنة، ٤٤/٣.

الموصلة إلى الدرجة الرفيعة؛ حظّ الرّوح في الآخرة، فلذا قال ثلثي أجورهم.  
 فإن قلت: معنى يخفق: ينهزم، وتخلو يده عمّا طلبه، ومعنى يصاب: يقتل أو يجرم فح لا  
 يحصل له الثّلاثان، فكيف قال: تمّ أجورهم؟  
 قلنا: ذلك من قبيل جعل أعظم الشّيء منزلة كلّه، كما قال النّبّي عليه السّلام: «التّدّم هو  
 التّوبة». ٧٢٢ «والحجّ عرفة» ٧٢٣.

### باب حكم الأسارى

[١٥٠] قال النّبّي عليه السّلام عند فداء أبي العاص زوج زينب بنت رسول الله صلّى الله  
 عليه وسلّم من خديجة رضي الله عنها بقلادة زينب، ليخلّص نفسه من الأسر لزيد بن حارثة  
 ورجل من الأنصار: «اذهبا مع أبي العاص، وامكثا في بطن ناجح حتى تأتي زينب  
 فتصحبها حتى تأتي بها إليّ» ٧٢٤.

فإن قلت: كيف أجاز النّبّي عليه السّلام مصاحبة ابنته مع رجلين/ [٤٥١ ظ] أجنبيّين من  
 مكّة إلى مدينة، وبينهما مسافة بعيدة لا تقطع إلا في أيّام عديدة، مع أنّه منع بعض أزواجه  
 عن رؤية ابن أم مكتوم أعمى، حتى قال فيه أفعمياوان أنتما؟ ومنع دخول أقارب الزّوج على  
 زوجته، حتى قال ٧٢٥ ألا جموها الموت؛ يعني ينبغي أن تفرّ الزّوجة عن مصاحبة أقارب الزّوج  
 كما تفرّ عن الموت؟

قلنا: أن يكون المنع من مصاحبة المرء مع الأجنبي عزيمة، وجوازها رخصة، إذا اعتمد على  
 المصاحب. ويجوز أن يطّلع النّبّي عليه الصّلاة والسّلام على أمانة الرّجلين وديانتهم، فأجاز  
 مصاحبتهم مع ابنته، ولا يجوز ذلك الحكم لغيره؛ لانعدام علّته.

ويجوز أن لا يجرم مصاحبة الأجنبي في ذلك الوقت ثمّ حرّمت؛ لأنّ الأمور الشرعيّة لا يدرك  
 بالعقل، ولذا قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا  
 أَلَكْتُبُ وَلَا الْإِيمَنُ﴾ [الشورى: ٥٢]. ولذا لم يمنع النّبّي عليه السّلام أزواجه عن الخروج  
 للحاجة بدون الجلباب، حتّى أغار عمر رضي الله عنه على ذلك وتكلّم فيه، فأنزّل الله تعالى

٧٢٢ سنن ابن ماجه، الزهد ٣٠، مسند أحمد، ٣٧/٦.

٧٢٣ سنن الترمذي، الحج ٥٧؛ سنن ابن ماجه، المناسك ٥٧؛ مسند أحمد، ٦٤/٣١؛ مصابيح السنة، ٢/٢٩٢.

٧٢٤ سنن أبي داود، الجهاد ١٢٩؛ مصابيح السنة، ٨٩/٣.

٧٢٥ ص، +فيه.

الآية تصديقاً له وهي: / [١٤٦و] ﴿يَنْسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَحْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [الأحزاب: ٣٢-٣٣] وزوج ابنته الكافر، وأجاز شعيب عليه السلام رعي غنمه وسقيها ابنتهما مع مصاحبة الأجنب.  
ويمكن أن يقال: لعل النبي عليه السلام شرطه فيه مصاحبة ذي رحم مُحَرَّم مع زينب، وإن لم يذكر ذلك؛ لأنَّ ترك ذكره يدلُّ على انعدامه في نفس الأمر.

### باب الجزية

[١٥١] قال النبي عليه السلام: «لا تصلح قبلتان في أرض واحدة، وليس على المسلم جزية»<sup>٧٢٦</sup>.

واختلف الشراح في توجيهه:

\* قال البعض: معناه: لا يستقيم دينان في أرض على سبيل المظاهرة، ولا يصحَّ لمسلم أن يتوطن في دار الحرب؛ لكيلا توضع عليه الجزية ونواب الكفار، ولا يمكن الحربيَّ المستأمن في دار الإسلام إلا ببذل الجزية، ولا يؤذَنُ للذميَّ أن يُظهِرَ شعائر دينه<sup>٧٢٧</sup>.  
\* وقال البعض: المراد منه إجلاء اليهود والنصارى من جزيرة العرب<sup>٧٢٨</sup>. واعترض عليه بأنَّ لفظ الحديث عامٌّ، فلا وجه لتخصيصه.

٧٢٦ سنن الترمذي، الزكاة ١١؛ مسند أحمد، ٣/٤١٨؛ مصابيح السنة، ٣/١١٠.

٧٢٧ هذا ما ذهب إليه التوريشي والبيضاوي في شرحهما على مصابيح السنة، قال التوريشي: معنى قوله (لا تصلح قبلتان) أي: لا يستقيم دينان بأرض على سبيل المظاهرة والمعادلة، أما المسلم فليس له أن يختار الإقامة بين ظهري قوم كفار، وأما الذي يخالف دينه دين الإسلام، فلا يمكن عن الإقامة في بلاد الإسلام إلا ببذل الجزية، ثم لا يؤذَنُ له في الإشادة بدينه، والإشاعة بشعائره. انظر: الميسر في شرح مصابيح السنة، ٣/٩٢٦.  
وقال البيضاوي: لا يستقيم دينان، ولا يكون لهما ظهور وغلبة في أرض واحدة، لما بينهما من التضاد والتخالف فحيث ظهر فيه الكفر واستعلى فعلى المسلم أن يهاجر عنه، ولا يصلح له أن يقيم ثمة، وحيث ظهر فيه الإسلام واستولى عليه المسلمون فينبغي أن يظهر من الكفر، ولا يمكن سائر أرباب الملل أن يشيعوا فيه دينهم ويظهروا شعائره. انظر: تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة، ٣/٥٤.

٧٢٨ هذا ما ذكره التوريشي في شرحه على مصابيح السنة حيث قال: ذهب بعض أهل العلم إلى أنَّ المعنى الراجح: إجلاء اليهود والنصارى من جزيرة العرب. مستدلين بقوله عليه السلام: «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب». وقال أيضاً: وليس لفظ الحديث بمنى عما ادعاه؛ لأنَّ قوله: (بأرض واحدة) يقتضي معنى العموم. انظر: الميسر في شرح مصابيح السنة، ٣/٩٢٦.

\* وقال البعض: لا يوضع الخراج والجزية على المسلم.

\* / [٤٦ ظ] وقال البعض: المراد منه أنّ من أسلم من أهل الذّمة قبل أداء الجزية والخراج لا يطالب فيه<sup>٧٢٩</sup>، قال شارح المشكاة: هذا القول سديد ومناسب لإيراد الحديث في فصل الجزية.

قلنا: لا يلزم من إيراد محيي السنّة هذا الحديث في باب الجزية أن يكون معناه ذلك، وقد بين في حديث آخر أنّ المراد من هذا الحديث إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب. قال عمر رضي الله عنه: إني أريد أن أجليكم من هذه الأرض، فأني سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لأخرجنّ اليهود، والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع<sup>٧٣٠</sup> فيها إلا مسلماً»<sup>٧٣١</sup>، وفي رواية «لئن عشتُ لأخرجنّ إن شاء الله تعالى»<sup>٧٣٢</sup>.

وقال أيضًا في تلك القضية: لا يكون قبلتان في بلدة واحدة، والمراد من البلدة: مكّة والمدينة، فيكون المراد من أرض واحدة أيضًا مكّة والمدينة، لما عرفت أنّ بعض الأحاديث مُقيّدٌ ومُخصّصٌ ببعض باعتبار الزّمان، أو المكان، أو بجهة، أو اعتبار آخر.

ويمكن أن يقال فيه أيضًا: لا يصلح قبلتان بيان الأصل والعزيمة، فإنّ الإنسان خلق لفطرة الإسلام/ [٤٧ و] والإيمان، وعدم جبر أهل الذّمة على الإيمان لمصلحة واقتضاء زمان. أو المراد من قوله: لا يصلح قبلتان على تقدير أن يكون كل واحد من أهل القبلة مستقلًا، بأن يكون لكلّ واحد أمر خاصّ وحاكم مخصوص؛ لأنّ ذلك يؤدّي إلى الفساد والتّقاتل، وقوله: «ليس على المسلم جزية» بيان فائدة أخرى وهي: أن لا يطلب جزية الكافر بعد الإسلام، أو لا يوضع الجزية على المسلم ابتداءً.

### كتاب الأطعمة

[١٥٢] قالت عائشة رضي الله عنها: «ما شبع آل محمّد من خبز الشعير يومين متتابعين

---

٧٢٩ ص، منه. / هذا ما ذهب إليه البيضاوي في شرحه، قال: المقصود من قوله عليه السلام: «ليس على المسلم جزية»: أنّه تسقط الجزية عن من أسلم من أهل الذمة في أثناء المدة ولا يجب عليه شيء. انظر: تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة، ٥٤/٣.

٧٣٠ في ص، ف: زيادة (فيها) وهي ليست مذكورة عند مسلم.

٧٣١ صحيح مسلم، الجهاد والسير ١٧٦٧؛ مسند أحمد، ٣٢٩/١؛ مصابيح السنة، ١١٦/٣.

٧٣٢ سنن الترمذي، السير ٤٣. (في سنن الترمذي لفظ: إن شاء الله مذكور قبل لأخرجن).

حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم»<sup>٧٣٣</sup>.

[١٥٣] وقالت: «توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما شعبنا من الأسودين»،<sup>٧٣٤</sup> أرادت  
بهما التمر والماء على سبيل التغليب.

[١٥٤] قال أبو هريرة: «خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدنيا ولم يشبع من خبز  
الشعير»<sup>٧٣٥</sup>.

فإن قلت: قد ثبت أنّ النبي عليه السلام وأهله يأكل في ليالي رمضان، وعند الضيافة إلى  
حدّ الشبّع، وأكلوا اللحم والمرق والسمن وغيرها، كما قال أبو هريرة في الضيافة التي كان أبو  
بكر وعمر مع النبي عليه السلام أكلوا من الشاة / [٤٧١ ظ] ومن العذق، وشربوا من الماء  
العذب، فلما أن شعبوا ورووا، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وعمر: «والذي  
نفسي بيده، لتسألنّ عن هذا النعيم يوم القيامة، أخرجكم من بيوتكم الجوع، ثمّ لم ترجعوا  
حتى أصابكم من هذا النعيم»<sup>٧٣٦</sup>.

[١٥٥] عن عبد الله بن بسر قال: كان للنبي عليه السلام قصعة يحملها أربعة رجال يقال  
لها: الغراء، فلما أضحوا أو سجدوا الضحى، أتى بتلك القصعة وقد ثرد<sup>٧٣٧</sup>، فالتفوا عليها،  
فلما كثروا جثى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال أعرابي: ما هذه الجلسة؟ فقال عليه  
السلام: «إنّ الله جعلني عبداً كريماً، ولم يجعلني جباراً عنيداً»، ثمّ قال عليه السلام: «كلوا  
من جوانبها، ودعوا ذروتها تبارك فيها»<sup>٧٣٨</sup>.

فعلى هذا يكون معنى ما شعب آل محمد من خبز الشعير يومين، وما شعبنا من الأسودين،  
ولم يشبع النبي من خبز الشعير: نفي الشبّع المشبه بشبّع المترفين. ويجوز أن يكون المراد منه  
نفي الاعتیاد على الأكل إلى الشبّع كعادة المتنعّمين. وكذا المراد من قول أنس: ما أعلم النبي

---

٧٣٣ صحيح مسلم، الزهد والرفائق ٢٩٧٠؛ سنن الترمذي، الزهد ٣٨؛ مسند أحمد، ٤١/٢٠٤؛ مصابيح السنة،  
٤٣١/٣.

٧٣٤ صحيح مسلم، الزهد والرفائق ٢٩٧٥؛ مسند أحمد، ٤١/٤٣٢؛ مصابيح السنة، ٣/١٥٦.

٧٣٥ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ مصابيح السنة، ٣/١٥٦.

٧٣٦ صحيح مسلم، الأشربة ٢٠٣٨؛ مصابيح السنة، ٣/١٧١.

٧٣٧ ص، +فيها.

٧٣٨ سنن أبي داود، الأطعمة ١٧؛ مصابيح السنة، ٣/١٧٣.

عليه السلام رأى رغيماً مرققاً حتى لحق بالله، ولا رأى شاةً سميطاً بعينه قطّ، وما رأى النبي وما/ [١٤٨و] رأى منحلاً من خبز يبعثه الله حتى قبضه؛ لأنّ النبي عليه السلام قد أكل الحلوى، و الشواء والخبز المرقق والخبز المنقى حنطته في بعض الأوقات، كما قال عمرو بن أمية: «أنّ النبي عليه السلام يقطع من كتف شاة في يده، فدعي إلى الصلاة فألقاها والسكين الذي يجترّ بها، ثمّ قال: قام وصلى ولم يتوضأ»<sup>٧٣٦</sup>. وقالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبّ الحلوى والعسل، وقالت: قال: «أحبّ الشراب إلى رسول الله الحلو البارد»<sup>٧٤٠</sup>، وقالت: «كان يأتي علينا الشهر ما نوقد ناراً إلا أن يؤتى باللحم»<sup>٧٤١</sup>.

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «وددت أن عندي خبزة بيضاء من برة سمراء ملبقة بسمن ولبن، فقام رجل من القوم، فأثخذه، فجاء به، فقال: "في أيّ شيء كان هذا"، قال: في عكة ضبّ، قال: ارفعه»<sup>٧٤٢</sup>.

قال أبو أيوب: «كان النبي عليه السلام إذا أتى بطعام أكل منه وبعث بفضله<sup>٧٤٣</sup> إليّ»<sup>٧٤٤</sup>. وظواهر ما ذكرنا يدلّ على أنّ النبي عليه السلام يأكل لحمًا سمينًا، وخبز حنطة منقى، ويأكل حلواً<sup>٧٤٥</sup> وعسلًا كما اشتهر ذلك، إلاّ أنّه لا يعتاد على ذلك ولا يطلبه، وإذا رزق ذلك بدون/ [١٤٨ظ] الطّلب والتكلف يأكل، وإلاّ لا؛ لأنّه اختار الرياضة والقناعة ومقدار سدّ الرّمق في المطعم، والمشرب، والملبس، والمسكن، والفقر والفاقة، والتّواضع والمسكنة.

ويمكن أن يقال: نفت عائشة وأبو هريرة رضي الله عنهما شبعه باعتبار علمهما ورؤيتهما، لا باعتبار نفس الأمر، مع أنّ الشّبع أمر وجداني لا يطّلع على حقيقته إلاّ الأكل، وكذا

٧٣٩ صحيح البخاري الجمعة ٢١٧؛ صحيح مسلم، الحيز ٣٥٥؛ سنن الدارمي، ١/٢٣٧؛ مسند أحمد، ١٥٣/٢٩؛ مصابيح السنة، ١٥٢/٣.

٧٤٠ سنن الترمذي، الأشربة ٢١؛ مسند أحمد، ١٢٠/٤٠؛ مصابيح السنة، ١٨٠/٣.

٧٤١ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ مصابيح السنة، ١٥٥/٣.

٧٤٢ سنن أبي داود، الأظعمة ٣٨؛ سنن ابن ماجه، الأظعمة ٤٧؛ مصابيح السنة، ١٦٦/٣.

٧٤٣ في المخطوطتين ص، ف فضله.

٧٤٤ صحيح مسلم، الأشربة ٢٠٥٣؛ مسند أحمد، ٥٠٧/٣٨؛ مصابيح السنة، ١٥٦/٣.

٧٤٥ ص، حلواء.

تأويل قول أنس: «ما أعلم النَّبِيَّ عليه السَّلَام رأى رَغِيْفًا مَرَقَّقًا، وشاةً سَمِيْطًا»<sup>٧٤٦</sup> وخَبْرًا نَقِيًّا؛ لأنَّ أنسًا لم يصاحب نَبِيَّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين بعث إلى أن توفِّي، بحيث لا ينفك عنه يوم وليلة.

أو يقال: المراد من الشَّبَعِ المنفي؛ الشَّبَعِ الذي يعتاد عليه الكفَّار، كما قال النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «المؤمن يأكل ويشرب في معي»<sup>٧٤٧</sup> واحد، والكافر يأكل ويشرب في سبعة أمعاء»<sup>٧٤٨</sup> لأنَّ المؤمنين ينبغي أن يأكلوا على قدر الكفاية والطاقة على الطَّاعة، لا على وجه التَّعَمُّ وتكثير الشهوة، كما قال النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «طعام الواحد يكفي الاثنين، وطعام الاثنين يكفي الأربعة، وطعام الأربعة يكفي الثَّمَانِيَةَ»<sup>٧٤٩</sup>.

أو المراد من نفي الشَّبَعِ عن خبز الشَّعِيرِ لازمه وهو/ [١٤٩و] اختيار النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَام الجوع والرَّيَاضَةَ.

### كتاب اللباس

[١٥٦] قال النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من لبس ثوبًا فقال: الحمد لله الذي كساني هذا ورزقنيه، من غير حول مِئِّي ولا قوَّة، غفر له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر»<sup>٧٥٠</sup>. فإن قلت: المظالم لا تغفر بالتَّوْبَةِ، والكبائر لا يغفر بالطَّاعة بدون التَّوْبَةِ، فكيف العمل بعموم قوله: «غفر ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر»؟

قلنا: قد عرفت من القواعد السَّالفة أنَّ بعض الحديث يتقيَّد بالبعض، فقال: المراد ممَّا بعده وما تأخَّر؛ الصَّغَائِرُ.

٧٤٦ ص، ف سميئًا. / مسند أحمد، ٢١/٢١١.

٧٤٧ ف، معاء.

٧٤٨ روى الإزنيقي حديثين معًا ولفظهما: قال صلى الله عليه وسلم: «المؤمن يأكل في معي واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء» أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الجمعة، ٢١٧؛ وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب الأشربة، رقم الحديث (٢٠٦١). والحديث الثاني: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المؤمن يشرب في معي واحد، والكافر يشرب في سبعة أمعاء» أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الأشربة رقم الحديث (٢٠٦٣). وأخرجه الترمذي في سننه، أبواب الأطعمة، باب ما جاء أنَّ المؤمن يأكل في معي واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء.

٧٤٩ صحيح مسلم، الأشربة ٢٠٥٩؛ سنن الترمذي، الأطعمة ٢١؛ سنن ابن ماجة، الأطعمة ٢؛ سنن الدارمي،

٤٩٣/١؛ مسند أحمد، ١٥/١٥٨؛ مصابيح السنة، ٣/١٥١.

٧٥٠ سنن الدارمي، ١/٦٤٥؛ مصابيح السنة، ٣/١٩٧.

فإن قلت: الصغائر أيضاً لا يغفر إلا بأداء الفرائض واجتناب الكبائر، كما قال النبي عليه السلام: «الصلوات الخمس<sup>٧٥١</sup>، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفّرات ما بينهنّ إذا اجتنب الكبائر»<sup>٧٥٢</sup>.

قلنا: ذلك الحديث لا يدلّ على الحصر والتّخصيص. فحديث الحمد أيضاً يدلّ على أنّ الصغائر تغفر به وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ أَلْسِيَّاتٍ﴾ [هود: ١١٤] يدلّ بظاهره على أنّ الصغائر تمحى بكلّ حسنة وطاعة، وبعض المفسرين يقولون: أنّ المراد من الحسنات الصلوات بقرينة قوله تعالى قبله: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ﴾ [هود: ١١٤]، / [١٤٩ظ] وهذا ليس بدليل قطعيّ في التّخصيص، إذ يجوز أن يراد من الحسنات جميع الطاعات، ويندرج فيها الصلاة اندراجاً أولياً، ويؤيّد ما قلنا قوله عليه السلام: «أتبع السيئة الحسنة تمحها»<sup>٧٥٣</sup>. ولو سلّم تخصيص الطاعات بالفرائض، واجتناب الكبائر في محو السيئات الصغائر.

قلنا: الحمد على النعمة واجب؛ لوجوب الشكر لما عرفت<sup>٧٥٤</sup>، وترك الحسد والرياء، والبخل، والعجب والكبرياء، والكذب والغيبة والرياء وأمثالها من الأخلاق المحمودة والمذمومة واجبة؛ لما ورد فيها من الأوامر والنواهي من الأخبار والآيات.

فإن قلت: نسلم ذلك، لكن في محو الصغائر ترك الكبائر شرط، فلعلّ الحامد المذكور لم يراع ذلك الشرط.

قلنا: قوله عليه السلام: «من لبس ثوباً فقال الحمد لله» يدلّ على أنّ ذلك اللابس عبد شكور ومتوكّل على الله؛ لأنّ من حمد الله تعالى عند وصول نعمة اللبس، يحمّد في غيرها من النعم العظام. وقوله: «من غير حول منّي ولا قوّة» يدلّ على أنّه لا يلاحظ الأسباب ولا يرى لغير الله تعالى قدرة ولا تأثيراً في وصول نعمة / [١٥٠] اللبس ولا في غيره، وذلك أعلى مقامات التوكّل، فلا يبعد أن يكون ذلك الحمد التامّ، والتوكّل العام سبباً لمغفرة

٧٥١ في المخطوطتين ص، ف روي الحديث بلفظ: «الصلوة إلى الصلاة»

٧٥٢ صحيح مسلم، الطهارة ٢٣٣؛ مسند أحمد، ١٥/١٠٦؛ مصابيح السنة، ١/٢٥٠.

٧٥٣ في المخطوطتين ص، ف داء الحديث بلفظ: «أتبع الحسنة السيئة تمحها». / سنن الترمذي، البر والصلة ٥٥؛

سنن الدارمي، ١/٦٦٨؛ مسند أحمد، ٣٥/٢٨٤؛ مصابيح السنة، ٣/٣٩٨.

٧٥٤ ص + أنّ الحمد والشكر على النعماء والتوكّل والصبر على البلاء.

الصَّغَائِرَ، بل لمحو الكبائر إذا وقع في محلّ القبول، لما عرفت وجهه.  
وقلنا: من يصل ذلك المقام يفعل جميع الفرائض، ويجتنب عن جميع الكبائر، فيغفر صغائره  
بالحمد والتَّوَكُّل. فإن قلت: إذا فعل الفرائض واجتنب الكبائر تكفّر صغائره بسببها، لا  
بالحمد.

قلنا: يجوز تعدّد الأسباب الشرعيّة وإضافة التَّكْفِير إلى كلِّ واحد منها، أو قلنا: المراد من  
غفران ما تقدّم وتأخّر لازمه؛ وهو التَّحْرِيز على الحمد والتَّوَكُّل بالوجه الأبلغ.  
فإن قلت: الوجوه المذكورة لا تستقيم في قوله: «ما تأخّر»؛ لأنّ الذنب الغير الموجود لا  
يتعلّق به عقاب ولا غفران.

قلنا: المراد من المغفرة الحفظ عن ضرر المعصية، ففي الحاصل بالحو وفي المتوقّع بالصَّوْن،  
فتأمّل فيما قلت من احتمالات الكلام، واستنبط منها ما يناسب المقام، وقد عرفت أنّ أمثاله  
لتشحيذ أفهام بعض الأنام.

[١٥٧] قال النَّبِيُّ عليه السَّلَام: «إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ»<sup>٧٥٥</sup>.  
عن أبي الأحوص الجشمي / [١٥٠ظ] عن أبيه قال: «رَأَى النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَام وَعَلِيَّ  
أَطْمَارًا<sup>٧٥٦</sup>، فقال: هل لك من مال؟ قلت: نعم، قال من أيِّ المال؟ قلت: من كلِّ قد آتاني  
الله من الشَّاء والإبل، قال: فليَرَ أَثَرَ نِعْمَةِ اللَّهِ وَكَرَامَتِهِ عَلَيْكَ»<sup>٧٥٧</sup>.

فإن قلت: قال النَّبِيُّ عليه السَّلَام: «إِنَّ الْبِدَاذَةَ<sup>٧٥٨</sup> مِنَ الْإِيمَانِ»<sup>٧٥٩</sup>، وقال: «مَنْ لَبَسَ ثَوْبَ  
شَهْرَةٍ فِي الدُّنْيَا، أَلْبَسَهُ اللَّهُ ثَوْبَ مِذْلَةٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>٧٦٠</sup>، وقال: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ  
مِنْهُمْ»<sup>٧٦١</sup>، وقال: «مَنْ تَرَكَ لِبْسَ ثَوْبٍ<sup>٧٦٢</sup> جَمَالَ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ، وَيُرْوَى: تَوَاضَعًا كَسَاهُ اللَّهُ

٧٥٥ سنن الترمذي، الأدب ٥٤؛ مسند أحمد، ١٣/٤٦٨؛ مصابيح السنة، ٣/١٩٩.

٧٥٦ أطمار: وهي جمع طمر وتعني الثوب الخلق، والكساء البالي من غير الصوف. انظر: لسان العرب، ٤/٥٠٣.

٧٥٧ مسند أحمد، ٢٥/٢٢٢؛ مصابيح السنة، ٣/١٩٩.

٧٥٨ البدازة: رثاء الهيئة، أي ترك مداومة الزينة أي أراد التواضع في اللباس. انظر: لسان العرب، ٣/٤٧٧.

٧٥٩ سنن أبي داود، الترجل؛ سنن ابن ماجه، الزهد ٤؛ مسند أحمد، ٣٩/٤٩٣؛ مصابيح السنة، ٣/١٩٨.

٧٦٠ سنن ابن ماجه، اللباس ٢٤؛ مسند أحمد، ٩/٤٧٦؛ مصابيح السنة، ٣/١٩٨.

٧٦١ سنن أبي داود، اللباس ٥؛ مصابيح السنة، ٣/١٩٨.

٧٦٢ لفظ: (ثوب) ليس المذكور في المخطوطتين ص، ف.

حَلَّة الكرامة»<sup>٧٦٣</sup>.

فهذه الأحاديث يدلّ على أنّ لبس لباس الأغنياء ليس ممدوحًا، والحديث السابق يدلّ على أنّ لبس لباس الجمال وثياب الأغنياء ممدوح.

قلنا: قد عرفت توفيق مثل ذلك التّدافع الظّاهريّ بتخريج جهة المغايرة بين الحكّمين المتعارضين، فقل: هنا يجوز أن يكون البذاذة، أي: رثاءة الهيئة، وترك الرّينة محبوبة وممدوحة بالنّسبة إلى الفقراء، ومبغوضة بالنّسبة إلى الأغنياء، وقوله: «وهو يقدر<sup>٧٦٤</sup> عليه» لا يدلّ على الغناء، بل يدلّ على قدرته على لبس لباس الجمال، وهو مباح يعدّ من الحوائج الأصليّة بالنّسبة إلى العوام وأهل الدّنيا.

ويجوز أن يقال: تركّ / [١٥١و] لبس لباس الجمال محبوب للأغنياء الذين ظهر غناؤهم، ولبسه مرغوب للذين لم يظهر غناؤهم؛ لمصلحة أن يسأل المحتاجون حوائجهم عنه، وقوله عليه السّلام: «يحبّ أن يرى أثر نعمته على عبده» يرشد إلى ذلك.

وقد عرفت جواز اجتماع الوجوه المتغايرة في شيء واحد، فيكون لبس ثوب الجمال مباحًا بل ممدوحًا، إذا تضمّن أمرًا مشروعًا؛ كإظهار الغنيّ لمصلحة الفقراء، أو لإظهار شرف العلم والخلافة ومهابتُهما، أو لصون العوام عن الإثم لاعتيادهم بازدراء من كان في زيّ الفقراء، أو لاستمالة قلب زوجته ودفع كرامتها، وغيرها من المصالح المشروعة التي لا يطّلع عليها ولا يعتبر بها إلاّ العلماء مكشوفو القلوب وأهل الاعتبار؛ فإنّهم يثابون بالأمر الشّهوانية لتصحيح نيّاتهم ومشروعية اعتباراتهم.

كما أنّ الجهلاء كثيرًا ما يأمّون بطاعتهم بسبب الرّياء، وطلب الدّنيا وحفظ مناصبهم بها، وتفصيل هذا الباب طويلة جدًّا؛ لأنّه من تفاريع علم الأخلاق الذي هو أشرف وأهمّ من علم الأعمال، واصرف همّك وعزمك إلى معرفة تفاصيلها، ففيه إصلاح / [١٥١ظ] قلبك.

### باب التّرجل

[١٥٨] عن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال: «مرّ على النّبيّ عليه السّلام رجل قد خضب بالحنّاء، فقال: ما أحسن هذا. قال: فمرّ آخر قد خضب بالحنّاء والكتّم، فقال: هذا

<sup>٧٦٣</sup> سنن أبي داود، الأدب ٣؛ مصابيح السنة، ١٩٨/٣.

<sup>٧٦٤</sup> ف، قوله.

أحسن من هذا، ثم مرّ آخر قد خضب بالصّفرة، فقال: هذا أحسن من هذا كله»<sup>٧٦٥</sup>.  
 عن ابن عمر رضي الله عنهما: «عن رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم كان يلبس الثياب  
 السّبتية، ويصفرّ لحيته بالورس والزّعفران، وكان ابن عمر يفعل ذلك»<sup>٧٦٦</sup>.  
 فإن قلت: قال أنس رضي الله عنه: نهى النّبّي عليه السّلام أن يتزعفر الرّجل حتّى قال عليه  
 السّلام: «لا يقبل الله<sup>٧٦٧</sup> صلاة رجل في جسده شيء من خلوق<sup>٧٦٨</sup>»<sup>٧٦٩</sup>.  
 عن عمّار بن ياسر قال: «قدمت على أهلي وقد تشققت يداي، فخلّقوني بزعفران،  
 فغدوت إلى النّبّي صَلَّى الله عليه وسلّم فسلمت عليه، فلم يردّ عليّ وقال: اذهب فاغسل  
 هذا»<sup>٧٧٠</sup>.

[١٥٩] وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال النّبّي عليه السّلام: «طيب الرجال ما  
 ظهر ريحه وخفي لونه، وطيب النساء ما ظهر لونه وخفي ريحها»<sup>٧٧١</sup>.  
 قالت عائشة رضي الله عنها: كان حبيبي يكره ريح الحنّاء، [١٥٣] وقال عليه السّلام: «لا  
 أركب الأرجوان، ولا ألبس المعصفر»<sup>٧٧٢</sup>، ورأى على عمرو بن العاص ثوبًا معصفرًا فكرهه  
 فانطلق فأحرق.

فهذه الأحاديث يدلّ / [١٥٢] على استعمال الحنّاء، والزّعفران، والمعصفر مكروه.  
 والأحاديث السابقة يدلّ على أنّها ليس بمكروه بل هي حسن، فما التّوفيق بينهما؟  
 قلنا: وجه التّوفيق هنا يجوز أن يكون بيان اختلاف المحلّ، بأن يكون لون الصّفرة منهياً في  
 الرّجل فيما سوى اللّحية؛ كاليد، والرّجل، واللبّاس. وكذا الحنّاء والكتم، يجوز أن يكون منهياً  
 في غير اللّحية وشعر الرّأس لا فيهما، بقريضة أنّ النّبّي عليه السّلام أمر بتغيير شيب الرّأس  
 واللّحية تحامياً عن التّشبه باليهود، ونهى أيضاً عن تغييرهما بالسّواد؛ لأنّ ذلك فعل الكفّار

٧٦٥ سنن أبي داود، التّرجل ١٩؛ سنن ابن ماجه، اللباس ٣٤؛ مصابيح السنة، ٢٢٣/٣.

٧٦٦ سنن أبي داود، التّرجل ١٨؛ النسائي، الزينة ٦٤؛ مصابيح السنة، ٢٢٣/٣.

٧٦٧ لفظ: «الله» جل جلاله غير موجود في مخطوطة ف.

٧٦٨ في المخطوطتين ص، ف الخلق.

٧٦٩ سنن أبي داود، التّرجل ٧؛ مصابيح السنة، ٢٢٠/٣.

٧٧٠ سنن أبي داود، التّرجل ٧؛ مسند أحمد، ١٨٣/٣١؛ مصابيح السنة، ٢٢٠/٣.

٧٧١ سنن الترمذي، الأدب ٣٦؛ النسائي، الزينة ٣٢؛ مصابيح السنة، ٢٢٠/٣.

٧٧٢ سنن أبي داود، اللباس ١١؛ مسند أحمد، ١٨٥/٣٣؛ مصابيح السنة، ٢٠٠/٣.

أيضاً. واستحسن فعل من غير لحيته بالحناء، والكتم، والصفرة، وغير أيضاً لحيته بالورس والرّعفران، ففهم المراد من قوله بفعله.

وقد عرفت، أنّ بعض الأحاديث يزيل إبهام بعضها، ويقيده أو يخصّصه، ونظير ذلك أنّ النبيّ عليه السّلام نهى عن التّف والمياثر مطلقاً، ثمّ قال في بعض الأحاديث، أنّ نتف الإبط سنّة، ونهى ببعض كلامه عن مياثر الأرجوان وعن الميثرة الحمراء، ففهم منه أنّ المنفي نتف شعر الوجه، واللّحية، والحاجب والميثرة الملوّنة / [١٥٢ظ] بالحرمة.

[١٦٠] وقال في بيان مهر الرّوجة: «التمس ولو خاتماً من حديد»<sup>٧٧٣</sup>، ثمّ رأى رجلاً يتختم بالخاتم من الشّبة والحديد وأنكر، وقال: «ما لي أجد منك ربح الأصنام»<sup>٧٧٤</sup>، فطرّحه ثمّ جاء وعليه خاتم من حديد، فقال: ما لي أرى عليك حلية أهل النّار<sup>٧٧٥</sup> «<sup>٧٧٦</sup>»، فعلم منه أنّ المراد من قوله: «ولو خاتماً من حديد»، بيان أن لا بدّ في النّكاح من المهر ولو كان شيئاً قليلاً كعشرة دراهم.

ونهى عن تغيير الشّيب، ثمّ غير شبيهه بالصفرة، وقال حين رأى أبي قحافة يوم فتح مكّة رأسه أبيض كالنعامة، غيروا هذا بشيء واجتنبوا السّواد، فهم منه أنّ المراد من تغيير الشّيب؛ تغييره بالصفرة والحناء.

[١٦١] وقال عليه السّلام: «وقرّوا<sup>٧٧٧</sup> اللّحي»<sup>٧٧٨</sup>، ثمّ قصّ عن لحيته من طولها وعرضها ما تناثر وخرج من أمثاله، فهم منه أنّ المنهي قصّ اللّحية كقصّ الافرنج والأعاجم.

[١٦٢] وقال عليه السّلام: «لعن الله الواصلة والمستوصلة»<sup>٧٧٩</sup>، فهم من ظاهر الحديث أنّ مطلق وصل الشّعر إلى شعر نفسها حرام، لكن بيّن بحديث آخر الحرام؛ وصل شعر غيرها

---

٧٧٣ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ النسائي، النكاح ٦٩؛ موطأ مالك، ٥٢٦/٢؛ مسند أحمد، ٤٩٨/٣٧؛  
مصاييح السنة، ٢٠٨/٣.

٧٧٤ في المخطوطتين ص، ف ما لي أراك ربح الأصنام.

٧٧٥ في المخطوطتين ص، ف وحلية أهل النار.

٧٧٦ سنن الترمذي، اللباس ٤٣؛ مصاييح السنة، ٢٠٨/٣.

٧٧٧ في المخطوطتين ص، ف أوفروا.

٧٧٨ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ مصاييح السنة، ٢١٤/٣.

٧٧٩ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ صحيح مسلم، اللباس والزينة ٢١٢٢؛ سنن الترمذي، اللباس ٢٥؛

النسائي، الزينة ٢٣؛ سنن ابن ماجه، النكاح ٥٢؛ مسند أحمد، ٥٣٧/٤٤؛ مصاييح السنة، ٢١٦/٣.

من النساء، لا شعر المعز والإبل.

## كتاب الطب والرقي

[١٦٣] قال النبي عليه السلام: «الشفاء في ثلاثة؛ في شرطة محجم، وشربة عسل، أو كية نار»<sup>٧٨٠</sup>. فإن قلت: الدواء غير منحصر في الثلاث المذكورة؛ لأن النبي عليه السلام / [١٥٣و] أخبر عن حصول الشفاء بغيرها كما قال: «الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام»<sup>٧٨١</sup>. وقال عليه السلام: «لو أن شيئاً كان فيه شفاء من الموت لكان في السنن»<sup>٧٨٢</sup>. قلنا: قد عرفت مراراً أن بعض الأحاديث كاشف عن إيهام بعض الأحاديث بالتقييد والتخصيص، فقد دلّ الحديثان المتأخران على أن ليس المراد من قوله الشفاء في ثلاث الحصر، وقد عرفت أمثاله كثيرة<sup>٧٨٣</sup> من إثبات الحكم لبعض الأفراد، لا يدلّ على انتفاء به فيما عداه.

فإن عدت وقلت: ما فائدة ذكر الثلاث على الخصوص، والبلغاء لا يحمل كلامهم في أمثال هذا على الاتفاق من غير قصد نكتة وحكمة؟ قلنا: يجوز أن تكون فائدة التخصيص الدكري؛ إظهار أن الأمراض تندفع بواحد منها غالباً، وقد عرفت أن البلغاء يقيمون الغالب مقام الكلّ، وذلك كثير في اعتبارات الشارع، ومن ذلك قوله عليه السلام: «من احتجم لسبع عشرة وتسعة عشرة وإحدى وعشرين، كان شفاء من كل داء»<sup>٧٨٤</sup>.

لأنك تعرف أن الأخلاط الثلاثة تخرج بالدم، فيكون الحجامة سبباً لدفع الأمراض غالباً، وهذا أظهر من أن يقال المراد من الداء المرض الحادث من الدم.

/ [١٥٣ظ] أو قلنا: قال ذلك باعتبار عادة أهل ذلك الموضع، بقريظة قوله عليه السلام:

٧٨٠ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ سنن ابن ماجه، الطب ٢٣؛ مصابيح السنة، ٢٣٦/٣.

٧٨١ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ صحيح مسلم، السلام ٢٢١٥؛ سنن الترمذي، الطب ٥؛ سنن ابن ماجه،

الطب ٦؛ مسند أحمد، ٥١٧/١٢؛ مصابيح السنة، ٢٣٧/٣.

٧٨٢ سنن الترمذي، الطب ٣٠؛ مسند أحمد، ١٣/٤٥.

٧٨٣ ص، أكثر.

٧٨٤ سنن أبي داود، الطب ٥؛ مصابيح السنة، ٢٤٥/٣.

«أنا أنهى أمّتي عن الكيّ»<sup>٧٨٥</sup>. وحكمة نهيه أيضًا مبالغة ذلك القوم في تأثيره، فأظهر بالنهي أنّ الكيّ غير مستقلّ في إزالة المرض، حتّى لا يشتغلون به إلا في مرض مناسب داع إليه، كما حسم<sup>٧٨٦</sup> النبيّ عليه السّلام أكحل سعد بن معاذ بمشقص<sup>٧٨٧</sup> ثمّ ورمت فكويّته<sup>٧٨٨</sup> ثانيًا. وكوى سعد بن زرارة من الشوكة وهي حمرة تعلق الوجه، وذلك لضرورة داعية إلى الكيّ.

ويجوز أن يقال المراد من قوله عليه السّلام: «الشّفاء في ثلاث»، أنّ الثلاث يكون سببًا للشّفاء في أمراض يناسبها، لما عرفت أنّ الحجامَة تضرّ الصّفراوي قليل الدّم، والبلغم ضعيف المزاج، والشيوخ والأطفال. والعسل أيضًا يضرّ الصّفراوي، ومن غلب عليه الحرارة الغريزيّة أو العارضيّة. والكيّ يضرّ لمن كان مرضه في أحشائه، لا في ظاهر بدنه. فالمعنى: أنّ شفاء المرض الذي هو من غلبة الدّم في شرطة محجم، وشفاء المرض الذي هو من غلبو البلغم أو تراكم الفضلات الرطوبيّة في المعدة في شربة عسل، وشفاء المرض الحارّة الحادّة من فضول مادّة منصّبة على خارج البدن، أو من فساد عرق وعضو: الكيّ، وأمثال/ [١٥٤و] هذا كثيرة.

واعلم أيضًا أنّ الحبة السوداء والسّنا المكيّ<sup>٧٨٩</sup> لا يكون دواء لما سوى الموت، لما عرفت أنّ فائدة السّنا في إسهال الأخلاط الثلاثة، ولا ينفع في غلبة الدّم واستطلاق البطن. وإنّ فائدة الحبة السوداء في تحليل الرّياح الغليظة، وتذهب الرطوبات الكثيفة عن المعدة، ويضرّ أكله السّوداويّ<sup>٧٩٠</sup> والصّفراويّ.

ويرمز إلى ذلك ما قالت سلمى خادمة النبيّ عليه السّلام: ما كان أحد يشتكي وجعًا في

---

٧٨٥ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ سنن ابن ماجه، الطب ٢٣؛ مسند أحمد؛ ٨٥/٤؛ مصابيح السنة، ٢٣٦/٣. ملاحظة: لفظ (أنا) غير موجود في سنن ابن ماجه ومسند أحمد.

٧٨٦ حَسَمَ: الحَسَمُ: القَطْع. وحسم العرق: قطعه ثم كواه لئلا يسيل دمه. انظر: لسان العرب، ١٢/١٣٤.

٧٨٧ مشقص: هو نصل السهم الطويل. انظر: لسان العرب، ٧/٤٨.

٧٨٨ عن جابر، قال: رمى سعد بن معاذ في أكحله، قال: «فحسمه النبي صلى الله عليه وسلم بيده بمشقص، ثم ورمت فحسمه الثانية». أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب السلام رقم الحديث (٢٢٠٨).

٧٨٩ هو نبات عشبي من الفصيلة القرنية، تستعمل أوراقه وثمره مسهلات للدواء. انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، ١١٢٣/٢.

٧٩٠ ص، السوداء.

رأسه إلا قال النبي عليه السلام احتجم، ولا وجعاً في رجله إلا قال عليه السلام: اخضبهما<sup>٧٩١</sup>. وما قال أبي كبشة<sup>٧٩٢</sup>: أن النبي عليه السلام يحتجم على هامته وبين كتفيه، ويقول من أهرق هذه الدماء، فلا يضره أن لا يتداوى بشيء<sup>٧٩٣</sup>.

فإن قلت: إذا كان المراد من الأحاديث المذكورة ما ذكرت، فما فائدة إيرادها على الإطلاق والمبالغة، حتى قال: «شفاء من كلّ داء إلا السام»»، ولو أنّ شيئاً كان فيه الشفاء من

الموت لكان في السنن»، «من أهرق من هذه الدماء فلا يضره أن لا يتداوى بشيء»؟ قلنا: قد عرفت مراراً أنّ المراد من أمثاله معناها المجازي؛ لتعدّد حقيقيّ بقرينة عقلية، أو نقلية أو حسية، وههنا<sup>٧٩٤</sup>/ [١٥٤ظ] قرينة حسية دافعة عن إرادة الظاهر، فيكون المراد من الأمور المذكورة لوازمها من التحريض على استعمالها عند عروض الأمراض التي جعلها الله سبباً لدفع تلك الأمراض، أو المبالغة في فائدتها لدفع الأدوية المناسبة.

تفصيل ذلك: أنّ من تصوّر أنّ الحبة السوداء شفاء لما سوى الموت، والسنا شفاء فيه. وإنّ أهرق الدماء يقوم مقام كلّ الأدوية في إزالة الأمراض تقوى داعيته في المعالجة بها، ويعلم أنّ فيها منافع قويّة في دفع المرض، وإن علم أنّ ليس المراد منها معانيها الحقيقية، وقد عرفت تفصيله ولا تغفل عنه، فإنّ من لا يقدر على إدراك نكت البلغاء في إخراج كلامهم على خلاف الظاهر، يتشوّش باله، ويتكدرّ حاله؛ لأنّ القلب مجبول على معرفة الدقائق ولذته محصورة عليه، فإذا لم يتحصل ذلك يتأمّم، بل يقع في قلبه زيغ وانحراف بتوهم التعارض، والخلل، والقصور والتزلزل في كلام نبينا عليه السلام.

لكن من علم أنّه طيب الأبدان، كما أنّه طيب القلوب يعلمنا معالجة أبداننا لإزالة المضرة الدنياوية، كما يعلمنا معالجة قلوبنا لإزالة المضرة الآخروية. وعارف مقام/ [١٥٥و] المبالغة والإتمام، ومقام المساحة والإبهام، وأراك لا تُطمئن قلبك بإجمال المرام، ما لم يسمع كلاماً على عرفك في كلّ مقام، فاسمع طرفاً منه جارياً فيه مناسباً لما قلت من الكلام.

واعلم أنّك إذا أردت أن تحرض صاحبك على شيء، أو تبالغ في مدحه ومنفعته تقول: لا

٧٩١ سنن أبي داود، الطب ٣؛ مسند أحمد، ٥٩٠/٤٥.

٧٩٢ ف، ورد بلفظ: (قالت كبشة).

٧٩٣ سنن أبي داود، الطب ٤؛ سنن ابن ماجه، الطب ٢١؛ مصابيح السنة، ٢٤٣/٣.

٧٩٤ ف، مكررة.

منفعة ولا خلاص لك إلا في هذا الشيء، أو تقول كلّ المنافع والمطالب تحصل فيه، أو تقول لو أمكن دفع الموت لدفع به، مع أنّك ومحاطبك تعرفان أنّ ذلك الشيء ليس على تلك الصّفة، ويعرف<sup>٧٩٥</sup> محاطبك أيضاً أنّ مرادك من ذلك الكلام التحريض والترغيب والمبالغة في المدح والتّنفع فيه.

[١٦٤] عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «ما أبالي ما أتيت إن شربت تريباً، أو تعلّقت تيممة، أو قلت الشّعْر من قبل نفسي»<sup>٧٩٦</sup>.  
[١٦٥] عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «من اكتوى أو استرقى فقد برئ من التّوكل»<sup>٧٩٧</sup>، وروي من تعلّق شيئاً، فقد وكلّ إليه.

فإن قلت: قد أباح النّبّي عليه السّلام التّداوي والاسترقاء، بل حرّض عليهما، وقال شعراً. كما قال عليه السّلام: «الشّفاء في ثلاث»، وقال لرجل مبطون: «اسق عسلاً، فشرّب ثلاث مرّات فلم ينفع، ثمّ قال في الرّابعة/ [١٥٥ظ] صدق الله وكذب بطنك، فسقاه فبرأه»<sup>٧٩٨</sup>.

فإن قلت: العسل مسهل مضرّ للمبطون، فكيف أمر بشرّب العسل؟ قلنا: يجوز أن يكون إسهاله من كثرة الرّطوبات والبلاغم، فلم ينفعها العسل في المرّات الثلاث<sup>٧٩٩</sup>، فقلع كلّها في الرّابعة فزال إسهاله.

[١٦٦] وقال<sup>٨٠٠</sup> في العود الهندي سبعة أشفية<sup>٨٠١</sup>.

٧٩٥ ف، تعرف.

٧٩٦ سنن أبي داود، الطب ١٠؛ مسند أحمد، ١١/٦٥٢؛ مصابيح السنة، ٣/٢٤٧.

٧٩٧ سنن الترمذي، الطب ١٤؛ سنن ابن ماجه، الطب ٢٣؛ مسند أحمد، ٣٠/١١٦؛ مصابيح السنة، ٣/٢٤٨.

٧٩٨ روي الحديث بالمعنى ولفظه: «عن أبي سعيد الخدري، قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إن أخي استطلق بطنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اسقه عسلاً» فسقاه، ثمّ جاءه فقال: إني سقيته عسلاً فلم يزد إلا استطلاقاً، فقال له ثلاث مرّات، ثمّ جاء الرابعة فقال: «اسقه عسلاً» فقال: لقد سقيته فلم يزد إلا استطلاقاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صدق الله، وكذب بطن أخيك» فسقاه فبرأ» أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب السلام رقم الحديث (٢٢١٧)؛ وأخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجمعة ٢١٧.

٧٩٩ ف، ص، الثلاثة.

٨٠٠ ص، + أيضاً.

٨٠١ روي بالمعنى ولفظه: «عن أم قيس بنت محصن قالت سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول عليكم بهذا العود

وقال عليه السلام: إنَّ الله تعالى أنزل داء ودواء فتداووا، ولا تتداووا بالحرام).

[١٦٧] وقال عليه السَّلام: «لا رقية إلا من عين أو حمة أو دم»<sup>٨٠٢</sup>.

[١٦٨] وقالت أسماء بنت عميس: يا رسول الله، إنَّ العين يسرع إلى آل جعفر، أفأستلقي لهم؟ قال: «نعم، لو كان شيء سابق القدر لسبقته العين»<sup>٨٠٣</sup>، وقال عليه السَّلام: «هل<sup>٨٠٤</sup> أنت إلا أصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت»<sup>٨٠٥</sup>. وقال عليه السَّلام: «أنا النَّبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب»<sup>٨٠٦</sup>، فكيف نُهي بعد ذلك عن التَّداوي، والاسترقاء، والتَّعلق بالسَّبب والشَّعر على وجه المبالغة؟

قلنا: قد عرفت مرارًا أن لا تناقض ولا تدافع على سبيل الحقيقة في كلام الشَّارع؛ لأنَّ ذلك إمَّا يلزم عن جهل، أو يقرَّر على السَّهو والنَّسيان، ونبيِّنا عليه السَّلام مصون عن ذلك بعون الله تعالى وتوفيقه.

وعرفت أيضًا، وجوه دفع التَّعارض الظَّاهريّ/ [١٥٦و] فقل هنا: يجوز أن يكون النَّهي عن التَّداوي والاسترقاء والشَّعر ناسخًا، أو إباحتها ناسخة للمنع، هذه إذا علم التَّاريخ. فإن قلت: النَّهي يجوز أن يكون ناسخًا، لكن ما كان من الأحاديث في صيغة الأخبار لا يجوز أن يكون ناسخًا.

قلنا: الأخبار التي وردت لبيان الأحكام تكون في معنى الإنشاء، فيجوز التَّسخ بها. وإن لم يعلم التَّاريخ، يجب علينا أن نشتغل في التَّوفيق ودفع التَّعارض الظَّاهريّ بوجه آخر، فيمكن أن نقول: معنى قوله عليه السَّلام: «ما أبالي ما أتيت إن شربت ترياقًا، أو تعلقت تيممة»،

---

الهندي فإن فيه سبعة أشفية يستعط به من العذرة ويلد به من ذات الجنب» أخرجه البخاري في صحيحه في

كتاب الجمعة ٢١٧. وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب السلام رقم الحديث (٢٢١٤).

٨٠٢ سنن أبي داود، الطب ١٨؛ سنن الترمذي، الطب ١٥؛ سنن ابن ماجه، الطب ٣٤؛ مسند أحمد، ٤/٢٦٣؛

مصاييح السنة، ٣/٢٤٨. ملاحظة: لفظ «أو دم» فقط مذكور في سنن أبي داود ومصاييح السنة.

٨٠٣ سنن الترمذي، الطب ١٧؛ مسند أحمد، ٤٥/٤٦٢؛ مصاييح السنة، ٣/٢٤٩.

٨٠٤ في المخطوتين ص، ف روي بلفظ «ما».

٨٠٥ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ صحيح مسلم، الجهاد والسير ١٧٩٦؛ سنن الترمذي، تفسير القرآن ٨١؛

مسند أحمد، ٣١/٩٥؛ مصاييح السنة، ٣/٣١٢.

٨٠٦ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ صحيح مسلم، الجهاد والسير ١٧٧٦؛ سنن الترمذي، الجهاد ١٥؛ مسند

أحمد، ٣٠/٤١٣؛ مصاييح السنة، ٣/٢٤٧.

«ما أبالي ما أتيت»، أي: لا يكون فعلي على نسق الشّرع، بل أفعل ما أشتهي نفسي إن اعتقدت أنّ التّرياق والتّميمة مؤثّرة وتامة في دفع المضارّ، كما زعم ذلك أهل الطّبيعة وأرباب الجهل، ويرمز إلى ذلك قوله عليه السّلام: «الرّقى والتّمائم والتّولة شرك»<sup>٨٠٧</sup>. أي: فعل أهل الشّرك؛ لأنّهم يزعمونها مستقلة في دفع المضارّ.

وأمره عليه السّلام بالتّداوي بقوله: «اسق عسلاً فتداووا»؛ لبيان أنّ للأسباب دخلاً في حصول بعض الأشياء، وأمثال هذا كثيرة كما قال عليه السّلام: «فرّ من المجدوم»<sup>٨٠٨</sup> كما تفرّ من الأسد»<sup>٨٠٩</sup>.

وأراد: «مَجْدُوم» / [١٥٦ظ] من وفد ثقيف أن يبايع النّبيّ عليه السّلام، فقال النّبيّ عليه السّلام: «قد بايعناك فارجع»<sup>٨١٠</sup> ولم يصفحه بيده، والظاهر أنّ ذلك أيضاً لإعلام أنّ للسّبب دخلاً في حدوث بعض الأشياء، وإن أمكن أن يكون ذلك لاستكراه طبعه إيّاه من المصافحة والملابسة لقدر في وجه المجدوم، أو لباسه أو يده.

وقال رجل: إنّنا كنا في دار كثر فيه عددنا وأموالنا، فتحوّلنا إلى دار قلّ فيها عددنا وأموالنا، فقال عليه السّلام: «ذروها ذميمة»<sup>٨١١</sup>. وذلك أيضاً لإعلام أنّ للهواء الوخيم تعلّقاً في تقليل أموالهم ومواشيهم. وقال عليه السّلام: «إنّ من القرف التّلف»<sup>٨١٢</sup>. أي: التّلف قد يكون من اقتراب الوباء والهواء.

ولا يتوّهم القصور في القدرة القاصرة من تعلّق تأثيرها في بعض الصّور بالأسباب على السنّة الإلهيّة لا العليّة، لما عرفت أنّ خلق قوّة الإحراق في النّار، وقوّة الإرواء في الماء، وقوّة الإنماء والإفساد في الهواء، يدلّ على كمالها وعجائب آثارها، فلا تغفل عن ذلك.

[١٦٩] وقال عليه السّلام أيضاً: «لا عدوى»<sup>٨١٣</sup> في المرض وأكل مع مجذوم؛ لإعلام أنّ

٨٠٧ سنن أبي داود، الطب ١٧؛ سنن ابن ماجه، الطب ٣٩؛ مسند أحمد، ١١٠/٦؛ مصابيح السنّة، ٢٤٦/٣.

٨٠٨ في المخطوطتين ص، ف ورد بلفظ: «الجدام».

٨٠٩ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ مصابيح السنّة، ٢٥١/٢.

٨١٠ صحيح مسلم، السلام ٢٢٣١؛ مصابيح السنّة، ٢٥١/٣.

٨١١ تم تخريجه مسبقاً في باب النكاح.

٨١٢ تم تخريجه مسبقاً في باب النكاح، ص: ١٩٦.

٨١٣ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ صحيح مسلم، السلام ٢٢٢٠؛ سنن أبي داود، الطب ٣٤؛ سنن

الترمذي، السير ٤٧؛ سنن ابن ماجه، افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة ١٠؛ موطأ مالك،

السبب غير مؤثر.

ويمكن أيضًا أن نقول: بين بقوله: «ما أبالي ما أتيت»، أن مقامه ومنزلته أعلى من أن تتعلّق [١٥٧و] بالأسباب. وبين بقوله: «الشفاء في ثلاث»، «واسق عسلاً فتداووا» مقام أمته، لما عرفت أن مقام المقرّبين غير مقام المبتدئين، ولذا قيل حسنات الأبرار سيئات المقرّبين، وإلى ذلك المقام الأعلى أشار بقوله: «فقد برئ من التوكّل، فقد وكلّ إليه»؛ لأنّ التعلّق بالأسباب لا ينافي توكلّ العوام/ لأنّ توكلّهم أن لا يرون الأسباب مستقلة، كما أن توكلّ الخواصّ أن لا يرون الأسباب ملحوظة، وإلى ذلك أشار الصديق بقوله: الطيب أمرضني، وهذا ليس عشر أمثالنا وإن كان حريّاً بحالنا.

ومعنى «ما قلت شعراً من قبل نفسي»: أن لا يقول شعراً بالقصد، أو لا يعتاد به، أو لا يقول إلّا لاقتضاء مقام وحال، لا لاشتفاء نفس وبال.

فإن قلت: قد يتداوى النّبّي عليه السّلام، فكيف يكون التّداوي غير مناسب لمقامه؟ قلنا: لعلّ ذلك لتعليم أمته بالفعل والحال، كما علّمهم بالتّصريح بالقال، أو يكون تداويه لإظهار كمال صنع الله تعالى بخلق قوّة إزالة المرض في بعض النباتات، كما خلق خاصيّة إثارة الدّاء في بعضها.

وقد عرفت أنّ أهل القلب يكتسبون الثّواب بالأمر العاديّة والأفعال العاميّة؛ لدقّة نظرهم وإطلاّعهم/ [١٥٧ظ] على الرّموز الخفيّة، فكيف لا يقصد أكمل العلماء، أفضل الأنبياء بالتّداوي لأمر يناسب مقامه من إظهار كمال قدرة الله تعالى وآثار حكمته.

وقد عرفت أنّ الشّيء الواحد قد يوجد فيه جهات شتى، يكون ذلك الشّيء ممدوحاً ببعضها ومذموماً ببعضها، فلا تنس ذلك حتّى تنتفع بذلك في كثير من المطارح والمقادح.

وأن تقول معنى قوله عليه السّلام: «من اكتوى أو استرقى فقد برئ من التّوكّل، ومن تعلّق شيئاً وكلّ إليه»: أنّ من زعم أنّ الأسباب مستقلة في دفع الأشياء أو جلّها، ولا يعلم أنّ تأثيرها بإذن الله تعالى، كما قال النّبّي عليه السّلام: «لكلّ داء دواء، فإذا أصبت دواء الدّاء برأ بإذن الله»<sup>١٤</sup>، برئ من التّوكّل وتفويض حقيقة الأمر إلى الله تعالى، وفوض إلى نفسه ولا

٢/٩٤٦؛ مسند أحمد، ٣/١٢٨، مصابيح السنة، ٣/٢٥٠.

١٤٨ صحيح مسلم، السّلام ٤٢٢٠؛ مسند أحمد، ٢٢/٤٥٠؛ مصابيح السنة، ٣/٢٣٦.

يصل إليه نصر الله وعونه وحفظه.

وأن تقول: الأمر بالتداوي لمصلحة العوام الذين لا يقدرّون على الصبر على البليّة والمضارّ، وقوله: «فقد برئ من التوكّل ووكل إليه»؛ لبيان أنّ الأصل والعزيمة للخوَصّ، قطع النظر عن الأسباب؛ لأنّهم يصبرون على البلاء، بل يلتذّون بالمضارّ النفسانيّة والعناء، ولا يحركهم ولا يززع قلوب نواب الأنام، / [١٥٨ و] ولا تفتّهم في العبادة عوارض الآلام؛ لاستيلاء محبّة الله على قلوبهم، وكوّنهم كالبحر في الثبات وعدم التّغير، كما أشار إلى ذلك ربّنا الرّحيم بقوله: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [النور: ٣٧] وقوله: ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤].

[١٧٠] وقال النّبّي عليه السّلام أيضًا في حقّهم: «سبعون ألفًا من أمّتي يدخلون الجنّة بغير حساب، لا يكتبون ولا يسترقون ولا يتطيرون»<sup>١٥</sup>. حتّى لو لم يعمل بذلك الأصل، يخرج من التوكّل الواجب عليه المناسب لمقامه، ولو اعتبر بالسبب في بعض الوقت، يكون للتعليم أو لإظهار حكمة الله تعالى، وأرجو من فضل ربّنا الكريم وخالقنا الرّحيم أن يحشرنا في زمرةهم ويوشّحنا بسيرتهم.

## باب الرؤيا

[١٧١] قال النّبّي عليه السّلام: «رؤيا المؤمن جزء من أربعين جزءًا من النّبوة، وهي على رجل طائر ما لم يحدث بها، فإذا تحدّث بها وقعت. وأحسبه قال: ولا يحدث بها إلا حبيبا أو لبيبا»<sup>١٦</sup>.

قال الإمام التّوربشتي: رؤيا المؤمن تخبر عن صورة ما قدّر له من الخير والشرّ، والتّعبير وعدمه لا تغيّره، وأجاب / [١٥٨ ظ] بأنّ ذلك كالسّعادة والشّقاوة المقدّرتين، لكنّ العبد مأمور بالجهد والسّعي، وتحصيل أسباب السّعادة، وإن قدّر له الشّقاوة. هذا التّأويل كاشف عن معنى قوله: «لا يحدث إلا حبيبا»، لا عن معنى قوله: «فإذا حدّث بها وقعت».

---

١٥ هنا اختصر الإزنيقي الحديث ولفظه: «يدخل الجنة من أمّتي سبعون ألفا بغير حساب»، قالوا: من هم يا رسول الله؟ قال: «هم الذين لا يسترقون، ولا يتطيرون، ولا يكتبون، وعلى ربهم يتوكلون» أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان رقم الحديث (٢١٨)؛ وأخرجه أحمد في مسنده، مسند عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ٣٧٠/٦؛ مصابيح السنة، ٤٤٤/٣.

١٦ سنن الترمذي، الرؤيا ٦؛ مسند أحمد، ١١٦/٢٦؛ مصابيح السنة، ٢٦٤/٣.

وأجاب شارح المشكاة<sup>١١٧</sup>: بأنّ الرّؤيا مستقرّة على ما تسوقه التّقدير إليه من التّعبير وعدمه، وهذا بيان قوله: «لا يحدث إلا حبيبا»، لكنّه ليس بتحقيق؛ لأنّ التّقدير لا يتبع التّعبير. ويمكن أن يقال: التّعبير لا يغيّر المقدّر، لكنّ المقدّر مخفيّ عن إدراك الأنام، فيعتمد قول المعبّر، فالجاهل يعتبر الرّؤيا لعدم معرفته المناسبة بين الصّورة والمعنى، ربّما يزعم من صورة المعنى المرغوب المعنى المرهوب، فيأول الرّؤيا بذلك فيتشوّش قلب الرّائي، ولا يجد الحضور والفراغ في أمر دنياه ودينه.

وربّما يتوهّم الخير والمعنى النّافع من صورة الشّرّ والضّارّ، فيعبر الرّؤيا بذلك فيغتّر صاحب الرّؤيا بذلك، ويغفل ولا يشتغل بأسباب دافعة بذلك الشّرّ.

وقد عرفت: أنّ الاشتغال بالدّعاء ودفع التّصدق لدفع الضّرّ<sup>١١٨</sup> والبلاء فوائد جمّة، فيحرم عن تلك الفوائد لسبب الغفلة، / [١٥٩و] فيكون معنى قوله: «وقعت»: وقع آثار الرّؤيا من الفرح والفراغ، أو من التّرح والتّشويش في قلب الرّائي.

ويمكن أن يقال مراد شارح المشكاة أنّ حكم الرّؤيا على حسب ما يعبر به المعبّر، كما ذهب إليه البعض في حكم المجتهديات، وظاهر قول يوسف عليه السّلام: ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ [يوسف: ٤١] يرشد إلى ذلك فتأمّل.

### باب الجلوس

[١٧٢] قال عبّاد بن تمّيم: «رأيت النّبّيّ عليه السّلام مستلقيا في المسجد واضعًا إحدى قدميه على الأخرى»<sup>١١٩</sup>.

فإن قلت: قال جابر رضي الله عنه: نهى النّبّيّ عليه السّلام أن يرفع الرّجل إحدى رجله على الأخرى وهو مستلق على ظهره، فكيف فعل النّبّيّ عليه السّلام ما نهى عنه؟

١١٧ قال الطيبي: التركيب من باب التشبيه التمثيلي، شبه الرّؤيا بالطائر السريع طيرانه، وقد علق على رجله شيء يسقط بأدنى حركة، فينبغي أن يتوهّم للمشبه حالات متعددة مناسبة لهذه الحالات. وهي أنّ الرّؤيا مستقرّة على ما يسوقه التّقدير إليه من التّعبير. فإذا كانت في حكم الواقع قبض وألم من يتكلم بتأويلها على ما قدره فيقع سريعاً، وإن لم يكن في حكمه، لم يقدر لها من يعبرها. انظر: شرح المشكاة للطيبي، ٣٠١١/٩.

١١٨ ص، الاشتغال بالدّعاء والتّصدق لدفع الشرّ.

١١٩ صحيح البخاري، الصلاة ٨١؛ صحيح مسلم، اللباس والزينة ٢١٠٠؛ سنن الترمذي، الأدب ١٩؛ النسائي، المساجد ٢٨؛ موطأ مالك، ١٧٢/١؛ سنن الدارمي، ٦٣٨/١؛ مسند أحمد، ٣٧٢/٢٦.

قلنا: يجوز أن نوفق بينهما؛ بأن يقال فعله لبيان الجواز ونهيه لبيان الكراهة، أو النهي مقيد، بأن يكون وضع الرجل بعد انتصاب الركبة أو بدون السراويل، فذلك القيد لم يوجد في وضع النبي عليه السلام، أو يقال لما كان غالب الأحوال انكشاف العورة في ذلك الموضع منع عنه بعد فعله.

### باب الضحك

[١٧٣] قالت عائشة رضي الله عنها: «ما رأيت النبي عليه السلام مستجمعا ضاحكا، حتى أرى منه لهواته»<sup>٨٢٠</sup>.

[١٧٤] وقال جابر بن سمرة: «كان النبي عليه السلام لا يقوم / [١٥٩ظ] من مصلاه الذي يصلي فيه الصبح، حتى يطلع الشمس»<sup>٨٢١</sup>.

فإن قلت: قد صحَّ أنّ النبي ضحك حتى روي لهواته، وقام من مصلاه قبل طلوع الشمس. قلنا: يجوز أن يكون نفى الضحك الموصوف، وعدم القيام باعتبار معرفة الراوي، لا باعتبار نفس الأمر، فلا يلزم التعارض لاختلاف الجهة.

### باب البيان والشعر

[١٧٥] قال النبي عليه السلام: «لأن يمتلي جوف رجل قيحًا يُريه، خير من أن يمتلي شعرا»<sup>٨٢٢</sup>.

[١٧٦] وقال: «إنَّ الله تعالى يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه، كما تتخلل الباقرة بلسانها»<sup>٨٢٣</sup> «٨٢٤».

[١٧٧] وقال النبي عليه السلام: «لقد أمرت أن أتجوّز في القول، فإنَّ الجواز هو خير»<sup>٨٢٥</sup>.

---

٨٢٠ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ صحيح مسلم، صلاة الاستسقاء ٨٩٩؛ سنن أبي داود، النوم ١١٢؛ مصابيح السنة، ٣/٣٠١.

٨٢١ صحيح مسلم، الفضائل ٢٣٢٢؛ سنن أبي داود، صلاة السفر ٣٠١؛ مسند أحمد، ٤٣١/٣٤؛ مصابيح السنة، ٣/٣٠١.

٨٢٢ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ صحيح مسلم، الشعر ٢٢٥٨؛ سنن أبي داود، الأدب ٩٤؛ سنن الترمذي، الأدب ٧١؛ سنن ابن ماجه، الأدب ٤٢؛ مسند أحمد، ١٣٩/٣؛ مصابيح السنة، ٣/٣١٤. ٨٢٣ في المخطوطتين ص، ف جاء بلفظ: «بلسانه».

٨٢٤ سنن أبي داود، الأدب ٩٣؛ مسند أحمد، ١٠١/١١١؛ مصابيح السنة، ٣/٣١٦.

٨٢٥ سنن أبي داود، الأدب ٩٤؛ مصابيح السنة، ٣/٣١٧.

فإن قلت: قد مدح النبي عليه السلام الشعر وحرّض حسناً عليه، ومدح البليغ أيضاً. وقال ابن عمر رضي الله عنهما: قدم رجلان من الشرق فخطبا فتعجب الناس لبيانهما، فقال عليه السلام: «إنّ من البيان لسحراً»<sup>٨٢٦</sup>، «وإنّ من الشعر لحكمة»<sup>٨٢٧</sup>. [١٧٨] وقال أبو عمر والشّريد: ردت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً، قال: «هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت؟ قال: نعم، قال: «هيه»، فأنشده بيتاً، فقال: «هيه»، ثم أنشده بيتاً، فقال: «هيه»، حتى أنشده مائة بيت»<sup>٨٢٨</sup>. وقال لحسان يوم قريظة اهجوا المشركين فإنّ جبرائيل عليه السلام معك، فكيف ذمّ الشاعرية البلاغة مطلقاً؟

قلنا: / [١٦٠] يمكن أن يقال في بيان التوفيق باختلاف الجهة: الشعر المذموم ما يقال بمدح أهل الدنيا لجلب حطامها، كما قال عليه السلام: «احثوا التراب في وجوه»<sup>٨٢٩</sup> المدّاحين»<sup>٨٣٠</sup>. وقال عليه السلام: «من تعلّم صرف»<sup>٨٣١</sup> الكلام ليسي به قلوب: الناس، لم يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً»<sup>٨٣٢</sup>.

### الشعر المنهي عنه في الشريعة

أو يقال: الشعر المنهي ما يقال في غير أهله وموضعه؛ كمدح أهل المعاصي، أو مدح شخص بما ليس فيه، فيؤدّي إلى الكذب، أو يعتاد بذلك فإنّه يشوّش القلب ويفسده، ولهذا المعنى يبغض البليغ، كما يبغض العلم والقول لعدم وقوعهما في موقعهما، أو للإفراط فيهما

٨٢٦ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ سنن أبي داود، الأدب ٩٣؛ موطأ مالك، ٢/٩٨٦؛ مصابيح السنة، ٣/٣١١.

٨٢٧ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ مصابيح السنة، ٣/٣١١.

٨٢٨ صحيح مسلم، الشعر ٢٢٥٥؛ مسند أحمد، ٣٢/٢٢٤؛ مصابيح السنة، ٣/٣١٢.

٨٢٩ ص، ف على وجه المدّاحين.

٨٣٠ روي الحديث بلفظ يختلف عن لفظه في كتب السنة، ولفظه: «عن أبي معمر، قال: قام رجل يثني على أمير من الأمراء، فجعل المقداد يثني عليه التراب، وقال: «أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، أن نثني في وجوه المدّاحين التراب» أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرفائق رقم الحديث (٣٠٠٢)، وأخرجه الترمذي في سننه، كتاب أبواب الزهد، باب ما جاء في كراهية المدحة والمدّاحين رقم الحديث (٢٣٩٣).

٨٣١ ص، سوف.

٨٣٢ سنن أبي داود، الأدب ٩٣؛ مصابيح السنة، ٣/٣١٦.

بأن يؤدّي ذلك إلى ترك بعض الفرائض، كما قال النبيّ عليه السّلام: «إنّ من العلم جهلاً»<sup>٨٣٣</sup> وإنّ من القول عيلاً»<sup>٨٣٤</sup>.

ويجوز أن يكون «يتخلّل بلسانه» إشارةً إلى أنّ بغضه لتكلفه فيه لاستمالة قلوب الناس، كما كان حال أمثالنا كذلك.

ويجوز أن يكون ذمّ الشاعر والبلّغ لاشتمال كلامهما على أمور غير مشروعة؛ كالممدوح المشتتم على شجاعة أهل التعصّب، وإسراف أهل الدّنيا، وسائر الأفعال والأقوال الغير المشروعة المستقبحة في الشريعة.

### الشعر الممدوح والمستحسن في الشريعة

وأما الشعر والكلام البليغ لمدح الأنبياء، والأولياء، والمؤمنين الصّالحين على أفعالهم المحمودة، وأوصافهم / [١٦٠ ظ] الممدوحة، وأعمالهم المشروعة، أو للتّوحيد وصفات الله تعالى، وللموعظة والنّصيحة والتّحريض على الطّاعة، والزّجر عن المعصية، وبيان أحوال القبر، والحشر والقيامة، فممدوحان ومستحسنان في الشريعة، كما أشار إلى ذلك نبينا المختار صلّى الله عليه وسلّم وعلى آله الأخيار بقوله: «إنّ من البيان لسحراً، وإنّ من الشعر لحكمة». شبه البيان بالسّحر والشعر بالحكمة على الوجه الأبلغ، إذ الظاهر أن يقال: إنّ بعض البيان لسحراً، وإنّ بعض الشعر لحكمة.

فقلب الكلام للمبالغة، المعنى: أنّ بعض البيان كالسّحر في تحيير القلوب، وإماها إلى قبوله واستحسانه لحسن نظمه ومعناه في الشّرع.

وأنّ بعض الشعر كالكلمة الحكيمة المشتملة على المنافع الدّينيّة من المواعظ المستحسنة، والتّحريض على العبادة، والزّجر عن المعصية وذمّ الكفّار وأهل المعصية.

وقد عرفت أنّ الكلام المشتمل على الحكم والمواعظ، والمنافع الدّينيّة أو الدّنيويّة ممدوح نظماً كان أو نثراً، مدحاً كان أو ذمّاً؛ كذمّ المشركين، كما قال النبيّ عليه السّلام: «المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه، والذي نفسي بيده، لكأنّ ما ترمونهم به نضح الثّبيل»<sup>٨٣٥</sup> والضّمير في به للشّعر.

٨٣٣ سنن أبي داود، أول كتاب الأدب ٩٤.

٨٣٤ سنن أبي داود، أول كتاب الأدب ٩٤.

٨٣٥ مسند أحمد، ٤٥/٤٨؛ مصابيح السنة، ٣/٣١٤.

وقوله عليه السّلام: «أمرت أن أتجوّز في القول» المراد منه أن/ [١٦١و] يوجز كلامه في موضع الإيجاز، أو لا يعتاد على التّطويل والإكثار في كلّ موضع، لا أن يسلك مسلك الإطناب في التّفصيل في موضع يقتضي بسط الكلام، لما عرفت أنّه أكمل البلغاء أفضل الخطباء يطنب كلامه في موضع الإطناب.

### باب الشّفقة والرّحمة

[١٧٩] قال النّبّي عليه السّلام: «خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه، وشرّ بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه»<sup>٨٣٦</sup>.

فإن قلت: بيت فيه يتيم يحسن إليه ليس أفضل من بيت يصلّي فيه ويصام على وجه المواظبة والكمال، وبيت يساء فيه على اليتيم ليس بأشرّ من بيت يشرب فيه الخمر، ويزني ويسفك الدّماء.

قلنا: قد عرفت جواب مثال هذا الحديث بأنّه محمول على المبالغة أو الزيادة في ذاته، أو التّفصيل بجهة مخصوصة بأن تكون خيريّة البيت بالنّسبة إلى باقي الصّدقات، وشرّيته بالنّسبة إلى ترك الصّدقات.

المعنى: خير بيت يتصدّق فيه؛ بيت فيه يتيم يحسن إليه، وشرّ بيت يساء فيه بترك الإحسان؛ بيت فيه يتيم يساء إليه. أو المراد التّحريض على صدقة على الأيتام والتّحذير عن تركها، وكلّ ذلك لوجود قرينة صارفة عن الإجراء على الظّاهر، ويؤوّل/ [١٦١ظ] بمثل ما ذكرنا من التّوجيهات قوله عليه السّلام: «من أحسن إلى يتيمة أو يتيم عنده كنت أنا وهو في الجنّة كهاتين وقرن بين إصبعيه»<sup>٨٣٧</sup>.

[١٨٠] وقوله عليه السّلام: «من آوى يتيمًا إلى طعامه وشرابه أوجب الله له الجنّة، إلّا أن يعمل ذنبًا لا يغفر»<sup>٨٣٨</sup>.

لما عرفت أنّ المحسن إلى اليتيم لا يبلغ إلى درجة نبيّنا عليه السّلام، ولا يجب له أيضًا دخول

٨٣٦ سنن ابن ماجه، الأدب ٦؛ مصابيح السنة، ٣/٣٧٠.

٨٣٧ ربما قصد الإزنيقي هنا حديث: «أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنّة» وقرن بين إصبعيه» أخرجه أبو داود في سننه، أبواب النوم، باب في حق الجوار رقم الحديث (٥١٥٠). والله أعلم.

٨٣٨ سنن الترمذي، البر والصلة ١٤؛ مصابيح السنة، ٣/٣٧٠. ملاحظة: في سنن الترمذي روي بلفظ: «من قبض يتيمًا من بين المسلمين».

الجنة لمجرد إطعام اليتيم على أيّ ذنب كان سوى الشرك، والمستخرج<sup>٨٣٩</sup> وجهًا مناسبًا. وإن عجزت عمّا فيه دقة، فقل: المراد منه التحريض على إحسان الأيتام بوجه أبلغ وأقوى، وقد عرفت وجه الأبلغية فلا نعيده.

[١٨١] قال النبيّ عليه السلام: «ما من مسلم يردّ عن عرض أخيه، إلّا كان حقًا على الله أن يردّ عنه نار جهنّم» ثمّ تلا هذه الآية: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧] <sup>٨٤٠</sup>. فإن قلت: مجرد الردّ عن عرض أخيه لا ينجي عن النار، فضلًا أن يوجب على الله أنجاه. قلنا: قد عرفت توجيه مثله وتوفيقه وتأويله، فقل: معناه من شأن الردّ أن ينجيه، لولا يعارضه معارضٌ مقتضٍ دخوله النار، لما عرفت أنّ شأن كلّ عبادة أن تنجي عاملها من النار، كما أنّ شأن كلّ معصية أن تدخله فيه، إذا لم يوجد المانع / [١٦٢ و] الشرعيّ فيهما. أو المراد التحريض على حماية عرض المسلم بالوجه الأبلغ، وقد عرفت تفصيل ذلك الوجه مرارًا.

فإن أردت سماع تعيينه هنا مرةً أخرى للتقرير، فاعلم أنّه عليه السلام لو قال للردّ عن عرض المسلم ثواب عظيم، لا ينبعث به الشّوف والتّوجه إلى الردّ كما ينبعث عن سماع قوله عليه السلام: «كان حقًا على الله أن يردّ نار جهنّم عنه»؛ لأنّ الإنسان ضعيف ونار جهنّم شديد أليم لا يقدر على إيلاهما وشدّتها الجبال الرّاسيات، فيجتهد في تحصيل الردّ بأقصى السّعي والطّاقة. والثّواب العظيم محرّض أيضًا، لكنك تعرف بالوجدان أنّ التّعيين والتّفصيل أقوى في التحريض.

لكن إذا قلت: لمّ يذكّر في التحريض شيئًا من نعيم الجنة، وهو محرّض على التّعيين أيضًا؟ قلنا: لرعاية مناسبة الردّ للردّ، فتأمل.

[١٨٢] عن أبي مالك الأشعريّ قال: كنت عند النبيّ عليه السلام إذ قال: «إنّ الله عبادة ليسوا بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم التّبيون والشّهداء بقربهم ومقعدهم من الله تعالى يوم القيامة. فقال أعرابي: حدّثنا يا رسول الله، من هم؟ فقال: هم عباد من عباد الله من بلدان شتىّ قبائل شتىّ / [١٦٢ ظ] لم يكن بينهم أرحام يتواصلون بها ولا دنيا يتبادلون بها،

٨٣٩ ص، واستخرج.

٨٤٠ مسند أحمد، ٥٢٤/٤٥؛ مصابيح السنة، ٣/٣٧٢. ملاحظة: ورد في مسند أحمد بلفظ: «من رد عن عرض

أخيه المسلم»

يتحابون بروح الله، يجعل الله وجوههم نورًا، وجعل لهم منابر من نور قدام الرحمن يفرع الناس ولا يفرعون، ويخاف الناس ولا يخافون»<sup>٨٤١</sup>.

فإن قلت: المتحابون لا يبلغون مقام الشهداء والأنبياء، فكيف يغط الأنبياء والشهداء منزلتهم، والأنبياء والأولياء لا يفرعون يوم القيامة لقوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢] وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ مِّنْ فَزَعِ يَوْمِذٍ ءَامِنُونَ﴾ [النمل: ٨٩] وظاهر قوله: «يفرع الناس ولا يفرعون»، يدل على أن يفرع الناس الذين سواهم؟

### قال بعض الشراح في توجيهه:

\* يجوز أن يغط الأنبياء منزلتهم، وإن كانت منزلتهم أعظم من منزلة المتحابين.  
\* ويجوز أن تكون تلك الغبطة والنجاة في موضع من مواضع القيامة؛ كموضع اشتغال الأنبياء عليهم السلام بحال أمتهم والجواب عنهم، وهذا التوجيه من جزئيات بعض القواعد السالفة؛ لأن معناه أن ذلك تفضيل المتحابين بجهة خاصة ومكان مخصوص، فلا يلزم منه أن تكون منزلتهم أفضل من منازل الأنبياء<sup>٨٤٢</sup>، أو تختص النجاة<sup>٨٤٣</sup> عن الخوف بهم ولا يوجد في غيرهم.  
فالتوجيه الأول / [١٦٣ و] أولى، توضيح ذلك الوجه وتفصيله؛ أن يقال: لكل عبادة مخصوصة ثواب خاص مناسب لها لا يوجد في غيرها، كما أن لكل معصية عقاب خاص.

٨٤١ مسند أحمد، ٥٤١/٣٧؛ مصابيح السنة، ٣٧٩/٣.

٨٤٢ هذا الشرح قريب من شرح البيضاوي في كتابة تحفة الأبرار، قال: (... إن ما يتحلّى به الإنسان ويحصل عليه من علم وعمل له منزلة عند الله، لا يشارك فيه صاحبه من لم يتصف بذلك، وإن كان له من نوع آخر ما هو أرفع قدرا وأعز ذخرا، فيغبطه بأن يتمنى ويحب أن يكون له مثل ذلك، مضمونا إلى ما له من المراتب الرفيعة والمنازل الشريفة، وذلك معنى قوله: "يغبطهم النبيون والشهداء" فإن الأنبياء قد استغرقوا فيما هو أعلى من ذلك، من دعوة الخلق، وإظهار الحق، وإعلاء الدين، وإرشاد العامة، وتكميل الخاصة، إلى غير ذلك من كليات أشغلتهم، عن العكوف على مثل هذه الجزئيات، والقيام بحقوقها، والشهداء وإن نالوا رتبة الشهادة، وفازوا بالفوز الأكبر، فلعلهم لم يعاملوا مع الله معاملة هؤلاء فإذا رأوهم يوم القيامة في منازلهم، وشاهدوا قربهم وكرامتهم عند الله تعالى، ودوا أن كانوا ضامين خصالهم إلى خصالهم، فيكونوا جامعين بين الحسينيين، فائزين بالمرتبتين. فالمقصود ليس إثبات غبطة الأنبياء لهم، بل بيان فضل ومكانة وعلو شأن الشهداء). انظر: تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة، ٢٥٨/٣-٢٥٩.

٨٤٣ ص، النجات.

وكون المتحابين من بلدان شتى وقبائل شتى، وليس بينهم قرابة ومصاحبة ومناسبة سوى جامع شرعي؛ كاتحاد دينهم ومذهبهم، يجوز أن لا يوجد ذلك في الأنبياء والشهداء، فلا يوجد لهم الثواب المخصوص بتلك الأمور، فيغبطون قريهم ومنزلتهم لتلك الخصوصية، وإن كان منازل الأنبياء والشهداء أعظم وأعلى من منازلهم بجهات شتى لم يوجد سببها في المتحابين، كما نشاهد أن بعض الرجال يستغرب ويغبط بيتاً صغيراً حقير الخصوصية فيه، مع أن له قصوراً موشحة، وغرفاً عالية مزينة، وبيوتاً واسعة منقشة.

ويجوز أن يكون<sup>٨٤٤</sup> معنى الغبطة الاستحسان؛ لأنه لازمها كما قال النبي عليه السلام: «لا حسد إلا في اثنتين»<sup>٨٤٥</sup>، والمراد منه الاستحسان والاستعظام. ويجوز أن يراد منه التحريض على التحاب بالوجه الأبلغ.

ويجوز أن يراد من الناس في قوله: «يفزع الناس» غير الأنبياء والأولياء، فيكون كالحصر الإضافي، أو المراد منه التحريض، لا معناه/ [١٦٣ ظ] الحقيقي. وقد عرفت أن معرفة عدم إرادة الحقيقة والظاهر بقريته صارفة سهل، لكن الشان في استخراج وجه مناسب للمقام ومقارب إلى الأفهام، فتأمل فيه تطّل على وجه يناسب الكلام.

### [ما المقصود بقوله: «بروح الله»؟]

قال بعض الشراح: المراد بروح الله القرآن<sup>٨٤٦</sup>، وقيل: المحبة. والأوجه أن يراد منه عون الله وتوفيقه للتحابي. قال النبي عليه السلام لأبي ذر: «يا أبا ذر، أي عزا الإيمان أوثق؟ قال: الله ورسوله أعلم. قال: الموالاة في الله والحب في الله والبغض في الله»<sup>٨٤٧</sup>.

فإن قلت: الحب في الله والبغض في الله ليسا من أجزاء الإيمان، ونسبتهما بالعري يدل على

٨٤٤ ص، يقال.

٨٤٥ صحيح البخاري، العلم ١٥؛ صحيح مسلم، صلاة المسافرين وقصرها ٨١٥؛ سنن الترمذي، البر والصلة ٢٤؛ سنن ابن ماجه، الزهد ٢٢؛ مسند أحمد، ١٦٢/٦؛ مصابيح السنة، ٤٤١/٣.

٨٤٦ هذا ما قاله الخطابي في كتابه معالم السنن: فُسِّرَ قوله: «تحابوا بروح الله» بالقرآن، ويؤول ذلك قوله تعالى:

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى، ٥٢]، وقال: وسُمِّيَ القرآن روحاً والله أعلم لأن القلوب تحي

به كما تكون حياة النفوس والأبدان بالأرواح. انظر: معالم السنن، ١٦٥/٣. ونقل عنه هذا القول البيضاوي في

كتابه تحفة الأبرار في شرح المصابيح، انظر: تحفة الأبرار في شرح المصابيح، ٢٥٩/٣.

٨٤٧ مصابيح السنة، ٣٧٩/٣.

أَهُمَا مِنْ أَجْزَائِهِ.

قلنا: يجوز أن يراد من العرى توابع الإيمان؛ لأنَّ العروة من التّوابع، أو يكون التّقدير أيُّ عرى أعمال الإيمان وثمراته أوثق؟

فإن عدت وقلت: الحبّ والبغض في الله ليسا من أوثق الأعمال الفرعية وأقواها، لما عرفت أن الصّلاة أفضل من باقيها، وأيضاً يعارض هذا قوله عليه السّلام عند سؤال معاذ عن عمل يدخله الجنّة: «ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟ قال: بلى يا رسول الله. قال ليه السلام: رأس الأمر الإسلام وعموده الصّلاة، وذروة سنامه الجهاد. ثم قال عليه السّلام: / [١٦٤و] «ألا أخبرك بملاك الأمر كلّ؟ قال: بلى يا نبي الله، فأخذ بلسانه، فقال: كفّ عليك هذا. فقال: يا نبي الله، وإنّا لمؤاخذون بما نتكلّم؟ فقال: ثكلتك أمّك يا معاذ، وهل يكبّ النَّاس في النَّار على وجوههم، أو قال: على مناخرهم، إلا حصائد ألسنتهم»<sup>٨٤٨</sup>.  
وأيضاً قال النّبّي عليه السّلام: «بني الإسلام على خمس»<sup>٨٤٩</sup>، ولم يذكر الحبّ والبغض في الله فيها.

قلنا: نعم، قد عرفت أنّ الأحاديث المذكورة يدلّ على أنّ الأعمال المذكورة فيها أفضل وأقوى من الحبّ في الله والبغض، وحديث أبي ذرّ رضي الله عنه يدلّ أيضاً على أنّهما أقوى من باقي العبادات، لكنّك عرفت أيضاً أنّ لا تعارض في الحقيقة بين النّصوص الشرعيّة، وعرفت أنّ النّبّي عليه السّلام يبالغ في كلّ باب من العبادة على وجه يتوّهم منه أنّها أفضل من باقي الأعمال على الإطلاق<sup>٨٥٠</sup>.

وعرفت أنّ النّبّي عليه السّلام أفضل البلغاء، وأكمل الخطباء، يصوغ كلامه على نسق مقتضى المقام، ومنوال مقاصد الأنام.

وإذا لاحظت ذلك كله تطّلع على توفيق مثل هذا الكلام، فلا بأس لنا في أنّ نشرع في تعيين الجواب وتفصيل الخطاب هنا عوناً للمبتدئين، وإزالة تردّد المتعلّمين؛ فنقول: / [١٦٤ظ] يجوز أن يكون الحبّ في الله والبغض في الله؛ أي: في حقّ الله لا في غرض الدّنيا، أقوى الإيمان، باعتبار أنّ ذلك دليل على قوّة الإيمان المؤدّية إلى الجّد في عبادة الله، والامتناع

٨٤٨ مسند أحمد، ٣٦/٣٤٥؛ مصابيح السنة، ١/١٢٢.

٨٤٩ صحيح البخاري، الإيمان ٢؛ صحيح مسلم، الإيمان ١٦؛ سنن الترمذي، الإيمان ٣؛ مسند أحمد، ٨/٤١٧.

٨٥٠ ص + وعرفت أنّ ذلك بوجه خاص وأنّ فائدة إيراده في صورة الإطلاق.

عن مخالفته على أقصى الوسع والطاقة، لما عرفت أنّ الحبّ الصادق يجتهد في خدمة المحبوب وتحصيل مراده، ويجتهد في الاحتراز عن مخالفته بقدر طاقته ومكنته، حتى يبذل ماله وروحه في سبيله؛ لتحصيل مراده وبُعَيْتِه، فيكون الحبّ في الله والبغض في الله أفضل من باقي العبادات بتلك الجهة المخصوصة.

ويجوز أن تكون باقي الأعمال مفضلاً عليهما بجهة أخرى ولا توجد فيهما، كما فهم تفضيل الصلّاة والجهد وكفّ اللسان عليهما بجهات أخرى.

وقد عرفت تفصيلها قبل هذا من أنّ الجهاد أفضل الأعمال باعتبار أنّ فيه بذل الروح والتحمّل على المقارعة بالسّهام والسّيوف، والصلّاة أكمل العبادات باعتبار اشتغالها على التعظيمات البدنيّة والقلبيّة؛ كالركوع والسجود، والانتصاب على وجه الخشوع والوقار، وقراءة القرآن والتسبيحات، والتحميدات والتهلّيات والتكبيرات، والدّعوات، وفي كلّ [١٦٥] ركن وآداب صلواتيّة تعظيمات وتذكيرات رمزيّة عالية، لو شرعنا في تفصيلها يطول الكلام، ويلزم الخروج عن مقتضى المقام.

فإن قلت: قوله عليه السّلام: «ألا أخبرك بملاك الأمر كلّه»، يدلّ على أنّ كفّ اللسان أصل العبادات وأقواها، فما توجيه ذلك؟

قلنا: ذلك بوجه خاصّ أيضاً، لما عرفت أنّ اللسان أخفّ الأعضاء وأعلاها في تحصيل الخير والشّرّ، والنفع والضّرّ، كما عرفت بعض تفاصيل الخير في أفضليّة الذكر، وإن أردت معرفة تفاصيل الشّرّ والخير المتعلّقين باللسان، فطالع في كتاب: «مصنّف في بيان آفات اللسان»<sup>٨٥١</sup> وهي عشرون صنفاً ومن أعظمها الكذب، والغيبة، والتّميمة والمضاحك.

فإن قلت: لم خصّ النّبّيّ عليه السّلام في بيان ملاك الأمر كفّ اللسان، مع أن إطلاقه في الأذكار، وقراءة القرآن، والدّعوات، وتعليم العلم، والوعظ والتّصريحات من ملاك الأمر؟ قلنا: لأنّ أمر الكفّ أهمّ وأعظم؛ لأنه أصعب وأعمّ، لأنّ منعه عن المعاصي المتعلّقة باللسان لا يتيسّر إلّا للأقوياء، ولصعوبة المنع وضع أبو بكر رضي الله عنه قطعة حجر في فمه، حتى لا ينفلت منه شيء ممّا لا يعينه، وتلك أمر وجدائيّ/ [١٦٥]ظ.

فإنّ أكثر الناس لو منع عن المباشرة في الممازحة والحكايات والملاهي، بل عن الكذب

٨٥١ كتاب إحياء علوم الدين للغزالي، ١٧٠/٣.

والغيبة والمناهي، ليتكدرّ حاله ويتضيقّ باله، مع أنّه عالمٌ بأنّ ذلك يضرّ في دينه وديناه، ولعسر ذلك المنع وغلبة وقوع المعاصي من جهة اللسان، قال النبيّ عليه السّلام: «هل يكبّ النَّاسُ»، ولم يخصّص الكبّ، وأورد على وجه الحصر وقيدته بالمناخر والقعر؛ لأنّ الطّبيب يعالج على حسب الدّاء، فلمّا كان آفة اللسان من أعضل الأمراض والآفات الظّاهرة، عالج في منع اللسان عنها بأبلغ الوجوه، فكيف وقد سبق إنكار المؤاخذة على وجه الاستغراب المؤدّي إلى تأكيد الرّدّ بالخطأ؟

والقول ب: «ثكلتك أمك»، في الجواب ولكون ترك المعاصي أصعب وأعظم، واشغال النَّاصح به أولى وأهمّ، وصف النبيّ عليه السّلام والقرآن في أكثر الأمر بصفة الإنذار، وقال النبيّ عليه السّلام: «والله إنّني لأحشاكم لله وأنقاكم»<sup>٨٥٢</sup>، و «إنّه ليغان على قلبي، وإنّي لأستغفر<sup>٨٥٣</sup> الله، في اليوم مائة مرّة»<sup>٨٥٤</sup>.

وقد عرفت أنّ الإنسان يحتاج إلى الإنذار والاستغفار، وإن استغرق عمره في طاعة الله تعالى؛ لأنّه لا يقدر على رعاية شرائط العبادة اللائقة بشأنه/ [١٦٦و] الملك الجبار لكثرة العوارض، والعوائق، والقوادح، وغزارة أسباب المكملات من كمال الإخلاص والحضور والثبات وغيرها، ولذا قلّمّا يوجد الإنسان الكامل المستحقّ للبشارة بالفلاح الكامل.

وإذا عرفت أنّ النبيّ عليه السّلام بالغ في ثواب كل طاعة ومنفعته، وعقاب كل معصية ومضرتّه بوجه مخصوص، وفضّل بعض سور القرآن وآياته على بعض باعتبار المعنى والجهة الخاصّة، فافهم منه أنّ جهة الإثابة باللذّة والقربة، أو العذاب والعقوبة في بعض العبادات والسّيئات تدرك بالعقل، فلا وجه لمن انكر الحسن والقبح العقلي، وإلّا يلزم أن يقال في توجيهه: دفع التعارض الظّاهري، والتّوفيق الشّارع حاكم مطلق وله أن يفضّل بعض العبادات على الباقي، ويغلّظ بعض المعاصي بالنسبة إلى الباقي، وعكس الأمر أيضًا بدون جهة مخصّصة. أو المراد من التّفصيل والتّغليظ مجرّد البعث والرّجر، وأنت تعرف أنّ لا وجه لذلك كما لا وجه للإنكار، والله الموقّق والهادي إلى طريق العدل والإنصاف.

٨٥٢ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ مصابيح السنة، ١/١٥٢.

٨٥٣ في المخطوطتين ص، ف ورد بلفظ: «فاستغفر».

٨٥٤ صحيح مسلم، الذكر والداء والتوبة والاستغفار ٢٧٠٢؛ سنن أبي داود، فضائل القرآن ٣٥٩؛ مسند أحمد،

٣/٢٢٤؛ مصابيح السنة، ٢/١٦٤.

## باب ما ينهي عن التهاجر

[١٨٣] قال النبي عليه السلام: «لا يحلّ لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث، فمن هجر فوق ثلاث فمات، دخل النار»<sup>٨٥٥</sup>.

فإن قلت: قد هاجر النبي عليه السلام زوجته زينب في ذي الحجة والمحرم وبعض صفر، مع أنّها زوجته يجب عليه قسمها وصحبته.

قلنا: المراد من الهجرة التي لا يحلّ فيها أن تتجاوز عن الثلاث؛ الهجرة لأمر الدنيا، فإن كان الهجرة لأمر الآخرة، بأن يرى أحدًا على معصية، يجوز أن يهجر عنه مدة عمره، وهجرة الرسول عليه السلام كانت لمنكر عرفه في زينب؛ إذ سبب تلك الهجرة أنّ صفيّة انقطع ظهرها ومركبها في بعض السفر وعند زينب فضل مركب، فقال لزينب عليه السلام: أعطي فضلَ ظهرك صفيّة، فقالت: أنا أعطي تلك اليهوديّة! فغضب النبي عليه السلام فهجرها عنها في تلك المدة على وجه التأديب والتعزير.

وأنت عرفت مرارًا أنّ بعض الأحاديث يقيّد البعض؛ يعني: تكون قرينة التقييد والتوفيق؛ لأنّ تقييد المطلق لا يكون إلّا في حادثة واحدة وحكم واحد، وفي بعض ما ذكرنا من التقييدات لا يوجد الشرطان، فاعلم منه أنّ مرادنا من تقييد البعض؛ أنّ البعض يكون قرينة الجمع والتوفيق، كما أنّ خبر الواحد والقياس يكون / [١٦٧و] قرينة البيان والتقييد للنصوص القاطعة، وإن لم يصلح أن يعارضها.

ولا يخفى عليك أنّ دفع التعارض الظاهر في أكثر المواضع يكون بذلك الأصل، ولذا كان حفظ النصوص الشرعيّة بأسرها شرط الاجتهاد، وبذلك يكشف قوله عليه السلام: «الأناة من الله والعجلة من الشيطان»<sup>٨٥٦</sup> وقوله: «السّمّت الحسن والتّؤدّة والاقتصاد جزء من أربعة وعشرين جزءًا من النبوة»<sup>٨٥٧</sup>. وقوله عليه السلام لعائشة: «عليك بالرفق وإيّاك والعنف والفحش»<sup>٨٥٨</sup>، «فإنّ الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه»<sup>٨٥٩</sup>.

٨٥٥ سنن أبي داود، الأدب ٥٤؛ مصابيح السنة، ٣/٣٨٥.

٨٥٦ سنن الترمذي، البر والصلة ٦٦؛ مصابيح السنة، ٣/٣٩٠.

٨٥٧ سنن الترمذي، البر والصلة ٦٦؛ مصابيح السنة، ٣/٣٩٢.

٨٥٨ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ مصابيح السنة، ٣/٢٦٩.

٨٥٩ صحيح مسلم، البر والصلة والآداب ٢٥٩٤؛ مسند أحمد، ٤١/٤١٥؛ مصابيح السنة، ٣/٣٩٤.

وقوله عليه السّلام: «المؤمنون هينون لّيتون كالجمل الأنف»<sup>٨٦٠</sup>.

لما عرفت أنّ الأناة والتّؤدة ليستا بمدوحتين على الإطلاق؛ لأنّ كل أمر يكون جبراً على القطع، يجب التّعجيل في إتمامه كما في الفرائض المؤقتة أو يستحبّ كما في الفرائض المطلقة، ولذا قال النّبّي عليه السّلام: «التّؤدة في كلّ شيء خير<sup>٨٦١</sup> إلّا في عمل الآخرة»<sup>٨٦٢</sup>. وهذا ليس يجار على إطلاقه أيضاً؛ لأنّ ذلك مقيد بما يكون خيرته قطعياً، إذ يجب في المواظبة على التّوافل تّؤدة وتأمّل كثير، حتى لا يلزم التّراجع، وتفصيل ذلك الباب كثيرة أيضاً.

والرفق أيضاً/ [١٦٧ظ] لا يكون ممدوحاً على الإطلاق، كما أنّ العنف ليس بمذموم على الإطلاق؛ لأنّ الرفق وترك العنف ممدوح في المخاصمة والمكافأة في حقّ نفسه، لا في حقّ الشّرع، لوجوب العنف وترك الرفق في إقامة الحدود ونهي المنكرات، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ [النور: ٢] وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٣٢] وقوله تعالى: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]. وكذا اللين والهيونة والانقياد ليست بمرضية على الإطلاق؛ لأنّ اللين والانقياد يجب أن يكون في اتّباع الحقّ والدّعوة إلى الطّاعة، وترك المكافأة والخصومة إلّا عند رؤية المنكرات، والدّعوة إلى المعصية.

قال النّبّي عليه السّلام: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصّيام والصّلاة والصدقة؟ قالوا: بلى، قال: إصلاح ذات البين، فإنّ فساد ذات البين هي الحالقة»<sup>٨٦٣</sup>. قال عليه السّلام في تفسيرها: لا أقول تحلق الشّعر ولكن تحلق الدّين. قال: «إيّاكم والحسد، فإنّ الحسد يأكل الحسنات كما يأكل النّار الحطب»<sup>٨٦٤</sup>.

فإن قلت: إصلاح ذات البين عبارة عن رفع العداوة بين المؤمنين، وذلك ليس بأفضل من

٨٦٠ مصابيح السنة، ٣/٣٩٩.

٨٦١ هذا اللفظ غير موجود في سنن أبي داود ومصابيح السنة.

٨٦٢ سنن أبي داود، الأدب ١١؛ مصابيح السنة، ٣/٣٩١.

٨٦٣ سنن أبي داود، الأدب ٥٧؛ سنن الترمذي، صفة القيامة والرفائق والورع ٥٦؛ مسند أحمد، ٤٥/٥٠٠؛

مصابيح السنة، ٣/٣٨٦.

٨٦٤ سنن أبي داود، الأدب ٥١؛ مصابيح السنة، ٣/٣٨٦.

الصَّلَاة والصَّوْم والصدقة؛ لأَنَّها من / [١٦٨ و] أركان الإسلام بالاتِّفاق دونه والحسنات أيضًا لا تحبب بغير الكفر، والحسد وفساد ذات البين كيف يحبطانها ويزيلانها؟

### أقوال بعض العلماء في هذه المسألة:

\* قال الأشرقي<sup>٨٦٥</sup> في الجواب: إنَّ إصلاح ذات البين أفضل من نوافل الصَّلَاة والصَّوْم والصدقة<sup>٨٦٦</sup>.

وأنت تعرف أنه ليس بأفضل من نوافلها، وأنَّ المراد بيان أفضليَّته بوجه خاص، وأنَّ فائدة الإطلاق مقتضى المقام من غاية كون الإصلاح مهما، أو السامع إليه محتاجًا، أو فائدته التحريض على الإصلاح بالوجه القوي.

\* قال الإمام التَّوربشتي: الحسد لا يحبط العمل، بل يؤدِّي إلى ذلك؛ لأنَّ الحسد يؤدِّي إلى شتم المحسود وهتك عرضه، وغيبته وإتلاف ماله، فيذهب بذلك ثواب بعض حسناته<sup>٨٦٧</sup>.  
\* أو نقول: تضعيف المثوبات بقدر مرتبة العابد، وإذا حَسَدَ يُحْرَمُ عن بعض الأضعاف.  
\* وقال بعض الشَّراح: كلَّ حسنة تضاعف بعشر أمثالها، وإذا أتى بسبيئة نقصت واحدة من تلك العشرة.

\* وقيل: يعطى بعض ثواب الحاسد المحسود يوم الجزاء بقدر حسده.

\* وقيل: الحسد يمنع الحاسد عن فعل الحسنات.

وتأويل الخالقة ما ذكر أيضا، وإنَّما ذهبوا / [١٦٨ ظ] إلى التَّأويلات المذكورة لعلمهم بأنَّ ثواب العبادة لا يذهب بدون الارتداد.

ويمكن أن يقال: يجوز أن يكون بعض شروط قبول عمل العابد، بل ثوابه خلوص قلبه عن العداوة والحسد في حقِّ المؤمن الصالح، وإن لم يكونا مزيلين ثواب العبادة ومحبطين إيَّاه، فيكون المراد من الحلق والأكل كونهما مانعين من القبول أو ترتب الثَّواب، ولا تستبعد ذلك،

---

٨٦٥ هو أبو خطاب محمد بن زنطار الأشرقي، توفي في صفر عام ٦٨٣هـ. خادم الأثر بدار الحديث، روى «مسند الشافعي» عن ابن الزبيدي. وربما قصد الإزنيقي ابنه الخطاب الذي ولد سنة ٦٤٨هـ وتوفي في الخامس من شعبان سنة ٦٩٩هـ، وروى الحديث عن فرح الحبشي وعثمان ابن خطيب القرافة، والله أعلم.

٨٦٦ ذكر الطيبي ما قاله الأشرقي في شرحه، قال: قال الأشرق: المراد بقوله عليه السلام: «أفضل من درجة الصيام والصدقة والصلاة» النوافل منها دون الفرائض. انظر: شرح المشكاة للطبي، ١٠/٣٢١٣. بتصرف.

٨٦٧ هذا ما قاله في الميسر، انظر: الميسر في شرح مصابيح السنة، ٣/١٠٨٣.

فإنّ ترتّب الثّواب لما تعلّق بتحصيل الشّروط الظّاهرة وجمعها؛ كطهارة الثّوب والبدن والمكان، وستر العورة، والوقت والنّيّة، يجوز أن يتعلّق بتحصيل الشّروط القلبية الباطنة؛ كتخلية القلب عن الرّياء والحسد، والعداوة والكبر، والعجب، والندم على فعل العبادة، لما عرفت أنّ أمر القلب أهمّ وأعظم؛ لأنّ المقصود من العبادات الظّاهرة كونها سبباً لإصلاح القلب وتنويره. أو نقول: تخلية القلب عن العداوة والحسد شرط كمال العبادة، وإذا لم يوجد، تكون العبادة ناقصة، والنّاقص عند طلاب الكامل بمنزلة المزال والمعدوم، ولذا قال هي الحالقة وتأكل الحسنات.

فإن قلت: / [١٦٩و] إذا كان تخلية القلب عن الأخلاق المذمومة المفسدة شرطه الثّواب، أو القبول أو الكمال، فما وجه تخصيص العداوة والحسد من بينها بالدّكر؟ قلنا: لاقتضاء المقام ذلك، لما عرفت أنّ البليغ لا يترك التّكثيف في التّخصيص الدّكري، كما في الحصري.

فإن قلت: المظالم أشنع من الأخلاق المذمومة، فلم يكن الاحتراز عنها شرط الثّواب، كما قال النّبّي عليه السّلام: «إنّ المفلس من أمّتي يأتي يوم القيامة بصلاة، وصيام، وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته»<sup>٨٦٨</sup> الحديث، فلم كان الاحتراز عن الأخلاق المذمومة شرط دون الاحتراز عنه؟ قلنا: لأنّ التّخلية عنها شرط طهارة القلب، بخلاف المظالم والنّصوص الشّرعية المصرّحة لما ذكرنا كثيرة مذكورة في علم الأخلاق، وإن لم يذكرها المشتغلون ببيان تفاصيل الأعمال الظّاهرة؛ كالفرائض الأربع.

والأسهل في الجواب أن يقال: المراد من الحلق والأكل لزمهما، وهو المنع عن العداوة والحسد بأبلغ الوجوه، لوجود القرينة الصّارفة عن إرادة الظّاهر.

#### / [١٦٩ظ] باب الرّفق والحياء

[١٨٤] قال النّبّي عليه السّلام: «من يُجرّم الرّفق، يُجرّم الخير»<sup>٨٦٩</sup>، وقال عليه السّلام:

---

٨٦٨ صحيح مسلم، البر والصلة والآداب ٢٥٨١؛ مسند أحمد، ٤٣٧/١٤.  
٨٦٩ صحيح مسلم، البر والصلة والآداب ٢٥٩٢؛ سنن أبي داود، الأدب ١١؛ سنن ابن ماجه، الأدب ٩؛ مسند أحمد، ٥٧٠/٣١؛ مصابيح السنة، ٣/٣٩٤. ملاحظة: في سنن أبي داود أضاف لفظ «كله» بعد «يجرم الخير».

«الحياء لا يأتي إلا بخير»<sup>٨٧٠</sup>، وقال: «إنَّ ممَّا أدرك النَّاس من كلام النَّبوة الأولى إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت»<sup>٨٧١</sup>.

فإن قلت: انعدام الرِّفق لا يؤدي إلى انعدام الخير مطلقاً، وكذا لا يؤدي الحياء إلى إتيان الخير مطلقاً، بل قد يصاب الخير بترك الرِّفق والحياء، كما لا يلين ولا يستحي من هتك ستر المرتكب في المنكرات غير الممتنع عنه بالوعظ والنَّصيحة والرِّفق، بل يغلُظ ويهتك ستره بالشَّهادة، أو بإقامة الحدِّ عليه. وقد يصاب بالشَّر والضَّر بسبب الرِّفق والحياء، بأن يلين ويستحي في نهي المنكر فيأثم. وقوله: «فاصنع ما شئت» يدلُّ بعمومه على جواز فعل المعاصي وذلك لا يجوز.

قلنا: قد عرفت أنَّ المراد من الرِّفق الممدوح؛ هو الرِّفق الواقع في محلِّه، وكذا في تركه، فمن حرم عن الرِّفق في موضعه يجرم عن الخير المتعلِّق بالرِّفق، لا عن مطلق الخير لما عرفت أنَّ أسباب الخير كثيرة.

والمراد من الحياء؛ الحياء الإيمانيّ وهو مانع قويٌّ عن الارتكاب في القبائح شرعاً، فلا يترك الحييَّ النَّهي عن المنكرات وإقامة الحدود على شارب الخمر، / [١٧٠و] والزَّاني والقاذف؛ لأنَّهما قبيحان شرعاً، ففي الجملة يمتنع من له حياء عن فعل المعاصي، فلا يترك الخير بسبب حياؤه لأنَّه معصية.

فإن قلت: إذا كان ترك الرِّفق سبباً للحرمان عن الخير المتعلِّق حصوله بالرِّفق، فما وجه إيراده في صورة الإطلاق؟

قلنا: قد عرفت مراراً فائدة الإطلاق فلا نعيده، لكن نفصِّلك بعض فضائل الرِّفق، حتَّى تفهم بذلك استحقيقه بإيراد الخير في صورة الإطلاق. فاعلم أنَّ الرِّفق من آثار رقة القلب وقوة قابليّته، وإذا رق قلب العابد، يتنوّر وينشرح، ويعمل بما علمه وسمعه من الخير مع نشاط ولذّة ومواظبة، ولا يتهاون فيه، وإذا غلُظ طبعه وقسى قلبه، لا يميل إلى طاعة، ولا يقبل النَّصيحة، ولا يتأثّر في قلبه بسهولة وسرعة، ولا يمتنع عن المعصية ولا يخاف منها إن فعلها،

---

٨٧٠ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ صحيح مسلم، الإيمان ٣٧؛ مسند أحمد، ٦٤/٣٣؛ مصابيح السنة، ٣٩٥/٣.

٨٧١ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ سنن أبي داود، الأدب ٧؛ سنن ابن ماجه، الزهد ١٧؛ مسند أحمد، ٣١٩/٢٨؛ مصابيح السنة، ٣٩٥//٣.

ولا يتوب عنها على سرعة. ولذا قال النبي عليه السلام: «من أعطي حظه من الرفق، أعطي حظه من خير الدنيا والآخرة، ومن حرم حظه من الرفق، حرم حظه من خير الدنيا والآخرة»<sup>٨٧٢</sup>. وأنت تعرف أن أسباب خير الدنيا والآخرة كثيرة، إذ كل طاعة سبب لخير الدنيا والآخرة/ [١٧٠ظ] وإن كان بينهما تفاوت، فالمراد من الحظ؛ الحظ المنوط بالرفق، فيكون من تبعيضه وفائدة الإطلاق، بيان كثرة ثمرات الرفق في باب الخير لما عرفت بعض تفاصيله. ويمكن أن يقام الحظ الكثير مقام الكل، فيكون من بيانه، وأنت تعرف أن جواب القاصرين في أمثاله الحمل على التحريض اللازم؛ لسماع المبالغة الظاهرية ومعرفتها.

وأجاب بعض الشراح عن قوله: «فاصنع ما شئت»:

\* بأن أبا عبيدة قال: «فاصنع» صيغة أمر والمراد منه الخير.

\* وقال أبو العباس<sup>٨٧٣</sup>: المراد من الأمر هنا الوعيد كقوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: ٤٠].

\* وقال أبو اسحاق<sup>٨٧٤</sup> معناه: انظر إلى ما تريد، فإن كان مما لا يستحي فافعل وإلا فاترك<sup>٨٧٥</sup>.

ويمكن أن يقال: المراد من الأمر التوبيخ والتقريع، أي: إذا لم تستحِ وزال منك الحياء الإيماني، خرجت عن محل التكليف ومقام الإنسانيّة ومنازل العبوديّة، فلا ينفع فيك كلام الشارع «فاصنع ما شئت».

وفيه تقريع عظيم وتوبيخ شديد يمنع عن ترك الحياء الإيمانيّ بأبلغ الوجوه، ونظيره قوله تعالى: ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْىَ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الزخرف: ٤٠] وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢] وقوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمِعُ الصُّمَّ﴾

٨٧٢ سنن الترمذي، البر والصلة ٦٧؛ مسند أحمد، ١٥٣/٤٢؛ مصابيح السنة، ٣/٣٩٦. لفظ: «في الدنيا والآخرة» غير موجود في سنن الترمذي.

٨٧٣ هذا ما ذكره الخطابي في كتابه معالم السنن. انظر: معالم السنن، ٤/١١٠.

٨٧٤ هو الإمام الكبير، شيخ الشافعية، وفتيحه بغداد، أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد المروزي، صاحب أبي العباس بن سريج، وأكبر تلامذته. توفي في ٩ رجب سنة ٣٤٠هـ. درس في بغداد، وكتب التصانيف وشرح المذهب، ثم رحل إلى مصر وتوفي فيها ودفن عند ضريح الإمام الشافعي. انظر: سير أعلام النبلاء، ١٥/٤٢٩.

٨٧٥ ذكره الخطابي في كتابه معالم السنن، قال: قال أبو إسحاق المروزي: معناه أن ينظر فإذا كان الشيء الذي يريد أن يفعله مما لا يستحي منه فافعله، يريد أن ما يستحي منه فلا يفعله. انظر: معالم السنن، ٤/١١٠.

الُدَّعَاءُ ﴿ [النمل: ٨٠] / [١٧١و] وقوله تعالى: ﴿ذَرَّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر: ٣].

### باب الغضب والكبر

[١٨٥] قال النبي عليه السلام: «ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف متضاعف لو أقسم على الله لأبره. ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عُتْلٍ جَوَّازٍ مستكبر»<sup>٨٧٦</sup>.

[١٨٦] وقال عليه السلام: «لا يدخل النار أحد في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان، ولا يدخل الجنة أحد في قلبه مثقال حبة خردل من كبر»<sup>٨٧٧</sup> وقال: «الكبر بَطْرُ الْحَقِّ»<sup>٨٧٨</sup>.

[١٨٧] وقال: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم: شيخ زان، ومملك كذاب، وعائل مستكبر»<sup>٨٧٩</sup>.

فإن قلت: أصناف أهل الجنة وأصناف أهل النار كثيرة، لما عرفت أن كل عبادة سبب لدخول الجنة، وكل معصية سبب لدخول النار، فما فائدة تخصيص الضعفاء بكونهم أهل الجنة، وما<sup>٨٨٠</sup> فائدة تخصيص العتْل والجَوَّازِ والمتكبر بكونهم أهل النار؟

قلنا: قد عرفت مراراً أن تخصيص مثل هذا الكلام وجود مقتض من مقتضيات المقام، بأن يكون ذكر الضعيف لتسلية قلوب الضعفاء، أو بيان أن الضعف والمسكنة والفقر والقناعة من أكثر أسباب دخول الجنة؛ لأن المراد من الضعف / [١٧١ظ] ذلك، لا ضعف المزاج.

وبالغ في الضعيف بقوله: «المتضعف»، أي: الذي يحتقره الناس لعدم جاهه وماله، وغاية مسكنته وفقره، ولذلك قال: «لو أقسم على الله لأبره» وذلك يدل على كمال قربته ومرتبته عند الله، حتى يتيسر له ما حلف عليه لئلا يحنث، وذلك أمانة العناية والمحبة.

وكذا تخصيص العتْل الذي هو شديد الخصومة بالباطل، والجَوَّاز الذي هو الصيِّاح، المهذار المختال في مشيته، والمتكبر يعظّم نفسه على الغير، ويسهّل أمر العبادة ولا يبالي بتركه؛

---

٨٧٦ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧٠؛ صحيح مسلم، صفة القيامة والجنة والنار ٢٨٥٣؛ سنن الترمذي، صفة جهنم ١٣؛ سنن ابن ماجه، الزهد ٤؛ مسند أحمد، ٢٩/٣١؛ مصابيح السنة، ٤٠١/٣.

٨٧٧ صحيح مسلم، الإيمان ٩١.

٨٧٨ صحيح مسلم، الإيمان ٩١؛ مصابيح السنة، ٤٠٢/٣.

٨٧٩ صحيح مسلم، الإيمان ١٠٧.

٨٨٠ ص، فما.

للتقريع على ما اتّصف بها والزّجر عن مقاربتها، أو لبيان أنّ أكثر أهل النّار متّصف بتلك الأوصاف.

وقد عرفت أنّ نبيّنا عليه السّلام أبلغ الخطباء، لا يترك الاعتبارات الّلائقة بمقامات الكلام، كما أنّ الطّبيب الحاذق لا يترك في العلاج مقتضيات الأمراض المختلفة، ولذا قال رجل لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم: أوصني، قال: «لا تغضب»، فردّ مرارًا وقال في كلّ ذلك: «لا تغضب»<sup>٨٨١</sup>. وقال رجل آخر: أوصني، قال: «خذ الأمر بالتّديير»<sup>٨٨٢</sup>. وقال أبو برزة: علّمني شيئًا أنتفع به. قال: «اعزل الأذى عن الطّريق»<sup>٨٨٣</sup>.

[١٨٨] وقال سفيان بن عبد الله بن التّقي قال: قلت يا رسول الله، قل لي في الإسلام/ [١٧٢] قولًا لا أسأل عنه غيرك، قال: «قل: آمنت بالله، ثمّ استقم»<sup>٨٨٤</sup>. [١٨٩] وقال آخر: أيّ الأعمال أفضل؟ قال: «أن تفارق الدّنيا ولسانك رطب من ذكر الله». وقال آخر: إنّ شرائع الإسلام كثيرة فأخبرني بأمر أتشبّث به، قال: «لا يزال لسانك رطبًا بذكر الله»<sup>٨٨٥</sup>.

وأنت تعرف أنّ مراد طالب الوصيّة والتّعليم أن يعرف<sup>٨٨٦</sup> أنفع المطالب له، ووجب أيضًا على المعلّم المسؤول عنه أن يعلمه ما هو أهمّ وأنفع له، فلمّا كان نبيّنا عليه السّلام أكمل البلغاء أفضل الخطباء، وعلم أنّ الأهمّ لبعض المستوصي ترك الغضب لإفراط غضبه، ولبغضه ترك العجلة لإفراط عجلته في أمر الدّنيا؛ فقال لأحدهما: لا تغضب، وللآخر خذ الأمر بالتّديير، ولا يتوهّم من ذلك أنّ ترك الغضب والعجلة أفضل العبادات وأهمّ الطّاعات، أو هما يكفيان لهما في باب العبادة.

كما أنّ الطّبيب الحاذق والحكيم الصّادق يرشد المرضى إلى ما يناسبهم، فيأمر بعضهم بأكل

---

٨٨١ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ سنن الترمذي، البر والصلة ٧٣؛ مسند أحمد، ٢٣٦/٣٨؛ مصابيح السنة، ٤٠٠/٣.

٨٨٢ مصابيح السنة، ٣٩١/٣.

٨٨٣ صحيح مسلم، البر والصلة والآداب ٢٦١٨.

٨٨٤ مسند أحمد، ١٤١/٢٤؛ مصابيح السنة، ١١٦/١.

٨٨٥ سنن الترمذي، الدعوات ٤؛ سنن ابن ماجه، الأدب ٥٣؛ مسند أحمد، ٢٢٦/٢٩.

٨٨٦ ف، تعرف.

العسل ويمنعه عن شرب الخَلِّ وسائر المطاعن والمشارب الباردة<sup>٨٨٧</sup>، ويأمر بعضهم بخلافه، والجاهل يحمل كلامه على التّدافع والتّعارض، والعالم يفهم من معالجته على مقتضى الأمراض أنّه طيب كامل ومعالج/ [١٧٢ظ] فاضل.

وقال<sup>٨٨٨</sup> لأبي برزة في التّعليم: اعزل الأذى، ولا يتوّهم منه أنّه أفضل الأعمال، أو قَصَرَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في تعليم أفضل الأعمال أو بعثه على الاقتصار عليه، بل افهم أنّ مراده عليه السّلام بعثه على جمع جميع العبادات؛ لأنّ إيجاب عمل الأدنى إيجاب بعمل الأعلى بدلالة النصّ.

فإن قلت: لم لم يقل اعمل كلّ الطّاعات إذا كان مراده ذلك؟

قلنا: في تعبير إيجابه عليه فعلٌ كلّ العبادات بذلك الطّريقة نكتة خفيّة وحكمة بهيّة: لأنّ قوله: (شيئاً يرمز) إلى أنّ النّافع عنده بعض الأعمال وهو الأكمل والأعلى من الطّاعات، فأرشدّه النّبّي عليه السّلام إلى أنّ الواجب على طالب الكمال أن يجتهد فعل جميع الأعمال، لما عرفت أنّ رضا الله مستور بينها لا يعرف العبد بأيّ عمل يحصل له، ولذا أوجب الأعلى والأكمل بإيجاب الأدنى والأقلّ.

وفيه من وجه تفرّيع بل تجهيل، فاعرف ذلك كله، وحتّ بعض السّائل والطّالب وبعثه على مواظبته على الذّكر؛ لكونها مناسبة لحاله، لا لكونها أفضل الأعمال ولا لبعثه على الاقتصار عليها من بين العبادات.

فإن قلت أيضاً: لا يكفي الإيمان المجرد في المنع عن دخول النّار، فما معنى قوله: «لا يدخل النّار/ [١٧٣و] أحد في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان». ومجرد الكبر لا يمنع عن دخول الجنّة، فما تأويل قوله: «لا يدخل الجنّة أحد في قلبه مثقال حبة من خردل من الكبر»؟ والطّوائف التي لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة كثيرون، فما معنى تخصيص الثلاثة؟ وما معنى قيّد الرّائي بالشّيوخوخة وقيّد الكذّاب بالملك، وقيّد المستكبر بالعيّل والفقير، مع أنّ مجرد الرّنا، والكذب والكبر سبب لدخول النّار؟ وكذا ما معنى ضمّ الجوّاظ والمستكبر إلى العتّل، مع أنّ العتّل يكفي في السّببيّة؟

٨٨٧ ص، النادرة.

٨٨٨ - ف.

قلنا: قد عرفت ممّا سلف من القواعد فائدة التّجرد والضّمّ وذكر الثلاثة ويقدر على استخراج الفائدة والنّكته فيها هنا، لكنّ الأولى أن نفصّل ونصرّح بعض الفوائد والنّكت عوناً للمبتدئين، حتّى لا يتكلّفون في الرّجوع إلى التّأمّل في القواعد، والتّدبر في استخراج الفائدة والنّكته المخصوصة المناسبة لما ذكر في هذا الموضوع من التّجرد والبعء، فنقول:

مجرد الإيمان يكفي في الدّخول في الجنّة، إن لم يمنع مانع، ويكفي الكبر في المنع عن دخول الجنّة، إن لم يوجد مزيله من التّوبة أو العفو أو غلبة الحسنات، أو لا يدخل المتكبر الجنّة/ [١٧٣ظ] ما لم يعاقب بمقدار قبحه.

وتخصيص ثلاثة بعدم التّكلم والنّظر لا ينافي عدمهما في حقّ غيرهم، وفائدة التّخصيص بيان زيادة شناعة الرّنا، والكذب، والكبر وقبحها، لا لإخراج غيرهما. والنّكته في ضمّ الجوّاظ والمتكبر؛ التعريض للمتّصف بالأوصاف الثلاثة القبيحة، أو لمنع جمعها، أو لبيان قوّة سببيّة ذلك الاجتماع للعذاب، أو لسبب آخر من مقتضيات المقام التي عرفت بعض تفاصيلها، أو<sup>٨٨٩</sup> حكمة.

قيّد الرّنا بوجوده في الشّيخ، وقيّد الكبر بوجوده في الفقير والكذب في الملك؛ إظهار غاية شناعة المتّصف بها، لأنّ ذلك يدلّ على فساد الجوهر وخبائثة الدّات؛ لأنّ الكبر إذا وجد في الغناء ربّما يقال: لعلّ ذلك لعارض وهو بطر المال وطغيان الغنى. والكذب إذا وجد في غير الملك قد يكون لغرض الدّنيا من جلب النّفع أو دفع الضّرّ. والرّنا إذا صدر من شابّ فلعلّ ذلك لغلبة شهوة الفرج لا لخبائثة الطّبع، فيكون قيّد الأوصاف المذمومة بوجودها فيمن ذكر لما ذكرنا، وأمثال هذ كثيرة في عبارة الشّارع، كما قال النّبّيّ عليه السّلام: «بئس العبد عبدٌ تحيّل واختال ونسي الكبير المتعال، بئس العبد عبد / [١٧٤و] تجبرّ واعتدى ونسي الجبار الأعلى، بئس العبد عبد سها ولها ونسي المقابر والبلى، بئس العبد عبد عتا وطغى ونسي المبدأ والمنتهى»<sup>٨٩٠</sup>.

فإنّ كل واحد من الخصال المذمومة سبب الدّم، فيكون فائدة ضمّ الغير لبيان زيادة قباحة الجامع بها والنّهي عن جمعها، أو التعريض لجامعها، أو لبيان أنّ الأولى من كلّ منها مبدئ

٨٨٩ ص، و.

٨٩٠ سنن الترمذي، صفة القيامة والرفائق والورع ١٧؛ مصابيح السنة، ٣/٤٠٣.

ومؤدّي إلى الأخرى غالبًا، ففيه أبلغ منع منها لغلبة اجتماع تلك الأوصاف في المخاطبة، أو في ذلك الموضوع لما ستعرف أنّ طباع كلّ قوم يقتضي صنفًا من الصفات الممدوحة أو المذمومة، فحينئذ لا يدلّ انتفاء الضّمّ لانتفاء الدّمّ بالاتّفاق؛ لأنّ شرط العمل بمفهوم المخالفة عند القائلين به أن لا يوجد فائدة سوى إخراج المطلق والمفرد عن ترتّب الحكم عليه، وهنا وجدت، ونحن لا نقول بمفهوم المخالفة، لكننا نقول: لا بدّ من القيد من فائدة إذا لم يكن شرطًا في وجود الحكم، ولذا يُشتغلُ باستنباط النّكتة في أمثال ذلك.

### باب الظلم

[١٩٠] روى أبو هريرة أنّ النّبّيّ عليه السّلام قال: «أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال عليه السّلام: المفلس من أمّتي من يأتي يوم القيامة / [١٧٤ظ] بصلاة وصية وزكاته، ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإنّ فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثمّ طرح في النّار»<sup>٨٩١</sup>.

[١٩١] وقال: «لتؤدّنّ الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتّى تقاد الشّاة الجملاء من الشّاة القرناء»<sup>٨٩٢</sup>.

وفي الحديث نكتة نبهية؛ لأنّ المفلس في اللّغة من لا درهم ولا متاع له، لكن لما كان ذلك الإفلاس وضرره قاصرًا، والإفلاس عن بضاعة العبادة في الآخرة فظيماً<sup>٨٩٣</sup> كاملاً وضرره عظيمًا شاملاً، قال: «إنّ المفلس من يأتي» على طريق القصر؛ لأنّ النّاقص في جنب الكامل بمنزلة المعدوم.

فإن قلت: من يأتي بصلاة، وصيام وزكاة ليس بمفلس؟ قلنا: إذا ذهبت ولم ينتفع صاحبها بها نزلت بمنزلة المعدوم.

فإن قلت: تعذيب الظّالم لوزر المظلوم مخالف لظاهر الآية، لأنّ الله تعالى قال: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤].

٨٩١ سنن الترمذي، صفة القيامة والرفائق والورع ٢؛ مسند أحمد، ١٣٨/١٤.

٨٩٢ مسند أحمد، ٤٣/١٤.

٨٩٣ ص، قصد.

قلنا: قال الإمام التّوربشتي في جوابه: المعاقبة به<sup>٨٩٤</sup> بسبب ظلمه، ولم يعاقب بغير خباياه<sup>٨٩٥</sup>. قلنا: هذا تأويل وتوفيق، لكن لم ينكشف به معنى الطّرح، فيمكن أن يقال/ [١٧٥و] معنى الآية أنّ النفس الوازرة لا تحمل وزر نفس أخرى، بأن تقول وزر عمك عليّ فافعل ما شئت، فطرح وزر المظلوم على الظّالم كان على سبيل العدل وتوفية حقّ المظلوم، فلا ينافي ذلك معنى الآية.

والأنسب أن يقال المراد من طرح ذنوب المظلوم على الظّالم؛ تعذيب الظّالم في مقابل ظلمه، وتخفيف عذاب المظلوم لأجل مظلوميّته، فيكون من باب إطلاق السّبب وإرادة المسبّب بقريظة الآية والنّصّ الأقوى الدّافع عن جريان الطّرح على الظّاهر.

### باب الأمر بالمعروف

[١٩٢] قال النّبّيّ عليه الصّلاة والسّلام: «من رأى منكم منكراً فليغيّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»<sup>٨٩٦</sup>.

فإن قلت: الإيمان عبارة عن التّصديق بوحداية الله تعالى وصدق رسوله على سبيل الجزم والإقرار بهما حالة الاختيار، فهما لا يقبل الزيادة والتّقصان، والضعف والقوّة، مع أنّ اقتصار المعبر على إنكار قلبه كان لعدم استطاعته، وقدرته على التّغيير باليد واللّسان، فكيف قيل أضعف الإيمان؟

قال بعض الشّراح: المراد من الإيمان أعماله وثمراته، وهذا توجيه جيّد؛ لأنّ النهي عن المنكرات من ثمرات/ [١٧٥ظ] الإيمان، والاقتصار على الإنكار القلبي فيه أضعف من النهي باليد واللّسان، باعتبار الظّهور والتّأثير.

ويمكن أن يقال: الاقتصار أضعف الإيمان، باعتبار الوصف لما عرفت أنّ الإيمان لا يزيد ولا ينقص باعتبار الذات والأجزاء، إذا لم يجعل الأعمال من الإيمان كما عرفت بعض تفاصيل،

٨٩٤ ص، فيه.

٨٩٥ قال التّوربشتي في تأويل هذا الحديث: إذا لم يكن حسنة للظالم يقتص بها ما عليه من المظالم، أخذ بمظلمة صاحبه فطرح في النار، وغفر لصاحبه خطايه لكونه مظلوماً، فيصير كأنه أخذ من المظلوم ما عليه وزر وطرح على الظالم. انظر: الميسر في شرح مصابيح السنة، ٣/١٠٩٥.

٨٩٦ صحيح مسلم، معرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامة الساعة ٤٩؛ سنن ابن ماجه، الفتن ٢٠؛ مسند أحمد،

٤٢/١٨؛ مصابيح السنة، ٣/٤٠٧.

ولكن يزيد وينقص، ويقوى ويضعف باعتبار الوصف والقوة، فإنَّ إيمان جبرائيل عليه السَّلام ونبينا صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم ليس كإيمان العامي المقلد في القوة والثبات. وبذلك الاعتبار قال النَّبِيُّ عليه السَّلام: «لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض لرجح»؛ لأنَّ قوَّة يقينه في الإيمان بلغت إلى مرتبة لا يمكن التَّغيُّر والتَّراجع فيها، وإن تراكم عليه جميع المعارضات وتزاحم عليه كلَّ المشتبهات من قبل النَّفس، والشَّيطان، وأبناء الدُّنيا.

وإذا عرفت ذلك، فاسمع بعض تفاصيل ما ذهبنا إليه، فاعلم أنَّ اقتصار النَّاهي على إنكار قلبه إمَّا لخوف هلاكه، أو لذهاب ماله وجاهه، أو لانتهاك عرضه أو غير ذلك من منافع النَّفس ومقاصد البدن، وذلك يدلُّ على ضعف إيمانه؛ لأنَّ من قويَّ إيمانه واستولى/ [١٧٦و] على القلب نوره لا يتمالك على نفسه في موضع الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، فيأمر وينهي ويجتهد فيهما بيده ولسانه، ولو علم هلاكه في ذلك الباب يرضى<sup>٨٩٧</sup> به، ولم يكن هذا حظَّ أمثالنا، وإن كان حريًّا بحالنا ودليلاً على قوَّة إيماننا وبالنا.

[١٩٣] وقد قال النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم في مدح العالمين بالعزيمة بقوله: «فإنَّ وراءكم أيَّام الصَّبر، فمن صبر فيهنَّ كان كمن قبض على الجمر، للعامل فيهنَّ أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله، قال: يا رسول الله أجر خمسين منهم؟ قال: أجر خمسين منكم»<sup>٨٩٨</sup>. والمراد من أيَّام الصَّبر؛ أيَّام ظهر فيها الفتن والمنكرات، ولم يوجد فيها معين في أمر الدِّين، فمن اشتغل فيها بالطَّاعة والأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، يكون أجره كأجر خمسين من الصَّحابة، وذلك التَّضاعف لزيادة التَّعب والمشقة في الطَّاعة، والنَّهي عن المنكرات والتَّصيحة، وإلى ذلك أشار النَّبِيُّ عليه السَّلام بقوله: «من أحيأ ستنِّي عند فساد أمَّتِي فله أجر مائة شهيد».

ويمكن أن يقال أيضاً: المراد من أضعف الإيمان؛ إيمان العاصي والمانع عن إقامة وظيفة نهي المنكرات باليد واللسان، أو أضعف ثمراته بالنسبة إلى المانع، لا إلى النَّاهي. لكن أنت عرفت الفرق بين التَّحقيق/ [١٧٦ظ] المناسب للمعنى والكلام، والمقارب إلى السَّوق والمقام، وبين التَّأويل المقتصر على دفع التَّعارض الظَّاهريِّ وتصحيح الأمر التَّأليفيِّ.

٨٩٧ ص، يقضي.

٨٩٨ سنن أبي داود، الملاحم ١٧؛ سنن الترمذي، تفسير القرآن ٦؛ سنن ابن ماجه، الفتن ٢١؛ مسند أحمد،

١٥/٣٤؛ مصابيح السنة، ٣/٤١٠.

فإن قلت: ما وجه ضعف إيمان غير المستطيع للتهي باليد واللسان وذلك لا يجوز؛ لأن الله تعالى قال: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨] ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

قلنا: لا نم عدم ضعف إيمان العامل بما وجب عليه، فإن النساء تعجزت عن منع عروض الحيض لأنفسهن، وعن التخلص عن نقصان عقلمن، مع أن النبي عليه السلام قال في حقهن: «هن ناقصات العقل والدين»<sup>٨٩٩</sup>، لذهنهن ونقصان دينهن بسبب نقصان عبادتهن بسبب الحيض، وهذا لأتاهما في قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ﴾ لأن النقصان والذم في الحديث لانعدام شرط الكمال بسبب العجز، ومعنى الآية: بيان عدم التكليف عند انعدام القدرة، لا بيان عدم النقصان والضعف في العبادة، وعدم الفرق بين العزيمة والرخصة في الثواب والفضيلة.

ولو سلم أن الضعف لا يحصل بدون القدرة، قلنا: للمقتصر قدرة على التهي عن المنكرات باليد واللسان، وإن لم يجب ذلك عليه، لكن لا يشرع/ [١٧٧و] فيه للخوف عن الضرر في أمر دنياه، فيعمل بالرخصة وهي بالنسبة إلى العزيمة ضعيفة، وقد عرفت بعض تفاصيله، فلا يكون أمره كأمر النساء.

## باب الرقاق

[١٩٤] قال النبي عليه السلام: «الدنيا سجن المؤمن، وجنة الكافر»<sup>٩٠٠</sup>.

فإن قلت: كم من مؤمن يعيش في الدنيا برفاهية وطيب عيش إلى أن يموت، فيكون الدنيا كالجنة له، وكم من كافر يكون في جميع عمره مذللًا بالفقر ومعني بالمرض، فيكون الدنيا كالسجن له.

---

٨٩٩ روي الحديث بالمعنى، ولفظه: «عن عبد الله بن عمر، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «يا معشر النساء، تصدقن وأكثرن الاستغفار، فإني رأيتكن أكثر أهل النار» فقالت امرأة منهن جزلة: وما لنا يا رسول الله أكثر أهل النار؟ قال: «تكثرن اللعن، وتكفرن العشير، وما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لدي لب منكن» قالت: يا رسول الله، وما نقصان العقل والدين؟ قال: "أما نقصان العقل: فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل فهذا نقصان العقل، وتمكث الليالي ما تصلي، وتفطر في رمضان فهذا نقصان الدين» أخرجه مسلم في صحيحه، الإيمان رقم الحديث (٧٩).

٩٠٠ صحيح مسلم، الزهد والرقائق ٢٩٥٦؛ سنن الترمذي، الزهد ١٦؛ سنن ابن ماجه، الزهد ٣؛ مسند أحمد،

٤٤/١٤؛ مصابيح السنة، ٤١٥/٣.

أجاب بعض الشُّرَّاح: بأنَّ ما ادَّخر للمؤمن من نعيم الجنَّة باق لا يزول، وكامل لا ينقص، ومسلَّم لا تعارض، والدُّنيا مع نعيمها الفانية المشبَّه بالفناء سجن بالنسبة إلى الآخرة ونديمها الكامل، والدُّنيا مع جميع بلائها جنَّة للكافر بالنسبة إلى عذاب السَّعير.

ولقائل أن يقول: كلُّ مؤمن لا يتخلَّص عن عذاب الآخرة، ولا ينعم بنعيم الجنَّة، فكيف يكون الدُّنيا في حقِّه سجنًا له بذلك الاعتبار؟

وتعيَّن أن نجيب ونقول: من ختم عمره بالإيمان يدخل الجنَّة إمَّا أولًا أو آخرًا، فيتشرَّف بنعيم الجنَّة، فيكون الدُّنيا كالسَّجن له بالنسبة إليه. أو المراد من المؤمن؛ المؤمن الكامل، لكنَّ الأوَّل أنسب بقريظة مقابلته / [١٧٧ظ] الكافر<sup>٩٠١</sup>، لا الفاسق.

قال فخر الإسلام<sup>٩٠٢</sup>: الدُّنيا للمؤمن كالسَّجن؛ لأنَّه مكلف بالأوامر والنَّواهي، والكافر غير مكلف بهما فيكون الدُّنيا كالجنَّة له.

ولقائل أن يقول: كلُّ مؤمن لا يمتثل بالأوامر والنَّواهي ولا يشتغل بالعبادات ولا يجتنب عن السيئات، فلا تكون الدُّنيا له بمنزلة السَّجن. ولجيب أن يقول: من شأن المؤمن أن يتكلَّف بهما، فيكون الدُّنيا كالسَّجن له بخلاف الكافر.

واعلم أنَّ الحديث من باب التَّشبيه البليغ، وقد عرفت أنَّ وجه الشَّبه قد يكون الأمر المشترك في الحقيقة، أو في جزئها، أو في وصف خاصٍّ مشهور، ووجه الشَّبه هنا وصف خاصٌّ للجنَّة والسَّجن، فللسَّجن أوصاف ولوازم من تضيِّق قلب المسجون لعدم الوصول إلى مراده، ومن الحرص على خلاصه منه لظلمه وضيقه وعدم المؤنس والمطلوب فيه.

وقد أشار النَّبِيُّ عليه السَّلام في بعض كلامه إلى بعض وجه الشَّبه بقوله: الدُّنيا سجن المؤمن» وَسَنَّهُ<sup>٩٠٣</sup>، السَّنة عبارة عن القحط، فيتشَّوش فيه قلب الإنسان ويغتم؛ لانعدام وصوله إلى مشتتات النَّفس. وللجنَّة أيضًا صفات مشهورة ولوازم مخصوصة من فرح الدَّاخِل

٩٠١ ص، بالكافر.

٩٠٢ أبو الحسن، علي بن محمد بن الحسين بن عبد الكريم البزدوي الملقب بـ «فخر الإسلام»، ولد سنة ٤٠٠ هـ وتوفي سنة ٤٨٢ هـ. من سكان سمرقند ونسبته إلى بزدة. هو فقيه أصولي ومحدث ومفسر، يعتبر من أكابر الحنفية، وهو معروف بعالم ما وراء النهر، من مصنفاته: «كشف الأستار» في التفسير، و«كنز الوصول» أصول الفقه، و«غناء الفقهاء». انظر: الأعلام للزركلي، ٤/٣٢٩؛ معجم المفسرين، ١/٣٧٦.

٩٠٣ ص، سنته.

فيها، ووصوله إلى ما يشتهيهِ / [١٧٨و] من اللذات الروحانية والجسمانية من أنواع المطاعم والمشارب، والمناكح والملابس والمسكن، والمناظر الكاملة الباقية والفاضلة الدائمة.

وإذا عرفت بعض تفاصيل وجه الشبه، فهت ما يتأتى منه في التشبيه البليغ من اعتبار البعض أو الكل بالتأمل اليسير، لكن لا بد لنا من بيان بعض التحقيق فيه، فاعلم أنّ المراد من المؤمن؛ المؤمن المطلق بقرينة مقابله بالكافر، فيكون الدنيا كالسجن للمؤمن المنهمك في استيفاء لذات نفسه، والغافل عن نعيم الجنة وعذاب النار في نفس الأمر، وإن كانت في الصورة كالجنة له بسبب الغفلة؛ لأنّ الأدنى من اللذات الفانية يكون سبب حزن وغم إذا عرفت الأعلى الباقي منها. ويكون للمؤمن الحازم المراقب العالم بحال الدنيا والآخرة كالسجن دائماً؛ لتضييق نفسه فيها وغاية حرصه على التخلص من عنائها، كما أشار إلى ذلك ربنا الرحيم ومالكنا الكريم لكلامه العظيم: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الجمعة: ٦] المفهوم من الآية أنّ من زعم أنّه حبيب الله، يجب عليه أن يجتهد في رفع / [١٧٨ظ] المانع عن الوصول ويجب ذلك. والمانع منه حياة الدنيا، فيكون كسجنه، فيودّ التخلص منها.

وكذا حكم الكافر؛ فإنّ الدنيا جنة كافر غير عالم بحاله في الآخرة، باعتبار نفس الأمر لا في علمه؛ لأنّه يزعم أنّه يتنعم في الآخرة. وجنة كافر عالم بحاله في الآخرة باعتبار علمه أيضاً، إذ ربّ بلاء لذة بالنسبة إلى ما فوقه، فمن تصوّر عذاب جهنم، يكون كلّ المصائب والمضارّ عنده بمنزلة نعمة ولذة.

ويجوز أن يكون المعنى من شأن الدنيا أن تكون كالسجن للمؤمن، أو من شأن المؤمن واقتضاء إيمانه أن تكون الدنيا له كسجن<sup>٩٠٤</sup>، وكذا الحكم في الكافر، وقد عرفت أنّ التخلّف لمانع لا يقدر ذلك الحكم الكلي بالاعتبار الأصلي.

### [تركيبية الإنسان]

واعلم أنّ الإنسان مركّب من العالم العلويّ الروحاني، إذ روحه وعقله وقلبه من ذلك العالم، ومن العالم السفليّ الجسمانيّ، إذ بدنه واعضائه وقواها من هذا العالم. فالأمور العلوية الروحانية جند الله، والسفلية جند النفس والشيطان، والتطارد والتخاصم

٩٠٤ ص، كالسجن.

دائمان بين الجندين، والجهاد الأكبر عبارة عن تلك المحاربة المستمرة، فيجب على المؤمن أن يشتغل بأفعال ويتّصف / [١٧٩و] بأخلاق وعقائد تؤدّي تلك إلى تقوية جند الله واستيلائه على جند الشيطان، وبعض تلك الأمور مدرك بالعقل وبعضها لا تدرك.

والرسول بعث لمصلحة تعليم الأمور المقويّة والمكمّلة نفس الإنسان، والمقربة إلى مالكتها وخالقها، فإذا اشتغل الإنسان بتحصيل تلك الأمور المقويّة المكمّلة، ينبعث من قلبه الشوق والمحبة إلى وصوله إلى مقامه الأعلى الروحانيّ، ومنزله الأصليّ الأبديّ، ويحصل التّنقّر والكرهية للعالم الجسمانيّ، ويحبّ التخلّص منه كما يحبّ المحبوس تخلّصه من السّجن، بل شوقه ومحبّته أكمل وأقوى؛ لأنّ الشوق والمحبة تكون بقدر لذّة المطلوب، وحسن المحبوب ومقدار انفعال النفس من العائق.

وإذا لم يشتغل الإنسان بتحصيل العبادات المقربة جنّدًا لله، بل اشتغل بتحصيل ما تشتهيه نفسه وغفل عن عبادة خالقها، يقويّ نفسه على عقله وقلبه، ويستعملها في تحصيل أسباب لذّاتها من حيل كسب الدّنيا، كما أنّهما إذا استولتا على النفس وآلاتها، يصرفانها إلى العبادة، وذلك معلوم بالحسّ والتّجربة عند أرباب الرّياضة وأصحاب المراقبة / [١٧٩ظ] وتفصيل ذلك لا يدرك<sup>٩٠٥</sup> إلّا بمعرفة علم الأخلاق.

ومقصودنا من ذكر هذا المقدار توضيح معنى قول نبيّنا عليه السّلام: «الدّنيا سجن المؤمن وجنّة الكافر»، وإشارته إلى ما ذكرنا في بيان وجه الشّبه، إذ هو يشير إلى أنّ شأن المؤمن ومقتضى إيمانه؛ أن يشتغل بأفعال تؤدّي إلى الاشتياق والمحبة لدار الآخرة والقربة عند مالكة، ويتنقّر به عن الدّار الفانية ولذّاتها، فيكون له كالسّجن.

ومن شأن الكافر أن يشتغل بأفعال تجرّه إلى الغفلة عن الدّار الأصليّة والباقية، والتلذذ بالدّار الفانية ومشتهياتها، وفيه تغليظ عظيم للغافلين المنهمكين في لذّات الدّنيا؛ يجعلها خاصّة الكفّار وحظّهم، ولا تغفل عن النّكته والعبرة.

قال النّبي صلّى الله عليه وسلّم: «إنّ الله لا يظلم مؤمنًا حسنة، يعطى بها في الدّنيا ويجزى بها في الآخرة، وأمّا الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدّنيا، حتى إذا أفضى إلى

٩٠٥ ف يعدك.

الآخرة، لم تكن له حسنة يجزى بها»<sup>٩٠٦</sup>.

ومعنى لا يظلم: لا ينقص، وهو لازم ويجيء متعديًا إلى مفعولين، ويريد نظيره في الأمرين، فالمعنى: والله لا ينقص مؤمنًا ثواب حسنته، بل يعطيها ثوابها على وجه الكمال؛ إذ يعطيه ثواب حسناته في الدنيا/ [١٨٠و] ويجزي به أيضًا في الآخرة. فإن قلت: كم من مؤمن عابد ذهب جميع عمره بالفقر، والعناء، والرّحمة، والبلاء، ولم يجد ثواب حسناته في الدنيا؟

قلنا: أنت لم تعرف ثواب الحسنة، إذ زعمت أنه محصور على ما تشتهي النفس من الصحة والنّعمة الجسمانيّة، وذلك قصور في نظر أرباب البصيرة، فإنّ أجلّ ثواب الحسنة وأعظمها؛ أن يكون العابد في الدّنيا محبوبًا في قلوب أولياء الله تعالى ومكرمًا عندهم، وقد عرفت بعض تلك المثوبات الكاملة في باب المحبّة، ولو سلّم اقتصار الثّواب في الدّنيا على ما زعمت. قلنا: التخلّف لمانع لا يقدر، لا سيما قد عرفت أنّ الأسباب الشرعيّة يجوز أن يكون متعدّدة ومتراجحة، فيجوز أن يحرم المؤمن عن ثواب حسنته في الدّنيا لمانع، كعدم التقوى أو مجاورة الظّلمة، فإنّ شأمتهم ومصيبتهم تصل إلى المؤمن البريء، كما يرى الوباء والقحط يصلان إلى الزّاني وغيره، ومانع الصدقة وغيره، ولذا قال الله تعالى: ﴿وَأَتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٢٥].

أو نقول: إعطاء ثواب المؤمن في الدّنيا لا يدلّ على الاستمرار، ولو صحّ أدنى الأعضاء وقوّته، استوفى جميع حسنات عمره ولو كان/ [١٨٠ظ] تلك الصّحة في يوم وليلة، لما تعرف أنت أنّك لو كنت ملكًا عظيمًا من ملوك الدّنيا، ثمّ زال نور عينك، أو حاسّة سمعك، أو نطق لسانك يومًا، تجتهد في طلب الطّيب، ولو التزم الطّيب بإعادة نور عينيك في ذلك اليوم لأعطيت مملكتك إياه لإعادته، ولو استولى ألم عينيك أو سنك أو أفرط، تعطي أيضًا إياه مملكتك لإزالته، بل تقبّل يده ورجله معه، فافهم منه حصول ثواب حسنتك في الدّنيا.

مع أنّ فقر المؤمن ومصيبته بسبب رفعة درجته وقربته؛ لأنّه يصبر على البلاء بسبب إيمانه ومعرفته، فذلك من وجه ثواب حسنته، كما أشار إلى ذلك نبيّنا عليه السّلام بقوله: «إذا

٩٠٦ صحيح مسلم، صفة القيامة والجنة والنار ٢٨٠٨؛ مصابيح السنة، ٤١٦/٣.

أراد الله بعبده الخير عَجَّلَ له عقوبته»<sup>٩٠٧</sup> وقال: «مَنْ كَانَ صَلْبًا فِي دِينِهِ اشْتَدَّ بِلَاؤُهُ». [١٩٥] قال أبو هريرة: قال النبي عليه السلام: «من يأخذ عني هؤلاء الكلمات فيعمل بهن أو يعلم من يعمل بهن؟ قلت: أنا يا رسول الله، فأخذ بيدي فعدّ خمسًا وقال: اتق المحارم تكن أعبد الناس، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، وأحسن إلى جارك تكن مؤمنًا، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلمًا، ولا تكثر الضحك، فإن كثرة الضحك تميت القلب»<sup>٩٠٨</sup>.

[١٩٦] وقال النبي عليه السلام: إن الله تعالى يقول: «يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك/[١٨١و] غنى وأسد فقرك، وإن لم تفعل، ملأت يدك شغلاً ولم أسد فقرك»<sup>٩٠٩</sup>. فإن قلت: تلك الكلمات الخمسة لا تكفي في كونها سببًا للمسببات الخمسة، وأيضًا كم من متفرغ للعبادة لا ينقطع فقره، بل قد يمتد ويستمر، وكم من مشتغل بالدنيا غير متفرغ للعبادة يكون مستغرقًا في حطام الدنيا ومتاعها، فما معنى سرّ الحديثين وتأويلهما؟ قلنا: قد عرفت أن كلام البلغاء كثيرًا ما يصاغ على قالب خلاف مقتضى الظاهر، أو إيراد منه المعنى المجازي؛ لأنّ الدقة فيه، ولا ينحرفون عنه أيضًا إلا لنكتة أخرى؛ من كون المخاطب بليدًا محتاجًا إلى التصريح وغيره، ونبينا عليه السلام أكمل البلغاء أشفق الخطباء، يرى رعاية أحوال المخاطبين واجبة عليه، ولو لم يقتض المقام إيراد الحديثين على خلاف الظاهر للنكتة النبوية لم يورده عليه. ومن تلك النكتة؛ إعلام أن اتقاء المحارم مؤدي إلى غاية الجدّ في توفية وظائف العبودية؛ لأنّ تركها من المحرمات أيضًا، وإنّ اتقاء المحارم من أفضل العبادات كما روي أنّ ترك ذرة عمّا نهى الله خير من عبادة الثقلين، وأنّ رجلاً ذكر عنده بعبادة واجتهاد وذكر آخر بالتقوى والرّعة - أي الورع - فقال لا تعدل/[١٨١ظ] بالرّعة شيئًا، يعني أنّ العبادة لا يساوي بالرّعة في الفضيلة.

وقد عرفت أنّ البلغاء ينزلون أفضل الأشياء وأقواها منزلة كلّها، فيكون المبالغة فيه لإظهار تلك النكتة.

٩٠٧ سنن الترمذي، الزهد ٥٦؛ مصابيح السنة، ٥٢٨/١.

٩٠٨ سنن الترمذي، الزهد ٢؛ مصابيح السنة، ٤١٩/٣.

٩٠٩ سنن الترمذي، صفة القيامة والرقائق والورع ٣٠؛ سنن ابن ماجه، الزهد ٢؛ مسند أحمد، ٣٢١/١٤؛

مصابيح السنة، ٤٢٠/٣.

وإذا عرفت هذا القدر من التفضيل في قوله: «تكن أعبد الناس»، فاعرف قدر أمته في بعضه؛ بأنَّ المراد من أغنى النَّاس أن يكون قلبه غنيًّا، وذلك لا يحصل إلاَّ بالقناعة والرّضى بما قدّر الله له من حظوظ الدّنيا.

وبأنَّ المراد من المؤمن والمسلم قوله: «تكن مؤمنًا، تكن مسلمًا»، المؤمن الكامل المسلم الكامل؛ لأنَّ الإحسان إلى الجار ومحبته لغيره كحبه نفسه من أمارات كمال الإيمان. وقد عرفت جواز تعدّد الأسباب وعدم أداءه الحصر، فلا يتوهم الانحصار في الكلام، لكن استنبط وجه التّخصيص الدّكري من مقتضيات المقام. ويجوز لك أن تقول: من أحسن إلى الجار ويحبُّ أخاه المؤمن كنفسه، يعمل باقي ثمرات الإيمان فيكون كاملاً.

وأن تقول معنى قوله: «تكن مؤمنًا مسلمًا»، يُعلّم إيمانك وإسلامك بوجود أمارتهما أو غير ذلك من المحتملات العقليّة.

أو المراد من موت القلب؛ ذهاب رفته وعروض قساوته، وزوال فهمه، وتمييزه بين الضّار والنّافع، والمعصية والطّاعة/ [١٨٢و] لأنَّ كثرة الضّحك تورث ذلك بالخاصيّة، ويدلّ على تلك الآفات في القلب بالمشاهدة.

والمراد من الغنى والفقر في قوله: «أملأ صدرك غنيًّا، وأسدّ فركك»؛ غنى القلب وفقره، ويدلّ عليه قوله: «أملأ صدرك». واعلم أنّ غنى القلب، وانسداد باب فقره، وانقطاع دواعيه إلى طلب الدّنيا وتكاثرها، لا يحصل إلاَّ للمتفرّغين للعبادة والمبتلين؛ لتحصيل له<sup>٩١٠</sup> الاستقامة بالتّوجّه الكليّ والتّدبر في أمر الدّنيا ومآل المنخدعين بلذاتها، والتّفكر في أمر الآخرة وكرامة المبتلين عند الله تعالى؛ لأنَّ العابد إذا واطب على هذا التّدبر، ينقطع عن طلب الدّنيا، بل يستكره لذاتها، لأنَّ من<sup>٩١١</sup> تصوّر عظمة الله وحنوف نعمه في حقه، وعجائب أفعاله في مصنوعاته، يتلذذ به ويستولي عليه الشّوق والمحبة، بل الوجد والحيرة، فلا يميل قلبه إلى الدّنيا ومشتهياتها، ويتنقّر من تصوّرها، بل يعدّ ذلك التّصوّر ذنبًا ونقصانًا، وذلةً وحرمانًا، ولا يستبعد ذلك.

٩١٠ ص - له.

٩١١ ص - من.

وأنت<sup>٩١٢</sup> تعرف أنّ من طلب الرّئاسة الدّنياويّة، يعطي جميع ماله لتحصيله، ويرضى بالمتاعب المديدة والحقارات العديدة. وتركّ المشتبهات الجسمانيّة، وأيضًا/ [١٨٢ظ] من كان مشغوفًا بتحصيل العلم، يترك اللذات النّفسانيّة من المأكّل والمشرب والملابس، ويختار الفقر والعزلة والخمول والدّلّة مقدار خمسين سنة، مع أنّه يعلم أنّ أكثر الطّالبيين لا يصلون إلى ما يروونه من الرّئاسة المتعلّقة بالعلم.

وإذا فهمت ذلك فاعلم أنّ اللذات الرّوحانيّة أقوى من الجسمانيّة، والملتذدّ بلذات العبادة والمكاشفات القلبيّة؛ يترك اللذات النّفسانيّة والمقاصد الجسمانيّة، وإذا عرفت هذا القدر من تفصيل معنى قوله عليه السّلام حكايةً عن الله تعالى: «تفرّغ لعبادتي أملأ صدرك غنيّ»، فاعرف أيضًا بعض تفاصيل قوله عليه السّلام: «وإلا ملأت يدك شغلًا»؛ من إن من لم يتفرّغ لعبادة الله وأعرض عن طاعته، واشتغل قلبه بتحصيل الدّنيا وأسباب لذاتها، يستولي على قلبه الأشغال الدّنيويّة والوساوس الشّيطانيّة والمقاصد النّفسانيّة، بحيث لا يفي بتحصيلها وجمعها مدّة عمره وقوّته، وإن كانت ألف سنة، وأيضًا لا ينسدّ فقر قلبه وإن جمع جميع متاع الدّنيا وماها؛ لأنّ نفسه تقول لعلّ مالك ينقص، أو وقع عليك مانع الكسب كالمرض والفتنة، فلا يفي لمصالحك من مالك أو أولادك كثير، فلا بدّ لهم/ [١٨٣و] أموال كثيرة حتّى لا يحتاجون إلى السّؤال بعدك.

وإن لم يتصوّر كلّ ذلك، فخاصيّة الدّنيا أن ينظر طالبها إلى ما فوقه؛ فيجتهد في وصوله إلى مرتبته ويتضيق قلبه، ويتوزّع همّه وينفتح باب حرصه وفقره، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ [طه: ١٢٤] وهذا غالب أحوال أهل الدّنيا، لكن ربّما لا تكدر الدّنيا قلب بعض النّاس، كأغنياء الأنبياء والأولياء، ولا يحصل في قلبه محبّتها وإرادة تكثيرها، بل يكون قرارها وذهابها عنده مساويين فلا تضرّه الدّنيا؛ لأنّ المذموم إرادتها ومحبّتها، لا وجودها.

لكن لما كانت خاصيّة الدّنيا ما ذكرنا، ولا يتخلّص من آفاتنا وغاياتها الإنسان في غالب الأحوال، يتركها أكثر الأنبياء والأولياء للاحتياط والتّعليم.

قال النّبّيّ عليه السّلام لرجل وهو يعظه: «اغتنم خمسًا قبل خمس: شبابك قبل هرمك،

٩١٢ ص فأنّت.

وصحّتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك»<sup>٩١٣</sup>.  
فإن قلت: الشّبَاب، والصّحة، والغنى من أسباب الطّغيان والغفلة، والهرم والفقر والمرض من أسباب المرحمة والفضيلة، فكيف عدّ الشّبَاب والصّحة والغنى من الغنائم دون / [١٨٣ظ] الهرم والفقر والمرض؟

قلنا: قد عرفت مرارًا أنّه يجوز أن يكون لشيء واحد جهات شتى يمدح ويطلب ببعضها، ويذم ويترك ببعضها، فنقول: الغنى والشّبَاب والصّحة ومقابلاتها خير وغنيمة من وجه، وشرّ ونقيصة من وجه؛ أمّا الغنى فلائّه سبب الطّغيان والفساد للجهلاء والعقلاء، لكنّه سبب السّعادة والفضيلة للعقلاء؛ بأن يمنع نفسه عن محبّتها، فيصل بذلك إلى مرتبة الصّابرين، ويتصدّق على الفقراء والمحتاجين، فيصل به إلى مرتبة الشّاكرين والمتّصدقين.

وأما الصّحة والشّبَاب؛ فلأنّ آلات العبادة كالأعضاء وقواها، تكون كاملة وقويّة فيهما، فأهل الحزم والتدبّر يشتغلون بهما ويجتهدون في تحصيل الاستقامة، فيبلغون بهما مرتبة لا يبلغها الشّيوخ والمرضى؛ لأنّ مقدار الرّفعة والقدرة يكون بقدر الكدّ والخدمة.

والهرم والمرض أيضًا مذمومان، إذا لم يصبر على متاعبهما، أو يتهاون بالعبادة فيهما، وممدوحان باعتبار أنّ القوى الشّهوانيّة ينكسر فيهما وتنقاد للعبادة.

والفقر أيضًا مذموم، إذا لم يحصل فيه الصّبر والقناعة، وممدوح إذا حصل فيه فراغ القلب عن أشغال / [١٨٤و] الدّنيا، والتّواضع والمسكنة.

فالمنعنى: اغتنم بالشّبَاب والقوّة والصّحة والأعضاء والآلة؛ بأن تستعملها في تكميل وظائف العبادة، وتحصيل مراتب الاستقامة قبل فوات الفرصة، وضعف الآلة يوصل المرض والشّيخوخة:

واغتنم بغناك، بأن تتصدّق بمالك على فقراء العباد والعلماء قبل ذهاب مالك بالحادثة أو الموت، حتّى يصل فيه إلى مرتبة المتصدّقين ومدحهم، كما قال النّبىّ عليه السّلام: «نعم المال الصّالح للرجل الصّالح»<sup>٩١٤</sup> و«اليد العليا خير من اليد السّفلى»<sup>٩١٥</sup>.

٩١٣ مصابيح السنة، ٣/٤٢٠.

٩١٤ مسند أحمد، ٢٩/٢٩٩؛ مصابيح السنة، ٣/٢٧. في مسند أحمد ورد الحديث بلفظ: «نعم بالمال الصّالح للرجل الصّالح» ومثله في مصابيح السنة.

٩١٥ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ صحيح مسلم، الزّكاة ١٠٣٣؛ سنن أبي داود، الزّكاة ٢٨؛ النسائي، الزّكاة

واعلم: أن فراغ القلب أيضاً نعمة عظيمة، ولذا قال النبي عليه السلام: «نعمتان مغبونٌ فيهما كثير من الناس: الفراغ والصحة»<sup>٩١٦</sup>؛ لأنَّ أمر العبادة لا يتيسر بدون فراغ القلب، ولا يكون للعبادة فضيلة ولا للعمر فائدة بدونها، ولذا يجوز تمّي الموت أيام الفتنة؛ لانعدام حضور القلب في الطاعة.

والحياة أيضاً نعمة نبهة للعباد؛ لأنَّها سبب تحصيل القرية، والكرامة والسعادة السرمديّة، واللذات الأبدية، فقله عليه السلام: «اغتنم خمساً قبل خمس» إشارة إلى أنَّ الأمور الخمسة أسباب الغنمة والدولة، فوجب على العاقل أن يحصل بتلك الأسباب مسبباتها قبل عروض مقابلاتها/ [١٨٤ظ] وحلول الحسرة لفواتها، فلا تغفل عن سرّ الحديث وحكمه، فإنَّ فيه تنبيهات وتحريضات على تقديم أمر الآخرة وترك طول الأمل، وتخويفات على الغافلين المسوفين أمر العبادة. واعلم<sup>٩١٧</sup> أنَّ التسويف وطول الأمل أغلب العوائق والعقبات وأقوتها، ولذا قال النبي عليه السلام: «ما ينتظر أحدكم إلا غنى مطعياً، أو فقراً منسياً، أو مرضاً مفسداً، أو هرمًا مفنداً، أو موتاً مجهزاً، أو الدجال، فالدجال شرّ غائب ينتظر، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر»<sup>٩١٨</sup>.

أي: ما ينتظر أحدكم في التهاون والطاعة وتسويف أمور الآخرة إلا غنى مطعياً، لما عرفت أنَّ خاصية الغنى الطغيان غالباً؛ وهو الإفراط والتجاوز عن الحدّ في الغفلة وترك الطاعة. أو فقراً منسياً؛ بأن يتجاوز عن الحدّ، ولا يوجد فيه أسباب المعيشة بقدر الضّرورة، فينسى فيه أمر العبادة. أو مرضاً مفسداً؛ بأن يغلب أيضاً فتنفسد<sup>٩١٩</sup> فيه آلات العبادة كالأعضاء وقوتها. أو هرمًا مفنداً؛ بأن يحتلّ العقل وتضعف الأعضاء، بحيث لا يقدر الهرم فيه على العبادة. أو موتاً مجهزاً؛ بأن/ [١٨٥و] يهجم بغتة، فلا يمهل إلى أن يتدارك التّقصيرات، كما قال تعالى: ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ [يس: ٤٩-٥٠].

٥٢؛ موطأ مالك، ٩٩٨/٢؛ سنن الدارمي، ٤٠٨/١؛ مسند أحمد، ٥٠/٨؛ مصابيح السنة، ٣٤/٢.

٩١٦ مسند أحمد، ٢٧٨/٥.

٩١٧ ص، فاعلم.

٩١٨ مصابيح السنة، ٤٢١/٣.

٩١٩ ص - بأن يغلب أيضاً فتنفسد.

أو الدّجال، أي: ما ينتظر المسوّف إلّا وصول الدّجال وهو شرّ غائب ينتظر في كل عصر.  
أو السّاعة أي: القيامة؛ وهي أدهى وأمر.

وفي الحديث تفرّج وتوبيخ، وتهديد على المغرور المتهاون في طاعة الله، والمسوّف المتكاسل في عبادة الله، وتعدد الموانع الغالبة، والعوائق القويّة عن تدارك أمور الآخرة، وتحريض على تعجيلها وتقديمها قبل وصول مُفوّتها، وحصول الحسرة والندامة الغير النافعة لفوّت الفرصة ووقتها وقد سلك في سبيل التّرقّي، ولذا قال: «والسّاعة أدهى وأمر»؛ لأنّها الطّامة الكبرى والعائقة العظمى.

فإن قلت: من وجد في عصر النّبّي عليه السّلام لا يصل إلى الدّجال والقيامة، فكيف قال ما ينتظر أحدكم الدّجال<sup>٩٢٠</sup> على أنّ الانتظار مخصوص بالمخاطبين؟  
قلنا: المراد من أحدكم واحد من جنس الإنسان في أي عصر كان فالمعنى أحد من جنسكم، قال النّبّي عليه السّلام: «لا تتخذوا الضّيعة فترغبوا في الدّنيا»<sup>٩٢١</sup>.

فإن قيل: / [١٨٥ظ] ضيعة الدّجال ما يحصل منه وجه معاشه؛ كالصّياغ، والصّنائع واتّخاذها مشروعاً؛ لأنّ الكسب من وجه مشروع ممدوح في الشّرع، فكيف نهى عن اتّخاذها؟  
قلنا: المراد من التّهي منع المتخذ عن محبّتها وتعليق قلبه بها، ولذا قال: «فترغبوا فيها»، ولذا قال النّبّي عليه السّلام: «لعن عبد الدّينار، ولعن عبد الدرهم»<sup>٩٢٢</sup> ولم يقل صاحب الدّينار وصاحب الدرهم؛ إشعاراً بأنّ المذموم محبّة الدّنيا وحرصها، لا ذاتها. وقال: «من أحبّ دنياه أضّرّ بآخرته، ومن أحبّ آخرته أضّرّ بدنياه، فأثروا ما يبقى على ما يفنى»<sup>٩٢٣</sup>. وقال الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ﴾ [الإسراء: ١٨] ﴿وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا﴾ [الشورى: ٢٠].

أو قلنا: لما كان اتّخاذ الضّيعة يؤدّي غالباً إلى رغبة الدّنيا ومحبّتها وتعلّق القلب بتشويشها، نهى عن اتّخاذها مطلقاً، لما عرفت أنّ الغالب والكثير ينزل منزلة الكلّ وعرف الشّريعة.  
أو المراد من التّهي بيان العزيمة والأصل، كما رأى النّبّي عليه السّلام أبا هريرة وأمه يصلحان خلل بيتهما، فقال: (الأمر أسرع من هذا) للتّنبه على استحباب قصر الأمل وتقديم

٩٢٠ ص الدال.

٩٢١ سنن الترمذي، الزهد ٢٠؛ مسند أحمد، ٥٤/٦؛ مصابيح السنة، ٤٢٢/٣.

٩٢٢ سنن الترمذي، الزهد ٤٢؛ مصابيح السنة، ٤٢٢/٣.

٩٢٣ مسند أحمد، ٤٧٠/٣٢؛ مصابيح السنة، ٤٢٢/٣.

استعداد أمور الآخرة، لا المنع عن إصلاح خلل البيت المؤدّي إلى الانهدام عليهما؛ لأنّ مثله من/ [١٨٦و] الأمور المحتاج إليها، لا المنهي عنها لأنّه ليس من الدّنيا.

والمراد من مدح طلب الرّزق والأمر بها، كما قال النّبّي عليه السّلام: «ما أكل أحد طعامًا قطّ خيرًا من أن يأكل من عمل يده، وإنّ نبيّ الله داود عليه السّلام كان يأكل من عمل يده»<sup>٩٢٤</sup> وقال عليه السّلام: «إنّ الله طيّب لا يقبل إلا طيبًا، وإنّ الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين»<sup>٩٢٥</sup>؛ بيان طلبه بقدر الضّرورة، أو بيان الرّخصة والإباحة بشرط أن لا يُشوّش قلبه به، ولا يتهاون ولا يقصّر في طاعة الله بسببه. أو التّهيي مخصوص بالمتوكّلين، ومدح الكسب للعوام الذين لا يتخلّصون عن ملاحظة الأسباب، ولا يحصل فراغ قلوبهم في الطّاعة بدون حصول أسباب المعصية. واشتغال بعض الأنبياء بالكسب؛ لتعليم الأمتة أو تحصيل التّواضع والمسكنة، لا لانعدام توكلهم وقدرتهم على قطع الأسباب، وكذا حال بعض الأولياء فيه

قال النّبّي عليه السّلام: «ما أنفق المؤمن من نفقة إلا أجر فيها، إلا نفقته في هذا التّراب»<sup>٩٢٦</sup>.

فإن قلت: التّفقة في غير البناء ليست بممدوحة على الإطلاق، والتّفقة في التّراب ليست بمذمومة أيضًا مطلقًا، فما وجه تأويل الحديث في معنى الحصر؟

قلنا: قد عرفت/ [١٨٦ظ] أنّ بعض الأحاديث مقيّد ومبيّن بالبعض، وقد عرفت بالتّصويع الشّرعية القاطعة أنّ الإنفاق في استيفاء الحظوظ التّفسائيّة فوق مقدار الحاجة غير مشروع، كما قال الله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ [الأعراف: ٣١]، أو أنّ الإنفاق في البناء بقدر الحاجة مشروع، كما قال النّبّي عليه السّلام: «إنّ كل بناء وبال على صاحبه، إلا ما لا، إلا ما لا»<sup>٩٢٧</sup> أي ما لا بدّ منه، ففهم بذلك المعنى الحديث.

فنقول: المراد من التّفقة في غير التّراب؛ التّفقة المشروعة، ولذا قال لا أجر فيها؛ لأنّ الأجر لا يحصل في التّفقة الغير المشروعة وغير المحتاج إليها.

والمراد من التّفقة في التّراب؛ التّفقة فوق الحاجة، لا بقدر الضّرورة؛ لأنّ ذلك ليس من

٩٢٤ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ مصابيح السنة، ٣٠٦/٢.

٩٢٥ صحيح مسلم، الزّكاة ١٠١٥؛ مسند أحمد، ٩٠/١٤؛ مصابيح السنة، ٣٠٦/٢.

٩٢٦ مصابيح السنة، ٤٢٣/٣.

٩٢٧ سنن أبي داود، النوم ١٧٠؛ مصابيح السنة، ٤٢٣/٣.

الدنيا. وقد عرفت في الأصول أنَّ الصَّوريات والمحظورات والمعذورات مستثناة من عمومات النصوص الشرعية؛ بالتقل والعقل، قال الله تعالى: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢] وقال: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الأعراف: ٣٢] وقال أيضاً: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ [الأعراف: ٣١] وقال: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَحِبُّ الْمُسْرِفِينَ»<sup>٩٢٨</sup>. ففهم أنَّ أكل المستلذات، ولبس المتجملات فوق/ [١٨٧] والحاجة منهيان.

وقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣] و﴿اتِمُوا الصِّيَامَ﴾ [البقرة: ١٨٧] و﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٨] و﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٠]. فالمعذورون مستثنون من العمومات لقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨] وقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

المعنى: ما أنفق المؤمن من نفقة مشروعة إلا أجر فيها، إلا نفقة في التراب لا يؤجر؛ فيها لكونها غير مشروعة.

هذا واعلم أنَّ ظاهر قوله: «إلا نفقته في التراب»، يدلّ على أنَّ المراد منه المنع عن النفقة في التراب، وإن كانت على وجه الإباحة، حتى لا يتطاولون في البنیان. قال النبي عليه السلام: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يَسْأَلُ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ التَّعْمِيمِ أَنْ يُقَالَ لَهُ: أَلَمْ نَصْحَ جِسْمَكَ وَنَرُوكَ مِنَ الْمَاءِ الْبَارِدِ؟»<sup>٩٢٩</sup>.

فإن قلت: الصَّحَّة والإرواء ليسا من الأمور الاختيارية التكليفية، فكيف يسأل عنهما يوم القيامة؟

قلنا: المراد من السؤال عنهما؛ السؤال عن شكرهما، إذ قد عرفت أنَّ كلَّ عضو وقوة من جسمك مخلوق لعبادة مخصوصة، كما أنَّ قلبك مخلوق للتفكير في عظمة الله وكمال صفاته وعجائب مصنوعاته، ولسانك لذكره وتلاوة كلامه والتعلیم وغير ذلك من العبادات القولية، وكذلك/ [١٨٧ظ] عينك ونورها، وأذنيك وسمعها؛ لأنَّ بعض العبادات يحصل من

٩٢٨ لم أجد حديث بهذا اللفظ في كتب السنة، وأظن أنَّ الإزنيقي قصد قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١] تكملة الآية، أو أنه أراد توضيح معنى الآية والله تعالى أعلم.

٩٢٩ سنن الترمذي، تفسير القرآن ٨٨؛ مصابيح السنة، ٤٢٨/٣.

المبصرات، وبعضه من المسموعات، وقس الباقي عليها.  
وعرفت أيضًا أنّ صرف الأعضاء وقوتها إلى العبادة لا يتسنى إلا بصحتها، ولذا كان الصّحة  
أيضًا من النّعمة، ولذا قال النّبّي عليه السّلام: «اغتنم صحّتك قبل سقمك»<sup>٩٣٠</sup>، وقال:  
«نعمتان مغبون فيهما كثير من النّاس، الصّحّة والفراغ»<sup>٩٣١</sup>.

والماء البارد أيضًا من أجل النّعم؛ لشدّة الاحتياج إليها، ولذا قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ  
كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠] فإنّ الإنسان لا يصبر على العطش يومًا، ويصبر على ترك  
الأطعمة أيّامًا وعلى سائر البليّة أيضًا، ولا يعرف نعمة الماء البارد إلا من ابتلي بالظّم في  
التهامة والبيداء.

والمراد من قوله عليه السّلام: «أول ما يسأل»، من النّعيم؛ بيان أنّ الصّحة والماء البارد أجلّ  
النّعماء، لما عرفت أنّ التّقدير للاهتمام والتّعظيم، فيسأل المكلف عن شكرهما أولًا.

[١٩٧] قال النّبّي عليه السّلام: «أبشروا يا معشر الصّعاليك المهاجرين بالنور التام يوم  
القيامة، تدخلون الجنّة قبل الأغنياء بنصف يوم، وذلك خمس مائة سنة»<sup>٩٣٢</sup>.

فإن قلت: قال النّبّي عليه السّلام في موضع آخر أنّ فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم  
القيامة إلى الجنّة / [١٨٨و] بأربعين خريفًا، فكيف التوفيق بينهما؟

قلنا: قد عرفت طرائق التّفريق في أمثالها، فلك أن تقول: المراد من الأغنياء في خمسمئة سنة؛  
أغنياء غير المهاجرين، بأن يكون اللّام للجنس أو للعهد، والمراد من الأغنياء في أربعين؛  
أغنياء المهاجرين، بأن، يكون اللّام للعهد، تقديره يسبقون أغنياءهم الفقراء أربعين خريفًا.

أو نقول: ذكر الأربعين لا يدلّ على نفي الزّيادة، والاختصار، والإتمام، والزّيادة والتّقصان  
لاقتضاء المقام، والدليل على أنّ المراد من الأغنياء أغنياءهم، ما قال النّبّي عليه السّلام:  
«اللّهم أحييني مسكينًا وأمتني مسكينًا واحشني في زمرة المساكين. فقالت عائشة: لم يا  
رسول الله؟ قال: إنهم يدخلون الجنّة قبل أغنيائهم بأربعين خريفًا»<sup>٩٣٣</sup>، والظاهر أنّ المراد من  
المساكين؛ مساكين المهاجرين الدّين هم أهل الصّفة، لا مطلق المساكين، ويفهم منه أنّ

٩٣٠ لم أجد هذا الحديث في كتب السنة.

٩٣١ تم تخرجه سابقا ص: ٢٦٣.

٩٣٢ مسند أحمد، ١٨/١٤٧.

٩٣٣ سنن الترمذي، الزهد ٣٧؛ سنن ابن ماجه، الزهد ٧؛ مصابيح السنة، ٣/٤٣٣.

أغنيائهم يدخل الجنة قبل أغنياء سائر الناس؛ لفضلهم على سائر الأغنياء كفضل فقرائهم على فقراء غيرهم.

ويدلّ عليه أيضًا ما روي أنّ رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم استفتح بصعاليك المهاجرين لزيادة شرفهم.

عن عبد الله بن مغفل قال: جاء رجل إلى / [١٨٨ظ] رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم فقال: إني أحبّك. قال: أنظر ما يقول. فقال: والله إني أحبّك ثلاث مرات قال: «إن كنت صادقًا فأعد للفقير تحفًا، فإن الفقر أسرع إلى من يجني من السيل<sup>٩٣٤</sup> إلى منتهاه»<sup>٩٣٥</sup>. فإن قلت: كثير من أحبّاء رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم يسرع إليهم الفقير.

قلنا: لعلّ ذلك باعتبار الغالب أو تخلف مانع من وجود مقتضيات الغنى، كما قال الملكان: «اللهم أعط منفقًا خلفًا»<sup>٩٣٦</sup>، أو قال ذلك لتعريض القائل بأن كان غنيًا محببًا للمال.

ويمكن أن يقال: مراد رسولنا عليه السّلام المحبّة الصّادقة الغالبة × كمحبّة الصّدق والفاروق، فإنّهما أنفقا أموالهما الكثيرة حتّى افتقرا، والمحبّة أمر قلبي لا يطّلع على حقيقتها أحد إلاّ الله تعالى، فمن ادّعى المحبّة ولا يترك أمواله، لا يكون صادقًا في دعوى المحبّة؛ لأنّ تفريق المال وصدقته أمارتها بقول رسولنا عليه السّلام.

أو يقال: يكون وصول الفقر في بعض الأوقات ولا يلزم الدوام.

## باب الأمل والحرص

[١٩٨] قال النّبّيّ عليه السّلام: «عمر أمتي من ستّين سنة إلى سبعين»<sup>٩٣٧</sup>.

فإن قلت: قد يكون بعض أعمار أمتّه أكثر منه أو أقلّ. قلنا: قد عرفت أنّ كلام الشّارع قد يصدر باعتبار الغالب في صورة / [١٨٩و] العموم والكلية اكتفاءً بالقرينة العقليّة، أو التّقليّة أو الحسيّة. وقرينة حسيّة هنا موجودة لرؤيتك أنت ورسولنا عليه السّلام الأقلّ والأكثر، لكن لما كان عمر أمتّه غالبًا بهذا المقدار، قال للتّنبية عن الغفلة وطول الأمل، إذ العاقل ينشغل بأسباب معيشته في مقام بقدر إقامته فيه، فليُتدبّر مقدار مكثك في الدّنيا

٩٣٤ في نسخة ف ورد بلفظ «الشباب»، لكن في سنن الترمذي ومصابيح السنة ورد بلفظ «السيل».

٩٣٥ سنن الترمذي، الزهد ٣٦؛ مصابيح السنة، ٤٣٦/٣.

٩٣٦ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ صحيح مسلم، الزكاة ١٠١٠؛ مسند أحمد، ٥٢/٣٦.

٩٣٧ سنن الترمذي، الزهد ٢٣، مصابيح السنة، ٤٤١/٣.

والآخرة، واصرف عمرك في تهيئة أسبابها بقدر ذلك.

### باب استحباب المال والعمر والطاعة

[١٩٩] قال النبي عليه السلام: «لا حسد إلا في اثنين: رجل آتاه الله القرآن، فهو يتلوه

آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالاً، فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار»<sup>٩٣٨</sup>.

فإن قلت: الحسد من الأخلاق المهينة المذمومة؛ لأنه عبارة عن إرادة<sup>٩٣٩</sup> زوال نعمة الله عن

مخلوقه ووصولها إليه، فإن ذلك يؤدي إلى عدم الرضا بقسمة الله وتقديره ومحبة الدنيا.

قال بعض الشراح: في جوابه المراد منه الغبطة، فيكون من باب إطلاق الكل وإرادة البعض،

أو إطلاق الخاص وإرادة العام، أو إطلاق المقيد وإرادة المطلق بقربة شرعية بقوله عليه

السلام: «إن الحسد يأكل الحسنات»<sup>٩٤٠</sup>.

ويمكن أن يقال: المراد منه أن الحسد لو جاز لا ينبغي / [١٨٩ظ] أن يوجد إلا في اثنين،

فيكون المراد منه مدح الاشتغال بقراءة القرآن والصدقة على سبيل المواظبة والتحريض

عليهما، فيفهم من شرعية استحباب المال لأجل الخير، فهذا تأويل مناسب لإيراد المؤلف

هذا الحديث في باب استحباب المال.

فإن قلت: لم لا يجوز أن يكون الحسد في الاثنين جائزاً، كما جاز الكذب في الأحوال

الثلاثة؟

قلنا: لا يجوز؛ لعدم اشتمال الحسد مصلحة رافعة قبحة كما في الكذب؛ لأن المؤمن يجب

أن يحب لغيره ما يحب لنفسه، فتأمل.

وبقي فيه شيء آخر، وهو أن حصر الحسد على الإثنين على سبيل المجاز أو الفرض، يدل

على أنهما أفضل الأعمال، وليس كذلك لما عرفت أن أفضل الأعمال الفرعية الصلاة.

قلنا: قد عرفت مراراً أن جهات التفضيل كثيرة متغايرة وإيراده مطلقاً للمبالغة والتحريض،

فقل هنا: المداومة على القرآن يدل على العمل به، فيؤدي ذلك إلى توفية وظائف جميع

الطاعات، وكذا المواظبة على إنفاق المال على الفقراء يدل على غلبة محبة الله تعالى

واختيارها على محبة الدنيا، فيدل ذلك على أداء مواجب سائر العبادات.

٩٣٨ تم تخريجه مسبقاً في باب الشفقة والرحمة، ص: ٢٣٧.

٩٣٩ ص - إرادة.

٩٤٠ تم تخريجه في باب ما ينهى عن التهاجر، ص: ٢٤٢.

ولك أن تقول: سبب تخصيص الإثنين وتفضيلهما هنا على باقي الأعمال / [١٩٠و] لاقتضاء المقام والأحوال. أو المراد من الحديث التحريض على فعل الإثنين ومدحهما، كما يقول في مدح الشئيين النقيسين ليس مثلهما في الدنيا، ولا ينبغي أن يقصد الإنسان إلا لتحصيلهما، وهذان يكفیان لكلّ أحد في المهمّات، مع أنّك تعرف أنّهما ليسا كذلك، وتعرف أنّ المراد مدحهما على وجه المبالغة فيكون المراد من ذلك الكلام لازمه.

والظاهر باعتبار العرف أنّ المراد من قوله: «يقوم به آناء الليل والنهار»، الصلّاة، فحينئذ يجري على ظاهره، لكن لا بدّ في قرينة من الإخراج عن ظاهره بما ذكرنا.

قال النّبّي عليه السّلام: «ثلاث أقسم عليهنّ، وأحدّثكم حديثاً فاحفظوه، فأما الذي أقسم عليهنّ فإنّه ما نقص مال عبد من صدقة، ولا ظلّم عبد مظلماً صبر عليها إلا زاده الله بها عزّاً، ولا فتح باب مسألة إلا فتح الله عنه باب فقره. وأما الذي أحدّثكم فاحفظوه، فقال: إنّما الدّنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالاً وعلماً فهو يتّقي فيه ربّه، ويصل رحمه ويعمل فيه بحقه، فهذا بأفضل المنازل. وعبد رزقه الله علماً ولم يرزقه مالاً / فهو صادق النّيّة يقول: لو أنّ لي مالاً لعملت بعمل فلان، فأجرهما سواء، وعبد / [١٩٠ظ] رزقه الله مالاً ولم يرزقه علماً، فهو يتخبّط في ماله بغير علم لا يتّقي فيه ربّه، ولا يصل فيه رحمه، ولا يعمل فيه بحقّ، فهذا بأخبث المنازل. وعبد لم يرزقه الله مالاً ولا علماً فهو يقول: لو أنّ لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان، فهو بنيتّه فوزرهما سواء»<sup>٩٤١</sup>.

فإن قلت: الصّدقة غير نقص المال، فكيف أقسم النّبّي عليه السّلام على عدمه؟ وفتح باب المسألة قد يؤدّي إلى فتح باب الغنى، فكيف أقسم النّبّي عليه السّلام على أنّه سبب لفتح باب الفقر وحصر الابتلاء بالدّنيا على أربعة نفر مع أنّ ذلك عام في كلّ إنسان؟

قلنا: قد عرفت أنّ الكلام إذا امتنع إجراؤه على ظاهره واقتضى حمله على المعنى المجازي، ينبغي أن يؤوّل به، وأنّ ذلك الكلام قد يكون محتملاً للمعاني المتعدّدة<sup>٩٤٢</sup> المجازيّة، وأنّ الفضل في تعيين معنى مناسب للمقام.

فنقول: المراد هنا نفي النقص المعنوي لا الصّوري، والصّدقة لا تنقص المال في الحقيقة، لأنّ

٩٤١ مسند أحمد، ٥٦٢/٢٩؛ مصابيح السنة، ٤٤٢/٣.

٩٤٢ ف، المتعدّدية.

تبديل القليل بالكثير، مثل أن يبذل أحد درهمًا لشراء سلعة مقدار قيمتها ألف دينار، هل يكون نقصًا للمال أو تكثيرًا أو تكميلاً؟ فإن الله يعطي المتصدق بقليل فإن من نعيم الجنة، بحيث لا نهاية؛ / [١٩١و] لنفاسته وكماله، فلا تنقص صدقته شيئًا من ماله، بل تزيده مضاعفًا لا نهاية له.

أو نقول: الصدقة يعطي المال بركة وتحفظه عن الحوادث، فيكون سبب الزيادة المعنوية. وبعض الشراح لم يبلغ إليه فهمه أو لم يلتفت إليه، فقال: الاستثناء مصروف إلى الكلامين، فيكون خاصية الصدقة زيادة العز، والأول أدق وأبلغ، إن تفكرت فيه تفهم ذلك. والمراد من الفقر فقر القلب، لما عرفت أن الاعتياد بالسؤال وطلب الدنيا، يزيد الطالب حرصه، فلا يشبع قلبه وإن حصل أموالًا كثيرة، بحيث يبلغ أضعاف مال المتصدق. ويحتمل عقلاً أن يقال: هذا باعتبار الغالب، أو المراد منه المنع عن السؤال بوجه أكيد. فإن قلت: السؤال عند الحاجة مباح، بل واجب فكيف قال: «ولا فتح باب مسألة» على الإطلاق؟

قلنا: قد عرفت تقييده بحديث آخر، فقل: المراد فتح باب طلب الدنيا من غير احتياج، والمراد<sup>٩٤٣</sup> لأربعة باعتبار مقارنة العلم وعدمها، فينحصر على الأربعة، لكن ذكر من أمور الدنيا المال، لأنه عمدتها وأعلاها، إذ الدنيا إما ظاهرة كالأموال من الصوامت والنواطق، أو باطنة كأسبابها والأوصاف المذمومة الناشئة / [١٩١ظ] من محبتها، فالمال أعمها ضررًا وابتلاءً، لما عرفت أن الخبر ليس كالعيان وذلك أيضًا مقبول بالوجدان.

فإن قلت: سلمنا أن الانحصار باعتبار مقارنته وعدمها، لا يزيد على الأربعة، لكن اعتبر فيه العمل بمقتضى العلم والمال فحينئذ يزيد عليها بذلك الاعتبار؛ لأن عبدًا حصل له العلم والمال إما أن يعمل بمقتضاهما، بأن يشتغل بالطاعات والصدقات، أو لا يعمل بمقتضاهما، أو يعمل بمقتضى أحدهما دون الأخرى، فهذه أربعة أقسام. وله أقسام أربعة أخرى بأن يحصل العلم فعمل أحد بمقتضاه أو لم يعمل، ويحصل له المال دون العلم فعمل بمقتضاه أو لم يعمل، فما فائدة ذكر الأربعة وترك الأربعة الأخرى؟ إذ ذكر عبدًا رزق علمًا ومالًا، وعمل بمقتضى العلم والمال، ولم يذكر عبدًا رزق إياهما ولم يعمل بموجبهما، أو بموجب أحدهما، وذكر عبدًا

٩٤٣ ص + من جعل الدنيا.

رزق علماً وعمل بمقتضاه ولم يذكر عدم عمله بمقتضاه، وذكر عبداً رزق مألماً ولم يرزق علماً ولم يعمل بمقتضى المال ولم يذكر عمله بمقتضاه، وذكر عبداً لم يرزق مألماً ولا علماً وقصد الوزر بسبب المال، ولم يذكر عدم قصده إياه، فحينئذ ترك أربعة أقسام.

قلنا: فيه نكتة نبهة وفائدة/ [١٩٢و] خفية؛ وهي جعل العلم مستلزماً مقتضاه، وجعله بمنزلة المعدوم عند عدم استلزامه، وبيان أن العمل لا يتصور بدون العلم. ويلزم من ذلك الاعتبار أن لا نذكر الأقسام المتروكة، وانته على ذلك بفظانتك.

وقوله: «ووزرهما فيه سوء»، يدل على أن العزم وتصميم القلب على معصيته بمنزلة فعله، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦] كقوله عليه السلام: في قصة المعراج قال الله تعالى: «من همّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشرًا، ومن همّ بسيئة فلم يعملها لم يكتب شيئًا، فإن عملها كتبت سيئة واحدة»<sup>٩٤٤</sup>، فيكون هذا الحديث مخصّصاً بقوله عليه السلام: «إن الله تجاوز لي عن أمّتي ما وسوست به صدورها»<sup>٩٤٥</sup>، ولأمثاله مما يدل على أن العبد لا يعاقب لقصده المعاصي إذا لم يفعل<sup>٩٤٦</sup>. وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤].

ويحتمل أن يراد من القول: القول اللساني فحينئذ لا ينافي حديث الوسوسة؛ لأن القول اللساني عمل ظاهر ويجوز التأويل فيها بالنسخ إذا ثبت التاريخ والترجيح.

فإن قلت: إذا ثبت صحة الحصر باعتبار مقارنة العلم بما ذكرت من النكتة، فنقول لم لم يعتبر/ [١٩٢ظ] في التقسيم مقارنة العبادة مع العلم، مع أن الناس مخلوقون للعبادة، والدنيا سبب معيشتهم وتحصيل قوتهم للعبادة، ولذا قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] وقال: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢].

٩٤٤ صحيح مسلم، معرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامة الساعة ١٣٠؛ مسند أحمد، ١٦/٢٨٥؛ مصابيح السنة، ٤/٨٠.

٩٤٥ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ سنن ابن ماجه، الطلاق ١٦.

٩٤٦ هذه الفقرة من «كقوله عليه السلام في قصة المعراج..... إذا لم يفعل» جاء بعد الآية ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨٤] محذوفة من نسخة ص.

قلنا: قد عرفت أنّ المراد من العلم: العلم المقارن للعمل؛ لأنّ غير المقارن بمنزلة المعدوم، وعدم تصريح ذكر العمل لبيان فضيلة العلم واستلزامه له، وأنّ الدّنيا لا يضّرّ مع العلم، لأنّ الدّنيا كالسّم والعلم كالترّيق، فتنّبه على ذلك كله ولعلّ فيه حكماً أحرّ لا يبلغ إليها فهّمنا لما عرفت أنّ نبينا عليه السّلام أفضل البلغاء وأكمل الخطباء يعتبر في كلامه بدقائق إذا حاور مع الفصحاء.

### باب الصّبر والتّوكل

[٢٠٠] قال النّبّي عليه السّلام: «الزّهادة في الدّنيا ليست بتحريم الحلال ولا إضاعة المال، ولكنّ الزّهادة في الدّنيا أن لا تكون بما في يديك أوثق مما في يد الله وأن تكون في ثواب المصيبة إذا أنت أصبت بما أرغب فيها لو أنّها أبقيت لك»<sup>٩٤٧</sup>.

فإن قلت: حقيقة الزّهد في الشّريعة الإعراض عن الدّنيا والاستكراه لمحبتها، وكون اعتماد المرء على ما قدّر له أوثق من الاعتماد ما في يده، وكونه أرغب في [١٩٣و] وصول المصيبة من عدم وصولها أو تأخرها ليس من معنى الزّهد في شيء؛ لأنّ الأوّل من أمارات التّوكل، والثّاني من أمارات الصّبر، فما توجيه الحديث وتأويله؟

نقول: قد ثبت في مواضع كثيرة أنّ رسولنا عليه السّلام يرى رعاية مقتضيات المقام واعتبارات الكلام واجباً، كما أنّ الطّبيب الحاذق يراعي أحوال المرضى ومقتضيات أمراضهم وأمزجتهم في المعالجة، فربّما يخاطب عليه السّلام فصحاء الأنام، فيورد فيه دقائق الكلام؛ لاقتضاء المقام. وربّما يخاطب أصناف العوام، فيصرّح فيه المراد والمرام. ولما اشتمل الحديث المذكور بعض الدّقائق، علمت منه أنّ المخاطب فيه من أهل الحقائق، فيجوز أن يصاغ الكلام على خلاف الظّاهر؛ لأنّ الدّقة والمبالغة فيه.

فنقول: الزّهد عبارة عن الإعراض عن محبّة الدّنيا، ولا يتصوّر تفصيل هذا الكلام وتحقيقه بدون تفصيل الدّنيا، فاعلم أنّ المراد من الدّنيا عند أهل المعرفة ما هو تأخذ نفسك حظّها منه، وحظوظ النّفس كثيرة؛ كمشتهيّات المأكّل والمشارب، والملابس والمساكن، والمناكح والمراكب. وكذا أسبابها ووسائلها من أنواع الحرف والأشغال الموصلة إليها/ [١٩٣ظ] كالّتجارة، وخدمة أهل الدّنيا، ومن الذهب والفضة، والضياع والعقار، والحدائق والمزارع

٩٤٧ سنن الترمذي، الزهد ٢٩؛ سنن ابن ماجه، الزهد ١؛ مصابيح السنة، ٤٤٦/٣.

والبساتين. وكذا صحّة البدن، وتكاثر المال والأولاد والاتباع، والتّنعّم بها، والفرح والبطالة، والمرح والغفلة، والرّئاسة والعزة، وحبّ المدح وكنم العيب، وغير ذلك من حظوظ النّفس الأماّرة. وإلى بعض ذلك أشار الملك الكريم في كلامه القديم كما قال تعالى: ﴿رُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [آل عمران: ١٤] وقال تعالى: ﴿أَتَمَّا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ [الحديد: ٢٠] وقال تعالى: ﴿أَتَمَّا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ [التوبة: ٢٤].

وإذا عرفت أنّ الرّهد عبارة عن إعراض القلب عن محبة الدّنيا وطلبها، وعرفت أيضاً بعض تفاصيل الدّنيا، فافهم أيضاً أنّ ترك المؤمن اعتماده على ما في يده من الدّنيا، وقطع<sup>٩٤٨</sup> محبّته عنه وتصميم عزمه، واعتماده على ما/ [١٩٤و] في تقدير الله من أسباب المعيشة، أمانة الإعراض عن محبة الدّنيا. وأيضاً رغبته في وصول المصيبة إلى ماله أو بدنه، أمانة عدم محبة الدّنيا في قلبه، لما عرفت أنّ صحّة البدن والمال من الدّنيا، والرّغبة في زوالهما من أعظم أمارات الرّهد.

وإن خصّصت المصيبة بزوال الدّنيا باعتبار المقام، لا يبعد عن الصّواب بل يكون أظهر في الجواب.

وقد عرفت أنّ الشّيء الواحد يجوز أن يكون له جهات واعتبارات مختلفة، فكون المرء أوثق بما في قدرة الله ممّا في يده من أمانة التّوكّل، وكونه أرغب في مصيبته وأهله من أمانة الصّبر، لا ينافي أن يكون من أمانة الرّهد باعتبار آخر.

فإن قلت: أمارات الرّهد كثيرة، ودلالة بعض المتروكات عليها ظاهرة، ومقام التّبيين يقتضي ذكر الظّاهر، فما وجه ذكر الأمارتين الخفيتين وترك الباقي، وقد قلت: أنّ البليغ يراعي النّكتة في التّخصيصات الذّكرية كما في الحصرية؟

قلنا: المخصّص اقتضاء حال المخاطب، أو المقام، وينادي بذلك قوله: «ليست بتحريم الحلال ولا إضاعة المال». فتأمل بالدقّة تطّلع على النّكتة، فإنّ سَوَقَ الكلام يدلّ على أنّ الرّسول عليه السّلام قال هذا/ [١٩٤ظ] الكلام لشخص أو لقوم يزعمون أنّ الرّهد عبارة

٩٤٨ ص - على ما في يده من الدنيا وقطع.

عن الامتناع عن المشروعات المباحة، وتفريق ما في يدهم مما يحتاج إليه، فيكون ذكر التحريم والإضاعة للتغليظ، فكأنه قال لهم الزهد ليس عبارة عما تزعمون، بل هو عبارة عن ترك تعليق قلوبكم بما في<sup>٩٤٩</sup> أيديكم، لا تفريقها، وعن عدم التأذي بزوالها، فيكون التخصيص للتعريض، لا لتعريف الزهد مطلقاً. فحسن تبين الزهد بالأمارتين المذكورتين بالنسبة إلى أولئك القوم أو إلى مخاطب مخصوص.

### باب الرياء والسّمة

[٢٠١] قال: «بحسب أمرئ من الشر أن يشار إليه بالأصابع في دين أو دنيا إلا من عصمه الله»<sup>٩٥٠</sup>.

فإن قلت: كثير من الأولياء والأنبياء اشتهروا بحسب ملاء الدنيا شهرتهم وصيتهم، فكيف تصير الشهرة شرّاً مطلقاً؟ قال بعض الشّراح: الشهرة المذمومة، هي التي يُنكَلَفُ فيها، لا الشهرة التي حصلت بتشهير الله تعالى.

قلنا: هذا توجيه حسن؛ لأنّ العزّة والشّهرة من البشرى العاجلة للمؤمنين، والقبح في قصدهم إليها. فالأولى أن يقال: المرسلون مخرجون من هذا الحكم، لذا لا بدّ من تحصيل العزّة والشّهرة بإظهار المعجزة؛ لفائدة التبليغ واتباع الأمة، / [١٩٥و] فيكون طلب الشّهرة والرئاسة شرّاً ومذموماً لغير المرسلين، إذ لا يقدر على حفظ نفسه فيهما، وترك العجب والكبر فيهما، إلا الصّدّيقون الأقوياء، وبهلك فيها الجاهلون والضعفاء.

وإنما قال في دين أو دنيا؛ لبيان أنّ حبّ الرئاسة مذموم؛ سواء كان لسبب الإمارة والمال، أو بسبب العلم والأعمال؛ لأنّ جعل العلم والعبادة وسيلة إلى الرئاسة واستمالة قلوب الناس، وتحصيل تعظيمهم وجرّ حطامهم أقبح من جعل الدنيا وسيلة إليهما.

فالمراد من الحديث صعوبة الاحتراز عن آفات الشّهرة، والتّحريض على الخمول وترك أسباب الرئاسة سوى العلم والعبادة، ووجوب الاجتناب فيهما عن الميل إلى تحصيل الشّهرة.

٩٤٩ ص - بي.

٩٥٠ سنن الترمذي، صفة القيامة والرفائق والورع ٢١؛ مصابيح السنة، ٣/٤٥١.

## باب البكاء والخوف

[٢٠٢] قال النبي عليه السلام: «لا يلج النار من بكى من خشية الله، حتى يعود اللبن في الضرع»<sup>٩٥١</sup>.

فإن قلت: مجرد البكاء عن الخشية لا يمنع الولوج في النار؛ لجواز أن يعمل الباكي معصية موجبة دخول النار باعتبار الوعيد، كما أن كثيراً من الناس يبكون عند استماع الوعظ لرقّة قلوبهم، ثم يعملون كثيراً من المعاصي بعد خروجهم عن مجلس الوعظ.

نقول: معناه: أن الباكي لا يلج النار / [٩٥١ظ] ما لم يعمل عملاً موجباً دخول النار، باعتبار الوعيد عليه بدخول النار، وامتناع خلف الوعيد به<sup>٩٥٢</sup> على الأصح.

أو نقول: البكاء يدلّ على رقة القلب واستيلاء الخوف والخشية على القلب، فذلك يؤدّي غالباً إلى ترك المعاصي، والمواظبة على عبادة الله.

أو المراد منه لازمه؛ وهو التحريض على البكاء والخشية بتحصيل أسبابهما من مطالعة القوارع والزّواجر أو سماعها، لما عرفت أن الإيمان جناحين؛ الخوف والرّجاء، وإذا ارتحل الخوف من القلب، يقسو ويخرب، ويذهب نوره ورقته وصفاءه ومنافعه. وكذا إذا انقطع الرّجاء من القلب يخرب ويفسد؛ لأنّه يصير سبباً لتضييق رحمة الله تعالى، فيجب على المؤمن أن يحتز عن الإفراط والتّفريط، والخوف والرّجاء. فإن كان العبد مستغرقاً في الطّاعة، يجب عليه أن لا يقع في متالف الأمن، بل يخاف من عدم قبول طاعته وقصوره في أداء العبادة اللّائقة بعظمة الله تعالى.

وقد عرفت كثرة شرائط القبول من تخلية النفس عن الأخلاق المذمومة، والاحتراز عن العوائق والعوارض والقوادح، فلا تأمن عن القصور في تحصيل بعضها لغاية صعوبة رعاية كلها.

أو يدلّ / [١٩٦و] على ما ذكرنا أن عائشة رضي الله عنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠] وقالت: أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال عليه السلام: لا يا ابنة الصّديق، ولكنهم الذين يصلّون

٩٥١ سنن الترمذي، أبواب فضائل الجهاد ٨؛ النسائي، الجهاد ٨؛ مسند أحمد، ١٦/٣٣٠؛ مصابيح السنة،

٤٥٤/٣.

٩٥٢ ص - به.

ويصومون وهم يخافون أن لا يقبل منهم، ﴿أَوْلَيْكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ [المؤمنون: ٦١] ٩٥٣.  
وكذا يجب عليه أن لا يقطع رجاءه عن غلبة رحمة الله، وشمول كرمه وعنايته، فيشتغل بالتوبة  
والندامة على معصية الله تعالى، وإن كان مصراً على الذنب والمخالفة.

[٢٠٣] عن أبي هريرة قال: لما نزلت ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] صعد  
على الصفا، فأندر قريشاً عموماً وخصوصاً، حتى قال: «يا معشر قريش، اشتروا أنفسكم  
من الله، لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا بني عبد المطلب، لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا  
عباس بن عبد المطلب، لا أغني عنك من الله شيئاً، يا صفية عمّة رسول الله، لا أغني عنك  
من الله شيئاً، يا فاطمة بنت رسول الله، سليني بما شئت لا أغني عنك من الله شيئاً» ٩٥٤.

فإن قلت: قد أخبر النبي عليه السلام عن شفاعته لأُمَّته؛ لإنجائهم من العذاب، وقبول  
شفاعته في حقهم على وجه المبالغة لقوله: «لا أغني عنكم من الله شيئاً».

قلنا: إخباره بشفاعته في حق أُمَّته قرينة/ [٩٦١ظ] لتأويل نفي الشفاعة عن أزواجه وأقاربه،  
وإخراجه عن ظاهرها، أو تقييده، كما عرفت مراراً أمثال ذلك، فالمعنى: لا أغني عنكم شيئاً  
من قبل نفسي بدون إذن ربي، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء:  
٢٨] وقال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. وتحقيق ذلك: أن  
سبب الشفاعة وجود المناسبة في المشفوع له، والإذن مرتبط ٩٥٥ بذلك، ولذا منع رسول الله  
صلى الله عليه وسلم عن الشفاعة في بعض أُمَّته مع أنه قال: «أصحبابي أصحبابي» ٩٥٦،  
فستعرف زيادة التحقيق في باب الشفاعة.

فإن قلت: لم أطلق نفي الإغناء، مع أنه مقيد في نفس الأمر؟ قلنا: القيد يفهم من المنطوق  
وقد يفهم من المعقول ٩٥٧ بواسطة قرينة.

٩٥٣ سنن الترمذي، تفسير القرآن ٢٤؛ مصابيح السنة، ٣/٤٥٥.

٩٥٤ صحيح البخاري، الجمعة، ٢١٧؛ صحيح مسلم، الإيمان ٢٠٦؛ النسائي، الوصايا ٦؛ سنن الدارمي،

١/٦٥٦؛ مصابيح السنة، ٣/٤٦٢.

٩٥٥ ص منوط.

٩٥٦ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ صحيح مسلم، الفضائل ٢٢٩٧؛ مسند أحمد، ١٧/٣١٨؛ مصابيح

السنة، ٣/٥٢٦.

٩٥٧ ص المفعول.

فإن قلت: إذا فهم التقييد، فما الفائدة من صورة الإطلاق؟ قلنا: أهل الذوق واللسان، وأرباب البلاغة والبيان يفهمون من صورة الظاهر مبالغة، وإن كان المراد خلافه، فإن ترك الحقيقة والظاهر، والذهاب إلى المجاز المرسل والاستعارات، وتصوير المعقولات بالمحسوسات؛ لأجل النكات والمبالغات، فلا بد لنا من إيراد بعض الشواهد والأمثالات؛ حتى يتقرر في فهمك بعض الفوائد والنكات.

فاعلم/ [١٩٧و] أن الله تبارك وتعالى أضاف الابتلاء إلى نفسه في كثير من المواضع، كقوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهْرٍ﴾ [البقرة: ٢٤٩] مع أن حقيقة لا يتصور في ذات الله تعالى ويراد منه المعنى المجازي، ويحتمل أن يراد منه التمثيل، أو تشبيه فعل الله تعالى بفعل المبتلى، وأن يراد منه المجاز المرسل، بأن يراد منه بيان اختبار العبد في المأمور به والمنهي عنه، أو ظهورهما بسبب توجهه؛ لأن كلاهما من توابع الابتلاء ومسبباته، وكقوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٍ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧] وقوله تعالى: ﴿وَأَصْنَعُ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [هود: ٣٧] وقوله تعالى: ﴿يَحْسُرَتُنِي عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦].

وأنت تعرف أن كل ذلك لا يجوز أن يجري على ظواهرها، وأن المراد منها معانيها المجازية، بأن يكون المراد من كون الأرض مقبوضة، والسماوات مطوية بيمينه؛ سرعة التصرف فيهما وسهولته. ومن العين حفظه ورعايته ورأفته؛ لأن العين سببها. ومن الجنب ذاته وحقه، وغير ذلك من التأويلات الملائمة<sup>٩٥٨</sup>.

فإن قلت: إذا فهم منها المعاني المجازية، فما الفائدة في إيراد الكلام/ [١٩٧ظ] في الصورة المحتملة لوجوه شتى مع أن المأولين كثيراً ما يغلطون في تعيين المراد؟ قلنا: قد عرفت فوائد المجاز من المبالغة، وأن المؤول يوجب وإن غلط، إذا استجمع شرائط التأويل، فإن أردت تكرار السماع والمعرفة نقول بعض الفوائد المجاز في الآيات المذكورة والحديث المذكور؛ أن المبالغة المفهومة من لفظ الابتلاء لا تفهم من المعنى المطابق؛ لأن الابتلاء يدل على ترتب المجازة على فعله، خيراً كان أو شراً.

وتفهم سهولة التصرف من كون السماء والأرض في القبضة، بحيث لا يفهم ذلك إذا عبر

٩٥٨ ص، الملاء.

بلفظ يدلّ بالمطابقة، بأن يقول مثلاً: تصرّف الله تعالى في السّماوات والأرضين سريعة سهلة.

وتفهم المبالغة في الحفظ من قوله تعالى: ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ بخلاف قوله: بحفظنا.  
وتفهم زيادة اختصاص التّفريط في حقّ الله تعالى من قوله: ﴿فِي جَنبِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦] بالنّسبة إلى إنفهامها من حقّ الله تعالى.

ويتفهم شدّة أهوال القيامة، والتّخويف عنها، والبعث على تحصيل الطّاعات المنجية عنها من قوله: «لا أعني من الله شيئاً»، انفهاماً<sup>٩٥٩</sup> مثله من قوله: لا أعني من عذاب الله بغير إذنه، أو بدون تحصيل مناسبة الشّفاة وسببها؛ لأنّ نفي / [١٩٨و] الإغناء بالكليّة أبلغ من نفي الإغناء المقيّد، وإنّ علّم أنّ المراد هو المقيّد وخلاف الظّاهر.

وذلك معلوم بالدّوق والوجدان، فإنّك إذا غضبت على أحد وأردت بيان شدّة غضبك ومقتك وقصدك إلى إيذائه على وجه المبالغة، تقول: والله أقوم فأقتلك. وإذا أردت المبالغة في نفي مروّته تقول: والله أنت لست بإنسان، وصاحبك يعرف أنّ مرادك من ذلك الكلام إظهار شدّة سخطك وذمّك، ولا تنفهم تلك المبالغة لو قلت أقوم وأؤذيك إيذاءً شديداً، وليس لك مروّة قطعاً.

وأيضاً تقول لمن أردت أن تدعو له على وجه الاهتمام والإتمام: أعانك الله وأسعدك بصيغة الماضي، مع أنّك تريد حصول العون والسّعادة له في المستقبل، وصاحبك يعرف ذلك أيضاً، وأنّك لا تريد الإخبار بحصول العون والسّعادة له في الماضي؛ لأنّ مقام المدح والدّعاء يأتي عن ذلك.

### باب الفتن

[٢٠٤] عن حذيفة قال: قلت: «يا رسول الله، أيكون بعد هذا الخير شرّ كما كان قبله شرّ؟ قال: "نعم". قلت: فما العصمة؟ قال: السّيف. قلت: وهل بعد هذا السّيف بقيّة؟ قال: نعم، تكون إمارة على أقذاء وهدنة على دخن، قلت: ثمّ ماذا / [١٩٨ظ] قال: ثمّ تنشأ دعاة الضّلالة، فإن كان لله في الأرض خليفة جلد ظهره، وأخذ مالك قاطعه، وإلا فمّت وأنت عاضّ على جذل شجرة، قلت: ثمّ ماذا؟ قال: يخرج الدّجال بعد ذلك معه نهر

٩٥٩ ص، أنّها لا تفهم.

ونار. قلت: ثم ماذا؟ قال: ثم ينبح المهر ولا يركب حتى تقوم الساعة»<sup>٩٦٠</sup>.

فإن قلت: قد فهم من أول الحديث أنّ العصمة في أيام الفتنة ضرب السيف، وفهم من آخره ترك ضرب السيف والإطاعة، وفهم أيضًا من أحاديث أخرى أنّ لا بدّ في أيام الفتنة من ملازمة البيوت، وترك القتال وإطاعة الأمير؛ وإنّ ظلم الناس وأخذ أموالهم، كما قال النبيّ عليه السلام: «يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهدائي، ولا يستنون بسنتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس»، قال حذيفة رضي الله عنه: قلت: كيف أصنع يا رسول الله، إن أدركت ذلك؟ قال: «تسمع وتطيع للأمير، وإن ضرب ظهرك، وأخذ مالك»<sup>٩٦١</sup>.

[٢٠٥] قال<sup>٩٦٢</sup>: من كان له إبل<sup>٩٦٣</sup> فليلحق بإبله، ومن لم يكن<sup>٩٦٤</sup> له إبل<sup>٩٦٥</sup> ولا أرض يغمد إلى سيفه، فيدقّ على حده بحجر ثم لينج. فقال رجل: يا رسول الله إن أكرهت فينطلق بي رجل إلى أحد الصّقّين فضرّبي رجل بسيفه، أو يجيء سهم فيقتلني. قال: بيوء/<sup>[١٩٩٩]</sup> بإثمه وإثمك، فيكون من أصحاب النار»<sup>٩٦٦</sup> فيلزم منه التعارض.

[٢٠٦] وقال في حديث آخر في حقّ المقاتلين من أمته: «القاتل والمقتول في النار»<sup>٩٦٧</sup> فيلزم منه تدافع آخر.

قلنا: قد عرفت أن لا تناقض ولا تعارض في كلام الشارح على سبيل التحقيق، وما يتوهم من التدافع بحسب الظاهر، يجب على المأول أن يمنع ويصحّح كلام الشارح بوجه من

٩٦٠ سنن أبي داود، الفتن ١؛ مسند أحمد، ٤٢٤/٣٨؛ مصابيح السنة، ٤٧١/٣.

٩٦١ صحيح مسلم، الإمارة ١٨٤٧؛ مصابيح السنة، ٤٦٧/٣.

٩٦٢ ص، وقال.

٩٦٣ ف من كان له إبل.

٩٦٤ ص ومن كان.

٩٦٥ ص + ولا غنم.

٩٦٦ صحيح مسلم، الفتن وأشراط الساعة ٢٨٨٧؛ مصابيح السنة، ٤٦٨/٣. (لكن هنا الإزنيقي اختصر الحديث).

٩٦٧ صحيح مسلم، القسامة والمحاربين والقصاص والديات ١٦٨٠؛ سنن النسائي، القسامة ٦؛ سنن ابن ماجه،

الفتن ١٩؛ مصابيح السنة، ٤٦٩/٣.

الوجوه المذكورة<sup>٩٦٨</sup> طرائق التّرجيح والتّوفيق.

فلك أن تقول: هنا جواز ضرب السّيف من جهة أن يعلم أنّ أحد الفئتين ضالّ واجب الدّفع والقتل، ولا يؤدّي مقاتلته إلى ضرر أعظم وأمر أقبح؛ كضرب السّيف في المرتدّين، والباغين، وأهل الغارات والنّهب، وقطّاع الطّريق. ووجوب الامتناع عن القتل إذا علم أنّ القتل والدّفع لا يقدر عليهما، فيؤدّي ذلك إلى فساد أعظم، أو اشتبه الأمر ولا يعلم يقيناً بطلان مخاصمة أحد الفئتين، كما في محاربة معاوية رضي الله عنه مع علي رضي الله عنه، فإنّ كثيراً من الصّحابة والعلماء اتّبعوا معاوية؛ لظنّهم أنّه مستحقّ للخلافة ومحاربتة على وجه الشّريعة؛ لأنّه عالم وقرشيّ ويورد دلائل على صحّة خلافته ومحاربتة، ولا يقدر على دفعها وتأويلها، وإلى مثل / [١٩٩ ظ] تلك الواقعة أشار النّبّي عليه السّلام بقوله: «لا تقوم السّاعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان، وتكون بينهما مقتلة عظيمة، ودعواهما واحدة»<sup>٩٦٩</sup> وقال: «اللّسان فيها أشدّ من وقع السّيف»<sup>٩٧٠</sup>: يعني تطويل اللّسان في أحد الفئتين وسبّهم وغيبتهم إثم؛ لأنّهم يشرعون القتل بظاهر دليل شرعيّ، كما أنّ المعتزلي يخالفنا في كثير من الأوامر الشّرعية الاعتقاديّة والعملية؛ لزعمه أنّ التديّن والتّورّع في ذلك، ونحن لا نكفّره ولا نقتله لشبهة استدلاله بالنّصوص الشّرعية المحتملة للمعاني المتعدّدة.

ومعنى قوله: «والقاتل»<sup>٩٧١</sup> والمقتول في النّار»، إذا قصد كلّ واحد قتل صاحبه على وجه التّعصّب، والوجه الظّاهر البطلان.

وقوله: «بيوء بإثمه وإثمك»؛ إذا لم يقصد المقتول قتل صاحبه، أو قصد لقتله بدليل مجوّز قتله في الظّاهر، والآخر قصد قتله بوجه ظاهر بطلانه، أو بغير وجه ودليل سوى الظّلم والتّعصّب، فيرجع<sup>٩٧٢</sup> بإثمه وإثم صاحبه؛ لما عرفت أنّ صاحبه مظلوم فيطرح، إثم المظلوم على الظّالم بمعنى: أن يعاقب بإثمه.

ويجوز أن يراد من إثم المظلوم إثم المجيء إلى المقاتلة؛ لأنّ العزيمة في الإكراه على المقاتلة الغير

٩٦٨ ص + في بيان.

٩٦٩ صحيح مسلم، الفتن وأشرط الساعة ١٥٧؛ مسند أحمد، ٤٨٥/١٣؛ مصابيح السنة، ٤٧٧/٣.

٩٧٠ سنن أبي داود، الفتن ٣؛ سنن ابن ماجه، الفتن ١٢؛ مسند أحمد، ٥٦٢/١١؛ مصابيح السنة، ٤٧٤/٣.

٩٧١ ص والقاتل.

٩٧٢ ص فيرجعه.

النّافعة؛ التّحرز والامتناع. والرّخصة بالنّسبة إلى العزيمة إثم/ [٢٠٠] عند أهل القلوب والمقرّبين. قال بعض الشّراح: وتمثّل إثمك المقدّر لو قتلته، أو إثمك السّابق على قتله إياك.

### باب أشراف السّاعة

[٢٠٧] قال النّبّيّ عليه السّلام: «إذا اتّخذ الفيء دولاً، والأمانة مغنماً، والزّكاة مغرماً، وتعلّم لغير الدّين، وأطاع الرّجل امرأته، وعقّ أمّه، وأدنى صديقه، وأقصى أباه، وظهرت الأصوات في المساجد، وساد القبيلة فاسقهم، وكان زعيم القوم أرذلهم، وأكرم الرّجل مخافة شرّه، وظهرت القينات والمعازف، وشربت الخمر، ولعن آخر هذه الأمة أوّلها، فليرتقبوا عند ذلك ريحاً حمراء، وزلزلة وخسفاً ومسحاً وقدفاً وآيات تتابع كنظام بال قطع سلكه فتتابع»<sup>٩٧٣</sup>.

[٢٠٨] وروي عن عليّ رضي الله عنه عن النّبّيّ صلّى الله عليه وسلّم أنّه قال: «إذا فعلت أمّتي خمس عشرة خصلة حلّ بها البلاء»<sup>٩٧٤</sup>، وعدّ هذه الخصال ولم يذكر بعلم لغير دين.

[٢٠٩] روى ابن مسعود رضي الله عنه عن النّبّيّ عليه السّلام أنّه قال: «لا تذهب الدّنيا حتّى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي»<sup>٩٧٥</sup> [٩٧٦].

[٢١٠] عن أمّ سلمة - رضي الله عنها - سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلم قال: «المهديّ من عترتي من ولد فاطمة»<sup>٩٧٧</sup>.

[٢١١] قال أبو سعيد الخدريّ: قال عليه السّلام/ [٢٠٠ظ]: «المهديّ منّي أجلى الجبهة أفنى الأنف، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، يملك سبع سنين»<sup>٩٧٨</sup>، فيعطي رجلاً مالاً ما استطاع أن يحمله.

[٢١٢] قال عوف بن مالك: قال النّبّيّ عليه السّلام: «اعدد ستّاً بين يدي السّاعة، موتي، ثمّ فتح بيت المقدس، ثمّ موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم، ثمّ استفاضة المال حتى يعطى

٩٧٣ سنن الترمذي، الفتن ٣٨؛ مصابيح السنة، ٤٩١/٣.

٩٧٤ سنن الترمذي، الفتن ٣٨؛ مصابيح السنة، ٤٩١/٣.

٩٧٥ في المخطوطتين ص، ف، أضاف لفظ «واسم أبيه اسم أبي» ولم أجد هذا اللفظ في الكتب التي خرجت الحديث منها.

٩٧٦ سنن الترمذي، الفتن ٥٢؛ مسند أحمد، ٤٥/٦؛ مصابيح السنة، ٤٩٢/٣.

٩٧٧ سنن أبي داود، المهدي؛ مصابيح السنة، ٤٩٢/٣.

٩٧٨ سنن أبي داود، المهدي؛ مصابيح السنة، ٤٩٢/٣.

الرجل مائة دينار فيظلّ ساخطاً، ثمّ فتنة لا يبقى بيت من العرب إلاّ دخلته، ثمّ هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين غاية، تحت كلّ غاية اثنا عشر ألفاً»<sup>٩٧٩</sup>.

[٢١٣] وقال: «لا تقوم الساعة حتّى تروا عشرًا»، فذكر الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم -عليه السلام-، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف؛ بالمشرق والمغرب وجزيرة العرب، ونار تخرج من اليمن وتطرد الناس إلى المحشر<sup>٩٨٠</sup>، ويروي يخرج من عدن، ويروي العاشر ريح يلقي الناس في البحر.

فكيف التوفيق بين تلك الأحاديث، يعني جعل النبيّ عليه السلام علامة القيامة في بعض المواضع واحدًا، وفي بعضها ستًا، وفي بعضها خمسة عشر وفي بعضها عشر؟ قلنا: قد عرفت جواب أمثاله في القواعد/ [٢٠١ و] المذكورة قبل هذا، فقل: الأقلّ داخل في الأكثر، وتخصيص بعض العدد ببعض المواضع لاقتضاء المقام ذلك.

ويمكن أن يقال: ذكر كلّ عدد باعتبار الإلهام، أو بنجر جبريل عليه السلام، بأن ألهمّ أو أخبر في بعض الوقت بمقدار فأخبر به، وفي بعضه مقدار أكثر منه فأخبر به. أو المراد من أشراط الساعة؛ علامات قربها بالنسبة إلى ما تقدم من الأزمان، فكلّ واحد من الأعداد المذكورة يصلح أن يكون دليل القرب بالنسبة إلى الأزمنة المتطاولة الماضية، كما أشار النبيّ عليه إلى ذلك بقوله: «أنا والساعة كهاتين وأشار بأصبعيه»<sup>٩٨١</sup>.

وإذا عرفت المحتملات المذكورة، فافهم أنّ التوجيه الأوّل أدقّ وأشمل، ونظير هذا ما قال النبيّ عليه السلام في بيان أصناف أهل الجنة وأصحاب النار أعدادًا مختلفة، إذ قال في بعض المواضع أهل الجنة ثلاثة، وفي بعضها ستّة، وفي بعضها خمسة وفي بعضها أربعة. وكذا في أهل النار. وقال في موضع ستّة لا يكلمهم الله، وفي موضع أربعة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم، وفي موضع ثلاثة.

٩٧٩ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ مسند أحمد، ٣٩/٣٩٢؛ مصابيح السنة، ٣/٤٨٠.

٩٨٠ سنن الترمذي، الفتن ٢١.

٩٨١ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ صحيح مسلم، الجمعة ٨٦٧؛ سنن الترمذي، الفتن ٣٩؛ سنن النسائي،

صلاة العبد ٢١؛ سنن ابن ماجه، الإيمان وفوائد الصحابة ٧؛ سنن الدارمي، ١/٦٦١؛ مسند أحمد،

٢٧١/١٩؛ مصابيح السنة، ٣/٥١٧.

والتّخصيصات الذّكريّة في المواضع المذكورة لاقتضاء المقام/ [٢٠١ظ] ذلك؛ ككون السّامعين متهاونين في تلك العبادات، أو مواظبين، أو كونها مهمّة لهم بالنّسبة إلى غيرها، أو كون تلك العبادات أقوى الأسباب وأفضلها. وككون السّامعين أو أهل ذلك الموضوع متمادين في تلك المعاصي ومعتادين بها، أو كون إثمها عظيماً، أو قلوب النّاس إليها أميل وغير ذلك من مقتضيات المقام التي سمعت بعض تفاصيلها.

وقد عرفت أنّ الملحوظ في صوغ الكلام قد يكون بلغاء الأنام، ويعتبر فيه دقائق المرام، ولا يلتفت فيه إلى اضطراب الأنام قليلة الأفهام.

[٢١٤] قال النّبّي عليه السّلام في حقّ الدّجال: «إنّه أعور عين اليمنى، كأنّ عينه عنبة طافية»<sup>٩٨٢</sup>.

[٢١٥] وقال فيه أيضاً: «أعور العين اليسرى، جفال الشّعر، معه جنة و نار، فناره جنة وجنته نار»<sup>٩٨٣</sup>، «ولبثه في الأرض أربعون يوماً؛ يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم، وينزل عيسى عليه السّلام فيدركه بباب لدّ فيقتله ويمكث في الأرض سبع سنين»<sup>٩٨٤</sup>.

---

٩٨٢ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ صحيح مسلم، الإيمان ١٦٩؛ مسند أحمد، ١٥/٩؛ مصابيح السنة، ٤٩٧/٣.

٩٨٣ صحيح مسلم، أشراف الساعة ٢٩٣٤؛ سنن ابن ماجه، الفتن ٣٠؛ مسند أحمد، ٢٨٦/٣٨؛ مصابيح السنة، ٤٩٨/٣.

٩٨٤ اختصر الازنيقي الحديث ولفظه: «قلنا: يا رسول الله وما لبثه في الأرض؟ قال: «أربعون يوماً، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم» قلنا: يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة، أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: «لا، اقدروا له قدره» قلنا: يا رسول الله وما إسرعه في الأرض؟ قال: " كالجيث استدبرته الريح، فيأتي على القوم فيدعوهم، فيؤمنون به ويستجيبون له، فيأمر السماء فتمطر، والأرض فتنبت، فتروح عليهم سارحتهم، أطول ما كانت ذرا، وأسبغه ضروعا، وأمدّه خواصر، ثم يأتي القوم، فيدعوهم فيردون عليه قوله، فينصرف عنهم، فيصبحون ممحلين [ص: ٢٢٥٣] ليس بأيديهم شيء من أموالهم، ويمر بالخرية، فيقول لها: أخرجي كنوزك، فتتبعه كنوزها كيغاسيب النحل، ثم يدعو رجلاً ممتلئاً شاباً، فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض، ثم يدعو فيقبل ويتهلل وجهه، يضحك، فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، بين مهرودتين، واضعاً كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه جمان كالؤلؤ، فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه، فيطلبه حتى يدركه بباب لدّ، فيقتله». أخرجه مسلم في صحيحه، الفتن وأشراف الساعة رقم الحديث (٢٩٣٧)؛ وأخرجه أبي داود في سننه، الملاحم

[٢١٦] وقال فيه أيضاً: «الدَّجَالُ رجل قصير أفحج، جعد أعور مطموس العين ليس بناتمة ولا حجراً»<sup>٩٨٥</sup>.

فكيف التّوفيق في اختلاف أوصاف الدّجال؟

قلنا: قال الإمام الفاضل التوربشتي في/ [٢٠٢و] توفيق تلك الأحاديث المختلفة: الأحاديث التي وردت في وصف الدّجال وما يكون منه كلمات متنافرة بشكل التّوفيق بينهما، ونحن نسأل الله التّوفيق في التّوفيق.

فنقول: قال في حديث آخر: «أنّ عينه طافية»، وفي حديث آخر: «جاحظ العين كأثما كوكب»، وفي حديث آخر: «أثما ليست بناتمة ولا حجراً»، وفي حديث آخر: «أثما أعور عين اليمنى»، وفي حديث حذيفة: «أنّه ممسوح العين عليها ظفرة غليظة» وفي حديث: «أنّه أعور عين اليسرى».

والسبيل في التّوفيق أن يقال: اختلاف الوصفين بحسب اختلاف العينين؛ فإنّ إحدى عينيه ذاهبة والأخرى معيبة، فيصح أن يقال لكلّ واحدة عوراء؛ لأنّ الأصل في العور العيب<sup>٩٨٦</sup>، وذكر نحو هذا التّوجيه محي الدّين.

قلنا: توجيه الشّيخين يدفع بعض التّدافع النّاشئ من وصف عينيه، ونفي بعض التّدافع، فالأنسب أن يقال: الاختلاف في وصف نفسه وعينه، باعتبار الأوقات المختلفة، أو باعتبار إقدار الله تعالى إيّاه على التّسويات؛ لابتلاء النّاس لما عرفت أنّ الإقدار على خوارق العادات قد يكون للاستدراج والدّلة، كما يكون للكرامة/ [٢٠٢ظ] والمعجزة.

وبعض فوائد بيان تسوياته؛ أن لا ينخدع النّاس بها، إذ لو اقتصر في بيانه على بعض أفعاله وأوصافه وأحواله، وربّما يشكّ الرّائي فيه عند رؤية بعض أوصافه وأفعاله الذي لم يبيّن، فيزعم

---

باب خروج الدجال؛ وابن ماجه في سننه، الفتن باب فتنة الدجال وخروج عيسى بن مريم وخروج يأجوج ومأجوج.

٩٨٥ سنن أبي داود، الملاحم ١٤؛ مسند أحمد، ٤٢٣/٣٧؛ مصابيح السنة، ٥٠٧/٣.

٩٨٦ قال التوربشتي: اختلف الوصف بحسب اختلاف العينين، ووجه الجمع بين هذه الأوصاف المتنافرة أن يقدر فيها أنّ إحدى عينيه ذاهبة، والأخرى معيبة فيصح أن يقال لكل واحد عوراء، لأن الأصل في العور أنه العيب. وقال: ليس بمستبعد أن يكون سمع بعض الرواة قد أخطأ في اليمنى واليسرى، فإنهم ليسوا بمعصومين عن الخطأ، انظر: الميسر في شرح مصابيح السنة، ١١٦٤/٤.

أنَّه غير الدَّجَالِ.

### [بعض طرق الدَّجَالِ في خداع النَّاسِ فيما يتعلَّق بعينه]

فعلى هذا يجوز أن يخيَّل النَّاسُ في بعض الأوقات؛ أنَّ عينه اليمنى ناتئة وطافية، وعينه اليسرى ممسوحة<sup>٩٨٧</sup> أو غابرة وتارة بالعكس. ويخيَّل النَّاسُ أيضًا في بعض الأوقات أنَّ عينيه ممسوحة، وفي بعض الأوقات أنَّ عينيه لا بناتئة ولا حجرا، وفي بعضها أنَّ في عينه ظفرة غليظة، وفي بعضها أنَّ عينه اليمنى أعور وفي بعضها بالعكس. كما تحيِّلهم إحياء الموتى والمواشي، وصورة الجنَّة والنَّار، وتطويل يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة.

وقال بعض الشَّرايح: المراد من تطويل اليوم ازدحام الغموم<sup>٩٨٨</sup> وذلك لا يناسب المقام؛ لأنَّ النَّاسَ سألو النَّبِيَّ عليه السَّلَامُ: «أتكفيينا فيه صلاة يوم؟ قال: لا، اقدروا له قدره»<sup>٩٨٩</sup>، يعني صلُّوا في مقدار كلِّ يوم خمس صلوات. ولأنَّ قوله يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة يدلُّ بظاهره على أنَّ المراد من التَّطويل التَّسويل، بأن لا يفهم النَّاسُ طلوع الشَّمس/ [٢٠٣و] وغروبها، وظلمة اللَّيْلِ وأوقات الصَّلَاة؛ لازدحام المهموم.

نعم يمكن أن يقال «اقدروا له» لا ينافي أن لا يطول اليوم ولا يزداد على مقداره، ويكون

٩٨٧ ف، ممسوح.

٩٨٨ ذهب أبو الحسين بن المنادي إلى هذا القول؛ قال: المعنى من قوله: «يوم كسنة، ويوم كشهر»: أنَّه يهجم عليكم غم عظيم لشدة البلاء، وأيام البلاء طول، ثم يتناقص ذلك الغم في اليوم الثاني، ثم ينقص في الثالث، ثم يعتاد البلاء. انظر: أبو الفرج الجوزي، كشف المشكل من حديث الصحيحين، تحقيق: علي حسن البواب، (الرياض - دار الوطن)، ٢٠٣/٤.

قال التوربشتي في شرحه لهذا الحديث: لا سبيل إلى تأويل امتداد تلك الأيام التي وصفت بالطول لما فيها من البأس والضراء وشدة البلاء، لأنهم قالوا: «يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة، أيكفيينا فيه صلاة يوم؟ قال: لا». بل قال التوربشتي: بيَّن لنا النبي -صلى الله عليه وسلم- أنَّ الدجال يُبعث معه من الشبهات، ويقيد على يديه من التمويهات ما يسلب عن ذوي العقول عقولهم، ويخطف من أولي الأبصار أبصارهم، مثل ادعائه بأنَّه يحيي الموتى، ومجيئه بجنة ونار وتسخير الشياطين له؛ فإنَّه يأخذ بسمع الناس وأبصارهم حتى يخيَّل إليهم أنَّ الزمان استمر على حالة واحدة إسفار بلا إظلام، وصباح بلا مساء، يحسبن أن الليل لا يمد عليهم رواقه، وأن الشمس لا تطوي عنهم ضياءها، فيقعون في حيرة والتباس من امتداد الزمان، ويدخل عليهم الدواخل باختفاء الآيات الظاهرة في الليل والنهار، فأمرهم أن يجتهدوا عند مصادفة تلك الأحوال، ويقدرُوا لوقت كل صلاة قدره، إلى أن يكشف الله عنهم تلك الغمة. انظر: الميسر في شرح مصابيح السنة، ١١٦٦/٤.

٩٨٩ صحيح مسلم، الفتن وأشرط الساعة ٢٩٣٧؛ سنن أبي داود، اللاحم ١٤؛ سنن الترمذي، الفتن ٥٩.

التّطويل عبارة عن ازدحام المهموم.

ويكون اختلاف التّطويل في الأيام الثلاثة باعتبار أنّ سورة المهموم تنكسر باعتبار النّفس؛ لأنّ الصّدمة الأولى تكون أشدّ على النّفس من اللاحقة، لكنّ ذلك بعيد بالنسبة إلى التّسويل، ويدلّ عليه تخصيص السنّة والشّهر والجمعة.

وقوله: «اقْدُرُوا»، عند التّدبّر، قال الإمام محيي السنّة وهذه الأيام الثلاثة طويلة في نفس الأمر على القدر المذكور، يدلّ عليه قوله «وسائر الأيام كأيامكم»<sup>٩٩٠</sup>.

وقال القاضي<sup>٩٩١</sup>: ومن تبعه الصّلوات كانت أكثر من خمسة في تلك الأيام الثلاثة الطّويلة، لأمر صاحب الشّرع.

قلنا: ذلك ليس بمستبعدٍ من قدرة الله تعالى وحكمه، لكن كلامنا في تأويل مناسب، فإنّ الحمل على التّسويل أقرب إلى العقل، والتّأويل من تغير الشّمس عن جريانها وغيارات الأيام عن نفسها؛ لأجل الدّجال وفتنته.

وقوله: «سائر الأيام كأيامكم»، وصيرورة الصّلوات أكثر، لا ينافي تطويل الأيام باعتبار التّسويل لا في نفس الأمر، وقد عرفت أنّ إحياءه/ [٢٠٣ظ] الموتى من النّاس والبهائم، وقد الرّجل بالمنشار نصفين ثمّ إحيائه، وإظهار صورة الجنّة والنّار تسويل وتمويه، كما يفعل مثل ذلك أهل الشعوذة من ذبح الرّجل ثمّ إقامته حيّاً، وإنبات القثاء والورد في حالة واحدة، وغير ذلك من التّمويهات.

فالأنسب إلى فهمك أن يحمل أحوال عينيه على التّسويل، لما عرفت أنّ تكاثر الأمثال تقرب المدعي إلى القبول عند أهل العقول، وحمل تطويله اليوم، وإحياء الميّت، وإيجاد مثل الجنّة والنّار على التّحقيق لا يمتنع عند العقل في التّوفيق.

لكن نّبتهك مراراً على أنّ التّأويل بحسب الاحتمال العقليّ سهل، ومعرفة المانع عن إرادة

---

٩٩٠ هذا ما ذهب إليه العلماء في شرحهم هذا الحديث ونقله عنهم محيي السنّة في شرحه الحديث، حيث أخذوا

بظاهر الحديث وقالوا: (هذا الحديث على ظاهره وهذه الأيام الثلاثة طويلة على هذا القدر المذكور في الحديث

يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم وسائر أيامه كأيامكم). انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم، ٦٥/١٨.

٩٩١ قال القاضي عياض في شرح قوله عليه السلام: «لا، أقدر له قدره»: هذا حكم مخصوص بذلك اليوم شرعه لنا

صاحب الشّرع، ولولا ذلك وولنا فيه اجتهادنا لكانت الصلاة فيه عند الأوقات المعروفة في غيره من الأيام.

انظر: إكمال المّعلم بفوائد مسلم، ٤٨٣/٨-٤٨٣.

الحقيقة والظاهر يسير، وأنَّ الفضل ورفع المرتبة بتعيين التأويل المناسب من الاحتمالات العقلية، فليتأمل في تأويل المأولين وتأويل الفقير، واستنبط من بينهما ما يلائم النظم والمقام ذلك، وذلك أيضًا من أمارات دقة الأفهام ودلائل الفضل والرفعة بين الأنام.

وقال تميم الداري<sup>٩٩٢</sup> في قصة رؤية الدجال في جزيرة البحر: لقينا فيها دابة كثيرة الشعر، لا يُدرى ما قبُلها من دبرها لكثرة الشعر. قلنا: ما أنت؟ قال: أنا الجساسة<sup>٩٩٣</sup> انطلقوا إلى هذا الرجل / [٢٠٤و] بالدير، فإنه مشتاق إلى خبركم<sup>٩٩٤</sup>.

٩٩٢ هو صاحب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أبو رقية تميم بن أوس بن خارجة بن سود بن جذيمة اللخمي، الفلسطيني. كان نصرانيًا وفد إلى المدينة وأسلم في السنة التاسعة للهجرة، صاحب الرسول عليه السلام وغزا معه. روى أحاديث عدة؛ حيث حدث عنه: ابن عباس وابن موهب عبد الله، وأنس بن مالك، وعطاء بن زيد الليثي وآخرون، وكان عابدا تاليا لكتاب الله. سكن المدينة ثم تحول إلى الشام بعد قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه. انظر: الطبقات الكبرى، ٢٨٦/٧؛ الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ١/١٩٣؛ سير أعلام النبلاء، ٤٤٣/٢. ٩٩٣ سميت بالجساسة لأنها تجس الأخبار للدجال. لسان العرب، ٣٨/٦.

٩٩٤ خرَّج مسلم في صحيحه حديث قصة الجساسة، وهو حديث طويل روته فاطمة بنت قيس، قالت: سمعت نداء المنادي، منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ينادي: الصلاة جامعة، فخرجت إلى المسجد، فصليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكنت في صف النساء التي تلي ظهور القوم، فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته جلس على المنبر، وهو يضحك، فقال: «ليلزم كل إنسان مصلاه»، ثم قال: «أتدرون لم جمعتمكم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: " إني والله ما جمعتمكم لرغبة ولا لرهبة، ولكن جمعتمكم، لأن تميما الداري كان رجلا نصرانيا، فجاء فبايع وأسلم، وحدثني حديثنا وافق الذي كنت أحدثكم عن مسيح الدجال، حدثني أنه ركب في سفينة بحرية، مع ثلاثين رجلا من لحم وجذام، فلعب بهم الموج شهرا في البحر، ثم أرفنوا إلى جزيرة في البحر حتى مغرب الشمس، فجلسوا في أقرب السفينة فدخلوا الجزيرة فلقيتهم دابة أهلب كثير الشعر، لا يدرون ما قبله من دبره، من كثرة الشعر، فقالوا: ويلك ما أنت؟ فقالت: أنا الجساسة، قالوا: وما الجساسة؟ قالت: أيها القوم انطلقوا إلى هذا الرجل في الدير، فإنه إلى خبركم بالأشواق، قال: لما سمعت لنا رجلا فرقنا منها أن تكون شيطانة، قال: فانطلقنا سراعا، حتى دخلنا الدير، فإذا فيه أعظم إنسان رأيناه قط خلقا، وأشدّه وثاقا، مجموعة يده إلى عنقه، ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد، قلنا: ويلك ما أنت؟ قال: قد قدرتم على خبري، فأخبروني ما أنتم؟ قالوا: نحن أناس من العرب ركبنا في سفينة بحرية، فصادفنا البحر حين اغتلم فلعب بنا الموج شهرا، ثم أرفأنا إلى جزيرتك هذه، فجلسنا في أقربها، فدخلنا الجزيرة، فلقيتنا دابة أهلب كثير الشعر، لا يدري ما قبله من دبره من كثرة الشعر، فقلنا: ويلك ما أنت؟ فقالت: أنا الجساسة، قلنا: وما الجساسة؟ قالت: اعمدوا إلى هذا الرجل في الدير، فإنه إلى خبركم بالأشواق، فأقبلنا إليك سراعا، وفرعنا منها، ولم نأمن أن تكون شيطانة، فقال: أخبروني عن نخل بيسان، قلنا: عن أي شأنها تستخبر؟ قال: أسألكم عن نخلها، هل يثمر؟ قلنا له: نعم،

وروت فاطمة بنت قيس أنّ تميمًا الدّاريّ قال فإذا أتى بامرأة تجرّ شعرها قال: ما أنت؟ قالت: أنا الجسّاسة اذهب إلى ذلك القصر.

قال بعض الشّراح<sup>٩٦٥</sup>: يحتمل أن يكون للدّجال جسّاستان أحديهما دابةٌ والأخرى امرأة، وأن يكون شيطانًا تمثّل مرّةً في صورة دابة، ومرّةً في صورة امرأة، ويحتمل أن تسمّى المرأة دابةً لقوله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ﴾ [الأنفال: ٢٢].

واعلم: أنّ تميمًا رجلٌ نصرانيّ أسلم وأخبر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم تلك القصّة، وما صادف الجسّاسة في الجزيرة إلّا مرّةً واحدة، فحينئذ يجوز أن يقال: الجسّاسة امرأة ملتقّة بشعر رأسها أو بدنها معه، ماشية برجليها وبدنها كالذّابة، فرأى تميم تلك الجسّاسة في تلك الهيئة، فأخبر تارة باعتبار هيئتها وتارة باعتبار حقيقتها.

كما يجوز أن يقال: هي شيطان متمثّل بصورتين، أو للدّجال جسّاستان، لكنّ الأوّل تكلفًا أقرب إلى القبول.

فإن قلت: حلف جابر بن عبد الله على أنّ الدّجال هو ابن صيّاد، وقال حلف عمر عند النّبّي عليه السّلام أنّ ابن صيّاد هو الدّجال، ولم ينكر النّبّي عليه السّلام له. وعن أبي بكرّة أنّ النّبّي عليه السّلام قال: «يمكث أبو الدّجال ثلاثين عامًا/ [٢٠٤] لا

---

قال: أما إنه يوشك أن لا تثمر، قال: أخبروني عن بحيرة الطبرية، قلنا: عن أي شأنها تستخبر؟ قال: هل فيها ماء؟ قالوا: هي كثيرة الماء، قال: أما إن ماءها يوشك أن يذهب، قال: أخبروني عن عين زغر، قالوا: عن أي شأنها تستخبر؟ قال: هل في العين ماء؟ وهل يزرع أهلها بماء العين؟ قلنا له: نعم، هي كثيرة الماء، وأهلها يزرعون من مائها، قال: أخبروني عن نبي الأميين ما فعل؟ قالوا: قد خرج من مكة ونزل يثرب، قال: أقاتله العرب؟ قلنا: نعم، قال: كيف صنع بهم؟ فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه، قال لهم: قد كان ذلك؟ قلنا: نعم، قال: أما إن ذلك خير لهم أن يطيعوه، وإني مخبركم عني، إني أنا المسيح، وإني أوشك أن يؤذن لي في الخروج، فأخرج فأسير في الأرض فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة، فهما محرمتان عليّ كلتاها، كلما أردت أن أدخل واحدة - أو واحدًا - منهما استقبلني ملك بيده السيف صلتا، يصدني عنها، وإن على كل نقب منها ملائكة يحرسونها، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وطعن بمخصرته في المنبر: «هذه طيبة، هذه طيبة، هذه طيبة» - يعني المدينة - «ألا هل كنت حدثتكم ذلك؟» فقال الناس: نعم، «فإنه أعجبني حديث تميم، أنه وافق الذي كنت أحدثكم عنه، وعن المدينة ومكة، ألا إنه في بحر الشام، أو بحر اليمن، لا بل من قبل المشرق ما هو، من قبل المشرق ما هو من قبل المشرق، ما هو». انظر: صحيح مسلم، الفتن وأشراط الساعة، رقم الحديث (٢٩٤٢).

٩٩٥ هذا ما ذهب إليه الطيبي في شرحه حديث فاطمة بنت قيس. انظر: شرح المشكاة للطيبي، ١١/٣٤٦٧.

يولد لهما ولد، ثم يولد لهما غلام أعور أضُرُّ شيء وأقله منفعة، تنام عيناه ولا ينام قلبه، أبوه طويل ضرب اللحم كأن أنفه منقار، وأمه فرضاخية طويلة الثديين<sup>٩٩٦</sup>، فسمعنا بمولود في اليهود بالمدينة فذهبت أنا والزبير بن العوام، فرأيناه وأبويه كما وصفهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ<sup>٩٩٧</sup>.

وكان يخبر عن عيب فاطم عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع عمر، فقال عمر: يا رسول الله ائذن لي أن أقتله. فقال النبي عَلَيْهِ السَّلَام: «إن يكن هو فلست صاحبه، إنَّمَا صاحبه عيسى ابن مريم، وإن لا يكن، فليس لك أن تقتل رجلاً من أهل العهد، فلم يزل النبي عَلَيْهِ السَّلَام مشفقاً أنه الدجال»<sup>٩٩٨</sup>.

فعلى هذا التقدير لا يكون الدجال ما أخبر عنه تميم الداري.

قلنا: يمكن أن تكون قصة تميم متأخراً عن هذه القصة بزمان طويل، فلا تكون منافية لقصته. وإن عَلِمَ بالتاريخ أنَّ ابن صيَّاد بقي بعد وفاة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم يذهب إلى الجزيرة، حتَّى يحتمل أن يجيء منها بعد وفاته، كما دلَّ عليه ظاهر قول أبي سعيد أنَّه صحب ابن صيَّاد في سفره إلى مكة بعد الفتح، قال ابن صيَّاد: يزعم النَّاسُ أنَّي دجال، والدجال كافر وأنا مسلم، وهو لا يدخل المدينة وأنا دخلت / [٢٠٥ و] المدينة وأذهب إلى مكة. ودلَّ عليه قول جابر أيضاً: أنَّ ابن صيَّاد فُقدَ يوم الحرة - وهو يوم مقاتلة معاوية مع عليٍّ بعد وفاة النبي عَلَيْهِ السَّلَام - فنحن نقول: في التوفيق بين القصة وهذه الحكاية يجوز أن يحمل حلف جابر وعمر على أنَّ ابن صيَّاد دجال باعتبار وجود صفته فيه، لا على أنَّه دجال في الحقيقة؛ لأنَّ ابن صيَّاد شرير كذاب يغوي النَّاسَ تسويله، ووصف النبي عَلَيْهِ السَّلَام حليته وحلية أبويه كان أيضاً باعتبار الصفة لا الحقيقة، ولا يستبعد إطلاق الدجال الشرير المفسد المسؤل؛ لاشتراكه مع في صفته؛ لما عرفت أنَّ أمثال تلك الطريقة شائعة في عبارات أهل البلاغة، كما يقال فرعون على كلِّ طبَّاش جبار، ويطلق موسى عليه السلام على كلِّ صلب في دينه قهار، ويطلق حاتم على كلِّ جواد كريم، وأبو حنيفة على كلِّ فقيه كامل، ويؤيد ذلك أيضاً قوله عليه السَّلَام: «لا تقوم الساعة حتَّى يبعث دجالون كذابون

٩٩٦ في المخطوطتين ص، ف اليمين.

٩٩٧ سنن الترمذي، الفتن ٦٣. هنا روي الحديث باختصار ولفظه كاملاً في سنن الترمذي.

٩٩٨ مسند أحمد، ٢٣/٢١٤.

قريب من ثلاثين، كلهم يزعم أنه رسول الله<sup>٩٩٩</sup> «الله»<sup>١٠٠٠</sup>.

وزعم أيضاً ابن صياد أنه نبي؛ إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم له: «أتشهد أنني رسول الله، وقال ابن صياد في جواب النبي عليه السلام: أتشهد أنت أنني رسول الله»<sup>١٠٠١</sup>.  
فافهم ذلك/ [٢٠٥ظ] كله حتى ينقلع عن خاطرك شبهة التعارض أيضاً في وصف الدجال، ولا يجد الشيطان سبيلاً إلى وسوستك في أمر المخبر أيضاً، فإن معظم مقاصد الفقير إزالة التردد عن خاطر المبتدئين من صور التعارض الظاهري.

### باب قرب الساعة

[٢١٧] عن جابر قال: سمعت النبي عليه السلام يقول<sup>١٠٠٢</sup> أن يموت بشهر: «تسألوني عن الساعة؟ وإنما علمها عند الله، وأقسم بالله ما على الأرض من نفس منفوسة تأتي عليها مائة سنة»<sup>١٠٠٣</sup>، «حتى تقوم عليكم ساعتكم»<sup>١٠٠٤</sup>. وقال أيضاً إشارة إلى أصغرهم: «إن يعيش هذا لا يدركه الهرم، حتى تقوم عليكم ساعتكم»<sup>١٠٠٥</sup>.

فإن قلت: قد أخبر النبي عليه السلام عن أشراط الساعة التي سيحدث بعد وفاته، وأن الساعة لم تقم بعد مائة سنة وهو مصون عن الكذب، فما وجه تأويل الحديثين؟ قلنا: قد سمعت مراراً أن القرينة الثقيلة والحسيّة تكون مانعة أيضاً عن إجراء الكلام على حقيقته في بعض الصور، فتلك القرينتان قد وجدتا في شأن الحديثين، فيجب أن يؤولا. قال بعض الشراح: القيامة ثلاثة؛ قيامة صغرى وهي يموت كل أحد، وقيامة وسطى وهي

---

٩٩٩ في المخطوطتين ص، ف نبي.

١٠٠٠ صحيح مسلم، الفتن وأشراط الساعة ١٥٧؛ مسند أحمد، ١٢/١٦٥.

١٠٠١ هنا روي باختصار وتفصيله أخرجه البخاري في صحيحه، الجمعة ٢١٧ رقم الحديث (١٣٥٤)، وأخرجه مسلم في صحيحه، الفتن وأشراط الساعة رقم الحديث (٢٩٣٠)، وأخرجه أبي داود في سننه، كتاب الملاحم باب في خبر ابن صائد رقم الحديث (٤٣٢٩)؛ وأخرجه الترمذي في سننه، أبواب الفتن باب ما جاء في ذكر ابن صياد رقم الحديث (٢٢٤٩).

١٠٠٢ ص + قبل.

١٠٠٣ صحيح مسلم، فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، ٢٥٣٨؛ مسند أحمد، ٢٢/٣٤٤؛ مصابيح السنة، ٥١٧/٣.

١٠٠٤ صحيح البخاري، الرقائق ٤٣؛ مصابيح السنة، ٥١٨/٣.

١٠٠٥ صحيح البخاري، الرقائق ٤٣؛ مصابيح السنة، ٥١٨/٣.

يموت كلّ النَّاس، وقيامة كبرى وهي / [٢٠٦و] يحشر جميع النَّاس<sup>١٠٠٦</sup>.

والمراد من القيامة المذكورة في الحديثين؛ القيامة الصَّغرى وتحديدًا بمئة سنة، وبوصول أصغرهم على فُرص العيش على العادة باعتبار غالب الأمر.

ويمكن أن يقال: المراد من القيامة هي القيامة الكبرى؛ لأنَّ من مات فقد قامت قيامته لوصوله إلى أوّل منازل القيامة؛ وهو منزل القبر.

وغالب الحال في عصر الرّسول في مدّة العمر مئة سنة، فبئانها بوصول أصغرهم إليها أن يهرم لا ينافي ذلك، وفيه نكتة نبهية؛ لأنَّ كلَّ أحد يخاف عن هجوم القيامة.

وإذا عُرِفَ طول مدّة وصولها، يقع في طول الأمل والغفلة، ولذا يسألون عن مدّة وصول القيامة، فلو أخبرهم النّبيّ عليه السّلام بأنَّ أوّل مدّتها من وفاتي بعد ألف سنة، كما أشار إلى ذلك في بعض أوقاته، يقع المخاطبون في طول الأمل.

وقد عرف النّبيّ عليه السّلام ذلك في مكالمتهم، فنّبهم النّبيّ عليه السّلام وخوّفهم وحزّضهم على تعجيل أمور الآخرة وتقديمها، لأنّه أشار إلى<sup>١٠٠٧</sup> أوّل منازل القيامة القبر، ووصول كلِّ أحد إليه قريب؛ لأنَّ وقوع الموت متوقّع في كلِّ نفس. وتبيّنه بمئة سنة على اعتبار وقوعه على القطع باعتبار العادة؛ كأنّه قال لهم: لا فائدة لكم في تعيين وقتها.

والحكمة في إجماعها / [٢٠٦ظ] كإجماع الموت، فكلّ شيء علم وقوعه على القطع فهو أقرب الأشياء.

كما أنّ أبعد الأشياء ما فات وقت تداركه، فلا بدّ لكم من استعداد الآخرة، فإنَّ أوّل منازلها وأسهلها الموت والقبر، ووصوله إليكم سريع، وما بعده من العقبات أهول وأصعب، فالواجب عليكم أن تعجلوا وتهتموا في إتمام استعدادها، لا في السّؤال عن تعيين وقتها.

### باب نفخ الصّور

[٢١٨] قال النّبيّ عليه السّلام: «كلّ ابن آدم يأكله التّراب، إلّا عجب الدّنب، منه حُلِقَ

---

١٠٠٦ هذا ما ذهب إليه التوربشتي، قال: ورد في كتاب الله تعالى وسنة نبيه محمد -صلى الله عليه وسلم- أنّ الساعة على ثلاثة أقسام: الساعة الكبرى. وهي بعث الناس للجزاء. والساعة الوسطى: وهي انقراض القرن الواحد بالموت. والساعة الصغرى وهي موت الإنسان. وقال: المراد منها هنا الساعة الوسطى. انظر: الميسر في شرح

مصاييح السنة، ٤/١١٨١.

١٠٠٧ ص + أن.

وفيه يركب»<sup>١٠٠٨</sup>.

فإن قلت: قد انكشف كثيرًا قبر النَّاس ولم يوجد فيه عجب الدَّنب.  
قلنا: المراد من عدم أكل التُّراب إيَّاه، طول مكث ذلك العظم بالقرينة الحسيَّة التي ذكرتها؛  
لأنَّه أصلب العظام، فكان كأساس البناء، ويدلُّ عليه أيضًا ما قال النَّبي عليه السَّلام في  
حديث آخر: «هو أوَّل ما يُخلق، وآخر ما يبلى». وإطلاق الخلود وإرادة طول المكث كثير  
في كلام العرب.

### باب الحشر

[٢١٩] قال النَّبيُّ عليه السَّلام: «يحشر النَّاس على ثلاثة أصناف: صنف مشاة، وصنف  
ركبان، وصنف على وجوههم» قيل: يا رسول الله وكيف يمشون على وجوههم؟ قال: إنَّ  
الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشهم / [٢٠٧] على وجوههم، إمَّا أن يتَّقون  
بوجوههم كلَّ حدث وشوك»<sup>١٠٠٩</sup>.

فإن قلت: قال النَّبيُّ عليه السَّلام: «يحشر النَّاس على ثلاث طرائق راغبين راهبين، واثنان  
على بعير، وثلاثة على بعير، وأربعة على بعير، وعشرة على بعير، وتحشر بقيتهم النَّار، تقيل  
معهم حيث قالوا، وتبيت معهم حيث باتوا، وتصبح معهم حيث أصبحوا، وتمسي معهم  
حيث أمسوا»<sup>١٠١٠</sup>، فهذا الحديث يخالف في الظَّاهر لما ذكر أوَّلًا، فما التَّلفيق؟

### [أقوال وآراء بعض العلماء في هذين الحديثين]

قلنا:

- \* قال الخطابي<sup>١٠١١</sup> في جوابهم: هذا الحشر الحشر إلى الشَّام لا الحشر عن القبر.
- \* وقال بعض الشُّراح: إذا أطلق، يراد منه الحشر بعد الخروج من القبر. الرَّاغبون هم الذين

١٠٠٨ صحيح مسلم، الفتن وأشراط الساعة ٢٩٥٥؛ النسائي، الجنائز ١١٧؛ مصابيح السنة، ٥٢٢/٣.

١٠٠٩ سنن الترمذي، تفسير القرآن ١٨؛ مسند أحمد، ٢٨٩/١٤؛ مصابيح السنة، ٥٣٠/٣.

١٠١٠ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ صحيح مسلم، الجنة وصفة نعيمها وأهلها ٢٨٦١؛ مصابيح السنة،

٥٢٦/٣.

١٠١١ قال الخطابي في كتابه أعلام الحديث: إنَّ الحشر المذكور في هذا الحديث، الحشر الذي يكون قبل قيام الساعة  
يحشر النَّاس أحياء إلى الشَّام. وأمَّا الحشر الذي يكون بعد البعث من القبور، فإنه على خلاف هذه الصورة من  
ركوب الإبل والمعاقبة عليها، إنما هو على ما ورد في الخبر أنهم يبعثون يوم القيامة حفاة عراة بما غرلا وقد قيل:  
إن هذا البعث دون الحشر، فليس بين الحديثين تدافع، ولا تضاد. انظر: أعلام الحديث، ٢٢٦٩/٣.

يخرجون باختيارهم إلى المحشر والذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، والرّاهبون هم الذين يخافون ولكن ينجون<sup>١٠١٢</sup>.

\* قوله: «اثنان على بعير، وثلاثة على بعير، وأربعة على بعير، وعشرة على بعير»؛ أنّهم يعتقدون، لا أنّهم يركبون جملة في دفعة واحدة.

\* قال في شرح السنّة<sup>١٠١٣</sup>: الرّاعبون؛ هم أفاضل المؤمنين، وأمّا الرّاهبون فهم العوام من المؤمنين، فتارةً يرجون رحمة الله، وتارةً يخافون عذابه، وهم أصحاب الميمنة، ويحشر بقيّتهم النّار وهم أصحاب المشئمة.

/ [٢٠٧ظ] فهذه ثلاث طرائق، هذا وأنت تعرف أنّ التّوفيق لا يصرّح من التّوجيهين. فنقول: يمكن أن يراد من الحشر في الحديث؛ الحشر إلى الشّام، ويراد من النّار الفتنة بقرينة قوله: «اثنان على بعير وعشرة على بعير»، وملازمة النّار إيّاهم، فلا يلزم المنافاة بين الحديثين لاختلاف الحشرين، وأن يراد من الحشرين؛ الحشر من القبر في القيامة. فيكون الرّاهبين عبارة عن المشاة والرّاعبين، واثنان على بعير وثلاثة على بعير وعشرة على بعير؛ عبارة عن الرّكبان، ويحشر بقيّتهم النّار عبارة عن المشيين على وجوههم؛ لأنّ المشي عليها لا ينافي الرّهبة، وكذا الرّغبة. والإعتقاب على بعير في الرّكوب لا ينافي الرّكوب المطلق. وملازمة النّار لا تنافي المشي على الوجه، لكن اثنان على بعير وعشرة على بعير لا يلائم في الظّاهر الحشر في القيامة، سواء كان ذلك على وجه المناوبة أو على الاستقلال. ويمكن أن يقال: لأهل الحشر أحوال مختلفة في أوقات مختلفة، فذكر النّبّي عليه السّلام بعض أحوالهم في حديث، ووقت وبعض أحوالهم في آخر. ويجوز أن يقال: اختلاف الأحوال لاختلاف أصناف النّاس، بأن تكون اللّام في قوله:

---

١٠١٢ هذا ما ذهب إليه القاضي البيضاوي في كتابه المفاتيح في شرح المصاييح، انظر: *المفاتيح في شرح المصاييح*، ٤٥٧/٥.

١٠١٣ شرح السنّة هو أحد كتب الحديث، للبعوي حيث جمع فيه الأحاديث المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. والكتاب يحتوي على الكثير من علوم الحديث؛ حيث ذكر فوائد الأخبار، وأوضح مشكلها وفسر غريبها وبين حكمها وما يترتب عليها من الفقه واختلاف العلماء. وذكر أنه لم يذكر في الكتاب إلا الأحاديث المعتمدة عند أئمة السلف الذين هم أهل الصنعة، فذكر ما اودعوه في كتبهم من هذه الأحاديث، وأمّا ما كان مقلوبا أو مجهولا أو موضوعا أو اتفقوا على تركه لم يذكره في هذا الكتاب. انظر: *شرح السنّة*، ٢/١. بتصرف.

«يحشر النَّاسَ»، للجنس لا للاستغراق.

وقد عرفت بعض / [٢٠٨و] التفاصيل في ذلك الباب عند بيان التّوفيق في الأحاديث المختلفة الواردة في أحوال القبر وأهله، فاعلم بعض التفاصيل أيضًا في أحوال أهل الحشر، وسمع أنّ يوم القيامة مشتمل على مواقف مختلفة وأحوال متنوعة؛ لما عرفت أنّ اختلاف أحوال النَّاس في العبادات والسّيئات والأعمال، والاختلاف يقتضي اختلاف مجاراتهم وأحوالهم في الموت والقبر، والحشر والنّشر، والسّؤال والحساب، والجنّة والنّار.

واختلاف الأحاديث الواردة فيها؛ لاختلاف تلك المقتضيات من المعاصي والطّاعات، لكن بعض الاختلافات تكون باعتبار الأوقات، وبعضها باعتبار أصناف النَّاس والدّوات، والتّمييز بينهما في غاية الصّعوبة، كما أنّ التّمييز بين وجود كلّ أحوال وتعيينه لوجود من الوجوديات الخمسة معضل، لا يتيسّر إلّا لأهل القلب والفتانة الكاملة من أهل الاستدلال والمكاشفة الشّاملة، وعقل أمثالنا عيبيّ عن الإحاطة بكلّها، لكن ترك كلّها للقصور عن الإحاطة لا يليق بالفتانة.

فنقول: قال النّبّي عليه السّلام في بعض الأحاديث: «يحشر النَّاس حفاة عراة عُزْلًا»<sup>١٠١٤</sup>، وقال في بعضها: «يتفاحرون بأكفانهم»<sup>١٠١٥</sup>، فيمكن / [٢٠٨ظ] أن يكون الأوّل باعتبار أوّل البعث، والثاني باعتبار الوقت الآخر.

وقال عليه السّلام في بعض الأحاديث: «يشهد عليهم ألسنتهم»<sup>١٠١٦</sup>، وقال في بعضها «أعضاؤهم وجلودهم»<sup>١٠١٧</sup>، وقال في بعضها «تشهد الأرض»<sup>١٠١٨</sup>، وفي بعضها «تشهد الملائكة»<sup>١٠١٩</sup>.

ويحتمل أن يكون الشّهادات باعتبار اختلاف الأوقات، ويحتمل أن يكون كلّها في وقت

---

١٠١٤ مسند أحمد، ٤١٨/٣.

١٠١٥ لم أجد هذا الحديث في كتب السنة.

١٠١٦ هذه آية من سورة [النور، ٢٤/٢٤] وليست بحديث.

١٠١٧ ربما هنا وهو يشرح ويملي على تلاميذه فسر قوله تعالى: ﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ﴾ [فصلت: ٢٠] والله أعلم.

١٠١٨ لم أجد هذا الحديث في كتب السنة.

١٠١٩ لم أجد حديثًا بهذا اللفظ في كتب السنة.

واحد، لكن الأول أظهر.

وقال الله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرحمن: ٣٩] تعالى أيضاً: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٩٢] وقال: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٦]. فالسؤال المنفي؛ سؤال التعارف، والسؤال المثبت لإظهار العدل، ويصح أن يكون التفي والإثبات باعتبار اختلاف المواقف.

فإن قلت: النكرة إذا وقعت في سياق التفي، يدل على عموم الأوقات، كدلالتها على عموم الأفراد، فلا يصح أن يكون نفي السؤال مختصاً بوقت.

قلنا: اليوم يطلق على بعض أوقات القيامة، كما يطلق على كلها، فيجوز أن يكون العموم باعتبار بعض الأوقات في التفي أيضاً.

وقال النبي عليه السلام: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان»<sup>١٠٢٠</sup>. وذلك أيضاً لبعض / [٢٠٩ و] الناس في بعض الأوقات، كما يجسسون في بعض الأوقات ولا يتكلمون، ويتكلمون في بعض الأوقات للاعتذار، وفي بعض الأوقات للحساب. وتوزن في بعض الأوقات أعمالهم، وفي بعض الأوقات يؤتي كتابهم، وفي بعض الأوقات تقع شفاعة الأنبياء والأولياء، وفي بعض الأوقات لا يتكلم ولا يشفع أحد بخوف الهيبة. ولذا قال النبي عليه السلام: «وأما في ثلاث مواطن فلا»، فافهم تلك الأقوال، وانتبه على تلك الأحوال، حتى لا يتشوش البال عند اختلاف المقال.

## باب الحوض والشفاعة

### [ما جاء في باب الحوض]

[٢٢٠] قال النبي عليه السلام: «حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء، وماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء»<sup>١٠٢١</sup>.

فإن قلت: قال النبي عليه السلام في حديث آخر: «إنَّ حوضي أبعد من أيلة من عدن لهُو أشدَّ بياضاً من الثلج، وأحلى من العسل باللبن، ولأنَّيته أكثر من عدد النجوم»<sup>١٠٢٢</sup>. فيفهم

١٠٢٠ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ صحيح مسلم، الزكاة ١٠١٦؛ سنن الترمذي، صفة القيامة والرفائق والورع

١ سنن ابن ماجه، الإيمان وفضائل الصحابة ١٣؛ مسند أحمد، ١٨٠/٣٠؛ مصابيح السنة، ٥٣٢/٣.

١٠٢١ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ صحيح مسلم، الفضائل ٢٢٩٢؛ مصابيح السنة، ٥٣٦/٣.

١٠٢٢ صحيح مسلم، الطهارة ٢٤٧؛ سنن ابن ماجه، الزهد ٣٦؛ مصابيح السنة، ٥٣٧/٣.

من هذا الحديث أنّ كيزانه<sup>١٠٢٣</sup> ليس كعدد النّجوم، بل أكثر منه، وبعد ما بيّن<sup>١٠٢٤</sup> حافّتيه أكثر من مسيرة شهر.

قلنا: قد عرفت أنّ المقدار إذا اختلف ولا يتيسّر التّوفيق باختلاف الجهة؛ يقال: المراد منه الكثرة أو الكبر، فيجوز/ [٢٠٩ظ] أن يكون المراد هنا بيان سعة الحوض وكثرة كيزانه وأنّيته. ويحتمل أن يقال، ليس المراد من التشبيه الكيزان بالنّجوم بيان أعدادها، بل بيان صفاتها ونورها. أو يقال يجوز أن يكون الآنية أكثر من الكيزان؛ لأنّ الكيزان نوع من الآنية، لكنّ الظاهر الوجه الأوّل؛ لأنّ الكيزان والآنية التي عددها كعدد النّجوم لا يسعها حوالي الحوض الذي مقدار سعته ما ذكر.

### [ما جاء في باب الشّفاة]

[٢٢١] وقال النّبّي عليه السّلام في شفاعته لأمتّه: «ثمّ أعود الرّابعة فأحمده بتلك المحامد، ثمّ أخّر له ساجدًا، فيقال: يا محمّد! ارفع رأسك، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأقول: يا ربّ ائذن لي فيمن قال لا إله إلا الله، وقال: ليس ذلك لك، ولكن وعزّي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجنّ منها من قال لا إله إلا الله»<sup>١٠٢٥</sup>.

[٢٢٢] وقال النّبّي عليه السّلام: «أسعد النّاس بشفاعتي يوم القيامة، من قال لا إله إلا الله خالصًا من قلبه أو نفسه»<sup>١٠٢٦</sup>.

[٢٢٣] وقال: «أتاني آت من عند ربّي فخيّرني بين أن يدخل نصف أمّتي الجنّة وبين الشّفاة، فاخترت الشّفاة، وهي لمن مات لا يشرك بالله شيئًا»<sup>١٠٢٧</sup>.

[٢٢٤] وقال: «انطلق فأخرج من كان في قلبه أدنى أدنى مثقال حبّة من خردل من إيمان»<sup>١٠٢٨</sup>.

---

١٠٢٣ كيزان: مفرد كوز، وهو إناء يصنع من الفخار وغيره، يستخدم لشرب الماء ولصب الماء أيضًا. انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، ١٩٧٠/٣. بتصرف.

١٠٢٤ ص + سير.

١٠٢٥ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ مصابيح السنة، ٥٤٠/٣.

١٠٢٦ صحيح البخاري، العلم ٣٣؛ مسند أحمد، ٤٤٦/١٤؛ مصابيح السنة، ٥٤٠/٣.

١٠٢٧ سنن الترمذي، صفة القيامة والرفائق والورع ١٣؛ مسند أحمد، ٣٥٣/٣٦؛ مصابيح السنة، ٥٥٣/٣.

١٠٢٨ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ مصابيح السنة، ٥٤٠/٣.

[٢٢٥] / [٢١٠و] وقال: يرى أهل الجنة بعض أهل النار، يقولون: «ربنا كانوا يصومون معنا ويصلّون معنا ويحجّون معنا، فيقال لهم: أخرجوا من عرفهم، فتحرّم صورهم على النار، فيخرجون خلقًا كثيرًا ثمّ يقولون: ربنا ما بقي فيها أحد ممّن أمرتنا به، فيقول الله تعالى: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقًا كثيرًا، ثمّ يقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرّة من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقًا كثيرًا، ثمّ يقولون: ربنا لم نذر فيها خيرًا، فيقول الله: شفعت الملائكة وشفع النّبّيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الرّاحمين، فيقبض قبضة من النار، فيخرج منها قومًا لم يعملوا خيرًا قطّ، قد عادوا حممًا فيلقّاهم في نهر في أفواه الجنة يقال له نهر الحياة، فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السّيل، فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم، فيقول أهل الجنة: هؤلاء عتقاء الرّحمن أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدّموه»<sup>١٠٢٩</sup>.

فإن قلت: فهم من بعض الأحاديث أنّ من قال لا إله إلا الله يخرج من النار بشفاعة محمد عليه السّلام، وفهم من بعضها أنّه يخرج بسعة رحمة الله تعالى / [٢١٠ظ] لا بشفاعة محمد عليه السّلام.

أجاب بعض الشّراح: بأنّ المراد من قوله عليه السّلام: «أسعد النّاس بشفاعتي» من قال لا إله إلا الله من أمّته<sup>١٠٣٠</sup>، وقوله تعالى: «لأخرجنّ منها من قال لا إله إلا الله»، من سائر الأمم.

وقال بعضهم: قوله: (ليس لك ذلك) في مقام، وقوله عليه السّلام: «أسعد النّاس» في مقام آخر.

وقال بعضهم: المراد من قوله عليه السّلام: «من قال لا إله إلا الله»، أن يقارن إيمانه بشيء من الأعمال، والمراد من قوله تعالى: «لأخرجنّ منها من قال لا إله إلا الله» الموحّد الصّرف الذي لم يعمل عملاً صالحًا أصلًا<sup>١٠٣١</sup>.

١٠٢٩ صحيح مسلم، الإيمان ١٨٣؛ مصابيح السنة، ٤٥٣/٣.

١٠٣٠ هذا ما قاله مظهر الدين في شرحه لهذا الحديث: المراد ب «من قال لا إله إلا الله» من قالها من أمّته. انظر:

المفاتيح في شرح المصابيح، ٥٠٩/٥.

١٠٣١ هذا ما ذهب إليه مظهر الدين، قال المراد ب «من قال لا إله إلا الله»: الذين خلطوا عملاً صالحًا وآخر سيئًا.

انظر: مرجع سابق.

وقال بعضهم: قوله: «ليس ذلك لك» ليس نفيًا لأن يخرج من قال لا إله إلا الله بشفاعته، بل بيان أنه يخرج بشفاعته لكن بسبب سعة رحمة الله تعالى، وهذا أقرب التّأويلات وأنسب التّوفيقات؛ لأنّ قوله تعالى: «لأخرجنّ منها من قال لا إله إلا الله»، وقوله عليه السّلام: «أسعد النّاس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله»، ينافي أن يكون التّوفيق باختلاف الأمم، أو المقام أو القيد، فيكون القائل لا إله إلا الله خارجًا من النّار بسعة رحمة الله تعالى وعموم فضله، لكن لما كان فتح باب الشّفاعاة ووصول الرّحمة بسبب شفاعاة النّبّي عليه السّلام؛ قال: «أسعد النّاس بشفاعتي يوم القيامة من قال/ [٢١١و] لا إله إلا الله» لما عرفت أنّ سبب السّبب بمنزلة السّبب.

### تفصيل تلك الشّفاعاة:

أنّ أهل المحشر لما اهتمّوا وتضيقوا عن طول الحبس، جاءوا لآدم لطلب الشّفاعاة؛ قال آدم لست أنا هناك، فذكر ذنبه بالأكل من الشّجرة، وقال ائتوا نوحًا، فأتوه فقال: لست هناك، فذكر خطيئته بقوله: إنّ ابني من أهلي، وقال: ائتوا إبراهيم؛ فأتوه فقال: لست هناك، فذكر ثلاث كذبات، وقال/ ائتوا موسى، فأتوه فقال: لست هناك، وذكر قنله قبطيًا وقال: ائتوا عيسى، فأتوا عيسى قال: لست هناك، ولكن ائتوا محمّدًا عبدًا غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، فأتوا محمّدًا عليه السّلام فشفّع<sup>١٠٣٢</sup>.

وقال النّبّي عليه السّلام في بيان شفاعته: «فأستأذن على ربّي، في داره، فيؤذن لي عليه، فإذا رأيت ربّي، وقعت ساجدًا فيدعني ما شاء الله أن يدعني، فيقول: ارفع محمد، وقل تسمع، واشفع تشفع، وسل تعطه، قال: فأرفع رأسي فأثني علي ربّي بثناء وتحميد يعلمنيه ربّي، ثمّ أشفع فيحدّ لي حدًا، فأخرجهم من النّار فأدخلهم الجنّة ثمّ أدع الثّانية»<sup>١٠٣٣</sup>.

الحاصل: أنّه استشفّع أربع مرّات، فأخرج في الشّفاعات الثّلاث أنواعًا من العصاة العاملين، وقال/ [٢١١ظ] في الرّابعة: ائذن لي فيمن قال لا إله إلا الله، وقال تعالى ليس لك ذلك؛

<sup>١٠٣٢</sup> وهذا الشرح مأخوذ من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجمعة

٢١٧ رقم الحديث (٤٤٧٦)؛ وأخرجه ابن ماجه في سننه، في كتاب الزهد باب ذكر الشّفاعاة رقم الحديث

(٤٣١٢)، وأودعه البغوي في كتابه مصابيح السنة في باب حوض الشّفاعاة ٥٣٨/٣.

<sup>١٠٣٣</sup> صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ صحيح مسلم، الإيمان ١٩٣؛ سنن ابن ماجه، الزهد ٣٧؛ مسند أحمد،

١٨٧/٢١؛ مصابيح السنة، ٥٣٨/٣.

لأنّ رحمتي غالبية وواسعة، ورحمة عبادي من المؤمنين والمرسلين ليست كقطرة من بحر، وذرة من شعاع الشمس في جنب رحمتي، لأخرجنّ من النار من قال لا إله إلا الله برحمتي الواسعة؛ فأخرجهم بها.

لكن لما كان فتح باب الشفاعة بسبب شفاعة محمد صلى الله عليه وسلّم، لما عرفت أنّ سائر الأنبياء عجزوا عن فتحه، قال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه»، وقوله «أسعد»؛ للزيادة في نفسه، لا بالنسبة إلى غيره.

فإن قلت: من قال لا إله إلا الله من غير محمد رسول الله لا يكون مؤمناً، فكيف يخرج من النار بشفاعة النبيّ عليه السلام أو بسبب رحمة الله؟

قلنا: قد عرفت في بيان حقيقة الإيمان الشرعيّ أنّ المراد من لا إله إلا الله كلمة الشهادتين، أو ما لا يتمّ الإيمان إلا به على طريق دلالة لفظ الله، أو على طريق إطلاق الجزء وإرادة الكل.

فإن قلت: طلب أهل المحشر الشفاعة للتخليص من تضيق طول الحبس، وأخبر النبيّ عليه السلام عن شفاعته لإخراج العصاة من النار، فلا يوافق جوابه وخبره سؤالهم وبيان أحوالهم. قال بعض الشرح / [٢١٢و]: يحتمل أن يراد من النار شدة طول الحبس، وذلك بعيد غير مناسب لخبر النبيّ عليه السلام بأحوال شفاعته، وأصناف المخلصين من النار.

والأقرب أن يقال: يجوز أن يدخل بعض المؤمنين النار ويبقى بعضهم في حبس العرصات ويضيّقون، فاستشفعوا، لما عرفت من أنّ مراتب الناس مختلفة في دخول الجنة والنار بالتقديم والتأخير، والعذاب والمنزل، فاستشفع النبيّ عليه السلام في تخليص المحبوسين، وتخليص الداخلين النار، وهذا مناسب لكمال رحمة نبينا عليه السلام في حقّ أمته، وسعة رحمة الله تعالى في حقّ نبينا وأمته.

ويحتمل أيضاً أن يقال: دخل النبيّ عليه السلام الجنة لأجل الشفاعة؛ لأتّما أكرم المنازل للشفاعة الممدّدة للإجابة، فسجد وبقي في السجدة ما شاء الله، واستشفع في تخليص المحبوسين في المحشر؛ لتخليصهم عن تضيق الحبس، والوصول إلى منزل المحاسبة.

ولكن لما كان عناية الله تعالى ورأفته وكرمه كثيرة تامّة في شأن نبينا عليه السلام؛ لكونه حبيبه ومختاره، قبل شفاعته في تخليص المتضايقين المغموين لطول الحبس، وأذن إيصاله بأن يشفع

في تخلص الجهنميين، لما عرفت أنّ شأن الجواد الكريم أن يعطي / [٢١٢ظ] السائل أضعاف ما يرويه ويطلبه من جنسه وغير جنسه، لا سيّما يكون السائل محبوبه، ولذا قال الله تعالى فيمن يدخل الجنة آخرًا: تمنّ، فقال: لا حاجة لي في ما أريد ممّا أعطيت من نعيم الجنة، فقال أكرم الأكرمين: ولك عشرة أمثال ما أوتيت وأضعاف ما أعطيت<sup>١٠٣٤</sup>.  
فإن قلت: سلّمنا ذلك، لكن لمّ لمّ يبيّن النبيّ عليه السّلام المقصود من الكلام؟ وهو تخلص السائلين عن ضيق الحبس؟

قلنا: قد عرفت أنّ البلغاء يذهبون إلى خلاف الظاهر غالبًا لنكتة وهي هنا؛ بيان زيادة عطاء الله تعالى وكرمه في مقام شفاعته، ويفهم منه إجابة شفاعته وسؤاله في حقّ المحبوسين بالدلالة؛ لأنّ بذل الأكثر والأعلى يدلّ على بذل الأقل والأدنى.

فإن قلت: فهم من خبر شفاعته النبيّ عليه السّلام أنّ جميع العصاة خرج من النار بشفاعته، سوى من قال: «لا إله إلا الله» وخرج ذلك الصنف بسعة رحمة الله تعالى بسبب شفاعته النبيّ عليه السّلام، لكن فهم من بعض الأحاديث أنّ بعض العصاة خرج بشفاعة بعض المؤمنين، كما مرّ من قوله عليه السّلام: «يرى أهل الجنة بعض أهل النار يقولون: ربّنا كانوا يصومون معنا ويصلّون / [٢١٣و] ويحجّون معنا، فيقال لهم: أخرجوا من عرفتم فتحرمّ صورهم على النار فيخرجون كثيرًا، ثمّ يقولون: ربّنا ما بقي أحد فيها ممّا أمرتنا، فيقول: ارجعوا فمن وجدّتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير... الحديث». وكما قال النبيّ عليه السّلام: «يدخل الجنة بشفاعة رجلٍ من أمّتي أكثر من بني تميم»<sup>١٠٣٥</sup>. وقال: «إنّ من أمّتي من يشفع للفئام من الناس ومنهم من يشفع للقبيلة»<sup>١٠٣٦</sup>. وقال: «يدخل من أمّتي الجنة سبعون ألفًا بغير حساب»<sup>١٠٣٧</sup>، «مع كلّ ألف سبعون ألفًا»<sup>١٠٣٨</sup>.

١٠٣٤ هنا روى الحديث بالمعنى، ولفظه: «عن عبد الله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إني لأعرف آخر أهل النار خروجًا من النار، رجل يخرج منها زحفًا، فيقال له: انطلق فادخل الجنة "، قال: " فيذهب فيدخل الجنة، فيجد الناس قد أخذوا المنازل، فيقال له: أتذكر الزمان الذي كنت فيه، فيقول: نعم، فيقال له: تمنّ، فيتمنى، فيقال له: لك الذي تمنيت وعشرة أضعاف الدنيا» أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان رقم الحديث (١٨٦)، وأخرجه الترمذي في سننه، أبواب صفة جهنم رقم الحديث (٢٥٩٥).

١٠٣٥ سنن الترمذي، صفة القيامة والرفائق والورع ١٢؛ مصابيح السنة، ٥٥٣/٣.

١٠٣٦ سنن الترمذي، صفة القيامة والرفائق والورع ١٢؛ مصابيح السنة، ٥٥٣/٣.

١٠٣٧ صحيح مسلم، الإيمان ٢١٦؛ مسند أحمد، ٤٧٩/٣٦؛ مصابيح السنة، ٥٣١/٣.

قلنا: قد عرفت أنّ بعض الأحاديث ناسخ عموم بعض الأحاديث، وبعضها مقيّد إطلاق بعض، وبعضها رافع إبهام بعض، فيكون من يخرج بشفاعة النبيّ عليه السّلام ثلاث مرّات غير من يخرج بشفاعة المؤمنين، إذ لا دلالة في الأحاديث الواردة في باب الشّفاعة على الحصر والإحاطة.

واعلم أنّ الشّفاعة لا يكون إلّا بحصول المناسبة للشفيع؛ فالشيخ يشفع لمريده، والمعلّم يشفع لمتعلّمه بمناسبة الاتّباع، والمحبّ محبوبه بعلاقة المحبّة، ويشفع المنعم عليه لمنعمه بمناسبة الإنعام، ويشفع بعض الأقارب لبعضهم بواسطة القرابة، ويشفع الأنبياء لأمتهم بعلاقة الإجابة. ويدلّ على ذلك قوله عليه السّلام: / [٢١٣ ظ] «إنّ أناسًا من أصحابي يؤخذ بهم ذات الشمال فأقول أصيحابي أصيحابي، فيقول الله تعالى: إنهم لم يزالوا مرتدّين على أعقابهم منذ فارقتهم»<sup>١٠٣٩</sup>.

والمراد من الارتداد: تخلفهم عن بعض الحقوق الواجبة، ويرمز إلى ذلك أيضًا قول بعض الشّفعاء من المؤمنين: «كانوا يصومون معنا ويحجّون معنا»؛ لأنّ ذلك مناسبة أيضًا. وشفاعة المؤمنين والأنبياء فيمن<sup>١٠٤٠</sup> ضمّ الأعمال الصّالحة إلى إيمانه، ومن لم يضمّ الأعمال يتخلّص بسعة رحمة الله تعالى بمناسبته التّوحيد المقتضية للعناية الرّبانيّة والرّحمة الإلهيّة.

فإن قلت: قال النبيّ: «يدخل من أمّتي الجنّة سبعون ألفًا بغير حساب». وقال في موضع آخر: «مع كلّ ألف سبعون ألفًا بغير حساب». وقال في موضع آخر: «إنّ الله وعدني أن يدخل الجنّة من أمّتي أربعمئة ألف بلا حساب»<sup>١٠٤١</sup>، فكيف التّفويق بين اختلاف الأعداد؟

قلنا: المراد من الأعداد المختلفة بيان الكثرة لا الحصر. فإن قلت: لم لا يجوز أن يدخل الأقلّ في الأكثر، وهو مع كلّ ألف سبعون ألفًا بغير حساب، فيكون الأكثر متعيّنًا؟

---

١٠٣٨ سنن الترمذي، صفة القيامة والرقائق والورع ١٢؛ سنن ابن ماجه، الزهد ٣٤؛ مسند أحمد، ٣٦ / ٤٧٩؛ مصابيح السنة، ٣ / ٥٣٤.

١٠٣٩ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ مصابيح السنة، ٣ / ٥٢٦.

١٠٤٠ تمّ تخريج هذا الحديث في الصفحة السابقة، لكن لفظ «بغير حساب» ليس موجود في سنن الترمذي وسنن ابن ماجه ومسند أحمد.

١٠٤١ مسند أحمد، ٢٠ / ١٢١. ولكن لفظ: «بلا حساب» غير موجود في مسند أحمد.

قلنا: قد عرفت أنّ الأصل ذلك، لكن هنا مانع وهو آخر حديث أربعمئة ألف، إذ قال/  
[٢١٤و] في آخره فقال أبو بكر: زدنا يا رسول الله، قال: وهكذا، فحشى بكفّيه، فقال أبو  
بكر: زدنا يا رسول الله، قال: وهكذا، فقال عمر: دعنا يا أبا بكر، فقال أبو بكر: وما  
عليك أن يدخلنا الله كلنا الجنة؟ فقال عمر: إنّ الله تعالى إن شاء يدخل خلقه الجنة بكفّ  
واحد، فقال عليه السّلام: صدق عمر<sup>١٠٤٢</sup>.

فافهم أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لم يزد من عند نفسه، بل أخبر لأبي بكر بما وعد  
الله أن يدخل الجنة من أمته فرقاً كثيرة بلا حساب، ولذا قال في حديث آخر: «ومع كلّ  
ألف سبعون ألفاً، وثلاث حثيات من حثيات ربّي»<sup>١٠٤٣</sup>، فيكون المراد من قول أبي بكر  
زدنا؛ أخبرنا<sup>١٠٤٤</sup> عن زيادة وعد ربك بإدخال أمّتك في جنته بالشفاعة وسعة الرّحمة.  
ويجوز أن يكون قوله: «مع كلّ ألف سبعون ألفاً، وثلاث حثيات من حثيات ربّي» جامعاً  
باقي الأعداد، فيكون اختلاف باقي الأعداد لاختلاف المقتضيات، لكنّ الأظهر من أمثال  
هذه العبارات بيان الكثرة، فافهم ذلك كذلك.

#### باب صفة الجنة

[٢٢٦] قال النّبّي عليه السّلام: «أهل الجنة عشرون ومائة صفّ، ثمانون منها من هذه  
الأمّة، وأربعون من سائر الأمم»<sup>١٠٤٥</sup>.

فإن قلت: قال النّبّي عليه السّلام: «والذي / [٢١٤ظ] نفسي بيده إنّي أرجو أن تكونوا ربع  
أهل الجنة، فكبرنا فقال: أرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة، فكبرنا، فقال: أرجو أن تكونوا  
نصف أهل الجنة فكبرنا»<sup>١٠٤٦</sup>.

١٠٤٢ مسند أحمد، ٢٠/١٢١.

١٠٤٣ سنن الترمذي، صفة القيامة والرقائق والورع ١٢؛ سنن ابن ماجه، الزهد ٣٤؛ مسند أحمد، ٣٦/٦٣٩؛

مصاييح السنة، ٣/٥٣٤.

١٠٤٤ ص -زدنا.

١٠٤٥ سنن الترمذي، صفة الجنة ١٣؛ سنن ابن ماجه، الزهد ٣٤؛ سنن الدارمي، ١/٦٧٩؛ مصاييح السنة؛

٣/٥٦٤.

١٠٤٦ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ صحيح مسلم، الإيمان ٢٢١؛ مصاييح السنة، ٣/٥٢٨.

قال الشَّراح: يحتمل أن يكون الثَّمانون صَفًّا مساوية في العدد لأربعين صَفًّا<sup>١٠٤٧</sup>. قلنا: الأظهر أن يقال قوله: «أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنَّة»، لا يدلُّ على نفي الزَّيادة، فلا ينافي قوله: «ثمانون صَفًّا»، كما قال في موضع آخر: «يدخل من أمَّتِي الجنَّة سبعون ألفًا بلا حساب»، وقال في موضع آخر: «يدخل من أمَّتِي أربعمئة ألف بلا حساب، فقال أبو بكر رضي الله عنه: زدنا فزاد على ذلك».

ويمكن أن يقال أيضًا: مرتبة نبينا عليه السَّلام كانت في التَّرقِّي، فلعلَّ النَّبي عليه السَّلام استحقَّ في وقت تكون أمَّته نصف أهل الجنَّة، ثمَّ ترقَّت رتبته فاستحقَّت أمَّته بسببه أن يكونوا ثلثي أهل الجنَّة.

فإن قلت: لم لا يجوز أن يكون المراد من النِّصف والثلث بيان كثرة الدَّاخِلين من أمَّته بالنِّسبة إلى سائر الأمم؟

قلنا: النِّصف والثلثان غير متعارف، واستعمالهما<sup>١٠٤٨</sup> في الكثرة.

[٢٢٧] قال النَّبيُّ عليه السَّلام: «سيحان وجيحان، والفرات والنَّيل كلٌّ من أنهار الجنَّة»<sup>١٠٤٩</sup> سِيحان نهر بالشَّام وكذلك جِيحان، والفرات نهر الكوفة، والنَّيل نهر مصر، وقيل/ [٢١٥و] سِيحان<sup>١٠٥٠</sup> نهر الهند وفي الغرب وهو نهر التُّرك، وجيحان<sup>١٠٥١</sup> نهر ببلخ وينتهي إلى خوارزم، وسيحان وجيحان لغة فيهما.

### [لماذا سُمِّيت هذه الأنهار بأسماء الأنهار في الجنَّة]

قال بعض الشَّراح: جعل الأنهار الأربعة من أنهار الجنَّة، لما فيها من السَّلاسة والعدووية والبركة، وشرب الأنبياء منها، كما قال النَّبيُّ عليه السَّلام: العجوة من أثمار الجنَّة<sup>١٠٥٢</sup>.

---

١٠٤٧ هذا ما ذهب إليه الطيبي في شرحه على مشكاة المصابيح، قال: يحتمل أن يكون الثمانون صَفًّا مساويًا في العدد للأربعين صَفًّا، وأن يكونوا كما زاد على الربع والثلث، يزيد على النصف كرامة له صلى الله عليه وسلم. انظر: شرح مشكاة المصابيح، ٣٥٦٧/١١.

١٠٤٨ ص استعمالها.

١٠٤٩ صحيح مسلم، الجنة وصفة نعيمها وأهلها ٢٨٣٩؛ مسند أحمد، ٢٦٨/١٣؛ مصابيح السنة، ٥٦٠/٣.

١٠٥٠ ص سيحون.

١٠٥١ ص جيحون.

١٠٥٢ هذا ما ذهب إليه التوربشتي في شرحه هذا الحديث في كتابه الميسر. انظر: الميسر في شرح مصابيح السنة،

١٢١٨/٤.

قلنا: يحتمل أن يراد من الحديث ظاهره؛ بأن تنزل الأنهار الأربعة من الجنة على طريق خلاف العادة، كما قال عليه السلام: يخرج النيل والفرات من تحت سدرة المنتهى<sup>١٠٥٣</sup>، أو ينزل من الجنة على الجبال الشامخة على طريق المطر، ثم يجتمع فيسيل إلى الصحاري. ويجوز أن يراد خلاف ظاهره، فيكون التقدير كلٌّ من جنس أنهار الجنة في صورة الماء، لا في الخاصية واللذة.

فإن قلت: على تقدير أن يُنزل الأنهار الأربعة من الجنة، يجب أن يكون طعمها كطعم أنهار الجنة، وليس كذلك.

قلنا: يجوز أن يتغير طعمها باختلاط هواء الدنيا وتراجمها، أو يغيرها الله تعالى بلا سبب لئلا يتقن الأمر ولا يذهب الابتلاء.

قال النبي عليه السلام: «باب أمّي الذين يدخلون منه الجنة عرضه مسيرة الرّكب المجرود ثلاثاً، ثمّ إنهم ليضغطون عليه حتى تكاد مناكبهم تزول»<sup>١٠٥٤</sup>.

/ [٢١٥ظ] فإن قلت: قال في موضع آخر: أنّ ما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين سنة، وليأتينّ عليها يوم وهو كطيّظ من الرّحام<sup>١٠٥٥</sup>، وقال في موضع آخر: ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكّة وهجر، فكيف التّوفيق بين هذه الأحاديث المختلفة؟

قلنا: يجوز أن يكون المراد من ذلك بيان سعة باب الجنة، ورفعته، وعلوّ منزلته، لما عرفت أنّ الأبواب الصّيقة مستهجنة، وأنّ الباب الدّي سعته مقدار مسافة أربعين سنة لا يُرى طولُه وعرضه ومصراعاه، فلا يستلذّ من صورته وصورة مصراعيه، والمقصود ذلك، لما عرفت أنّ المقصود من بيان وصف أبواب الجنة وغرفها، وقصورها وحورها، وبساتينها وحدائقها،

---

١٠٥٣ ربما هنا قام الازنيقي بشرح معنى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال: «رفعت إلى السدرة، فإذا أربعة أنهار؛ نهران ظاهران، ونهران باطنان، فأما الظاهران؛ فالنيل والفرات، وأما الباطنان؛ فنهران في الجنة» أخرجه البخاري في صحيحه، الجمعة ٢١٧ رقم الحديث (٥٦٠٩). والله أعلم. / وهذا الشرح ذهب إليه أبو الفضل عياض في كتابه إكمال المعلم، قال: ويحتمل أنه على ظاهره، وأنّ لها مادة من الجنة، إذ الجنة موجودة مخلوقة عند أهل السنة، وأما التي أنزل منها آدم. وقد ذكر مسلم أول الكتاب في حديث الإسراء: أنّ النيل والفرات يخرجان من أصلها، وبينه في البخاري، فقال: " من أصل سدرة المنتهى. انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٣٧٢/٨.

١٠٥٤ سنن الترمذي، صفة الجنة ١٤؛ مصابيح السنة، ٥٦٤/٣.

١٠٥٥ صحيح مسلم، الزهد والرفائق ٢٩٦٧؛ مصابيح السنة، ٥٦٠/٣.

وأنهارها وأشجارها، ومسكنها وملابسها، ومطاعهما ومشاربها ومناكحها ومراكبها، بيان حسنهما وكمال لذة نعيمها؛ لترغيب المشغوفين باللذات الجسمائية على تحصيل الأسباب المؤدية إلى دخولها، ووصول نعيمها. فأَيُّ شيء ذكر من أوصاف الجنة وما فيها من المذكورات، إذا جاز إجراؤه على ظاهره، أجرى عليه وإلا يقال أنه عبارة عن السّعة، أو عن الكثرة أو بيان/ [٢١٦و] التّفاسة، وكمال اللّذة، ونهاية القوّة على وجه المبالغة.

**[أمثلة على الأخذ بظاهر الحديث]:**

[٢٢٨] قال النّبِيّ عليه السّلام: «لو أنّ امرأة من نساء أهل الجنّة اطلّعت إلى الأرض لأضاءت ما بينهما، وملأت ما بينهما ريحًا، ولنصفها على رأسها خير من الدّنيا وما فيها»<sup>١٠٥٦</sup>.

وهذا يجوز أن يجرى على ظاهره؛ لأنّ الشّمس مخلوق من مخلوقات الله تعالى أعطاه الله تعالى نورًا تضيء به ما بين السّماء والأرض، فجاز أن يكون مخلوق آخر تضيء ما بينهما بنوره ويملأه بريحه، كما أنّ الياقوت الأحمر صنف من الأحجار لكن نفاسة قطعة صغيرة منه أنفوس وأرفع من الأحجار النّقيسة الكثيرة الكبيرة من غيره.

[٢٢٩] وقال عليه السّلام: «إنّ في الجنّة لسوقًا، يأتونها كلّ جمعة، فتهبّ ريح الشّمال، فيزدادون حسنًا»<sup>١٠٥٧</sup>. وقال عليه السّلام: «يأكلون ويشربون ولا يتغوّطون»<sup>١٠٥٨</sup>. «لا تبلى ثيابهم، ولا يفنى شبابهم»<sup>١٠٥٩</sup>. و «لا يموتون»<sup>١٠٦٠</sup> وكلُّ ذلك جار على ظاهره؛ لانعدام القرينة المانعة العقلية.

فإن قلت: خلاف العادة قرينة أيضًا. قلنا: قد عرفت أنّ أكثر أحوال الآخرة على خلاف عادة الدّنيا، ولا تخرج الأحاديث الواردة على خلافها، إذا لم يكن فيه مانع آخر من انعدام

---

١٠٥٦ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ سنن الترمذي، فضائل الجهاد ١٧؛ مسند أحمد، ٤٧٧/١٩؛ مصابيح السنة، ٥٥٥/٣.

١٠٥٧ صحيح مسلم، الجنة وصفة نعيمها وأهلها ٢٨٣٣؛ مسند أحمد، ٤٣٠/٢١؛ مصابيح السنة، ٥٥٧/٣.  
١٠٥٨ هنا ذكر الإزنيقي حال أهل الجنة مختصرا الحديث ولفظه: عن جابر، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم، يقول: «إن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون، ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتغوّطون ولا يمتخطون» أخرجه مسلم في

صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها رقم الحديث (٢٨٣٥)، وأخرجه أحمد في مسنده ٢٩٣/٢٢.

١٠٥٩ سنن الترمذي، صفة الجنة ٢؛ سنن الدارمي، ٦٧٨/١.

١٠٦٠ صحيح مسلم، الإيمان ١٨٥؛ سنن الدارمي، ٦٧٥/١؛ مسند أحمد، ١٣٥/١٧.

البهجة والتفاسة،.

فعدم التبول / [٢١٦ ظ] والتغوط مع الأكل والشرب، وعدم زوال الشبَاب وعدم الموت ليس بأمر مستبعد في العادة أيضاً؛ لأنَّ قوَّة الهضم إذا غلبت تذيب الفضلات وتفتئها، ولا يحتاج إلى خروج البول والغدرة من السبيلين والأخلاق الأربعة<sup>١٠٦١</sup>، إذا اعتدلت. والهواء والماء إذا لطفًا، لا يعرض الأمراض. واختلاف الأعمال والألوان والقوى بحسب اختلاف الأزمان والأقاليم والهواء يرشدك إلى ذلك، فإنَّ أعمار أقوام نوح وقوَّتهم مخالف لأعمار أقوام سائر القرون الذين بعدهم.

[٢٣٠] وقال النَّبِيُّ عليه السَّلَام: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجْرَةَ يَسِيرُ الرَّكَّابُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لَا يَقْطَعُهَا»<sup>١٠٦٢</sup>.

[٢٣١] وقال: «إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ فِي الْجَنَّةِ لَخِيْمَةً مِنْ لَوْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مَجْوَّفَةٌ طَوْلُهَا سِتُّونَ مِيْلًا، فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ مِنْهَا لِلْمُؤْمِنِ أَهْلٌ لَا يِرَاهُمُ الْآخَرُونَ، يَطُوفُ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُونَ، وَجَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنِيْتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيْتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا»<sup>١٠٦٣</sup>.

[٢٣٢] وقال عليه السَّلَام: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَالْفَرْدُوسُ أَعْلَاهَا دَرَجَةٌ، مِنْهَا يَنْفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ الْأَرْبَعَةِ، وَمَنْ فَوْقَهَا يَكُونُ الْعَرْشُ / [٢١٧ و]، فِإِذَا سَأَلْتُمْ اللَّهَ، فَاسْأَلُوهُ الْفَرْدُوسَ»<sup>١٠٦٤</sup>.

[٢٣٣] عن سعيد عن النَّبِيِّ عليه السَّلَام في قوله تعالى: ﴿وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٤]، قال: «ارتفاعها كما<sup>١٠٦٥</sup> بين السماء والأرض، ومسيرة ما بينهما خمس مائة عام»<sup>١٠٦٦</sup>،

---

١٠٦١ الأخلاط الأربعة: الدم، والمرة السوداء، والمرة الصفراء، والبلغم، انظر: ابن عابدين؛ محمد أمين، حاشية ابن عابدين، ط: ٢، (مصر - شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م)، ١٣٧/١.

١٠٦٢ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ صحيح مسلم، الجنة وصفة نعيمها وأهلها ٢٨٢٧؛ سنن ابن ماجه، الزهد ٣٩؛ سنن الدارمي، ٦٨٠/١؛ مسند أحمد، ٤٠٧/١٥؛ مصابيح السنة، ٥٥٦/٣.

١٠٦٣ صحيح مسلم، الجنة وصفة نعيمها وأهلها ٢٨٣٨؛ مصابيح السنة، ٥٥٦/٣. إلا أنه في صحيح مسلم جاء بعد «ستون ميلاً»: «للمؤمن فيها أهلون، يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضاً».

١٠٦٤ سنن الترمذي، صفة الجنة ٤؛ مسند أحمد، ٤٠٥/٣٧؛ مصابيح السنة، ٥٥٧/٣.

١٠٦٥ ص: ف، ما.

١٠٦٦ سنن الترمذي، تفسير القرآن ٥٦؛ مسند أحمد، ٢٤٧/١٨؛ مصابيح السنة، ٥٦١/٣.

وقال عليه السّلام: «لكلّ رجل منهم زوجتان على كلّ زوجة سبعون حلّة يبدو<sup>١٠٦٧</sup> مخّ ساقها من ورائها»<sup>١٠٦٨</sup>.

[٢٣٤] قال النّبى عليه السّلام: «أدنى أهل الجنّة، الذي له ثمانون ألف خادم واثنان وسبعون زوجة، وينصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية إلى صنعاء»<sup>١٠٦٩</sup>.  
[٢٣٥] «إنّ أدنى أهل الجنّة منزلة، لمن ينظر إلى جناحه ونعيمه وخدمه وسريره مسيرة ألف سنة، وأكرمهم على الله ممن ينظر إلى وجهه غدوة وعشية»<sup>١٠٧٠</sup>.

والأظهر: أن يراد من بعض الأحاديث المذكورة غير ظاهره، لما عرفت أنّ المقصود من ذكر أوصاف الجنّة وما فيها ما هو، فيراد من «سير الرّكب في ظلّ شجرة مئة عام»؛ عظم الشجرة. ومن كون ما بين درجتين كما بين السّماء والأرض؛ بيان رفعة الجنّة وعلوّ سمكها. ومن كون خدام أدنى المؤمنين ثمانين ألفاً؛ بيان كثرتهم. ومن كون ارتفاع الفراش مسيرة خمسمئة عام؛ بيان ارتفاعه. ومن [٢١٧ظ] رؤية مخّ ساق الحور فيما تحت السبعين حلّة؛ بيان غاية لطافتها.

وقرينة إخراج ما ذكرنا من الظّاهر فوات الحسّ والبهجة، لا كونه على خلاف العادة، لما عرفت أنّ أكثر أحوال الآخرة على خلاف العادة، فكيف وقد قال النّبى عليه السّلام حكاية عن وعد الملك الكريم: «ثمّ أعددت لعبادي الصّالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»<sup>١٠٧١</sup>، فإنّ هذا يدلّ على أن يعطي الله عباده المطيعين من اللّدات الجسمانيّة والرّوحانيّة ما لم يخطر على قلب بشر مثله، فكيف رؤية مثله؟

فإن ولد أعمى لا يمكن أن يفهم الألوان والأوضاع، ومن كان صغيراً أو عنيماً لا يفهم لذّة الجماع، وإن اجتهدت في بيانها وتفهمها ببسط العبارات، كما لا يفهم أهل الدّنيا كيفيّة

١٠٦٧ ف، ص، يُرى.

١٠٦٨ سنن الترمذي، صفة القيامة والرفائق والورع ٦٠؛ مسند أحمد، ٣٣١/١٢؛ مصابيح السنة، ٥٦٢/٣.

١٠٦٩ سنن الترمذي، صفة الجنة ٢٣؛ مسند أحمد، ٢٥٠/١٨؛ مصابيح السنة، ٥٦٦/٣.

١٠٧٠ سنن الترمذي، صفة الجنة ١٧؛ مسند أحمد، ٢٢٩/٩؛ مصابيح السنة، ٥٦٩/٣.

١٠٧١ صحيح بخاري، الجمعة ٢١٧؛ صحيح مسلم، الجنة وصفة نعيمها وأهلها ٢٨٢٤؛ سنن الترمذي، أبواب

تفسير القرآن ٣٣؛ سنن ابن ماجه، الزهد ٣٩؛ سنن الدارمي، ٦٧٨/١؛ مسند أحمد، ٤٨٩/١٣؛ مصابيح

السنة، ٥٥٥/٣.

رؤية الله تعالى، ما لم تحصل قوة ذلك الإدراك واستعداده.

فإن قلت: لم لا يجوز أن يكون قوة المؤمن، وقوة أعضائه وحواسه يسري في ظل تلك الشجرة العظيمة العالية الكبيرة في أدنى مدّة، كما في طي المكان، ويرى سمك جنته وأطراف بابها وإن تعدّت إلى ما فوق العادة، وينتفع بكثرة الخدام/ [٢١٨و] والوصائف والجواري، والأزواج والخور، وإن كثرت على خلاف العادة؛ لغاية القوة، كما روي أنّ لسليمان عليه السلام ثلاث مئة منكوحه وسبعمئة جارية<sup>١٠٧٢</sup>.

قلنا: لا يبعد ذلك عقلاً، لكنك سمعت أنّ كلامنا على نسق التوجيهات التقرّيبية، لا على احتمالات العقلية؛ إذا لم يكن فيه مصلحة مقتضية للعمل على موجب الاحتمال العقلي، كما في أحوال الحشر الجسماني والتذاه، وإيلامه في القبر والنار، والرؤية وسائر صفات الله تعالى وغيرها.

وهنا لما دلّ الأحاديث الصحيحة على أن يكون مقدار جسم أصحاب الجنة ستون ذراعاً، كما قال النبي عليه السلام: «يدخلون الجنة على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء»<sup>١٠٧٣</sup>. وقال: «يدخلون الجنة<sup>١٠٧٤</sup> جرداً مُردّاً مكحلين، أبناء ثلاثين أو ثلاث وثلاثين سنة»<sup>١٠٧٥</sup>. وقال النبي عليه السلام: «يعطى كل واحد قوة مئة

---

١٠٧٢ لم أجد له تحريجا، إلا أنه ورد في تفسير البحر المديد لأبو العباس الأنجري في تفسيره قوله تعالى: ﴿وَحَشِيرَ لِسْلَيْمَنَ جُنُودَهُ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [النمل:١٧] قال محمد بن كعب: كان عسكر سليمان مائة فرسخ، خمسة وعشرون للجن، وخمسة وعشرون للإنس، وخمسة وعشرون للطير، وخمسة وعشرون للوحش. وكان له ألف بيت من قوارير على الحشب، فيها ثلاثمائة منكوحه، وسبعمئة سرية. انظر: أبو العباس أحمد بن محمد الأنجري الفاسي، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، ( القاهرة- الدكتور حسن عباس زكي)، ١٨٤/٤.

١٠٧٣ هنا روي الحديث بالمعنى، ولفظه: «عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم الذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يمتخطون أمشاطهم الذهب وشرحهم المسك ومجامرهم الألوة الأنجوج عود الطيب وأزواجهم الخور العين على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء» أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجمعة ٢١٧ رقم الحديث (٣٣٢٧).

١٠٧٤ في سنن الترمذي ومصابيح السنة «يدخل أهل الجنة».

١٠٧٥ سنن الترمذي، صفة الجنة ١٢؛ مصابيح السنة، ٥٦٣/٣.

رجل»<sup>١٠٧٦</sup>، فقوة مئة رجل لا يبلغ استيفاء لذات المقادير المذكورة، وسير الطول والعرض المذكورين، فيكون المراد الكثرة والسعة، وغاية النفاسة، وكمال اللذة واللاثقة بذلك المقدار من القوة.

### باب رؤية الله تعالى

[٢٣٦] / [٢١٨ظ] قال النبي عليه السلام: «سترون ربكم عياناً»<sup>١٠٧٧</sup>، وقال جرير بن عبد الله: كنا جلوساً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنظر إلى القمر ليلة البدر، فقال: «إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا» ثم قرأ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه: ١٣٠] <sup>١٠٧٨</sup>.

وقال: «وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية، ثم قرأ: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ [آل عمران: ٤٣] إلى ربها ناظرة» [القيامة: ٢٢-٢٣] <sup>١٠٧٩</sup>.

فإن قلت: قال النبي عليه السلام في موضع آخر: «إن أهل الجنة إذا دخلوها، نزلوا فيها بفضل أعمالهم، فيؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا، فيزورون الله عز وجل، ويبرز لهم عرشه، ويتبدى لهم في روضة من رياض الجنة، فتوضع لهم منابر من نور، ومنابر من لؤلؤ، ومنابر من ياقوت، ومنابر من زبرجد، ومنابر من ذهب، ومنابر من فضة، ويجلس أدناهم، وما فيهم ديني، على كُثبان المسك والكافور، ما يرون أن أصحاب الكراسي بأفضل منهم مجلساً»<sup>١٠٨٠</sup>، فيفهم من هذا الحديث أنهم لا يرون إلا في مقدار جمعة، ومن الأول أنهم

---

١٠٧٦ روي الحديث بالمعنى ولفظه: «عن ثمامة بن عقبة الحلبي، قال: سمعت زيد بن أرقم يقول: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن الرجل من أهل الجنة يعطى قوة مائة رجل في الأكل والشرب والشهوة والجماع» أخرجه الدارمي في سننه، الرقاق، باب في أهل الجنة ونعيمها ٦٧٧/١ رقم الحديث: (٣٠٣٣). وأخرجه أحمد في مسنده، مسند الكوفيين حديث زيد بن أرقم رقم الحديث (١٩٣١٤).

١٠٧٧ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ مصابيح السنة، ٥٦٨/٣.

١٠٧٨ صحيح البخاري، مواقيت الصلاة ٢٨؛ صحيح مسلم، المساجد ومواضع الصلاة ٦٣٣؛ سنن أبي داود، أول كتاب السنة ٢٠؛ سنن ابن ماجه، الإيمان فضائل الصحابة ١٣؛ مسند أحمد، ٥٤١/٣١؛ مصابيح السنة، ٥٦٨/٣.

١٠٧٩ سنن الترمذي، صفة الجنة ١٧؛ مسند أحمد، ٢٢٩/٩؛ مصابيح السنة، ٥٦٩/٣.

١٠٨٠ سنن ابن ماجه، الزهد ٣٩.

يرون غدوًا وعشيًا.

قلنا: يجوز أن تكون / [٢١٩و] رؤية الله تعالى متفاوتة بالنسبة إلى الأشخاص، بأن يرى كل واحد على مقدار فضيلته ومعرفته وكماله، ولذا قال: «أكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشيّة»، فيجوز أن يرى المقرَّبون غدوةً وعشيّةً، ويرى العوام في مقدار الجمعة مرّة. ويجوز أن يكون لله تجلّيات عامّة، تكون في مقدار جمعة للعوام والخواصّ، وتجلّيات خاصّة للمقرَّبين على حسب مراتبهم.

وغدوةً وعشيّةً لا تكون للتعين؛ إذ يجوز أن تكون لذّة بعض أهل المعرفة مقصورة على رؤية الله تعالى وتجلّيه، لما عرفت أنّ اللذات الجسمانيّة غير ملحوظة في جنب اللذات الرّوحانيّة عند أهل المعرفة والحال، كما أنّ اللذات الرّوحانيّة مجهولة ومنكرة عند أهل النّفس والقال. فإن قلت: رؤية الله تعالى بعين الرّأس تقتضي المقابلة والمكان، وكثافة الجسم واللّون، وتلبّسه بالضوء، والله تعالى منزّه عنها، فكيف تحصل لنا رؤيته كالبدر؟

قلنا: اقتضاء الرّؤية الشّروط المذكورة باعتبار الوهم والعادة، لا بطريق العقل والفتنة، فإنّ العقل يجوز أن يرى كل موجود وإن أنكرت كل ما يخالف الوهم والعادة، ونبذت وراء ظهره أكثر / [٢١٩ظ] الأحكام البرزخيّة والمعادية من سؤال التّكبير والمنكر، ولذّة الميّت وألمه، وتكلّم الأرض والأعضاء، والمرور على الصّراط.

لكن إذا تدبّرت بنظر العقل السّليم والفكر المستقيم، تخلّصت عن معارضة الوهم السّقيم، وعلمت أنّ قصور عقلك عن تصوّر كنهه<sup>١٠٨١</sup> كيفيّة الشّيء لا يقتضي انعدام تحقّق أصله، فإنّك تعلم بعقلك على سبيل القطع واليقين بأنّ الله تعالى موجود بوجود أزليّ أبديّ لا أوّل له ولا آخر، ولا مكان ولا زمان ولا جهة، ولا زيادة ولا نقصان ولا تغيير؛ مع أنّ وهمك قاصر عن تصوّر موجود لا يكون في جهة ولا في زمان ولا مكان، ولا يكون في داخل العالم ولا في خارجه، مع أنّه أقرب كلّ شيء إليك وإلى جميع الموجودات، وأنّه يسمع كلّ ما يمكن أن يسمع بدون الحاسّة، ويبصر كلّ ما يمكن أن يبصر بدون حاسّة العين، ولا يمنع رؤيته ظلّمةً وبُعد، ولطافة وعدم لون وضوء، ويتكلّم بدون اللّسان وسائر الآلة، ويخلق كلّ شيء بدون آلة ومعاونة، كما خلق السّماوات والأرض وما فيها بإرادة واحدة، ونفيهما بإرادة

١٠٨١ ص - كنه.

واحدة بدون آلة.

فاعلم من ذلك أنّ رؤيته تعالى ممكنة بدون الصّورة الجسميّة وسائر/ [٢٢٠و] شروط الرّؤية بحسب العادة وخوارق العادات الواقعة في الدّنيا؛ كمعجزات الأنبياء، وكرامات الأولياء يرشدك إلى ذلك لو لاحظت وتفكّرت فيها.

وتعرف أيضًا أنّ بعض الحيوانات تتعيّش في جوف الماء وتتولّد فيه وتموت في البرّ، وبعضها بالعكس، وبعض الحيوانات يرى في ظلمة اللّيل؛ كالفرس والهرة وبعضها لا يرى، وبعضها لا يرى في ضوء الشّمس ويرى في ضوء الشّمع وبعضها بالعكس، والقرّاد يسمع أصوات أخفاف الإبل من مسافة يومين وذلك مستبعد عند ألف الوهم.

والحاصل: أنّ النّصّ الشرعيّ لما ورد في إثبات رؤية الله تعالى وسمعه وبصره وكلامه، اعتقدنا على وجودها حقيقة، وإن قصر إدراكنا عن كنه كيفيّتها، فكيف وقد قصر عقلنا عن كيفيّة علمنا وسمعنا وبصرنا، مع أنّها أقرب الأشياء إلينا، كما لا نعلم حقيقة، أنفسنا وفي إثبات صفات الله تعالى وبيان كيفيّتها كلام طويل في الكتب الكلاميّة.

وفيما ذكرنا من الكلام المانع كفاية لأهل العبادة، ولصعوبة إدراك كيفيّة صفات الله تعالى؛ ذهب كثير من المشايخ والحكماء إلى أنّها أمور اعتباريّة لا موجودة، إذ يلزم/ [٢٢٠ظ] من وجودها تعدّد القدماء المنافي لوحدايته من كلّ وجه، فهو عالم، وقادر، ومريد، وسميع، وبصير ومتكلّم بالذات لا بصفة موجودة زائدة على ذاته، وأهل الظاهر والسنة يقولون المفهوم من النّصوص الشرعيّة: أنّ وجود صفات الله غير وجود حقيقته، لذا المفهوم من مثل قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النساء: ٢٦] ذلك ولم يقدّم دليل عقليّ قطعيّ مانع عن إرادة ظاهره، كما قام في مثل قوله تعالى: ﴿أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] و﴿فِي جَنبِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦] ولصعوبة هذا المقام لم يكفر المخطئ في تأويل الصّفات، إذا لم يكن غاليًا.

### باب صفة النار وأهلها

[٢٣٧] قال النبيّ عليه السّلام: «اشتكت النار إلى ربّها فقالت: ربّ أكل بعضي بعضًا، فأذن لها بنفسين نفس في الشّتاء ونفس في الصّيف، فأشدّ ما تجدون من الحرّ وأشدّ ما تجدون من الزّمهرير»<sup>١٠٨٢</sup> أي هو أشدّ الحرّ وأشدّ البرد.

١٠٨٢ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ صحيح مسلم، المساجد ومواضع الصلاة ٦١٧؛ سنن ابن ماجه، الزهد

فإن قلت: إذا كان للنَّار نفسين وامتداد أحدهما إمَّا مسًّا وللاخر أَوْلًا، فعلى كلِّ تقدير يجب أن تكون الحرارة والبرودة في الدُّنيا على ذلك النَّسق، وليس كذلك إذ الحرارة في بعض المواضع تكون في أكثر السَّنَةِ، وفي بعضها في أقلِّها، وكذا البرودة، بل قد يكون حرارة/ [٢٢١و] الصَّيف في موضع واحد مختلفة باختلاف السنين.

قال بعض الشَّرَاح: ليس المراد من الحديث معناه الحقيقي، بل شَبَّة شِدَّة حرارة الصَّيف وشِدَّة برودة الشِّتاء بنفسَي النَّار.

وقال بعضهم: يجوز أن يمسكهما الله تعالى ويرسلهما بدفعات رحمة على عباده<sup>١٠٨٣</sup>. وقد عرفت أنَّ إخراج النَّصوص الشَّرعية عن ظواهرها موقوف على وجود قرينة قويَّة. وقد عرفت بعض التَّفصيل فيه، فنقول: يجوز أن يراد هنا من النَّفسين ظاهرهما: لأنَّ الجنَّة والنَّار مخلوقتان موجودتان، والنَّصوص الفرقائيَّة متظاهرة في ذلك، إذ قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤]. وقال النَّبي عليه السَّلَام: «أوقد على النَّار ألف سنة حتى احمرَّت، ثمَّ أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضَّت، ثمَّ أوقد عليها ألف سنة حتى اسودَّت فهي سوداء مظلمة»<sup>١٠٨٤</sup>.

فعلى هذا يكون جهنم موجودة في صورة شعبان يتنفس في كل سنة نفسين متساويين، لكنَّ اختلاف آثارهما؛ لاختلاف المعاقب من الأمكنة الباردة بكثرة الماء والأشجار، والجبال الشَّاحخة، كما نشاهد في مثل ذلك في حرارة الشَّمس، واختلافهما بحسب اختلاف الأمكنة، بل يكون اختلاف/ [٢٢١ظ] الحرارة البرودة في موضع واحد في سنة واحدة، بل يكون في يوم واحد في موضع واحد؛ لوجود كاسر الحرارة من السَّحاب والمطر والرَّيح الباردة. ووجود ممدِّ الحرارة؛ كالحجر الأملس، وانعدام السَّحاب، والمطر. وانقطاع الرِّيح البارد وغيرها من الكاسرات، والممدِّات، فإنَّ الله تبارك وتعالى خلق في طبيعة النَّار التَّسكين

٣٧؛ سنن الدارمي، ١/٦٨١؛ مسند أحمد، ١٦/٣١٨؛ مصابيح السنة، ٤/٥.

١٠٨٣ هذا ما ذهب إليه مظهر الدين في شرحه لهذا الحديث، قال: إنَّ الحرارة في الصيف والبرودة في الشتاء يكونان من نفس النَّفس، لكنهما لا يجيئان في وقتيهما مرة وحدة، لأنَّ في ذلك هلاك للخلائق، وإنما تجيء كلُّ واحدة منهما في وقته بدفعات كما هو محسوس، رحمةً من الله سبحانه وتعالى على عباده، ومزيدًا لإنعامه عليهم؛ ليكونوا سالمين من ذلك. انظر: المفاتيح في شرح المصابيح، ٦/٢٨.

١٠٨٤ سنن الترمذي، صفة جهنم ٨؛ مصابيح السنة، ٤/٨.

والإحراق. وخلق في طبيعة الماء التّربيط والإبراد، ويكسر أحديهما سُورَةَ ١٠٨٥ الأخرى، أو يعينها، فيكون شدة تأثير نَفْسِي النَّارِ والتّسخين والتّبريد؛ لاختلاف استعداد الأكنة، والمحالّ، والمعوّقات والأحوال، فإنّ النّوشادر والكبريت إذا قَرَّبًا إلى النّار قَرَّبًا متساويًا، يكون تأثير الكبريت وتسخينه وإحراقه أشدّ وأقدم من تأثير النّوشادر، حتّى أنّ الجمر الضّعيف يشتعل بمساسته الكبريت وتحمّد بمساسته النّوشادر.

ولا يستبعد ذلك؛ لأنّه محسوس، بل بعض الجسم لا يؤثّر فيه النّار كالتّمندر والياقوت، وكما [٢٣٨] قال النّبِيّ عليه السّلام: «لا يأكل النّار مواضع السّجود»<sup>١٠٨٦</sup>. وقال عليه السّلام: «منهم من تأخذه النّار إلى كعبيه، ومنهم من تأخذه النّار إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذه النّار إلى حجرته، ومنهم من تأخذه النّار إلى ترقوته»<sup>١٠٨٧</sup>. وقال عليه السّلام: «إنّ أهون/ [٢٢٢و] أهل النّار عذابًا أبو طالب، وهو منتعل بنعلين يغلي منهما دماغه»<sup>١٠٨٨</sup>. فإنّ أخذ نار جهنّم ببعض البدن دون البعض مع غاية شدّتها وحدّتها، خلاف الفلك

١٠٨٥ يقصد شدة البرودة والحر؛ لأنّ سورة تعني شدة، حدة، هياج. انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، ١١٣٣/٢.

١٠٨٦ هنا روى قطب الدين الحديث بالمعنى واختصره وهو حديث يرويه ابو هريرة ولفظه: «أنّ الناس قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تضارون في القمر ليلة البدر قالوا لا يا رسول الله قال فهل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب قالوا لا يا رسول الله قال فإنّكم ترونه كذلك يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول من كان يعبد شيئاً فليتبّعني فليتبّع من كان يعبد الشمس الشمس ويتبع من كان يعبد القمر القمر ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت وتبقى هذه الأمة فيها شافعوها أو منافقوها شك إبراهيم فيأتيهم الله فيقول أنا ربكم فيقولون هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا ربنا عرفناه فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا فيتبعونه ويضرب الصراط بين ظهري جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يجيئها ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم وفي جهنم كالليب مثل شوك السعدان هل رأيتم السعدان قالوا نعم يا رسول الله قال فإنّها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم ما قدر عظمها إلا الله تخطف الناس بأعمالهم فمنهم الموبق بقي بعمله أو الموثق بعمله ومنهم المخردل أو المجازي أو نحوه ثم يتجلى حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئاً ممن أراد الله أن يرحمه ممن يشهد أن لا إله إلا الله فيعرفونهم في النار بأثر السجود تأكل النار ابن آدم إلا أثر السجود حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود» أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجمعة ٢١٧، رقم الحديث (٧٤٣٧)؛ وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان رقم الحديث (١٨٢).

١٠٨٧ صحيح مسلم، اللجنة وصفة نعيمها وأهلها ٢٨٤٥؛ مسند أحمد، ٢٩٥/٣٣؛ مصابيح السنة، ٧/٤.

١٠٨٨ صحيح مسلم، الإيمان ٢١٢؛ مسند أحمد، ٣٨٧/٤؛ مصابيح السنة، ٦/٤.

واستثناس وهمك. كما أنّ عدم موت الكفار، وبقائهم في نار جهنم أبد الآباد، إحياء مخالف لوهمك بل لعقلك القاصر، وإذا أخبر به الصادق المصدّق، اعتقد على ذلك وافهم كمال قدرة الله تعالى منه، ولا تقس قدرته وعلمه الكامل الشامل على قدرتك وعلمك الناقص القاصر، وافهم من ذلك أنّ حكاية غرق النَّاس في المحشر في عرقهم على ذلك النَّسَق، فإنَّ عرق البعض يصل إلى كعبيه، وعرق بعضهم إلى ترقوته، وعرق بعضهم إلى فمه.

فإن قلت: طبيعة الماء يقتضي أن يملأ الحفر والأودية والأمكنة المتساوية متساوية، ويتساوى اغتراق الواقفين في عرقهم، فكيف يتصوّر الاختلاف، مع أنّ كلّهم واقفين في موضع واحد غير مختلف في الرّفعة والغور؟

قلنا: سيلان الماء في موضع مستوٍ، ويساوي نسبه إلى الواقفين فيه باعتبار عادتك وإلف وهمك أيضًا، وأحوال الآخرة أكثرها على خلاف العادة والوهم، فيجوز أن يصل عرق بعض الواقفين / [٢٢٢ظ] فيه إلى كعبيه، وبعضهم إلى فمه، ولا يسيل إلى حواليهما؛ إظهارًا لقدرة الله وعظمته.

وإن عارضك وهمك فيه، فليندبّر في حكاية النّيل عند غرق فرعون وقومه فيه، ومرور موسى-عليه السّلام- عليه وقومه عنه، فإنّه صار كالجدران عند مروره، وصار بينهما اثني عشر طريقًا، وصار في جدران الماء كوى ودرجًا، حتّى ينظر منها بعض قوم موسى إلى بعضهم، ولم تلتئم تلك الجدران والكوى إلى مرّ قوم موسى بأجمعهم، وإذا دخل فرعون مع قومه بين تلك الجدران والكوى من الماء، ضربهم الجدران والتطمهم والتصق بعضهم ببعض، فغرقوا.

وإذا أبصرت أمورًا خارقة لعادتك في الدّنيا، فلا تنكر وجودها في الآخرة إذا لم يوجد مانع آخر، كما سمعت بعض الموانع في بعض أوصاف الجنّة وأهلها.

[٢٣٩] قال النّبي عليه السّلام: «ما بين منكبي الكافر في النّار مسيرة ثلاثة أيّام للزّكّاب المسرع»<sup>١٠٨٩</sup>. و«ضرس<sup>١٠٩٠</sup> الكافر مثل أخذ وغلظ جلده مسيرة ثلاث»<sup>١٠٩١</sup>.

١٠٨٩ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ صحيح مسلم، صفة القيامة والجنة والنار ٢٨٥٢؛ مصابيح السنة، ٧/٤.

١٠٩٠ ص، ف ضرسه، أي لم يذكر لفظ الكافر.

١٠٩١ صحيح مسلم، صفة القيامة والجنة والنار ٢٨٥١؛ مصابيح السنة، ٧/٤.

[٢٤٠] وقال النَّبِيُّ عليه السَّلَام في موضع آخر: «مقعده من النَّار مسيرة ثلاث»<sup>١٠٩٢</sup>.  
وقال في موضع آخر: «مجلسه من جهنم كما<sup>١٠٩٣</sup> بين مكة والمدينة»<sup>١٠٩٤</sup>. و «جلده اثنان  
وأربعون ذراعاً»<sup>١٠٩٥</sup>. وقال في موضع آخر: «إنَّ الكافر ليسحب لسانه الفرسخ والفرسخين  
/ [٢٢٣] ويتوطؤه النَّاس»<sup>١٠٩٦</sup>. وقال في موضع آخر: «تشويه النَّار فتقلص شفته العليا  
حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرته»<sup>١٠٩٧</sup>.

فإن قلت: ما التّوفيق بين الاختلاف الواقع في مجلس الكافر وغلظ جلده؟

قلنا: قد عرفت ضابطة رافعة توهم التعارض من أمثال هذا الاختلاف، وعرفت أيضاً تصريح  
التّوفيق وتعيين طريقه في مواضع متعدّدة عوناً للمبتدئين وتعليماً لهم طريق التّأويل والتّطبيق،  
وأساليب التّفصيل والتّحقيق في جزئياتها، حتّى تتقرّر القاعدة واستعمالها في الجزئيات في  
أذهانهم، فقل هنا أيضاً: يجوز أن يكون اختلاف الأحوال لاختلاف الأشخاص، أو  
لاختلاف الأوقات، أو الأقلّ والأصغر داخل في الأكثر والأكبر.

ويجوز أن يقال: المراد بيان غلظ الجلد وعظم البدن، لا الحصر والتّعيين، إذا وجد قرينة قويّة  
صارفة عن الظّاهر، بأن بيّن نصّ آخر راجح مقدار خبث أبدان الكفّار في النَّار، بحيث لا  
يناسب مقدار غلظ جلدهم ومقعدهم المذكورين لتلك الأبدان المنتنة.

[٢٤١] قال<sup>١٠٩٨</sup> عليه السَّلَام: «لو أنّ رصاصة مثل هذه وأشار إلى الجمجمة، أرسلت من  
السّماء إلى الأرض، في مسيرة خمسمائة سنة/ [٢٢٣] لبلغت الأرض قبل اللّيل والنهار،

---

١٠٩٢ سنن الترمذي، صفة جهنم ٣؛ مصابيح السنة، ٨/٤.

١٠٩٣ ص، ف ما.

١٠٩٤ سنن الترمذي، صفة جهنم ٣.

١٠٩٥ ربما قصد هنا الازنيقي الحديث المروي عن أبي سعيد الخدري ولفظه: «عن رسول الله صلى الله عليه وسلم  
قال: مقعد الكافر في النار مسيرة ثلاثة أيام، وكل ضرس مثل أحد، وفخذه مثل ورقان، وجلده سوى لحمه  
وعظامه أربعون ذراعاً» أخرجه أحمد في مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي سعيد الخدري رضي الله عنه  
٣٣٣/١٧، رقم الحديث (١١٢٣٢) وحكم عليه بأن إسناده ضعيف. والله أعلم.

١٠٩٦ سنن الترمذي، صفة جهنم ٣؛ مصابيح السنة، ٩/٤.

١٠٩٧ سنن الترمذي، صفة جهنم ٥؛ مسند أحمد، ٣٥٠/١٨؛ مصابيح السنة، ١٢/٤.

١٠٩٨ ص + النبي.

ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة<sup>١٠٩٩</sup>؛ لسارت أربعين خريفًا الليل والنهار قبل أن تبلغ أصلها أو قعرها»<sup>١١٠٠</sup>.

فإن قلت: يفهم منه أن طول سلسلة من سلاسل جهنم أكثر من مسافة ما بين السماء والأرض.

قلنا: يجوز أن يكون في الواقع كذلك لما ثبت في كلام بعض المحققين أن قعر جهنم من مقعد الكرسي إلى مركب الأرض، وطول المسافة فيما بينهما أضعاف طول السلسلة.

قال الشيخ صدر الملة<sup>١١٠١</sup> والدين: السماوات السبع عنصرية قابلة للكون والفساد، بخلاف العرش والكرسي، فيسيل السماوات السبع فصار هباء، فيكون مواضعها قعر الجحيم، وجرم الكرسي يكون أعرافًا بين الجنة والنار باطنه الرحمة وظاهره العذاب، يعني: جهنم وسقف الجنة، عرش الرحمن وسعة ما بينهما وما فيهما من اللذات الجسمانية والروحانية لا يطلع على تفاصيلها إلا الله تعالى. وهو قدوة المحدثين وكلامه من المقبولات عندهم وعند المحققين.

## باب بدء الخلق وذكر الأنبياء

### [بدء الخلق]

[٢٤٢] قال النبي عليه السلام: «إن الله كتب كتابًا قبل أن يخلق الخلق: أن رحمتي سبقت غضبي فهو مكتوب عنده فوق العرش»<sup>١١٠٢</sup>.

فإن قلت قوله: «كتابًا» دلّ على أنه خلق شيئًا قبل الخلق وهو / [٢٢٤] الكتاب، فكيف قال قبل أن يخلق الخلق؟

قلنا: معناه: قبل أن يخلق الخلق غير الكتاب، كما قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦] وذاته خارج عن عموم شيء وأمثال ذلك كثيرة، فيكون الكتاب خارجًا عن الخلق بالقرينة العقلية. ويجوز أن يكون الكتاب عبارة عن التقدير الأول، ويكون فوق العرش تمثيلًا لعلو رتبة التقدير، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨]، فإنه تمثيل لعلو ذات

١٠٩٩ ص + من سلاسل جهنم.

١١٠٠ سنن الترمذي، صفة جهنم ٦؛ مسند أحمد، ١١/٤٤٣.

١١٠١ ص + الحق.

١١٠٢ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ كسند أحمد، ١٢/٤٩٦؛ مصابيح السنة، ٤/١٧. لكن تختلف الرواية في

مسند أحمد؛ فورد: «لما خلق الخلق كتب كتابًا فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي سبقت غضبي».

الله تعالى وكمال قدرته.

فإن قلت: صفات الذات والفعل قديمة عند المحققين، فكيف<sup>١١٠٣</sup> سبقه صفة الرحمة على صفة الغضب؟

قلنا: يجوز أن يراد من السبقة الغلبة وكمال القوة، باعتبار آثارها لا التّقدم الزماني، فإن أردت تفضيل بعض غلبة آثار الرحمة، فاعلم أنّ بذل الوجود وصحة الأعضاء وقوتها من أجل النعم العامة للمؤمن والكافر من حين الولادة إلى حين الموت من غير سابقه خدمة مقتضية أيّامًا. وأيضًا بذل الثواب الكثير الجليل الكامل الباقي في مقابلة العبادة القليلة القصيرة، بل بمجرد نيتها من آثار غلبة الرحمة وقوتها. وأيضًا عدم قطع الصحة والرّزق والتّعمة، وعدم هدم الوجود والبنية مع المعاصي الكثيرة/ [٢٢٤ظ] من آثار غلبة الرّأفة، ومقابلة معصية واحدة بعقوبة واحدة مع غاية حقارة العبد العاصي ونهاية عظمة المعبود، وإزالة المعاصي الكثيرة بندم واحد، وإزالة كفر مئة سنة لكلمة خفيفة من آثار كمال الرّأفة وغلبتها، وإن لم تقدر على تصوّر تفاصيل نعم الله تعالى كما قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [النحل: ١٨]، فلا تغفل عن نكتة واحدة في تصوّر كمال رحمة الله وغلبة رأفته عليك وهي؛ أنّ كلّ شيء أرخصه، فإنّ الهواء أحوج الأشياء فهي أرخص، وبعد ذلك الماء، وبعده النار، وبعدها التراب، وبعده الملح، وبعده الحطب والكأ، فإنّ كلّ واحد منها أهمّ ممّا بعده وأوسع منه، فهو يرشدك إلى أغلبيّة رحمة الله ومغلوبه غضبه، ونّبّهك عن الغفلة ويحرّضك على الطّاعة؛ شكرًا لتلك التّعمة والرحمة، فلا تغفل عن الرمزة.

### [خلق آدم عليه السّلام]

[٢٤٣] قال النّبي عليه السّلام: «لما صوّر الله تعالى آدم في الجنّة<sup>١١٠٤</sup> تركه ما شاء الله أن يتركه، فجعل إبليس يطيف به، ينظر ما هو، فلما رآه أجوف عرف أنه خلق خلقًا لا يتمالك»<sup>١١٠٥</sup>.

فإن قلت: الأخبار كثيرة متظاهرة على أنّ الله تعالى/ [٢٢٥و] خلق آدم من تراب من

١١٠٣ ص + يتصوّر

١١٠٤ ص، ف جنته.

١١٠٥ صحيح مسلم، البر والصلة الآداب ٢٦١١؛ مسند أحمد، ٢١/٨٨.

وجه<sup>١١٠٦</sup> الأرض من جميع ألوانها، فخمّره بيده حتّى صار طيناً، ثمّ تركه حتّى صار صلصالاً، وكان يلقي بين مكّة والطائف ببطن عمّان، فيكون ذلك منافياً لقوله: «صوّر الله آدم في جنّة».

قلنا: يجوز أن يكون طينه بين مكّة والطائف، وصورته في الجنّة، ويترك<sup>١١٠٧</sup> بعد التصوير في الجنّة إلى أن ينفخ فيه الرّوح.

ومعنى «لا يتمالك»: لا يكون له ثبات وقوّة كالملائكة، إذ من شأنه أن يكون ضعيفاً عجولاً غضوباً سريع الانفعال والتّغيير، جزوعاً عند البلاء والشّدّة، منوعاً عند الغنى والقدرة. واستدلّ إبليس على ذلك بجوف باطنه ودواعي القوّة النّفسانيّة فيه، وغفل عن الفضائل النّفسانيّة والكمالات الإنسانيّة الحاصلة بامتزاج الأمور الرّوحانيّة وتعلّقها بالأمور الجسمانيّة والقوى الجسدانيّة، وإنّ تلك الأمور الرّوحانيّة إذا قويت وغلبت على القوى الشّهوانيّة والدّواعي النّفسانيّة بجعل الأعضاء وقوّتها مصروفة إلى الطّاعة، فيكون ذلك سبباً لتحصيل الاستقامة وكمال الإنسانيّة، ويفضل بذلك الكمال على الرّتبة الملائكة، وقد عرفت بعض دلائل الأفضليّة في بيان تفضيل العلم. / [٢٢٥ظ]

### **[فضل النّبّي عليه السّلام على سائر الأنبياء]**

[٢٤٤] عن أنس - رضي الله عنه - قال: جاء<sup>١١٠٨</sup> رجل إلى النّبّي عليه السّلام فقال: «يا خير البريّة، فقال: ذاك إبراهيم»<sup>١١٠٩</sup>.

فإن قلت: قد ثبت بالنقل والعقل أنّ نبينا عليه السّلام خير البريّة، وقد أقرّ بذلك وأخبر به، كما قال: «أنا سيّد ولد آدم في الدنيا والآخرة»<sup>١١١٠</sup>. وقال: «أنا أكرم ولد آدم»<sup>١١١١</sup>. و

١١٠٦ ص درجة.

١١٠٧ ص وترك.

١١٠٨ ليست موجودة في نسخة ف ونسخة ص.

١١٠٩ صحيح مسلم، الفضائل ٢٣٦٩؛ سنن أبي داود، أول كتاب السنة ١٤؛ سنن الترمذي، تفسير القرآن ٨٦؛

مسند أحمد، ٢٠/٢١١؛ مصابيح السنة، ٤/١٨.

١١١٠ هنا روى الحديث بالمعنى ولفظه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من

ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع» أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الفضائل رقم الحديث

(٢٢٧٨)؛ وأخرجه أبو داود في سننه، في أول كتاب السنة رقم الحديث (٤٦٧٣)؛ وأخرجه ابن ماجه في سننه،

في كتاب الزهد رقم الحديث (٤٣٠٨).

«أنا أول النَّاس خروجًا إذا بعثوا، وأنا قائدهم إذا وفدوا، وأنا خطيهم إذا انضتوا، وأنا مستشفعهم إذا جلسوا، لواء الحمد يومئذ بيدي»<sup>١١٢</sup>. «وما من نبيٍّ يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي»<sup>١١٣</sup>. ولم قال هناك ذاك إبراهيم؟ قال بعض الشُّرَّاح: قال ذلك للتَّواضع<sup>١١٤</sup>، أو لأنَّ الأفضليَّة مختصَّة به يجوز أن يعطيها غيره.

قلنا: قد عرفت جواب مثل هذا السَّؤال من الضُّوابط المذكورة من أنَّ جهات الأفضليَّة متنوِّعة، وبين تلك الجهات فروق كثيرة، وإن أردت كلفيَّة التَّوفيق هنا، فاسمع أن بيان النبيِّ عليه السَّلام أفضليَّته وخيرته على جميع النَّاس بجهة، وبيان خيريَّة إبراهيم عليه السَّلام على جميع البريَّة بجهة أخرى؛ لأنَّ بيان خيريَّته على جميع الأنبياء عليهم السَّلام من جهة إظهار نعمة الله وكمال كرمه عليه، بإعطائه إيَّاه أعلى مراتب الرِّسالة، حتَّى تعتقد أمته على أفضليَّته، ويجتهدوا في تكميل مواجب / [٢٢٦و] رسالته واتِّباع شريعته بقدر طاقتهم. وقوله: «ذاك إبراهيم» من جهة التَّواضع ونفي الخيريَّة والأفضليَّة عن نفسه من جهة العُجب والكبر والتَّفوق على جميع النَّاس لحظِّ النَّفس؛ لأنَّ من قال لرسول الله يا خير البريَّة، قال من جهة تفضيل نبيِّنا عليه السَّلام على سائر الأنبياء؛ لتصغير شأن الأنبياء، وقد فهم ذلك رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال: «ذاك إبراهيم»، حتَّى لا يفرطوا في تعظيمه بحيث يؤدِّي إلى الضَّلال، كما أفرط النَّصارى واليهود في شأن عيسى وعزير عليهما السَّلام، فضلُّوا وأضلُّوا.

فإن قلت: إبراهيم ليس خير البريَّة من كلِّ وجه، فلم قال إبراهيم؟ قلنا: لم يقل نبيِّنا عليه السَّلام أنه خير البريَّة من كلِّ وجه، وقد عرفت أنَّ التَّفضيل على الغير يجوز أن يكون بجهة خاصَّة لا توجد في غيره، فيجوز أن يكون تفضيل إبراهيم عليه السَّلام من جهة أنَّ نبيِّنا عليه السَّلام وجد من نسله، وأنَّه رمي إلى نار نمرود ولم يستعن من جبرائيل

١١١١ سنن الترمذي، المناقب ١.

١١١٢ سنن الترمذي، المناقب ١؛ مصابيح السنة، ٤/٤٠.

١١١٣ سنن الترمذي، تفسير القرآن ١٨؛ مصابيح السنة، ٤/٣٩.

١١١٤ هذا ما ذهب إليه التوريشتي والنووي ومظهر الدين الزيداني. انظر: الميسر في شرح مصابيح السنة،

٣/١٠٦١؛ المنهاج شرح صحيح مسلم، ١٥/١٢١؛ المفاتيح في شرح المصابيح، ٥/١٩٦.

عليه حين أراد أن يعينه وينجيه من السقوط في النار، أو بنى الكعبة، وقصد ذبح ابنه في سبيل الله وامتنال أمره.

ومن هذا القبيل قوله عليه السلام: «لا تحيروني على موسى فإن الناس يصعقون يوم/ [٢٢٦ظ] القيامة، فأصعق معهم، فأكون أول من يفيق، فإذا موسى باطش بجانب العرش، فلا أدري أكان فيمن صعق فأفاق قبلي أو كان ممن استثنى الله»<sup>١١٥</sup>، وفي رواية: «فلا أدري أحوسب بصعقه يوم الطور أم بعث قبلي»<sup>١١٦</sup>.

وسبب تفضيل موسى أيضاً؛ أن مسلماً من المسلمين تخاصم مع يهودي، فقال المسلم: والذي اصطفى محمداً على العالمين، وقال اليهود: والذي اصطفى موسى على العالمين، فلطم المسلم وجه اليهودي، فأخبر اليهودي نبينا عليه السلام بذلك، فقال: «لا تحيروني»، على سبيل التعصب والتفضيل مطلقاً المؤدي إلى التباري والتخاصم، ولا يفهم منه التخيير والتفضيل مطلقاً.

وقد بين النبي عليه السلام أيضاً أفضلية<sup>١١٧</sup> موسى بوجه واحد، فذلك لا يضربنا؛ لأن نبينا عليه السلام مفضل عليه وعلى سائر الأنبياء بوجه كثيرة؛ وهي كونه<sup>١١٨</sup> خاتم الأنبياء، وناسخ شريعته جميع شرائع من قبله من الأنبياء، ومبعوثاً إلى جميع من في الدنيا من الجن والإنس، ومكتملاً بالأخلاق الفاضلة، ومقام الشفاعة في الآخرة، وكونه رحمة للعالمين من حيث أن جميع الملل حفظ من عذاب الاستتصال بسببه.

وقد عرفت أن جهة من جهات التفضيل تجوز أن تكون فائقة/ [٢٢٧و] على جهات كثيرة؛ كمن فاق واحد على واحد بكثرة الصلاة، والصوم، والصدقة، وبحسن الصوت والخط، ورمي السهم والشجاعة، وفاق ذلك الواحد عليه بجهة واحدة وهي الكمال في تعليم علم الدين مع الاقتصار على الفرائض، وهذا الواحد مفضل بهذه الجهة الواحدة على ذلك الواحد المتصنف بجهات كثيرة من الفضائل، كما قال النبي عليه السلام: «فضل العالم على

---

١١٥ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ صحيح مسلم، الفضائل ٢٣٧٣؛ سنن أبي داود، أول كتاب السنة ١٤؛ مسند أحمد، ٢٩/١٣؛ مصابيح السنة، ٢١/٤.

١١٦ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ صحيح مسلم، الفضائل ٢٣٧٣؛ مصابيح السنة، ٢٢/٤. ١١٧ ف فضيلة.

١١٨ ص كون.

العابد كفضلي على أدناكم»<sup>١١١٩</sup>.

وكما فُضِّلَ آدم عليه السَّلام بجهة واحدة؛ وهي العلم المقارن بقليل من العمل - وهو اعتقاده بوحدانية الله تعالى وصفاته - على الملائكة المقربين المكرمين بنفاسة الجوهر النوراني والأعمال الكثيرة في المدد الطويلة من التنزيهات، والتحميدات، والتكبيرات، وأنواع العبادات؛ لأنَّ فضيلة العلم المقارن بأداء الفرائض<sup>١١٢٠</sup> من العمل، وإن كانت واحدة في حد ذاتها، لكنَّها فائقة على العبادات الكثيرة والفضائل الغزيرة؛ لقوتها وكثرة ثمراتها.

وإذا عرفت ذلك، فاعلم أنَّ كل واحد من الأنبياء مفضَّل على غيره بجهة مخصوصة، كما ذكر في فضائل الانبياء؛ من أنَّ عيسى عليه السَّلام مفضَّل على غيره بالتَّجَرُّد، ويحيى عليه السَّلام بالحلم والحياء وعدم القصد إلى الذَّنب، وسليمان / [٢٢٧ظ] عليه السَّلام بالتَّواضع، ويونس وإدريس عليهما السَّلام بالتَّفكير، وموسى عليه السَّلام بالصَّلابة في الدِّين، ونوح عليه السَّلام بالشُّكر، وأيوب عليه السَّلام بالصَّبر، وداود عليه السَّلام بحسن الصَّوت، ويوسف عليه السَّلام بالتَّعبير والصَّدق عليهم السَّلام، لكنَّ نبيَّنا عليه السَّلام مفضَّل على سائر الأنبياء بفضائل كثيرة لا تعادل كل واحد منها فضائل كثيرة.

### [فضائل النبيِّ محمد عليه السَّلام]

ومن جملتها:

- حسن الخلق، كما قال الله تعالى في شأنه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].
- والدَّعوة التَّامة والولاية العامَّة، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ: ٢٨].

- وقوَّة القلب واليقين، وكمال العلم والحلم، ومن جملتها ما قال النبيُّ عليه السَّلام: «أنا حبيب الله ولا فخر، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة، تحته آدم فمن دونه ولا فخر، وأنا أوَّل شافع وأوَّل مشفَّع»<sup>١١٢١</sup>.

١١١٩ سنن الترمذي، العلم ١٩؛ سنن الدارمي، ١٥٧/١؛ مصابيح السنة، ١٧١/١.

١١٢٠ ص الفرض.

١١٢١ سنن الدارمي، ١١٠/١؛ مصابيح السنة، ٣٩/٤.

● وقال: «أعطيت خمسًا لم يعطهنَّ أحدٌ ١١٢٢ قبلي، نصرت بالرَّعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، وأحلَّت لي الغنائم ولم تحلَّ لأحد قبلي، وأعطيت الشِّفاعة، وكان النَّبيُّ يعث في أمته خاصَّةً، وبعثت إلى النَّاس كافةً» ١١٢٣.

وفضائله أكثر من أن يحصى وما ذكرته بعضٌ منها، وما ذكر في التَّوراة والإنجيل والقرآن بعضٌ منها أيضًا، لكن قال / [٢٢٨ و] في بعض المواضع: «لا تفضلوني على يونس بن متى» ١١٢٤، و «من قال أنا خير من يونس بن متى فقد كذب» ١١٢٥. و «لا تحيروا بين الأنبياء». ١١٢٦ و «لا تفضلوا بين الأنبياء» ١١٢٧؛ للإعلام بأنَّ لا فرق بينهم من جهة النبوة والحقيَّة، كما قال الله تعالى حكاية عن المؤمنين: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، أو للتواضع وهضم النَّفس، أو لدفع طعن بعض الجهال في حقِّ الأنبياء، أو لمصلحة أخرى ممَّا اقتضاها المقام وسياق الكلام.

وقد عرفت أيضًا فضيلة بعضهم على بعض، وفضائل نبينا عليه السَّلام عليهم بجهة أخرى، كما قال تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

[٢٤٥] عن أبي رزين قال: قلت لرسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: «أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه؟ قال عليه السَّلام: كان في عماء ما تحته هواء وما فوقه هواء، وخلق عرشه على

١١٢٢ ص، ف نبي.

١١٢٣ صحيح البخاري، التيمم ١؛ النسائي، الغسل والتيمم ٢٦؛ مصابيح السنة، ٣٤/٤.

١١٢٤ لم أجد هذا الحديث بهذا اللفظ في كتب السنة، لكن أخرجه البخاري برواية: «لا ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى» في صحيحه في كتاب الجمعة ٢١٧ رقم الحديث (٣٤١٦)، وأخرجه مسلم في صحيحه، الفضائل رقم الحديث (٢٣٧٧) برواية: «ما ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى».

١١٢٥ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ سنن الترمذي، تفسير القرآن ٤٠؛ سنن ابن ماجه، الزهد ٣٣؛ مسند أحمد، ٥١٠/١٥؛ مصابيح السنة، ٢٣/٤.

١١٢٦ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ صحيح مسلم، الفضائل ٢٣٧٤؛ سنن أبي داود، السنة ١٤؛ مسند أحمد، ٣٦٧/١٧؛ مصابيح السنة، ٢٢/٤.

١١٢٧ ص، ف بينهم.

١١٢٨ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ صحيح مسلم، الفضائل ٢٣٧٣؛ مصابيح السنة، ٢٢/٤. ملاحظة: في كل من صحيح البخاري ومسلم، ومصابيح السنة روي بلفظ: «أنبياء الله».

[أقوال بعض العلماء في تفسير العَمَاء]:

- وقال يزيد بن هارون ١١٣٠ في تفسير «عَمَاء» أي ليس معه شيء ١١٣١.
  - قال المظْهَر ١١٣٢ العَمَاء: السَّحَاب في كلام العرب لا يُدرى كيف كان ذلك العَمَاء.
  - عن أبي الهيثم ١١٣٣ أنه قال: هو في عمى وهو مقصود، وقال: وهو أمر لا يدركه العقل ولا يبلغ كنهه الوصف ١١٣٤.
- يعني: كان الله سبحانه وتعالى في الأزل في عماء؛ أي في صفة لا ندري كيفيتها، فنؤمن به وَنَكِلُ كيفيتها إلى علم الله تعالى، / [٢٢٨ظ] وهذا التفسير موافق للغة.
- قال عمران بن حصين ١١٣٥ كنت عند النبي عليه السلام، جاء أناس من أهل اليمن قال

---

١١٢٩ سنن الترمذي، تفسير القرآن ١٢؛ سنن ابن ماجه، الإيمان وفضائل الصحابة ١٣؛ مسند أحمد، ١٠٨/٢٦؛  
مصاييح السنة، ٢٩/٤.

١١٣٠ يزيد بن هارون بن زاذان بن ثابت السلمى الواسطي، من بخارى، لكن مولده ووفاته بواسط، ولد سنة ١١٨ هـ وتوفي سنة ٢٥٦ هـ. وهو يعتبر من حفاظ الحديث الثقات، روى الحديث عن عاصم الأحول ومحمد بن اسحاق وطبقتهما، وروى عنه الإمام أحمد بن حنبل وابن المديني وغيرهما، من مؤلفاته: «تفسير القرآن». انظر: الأعلام للزركلي، ١٩٠/٨؛ معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر، ٧٣٩/٢.

١١٣١ قال الترمذي بعد رواية الحديث «أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه؟ قَالَ عليه السلام: كان في عماء ما تحته هواء وما فوقه هواء، وخلق عرشه على الماء» قال يزيد بن هارون: العَمَاء: أي ليس معه شيء. انظر: سنن الترمذي، تفسير القرآن ١٢.

١١٣٢ قاله في كتابه المفاتيح في شرح المصاييح، قال: قال أبو عبيد: العَمَاءُ: السحاب في كلام العرب، لا يُدرى كيف كان ذلك العَمَاء. انظر: المفاتيح في شرح المصاييح، ٧٦/٦.

١١٣٣ أبي الهيثم: هو الصحابي مالك بن التيهان بن عمرو بن عبد الأعلم بن عامر بن زعوراء بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاري، حليف بني عبد الأشهل، شهد العقبة الأولى والثانية، وكان أحد الستة الذين لقوا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قبل ذلك بالعقبة، وهو أحد النقباء الاثني عشر، شهد بدرًا وأحدا والمشاهد كلها مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم). اختلف في سنة وفاته فقيل أنه مات في المدينة سنة عشرين في خلافة عمر (رضي الله عنه)، وثيل أنه قتل بصفين مع علي سنة سبع وثلاثين. انظر: جامع الأصول، ٨٣٥/١٢؛ الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ١٧٧٣/٤.

١١٣٤ نقل هذا القول مظهر الدين في كتابه المفاتيح، انظر: المفاتيح في شرح المصاييح، ٧٦/٦.

١١٣٥ هو عمران بن حصين بن عبيد، أبو نجيد الخزاعي، صاحب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أسلم هو ووالده وأبو هريرة سنة ٧ هـ عام خيبر، غزا غزوات عديدة، وكان صاحب راية خزاعة يوم الفتح، روى عن النبي صلى الله

النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «اقبلوا البشرى يا أهل اليمن، إذ لم يقبلها بنو تميم، قالوا: قبلنا جئناك لتتفقه في الدين، ولنسألك عن أول هذا الأمر ما كان؟ قال النبي عليه السلام: كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء، ثم خلق السماوات والأرض، وكتب في الذكر كل شيء»<sup>١١٣٦</sup>.

قيل قوله: «ولم يكن شيء» حال يجوز أن يكون خبراً على مذهب الكوفيين؛ لأنهم جوزوا دخول الواو في خبر كان وأخواتها نحو: «كان زيد وأبوه قائم»، تشبيها للخبر بالحال. قال المظهر: العرش والماء مخلوقان<sup>١١٣٧</sup>، فإن قيل السماوات والأرض والعرش والماء على الريح، والريح قائمة بقدرته القديمة.

فإن قلت: كيف قال النبي عليه السلام في سؤال أهل اليمن: «كان الله ولم يكن قبله شيء» ولم يبين هل معه شيء في الوجود أم لا، قال في سؤال أبي زريرين: «كان ربنا في عماء ما تحته هواء وما فوقه هواء»؟

قلنا: يمكن أن يقال المقصود من جواب النبي عليه السلام عند السؤالين؛ بيان أن الله تعالى منفرد بالوجود الأزلي، ولم يقارن بوجوده موجود آخر، لكن اختلاف العبارات لرعاية تطبيق الجواب بالسؤال؛ لأن أهل اليمن قالوا: «نسألك» [٢٢٩و] عن أول هذا الأمر، أي: أول وجود هذا العالم، فهم من سؤالهم أنهم توهموا أن قبل كل شيء موجود؛ موجود آخر لا إلى نهاية، فقال عليه السلام ردًا لتوهمهم: «كان الله ولم يكن قبله شيء»، من الموجودات، أي:

---

عليه وسلم أحاديث عدة حيث له في كتب الحديث ١٣٠ حديثاً. بعثه عمر (رضي الله عنه) إلى أهل البصرة ليفقههم، وكان ممن اعتزل حرب الصفيين ولم يحارب مع علي رضي الله عنه. توفي في البصرة سنة ٥٢ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، ٥١١/٢؛ الأعلام للزركلي، ٧٠/٥؛ العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر. الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، (بيروت - دار الكتب ١٤١٥هـ/١٩٩٥م)، ٥٨٥/٤.

١١٣٦ صحيح البخاري، الجمعة ١٢٤/٩؛ مسند أحمد، ١٠٧/٣٣؛ مصابيح السنة، ١٦/٤. ملاحظة: عبارة «جئناك لتتفقه في الدين ولنسألك» ليست موجودة في مسند أحمد.

١١٣٧ قاله في شرحه لكتاب مصابيح السنة، باب بدء الخلق وذكر الأنبياء عليهم السلام. حيث قال في جواب الرسول عليه السلام: «كان الله، ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء» أن الله سبحانه وتعالى كان في الأزل ولا شيء معه ولا قبله، وإن العرش والماء خلقا قبل السماوات والأرض، حيث أشار إليه النبي عليه السلام بقوله: «وكان عرشه على الماء». انظر: المفاتيح في شرح المصابيح، ٤٧/٦. بتصرف.

الموجودات منتهية إليه ولم يحتج وجوده إلى موجد؛ لأنَّ وجوده القديم من ذاته لا من علّة خارجة عنه. ولأنَّ أبا رزين قال: «أين كان ربنا؟ فهم من سؤاله أنّه يتوهم أنّ كلّ موجود لا بدّ أن يكون في مكان وجهة، فدفع توهمه بقوله: «ما تحته هواء وما فوقه هواء». المراد من الهواء شيء موجود أي ذاته منزّه عن الجهة والمكان؛ لأنّه خالق الجهات والأمكنة والأزمنة بعد عدمها، فحالة الخلق منزّه عنها، كما قال النّبّي عليه السّلام في موضع آخر: «كان الله ولم يكن معه شيء».

فهم من هذا الحديث بطلان زعم الفلاسفة، بأنَّ أصول العالم قديمة غير مسبوقة بالعدم، وهي العقول العشرة<sup>١١٣٨</sup>، والنّفوس التّسعة، وهىولى العناصر الأربعة مع صورتها الجسميّة، وواحدة من الصّور التّوعيّة الأربعة عند بعضهم<sup>١١٣٩</sup>، فإنّهم توهموا إلى هذه الأشياء غير مسبوقة بالعدم، ووجوداتها مقارنة بوجود البارى تعالى في الوجود/ [٢٢٩ظ] العيني. فإن قيل: أنّهم أثبتوا ذلك بالدليل العقليّ، فلا يعارضه خبر الواحد، فلا بدّ أن يخرج الحديث عن ظاهره بالقريّة العقلية.

قلنا: ليس دلائلهم في إثبات ذلك مستقيمة، بل ما أوردوه في إثبات ذلك من قبيل المغالطة، لا من قبيل البرهان، وإلا لما وقع الاختلاف بينهم أيضاً، لأنّ الدليل العقليّ التّام إذا قام، لا ينازع في مدلوله ونتيجته. ولا بدّ لنا من إظهار فساد عمدة دلائلهم وأقوى براهينهم على زعمهم في ذلك الباب، ومن إقامة دليل أقوى على إثبات مذهبنا المنصور، وبيان حدوث

---

١١٣٨ العقول العشرة: نظرية زعمها الفلاسفة القدماء حيث كانوا يفسروا بها خلق العالم وصدوره عن الأول، حيث كانوا يعتقدون أن هذا العالم ناتج عن أرواح عشر أو عقول عشرة، وأن المبدع الأول نتج عنه روح وعقل؛ وهذه الروح والعقل نتج عنها روح وعقل حتى أوصلوها إلى عشرة، والعقل العاشر جعلوه المشرف على هذه السلسلة ويسمونه العقل الفعال الذي نتج عنه هذا الكون الذي نراه. والعقول الباقية يقولون هي النفوس التّسعة ويزعمون أنّها الأجرام السماوية مقل الشمس وعطار والمريخ وغيرها. وكانوا يعتقدون بأنّها أنوار وأرواح وأنّها تعقل ولها إرادة. انظر: السلمي، عبد الرحيم بن صمايل العلياني. أصول العقيدة، ٦/٨؛ الجليند، محمد السيد. الوحي والإنسان - قراءة معرفية، القاهرة - دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ص: ٥٧. بتصرف.

١١٣٩ زعم الفلاسفة أنّ الهوى - والتي تعني المادة المجردة عن الصورة - على أربع وهي: الهوى الأولى: هي أنّها جوهر غير جسم لها قابلية للاتصال والانفصال. الهوى الثانية: هي جسم لها صورة كالأجسام بالنسبة إلى صورها النوعية. الهوى الثالثة: وهي الأجسام مع الصورة النوعية التي صارت محلاً لصورة أخرى، مثل: الخشب لصورة سرير. الهوى الرابعة: هي أن يكون الجسم مع صورتين مثل أعضاء البدن. والتعريف الأول هو المطلق عند الفلاسفة. انظر: العمرو، آمال بنت عبد العزيز، الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية، ص: ٣٨٠.

العالم أصوله وفروعه كما صرّح به النصوص الشرعية.

### [بعض أفكار الفلاسفة التي اختلفوا فيها مع الشرع]

فاعلم أولاً: أنّ الفلاسفة خاضوا في البحث عن حقائق الأشياء السماوية والأرضية، وقسموها إلى الأعراض والجواهر؛ وأوردوا في إثبات حقائقهما أبحاثاً كثيرة، طويلة مخالفة، مشوشة قلوب المتعلمين.

وبحثوا أيضاً عن ذات الله تعالى وصفاته، وعن أحوال القبر، والحشر والنشر، والآلام واللذات في دار الآخرة على مقتضى عقولهم الفاسدة وأصولهم الكاسدة، وأخرجوا كثيراً من النصوص الشرعية عن ظواهرها بدون القرينة القوية، والضرورة الداعية، / [٢٣٠ و] بل لمجرد مخالفتها لما يتوهمون أنه برهان عقليّ مستقيم، وتجرّبوا<sup>١١٤٠</sup> وتجاوزوا فيه عن طور العقل إذ ما قصر عقولهم عن تحقيقه، وتوهموا أنّ ذلك ممتنع بالنسبة إلى علمهم وقدرتهم، أولوه على مقتضى وهمهم، أو أنكروا له. ولم ينتبهوا على أنّ أكثر الأمور البرزخية، والأحوال المعادية خارجة عن نسق العادة ولا يدركه<sup>١١٤١</sup> كنه حقيقتها وكيفيتها إلا بنور النبوة، مع أنّهم يعلمون أنّ أقرب الأشياء إلى أنفسهم وذواتهم؛ نفوسهم وحواسهم، ولا يعلمون كنه حقائقها، إذ يختلفون في حقيقة النفس اختلافاً كثيراً.

### [أقوال الفلاسفة في النفس]

• إذ جمهور الفلاسفة وبعض أهل الديانة قالوا: أنّ نفس الإنسان أمر مجرد متعلق بالبدن تعلق التدبير فيه.

• وقال البعض: أنّها جزء لا يتجزأ في القلب. وقيل: هي أجزاء لطيفة سارية في البدن.

• وقيل: هي قوّة في الدماغ، وقيل في القلب.

• وقيل: في القلب والكبد والدماغ، وقيل: هي جميع البدن.

• وقيل: الأخلاط الأربعة المعتدلة، وقيل: اعتدال المزاج، وقيل: الدّم المعتدل، وقيل: الهواء.

وأيضاً اختلفوا في كيفية رؤية البصر وسماع الأذن. واختلفوا أيضاً في قدّم النفس وحدوثها/

---

١١٤٠ تجرّبوا: المصدر: جريزة، معرب: جريز، وجرّبز تعني: ذهب، أو انقبض أو سقط. والجرّبز: يعني الحُب

الخيث: أي الخداع. انظر: القاموس المحيط، ص: ٥٠٥؛ لسان العرب، ١/٣٤١. وقصد الإزنيقي هنا بـ تجرّبوا

وتجاوزوا: أي أنّهم خادعوا وتجاوزوا، أو أراد سقطوا وتجاوزوا، والله أعلم.

١١٤١ ص، يدرك.

[٢٣٠ظ] إذ قال أرسطو ومن تابعه: النَّفس حادثة، وقال بعضهم: قديمة.

المقصود من نقل بعض اختلافاتهم؛ بيان أنَّهم غير قادرين على إثبات أصول موهماهم على أصلهم أيضًا، وأغاليطهم وتمويهاتهم في غير صفات الله تعالى وأمر الآخرة كثيرة، لكنَّها لا يهتَمنا بيان فسادها، لكن لما كان سماع كلماتهم وتمويهاتهم في صفات الله وأمر الآخرة، انتشر ولُوِّثَ صِماغَ المبتدئين، وشُوِّشَ قلوب بعض المتعلِّمين، شرع الفقير في إثبات أغاليطهم فيهما.

واعلم أنَّ جميع ما غلَّطوا فيهما يرجع إلى عشرين مسألة يجب تكفيرهم عند الفقهاء في ثلاث، وتبديعهم في غيرها.

الأولى من الثلاثة: أنَّهم قالوا أصول العالم قديمة وهي: العقول العشرة، والنَّفوس التسعة الفلكية، والأفلاك التسعة، وهيولى العناصر وصورتها، وإذا ثبت قدمها، امتنع عدمها، فيلزم أن لا تنقطع النَّفوس الإنسانيَّة والحركات الفلكية، وحدوث الحيوانات والنباتات والمعدنيَّات بسببها.

والثَّانية منها: أنَّهم يقولون لا يتصوَّر الحشر الجسمانيَّ الإنسانيَّ، واللِّدات والآلام الجسمانيَّة. والثَّالثة منها: أنَّهم يقولون الله تعالى غير عالم بالجزئيَّات؛ / [٢٣١و] لأنَّها لا يكون إلَّا بالحواسِّ القائمة بالأعضاء، ويلزم منه أيضًا تغيُّر علمها لتغيُّر الجزئيَّات.

### [قول الفلاسفة في ذات الله تعالى]

وإذا عرفت ذلك، فاعلم أنَّهم يقولون الله تعالى مُوجِدٌ بالذَّات لا بالإرادة، ولا ينفك وجوده عن الإيجاد، وأيضًا هو واحد من كلِّ الوجوه، فيلزم منه أن لا يصدر منه إلَّا واحد بسيط مجرَّد.

ويقولون في كفيَّة وجود باقي الممكنات؛ أنَّ لكلِّ فلك من الأفلاك التسعة عقل ونفس، فَجُرْمُ الفلك الأوَّل المسمَّى في لسان الشريعة: العرش، وعقله ونفسه صدرت من العقل الأوَّل، وَجُرْمُ الفلك الثَّاني المسمَّى: بالكُرسي في الشَّرع، وعقله ونفسه صدرت من عقل الفلك الأوَّل، ثمَّ وثمَّ إلى أن ينتهي إلى العقل العاشر، الذي هو عقل الفلك الثَّاسع، الذي هو فلك القمر.

وزعموا أيضًا أنَّ صور العناصر الأربعة<sup>١١٤٢</sup>، وصور الحيوانات والنباتات والمعادن، وصور أفرادها، وأعراض كلّها صدرت من العقل العاشر، وسبب اختلاف صورها وآثارها وماهيّتها، بسبب اختلاف استعدادها الحاصلة بسبب اختلاف الحركات الفلكيّة.

فإن قلت: العقل العاشر بسيط، كيف يصدر منه العناصر الأربعة وأفراد الحيوانات المختلفة والنباتات والمعادن/ [٢٣١ظ] المتنوعة؟

قالوا: بسبب اختلاف الاستعدادات القائمة بموادها المقتضية لتلك التكتّرات والتعدادات المختلفة.

فإن قلت: ما موجب كون أصول العالم قديمة، وكون الباقي حادثة مسبقة بالعدم؟ قالوا: إنّ فاعليّة الباري قديمة، وإنّ<sup>١١٤٣</sup> إيجاده واجب بالذات، فيلزم منه قدم العقل الأوّل؛ لأنّه مجرد، وعلته التامة في ذات الباري، فلا يجوز تخلف وجوده عنه، وأيضًا إنّ الباري جواد مطلق، والإيجاد من آثار وجوده ولوازمه، ولا يجوز ترك إيجاده وجوده. فإن قلت: ما موجب انحصار إيجاده على العقل الأوّل؟ قالوا: وحدته من كلّ الوجوه، وانهدامها بتعدّد المصدريّة.

فإن قلت: موجب كون عقول الأفلاك ونفوسها وأجرامها قديمة. قالوا: كون العقل الأوّل علّة تامّة لوجود عقل الفلك الأوّل ونفسه وجُرمه، وكذا عقل الفلك الأوّل لعقل الفلك الثّاني وجُرمه<sup>١١٤٤</sup>.

فإن قلت: العقل الأوّل وعقول الأفلاك بسيطة<sup>١١٤٥</sup>، فكيف يصدر منها أشياء ثلاثة، وأنت تزعم أنّ تعدّد المصدريّة توجب التّركيب في العلة؟

قالوا: في العقول وجود ووجوب بالغير، وأيضًا إمكان، فيصدر بكلّ واحد من تلك

---

١١٤٢ العناصر الأربعة: هي الماء والهواء والتراب والنار. انظر: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي

القرطبي الظاهري، التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهيّة، تحقيق: إحسان عباس،

ط: ١، (بيروت - دار مكتبة الحياة ١٩٠٠م)، ص: ٢٨.

١١٤٣ ص - أن.

١١٤٤ ص + ثم إلى أن ينتهي إلى عقل الفلك التاسع ونفسه وجرمه.

١١٤٥ ف بسيط.

الاعتبارات الثلاثة واحد من الثلاثة<sup>١١٤٦</sup> / [٢٣٢و].

فإن قلت: فعلى هذا يجب أن يصدر من العقل العاشر أشياء ثلاثة فقط، مع أنكم تزعمون أن صور العناصر الأربعة، وصور أفراد الحيوانات والنباتات والمعادن صدرت من العقل العاشر.

قالوا: يصدر تلك الصور الغير متناهية منه، بسبب اختلاف الاستعدادات الحاصلة بمولد تلك الصور، بسبب اختلاف الأوضاع الفلكية وحركاتها. فإن قلت: لم لم يكن الصور والأفراد قديمة، كما كانت العقول العشرة والنفوس الفلكية، وذواتها قديمة؟

قالوا: لأن صدورها موقوف على حدوث الأوضاع والحركات الفلكية، فالموقوف على الحادث يجب أن يكون حادثاً، فلو لم تبصروا تغيير صور الحيوانات والنباتات، وانعدامها، وخلع العناصر صورها؛ لجزموا بقدمها، ولأوردوا دلائل موهومة لإثبات قدمها. وإذا عرفت هذا القدر من تفاصيل مزعوماتهم وتمويهاتهم في المسألة الأولى، فاعلم قدرًا في إبطال تمويهاتهم، وإثبات مذهب أهل الدين والسنة، حتى نرجع إلى بيان مزعوماتهم في المسألتين الباقيتين، وإظهار فسادها أيضًا / [٢٣٢ظ] وإثبات ما هو الحق فيهما.

فتقول: ما معنى وجوب الإيجاد بالذات؟ فإن أرادوا به الوجوب الشرعي، فهو ظاهر البطلان؛ إذ الشارع هو الله تعالى، فلا يوجب شيئاً على ذاته، بحيث يأثم بتركه. وإن أرادوا به أنه مضطر في إيجاده؛ كالمؤثر بالطبع كإحراق النار، وإبراد الماء وذلك باطل أيضًا؛ لأن له علمًا وقدرة، فهو غير مضطر في إيجاده وتركه، فكيف وهو عجز ونقصان لا كمال وجود؟ وإن أرادوا أنه متضرر بترك الإيجاد، فيكون واجبًا، وهذا أظهر في البطلان؛ لأن الله تعالى مبرء عن الضرر، كما أنه غني عن النفع.

وإن أرادوا به أن ترك الإيجاد ممتنع بقول أنه ليس بمتنع بالذات، وهو ظاهر، فيكون ممتنعًا بالغير، وذلك الغير يجب أن يكون اقتضاء الذات، فاقتضاءه وجوب الإيجاد غير ظاهر؛ لأن الظاهر أن يكون مستقلًا بالوجود الأزلي<sup>١١٤٧</sup>، ويكون غيره مسبوقًا بالعدم، وحادثًا بقدرته

١١٤٦ ف هذه النسخة جملة «واحد من الثلاثة» مكررة.

١١٤٧ ف الأولي.

وإرادته. وما قالوا أنّ الإيجاد أثر الجود، وتركه يخل، وأنّ ذاته تعالى علّة تامّة لإيجاد العقل الأوّل، غير بديهيّ، وغير مسلّمة عندنا؛ لأنّنا نقول: لم لا يجوز أن يكون الكمال / [٢٣٣و] في أن يكون ذاته مستبدًا بالقدم والوجود الأزليّ، ويكون غيره من المخلوقات مسبوقًا بالعدم وصادرًا عن ذاته بلا سبق مادّة، ومدّة، وواسطة، ونقول أيضًا: لا دليل في الشّرع والعقل لوجود العقل الأوّل وسائر المجردات، بل الظاهر أنّ التنزّه عن الجهات، والأمكنة، وصفات المادّيات؛ مخصوصًا بالله تعالى، ولو سلّم وجوده.

نقول: العقل الأوّل ممكن، فنسبته إلى الوجود والعدم مساوية، فلا بدّ من مرجّح لوجوده؛ وهو الإرادة، وهي صفة تخصّص أحد المقدورين بالوقوع في أيّ وقت شاء، وإن قالوا الإرادة لو وجدت، تكون قديمة، فيلزم منه قدم العقل الأوّل أيضًا.

قلنا: يجوز أن يكون تعلّقها حادثًا؛ لما عرفت أنّ الله تعالى أراد في الأزل أن يوجد الموجودات المترتّبة في أوقاتها، ويرجّح وجوداتها على إعدامها فيها، لما عرفت أنّ معنى الإرادة: التّرجيح في أيّ وقت شاء المرید، كما تريد أنت الآن أن تفعل أفعالًا متعدّدة مترتّبة في الزّمان المستقبل، وذلك أمر وجدانيّ لا يجوز إنكاره.

فإن قالوا: الإرادة وباقي الصّفات / [٢٣٣ظ] لو كانت موجودة، يكون موجدها هو الله تعالى، فيلزم منه أن يكون حادثه؛ لأنّه فاعل بالاختيار يُوجد كلّ شيء بالقصد والإرادة. وكلّ موجود مسبوق بالقصد، يكون حادثًا مسبوقًا بالعدم حالة القصد إلى إيجاده، مع أنّ الصّفات قديمة عند أهل السنّة.

قلنا: لما ذهبنا إلى أنّ صفات الله تعالى قديمة، نقول: الله تعالى موجب بالذات بالنسبة إلى صفاته، أو نقول: الخلق والإيجاد بالنسبة إلى الأعيان والأعراض، لا إلى صفاته.

أو نقول: يجوز أن يكون تعلّق الإرادة بالنسبة إلى صفاته قديمًا، فكيف وقد قال الخصم: يلزم من قدم الإرادة قدم تعلّقها، والإرادة مخصّصة بالعقل من بين الموجودات بالإرادة، وإلا يلزم التسلسل، وأمثاله كثيرة، كما في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢]، فإنّ الله تعالى خارج من الشّيء، حتى لا يلزم كونه خالقًا ومخلوقًا.

وقوله تعالى: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: ٣] فإنّ ليلة القدر خارجة من ألف شهر، حتى لا يلزم كونه فاضلاً ومفضولاً. وكما في قولك لرجل: أدخل الدار واقتل من فيها، والدّاخل خارج عمّن في الدار.

في قولك كلُّ صفة وجودية / [٢٣٤ و] ثابتة لموصوف يجب أن يكون موصوفها موجودًا قبل ثبوتها له، والوجود مخصَّص منه، ا حتى لا يلزم منه تعدُّ الوجود لموصوف، أو التسلسل، أو تحصيل الحاصل.

وقد عرفت أنَّ العقل حجَّة كاملة من حجج الله تعالى، فإهدار تخصيصه، إهدار العقل، فلا يليق ذلك بعاقل.

والمشهور في جواب هذا السؤال عند المتكلمين قولهم: أنَّ كونه تعالى فاعلاً بالاختيار بالنسبة إلى غيره، وصفاته ليست عينه ولا غيره، وهذا ليس بحلٍّ وتحقيق، إذ لقائل أن يقول: لما كانت صفاته ممكنة وموجودة، فلا بدَّ لها من موجد موجب أو مختار، وإذا قلنا: أنَّه فاعل بالاختيار، يلزم منه حدوث الصفات، فلا بدَّ من أن يُذهبُ إلى ما قلنا.

وقولهم: فاعلية الباري قديمة، يلزم منه قدم العقل الأوَّل، وما يترتب عليه من المجردات والأفلاك؛ ترتب المعلولات على العلة ظاهر الدفع أيضًا، لأنَّنا نقول: لو أرادوا به فاعليته بالفعل وبدون الإرادة، فهو مصادرة وغير بديهية ومسلمة عندنا، لما عرفت أنَّه فاعل بالاختيار، فلا يلزم من قدم الفاعلية قدم الفعل. ولو أرادوا به مبدئيته / [٢٣٤ ظ] للممكنات، فنحن نقول به، ولا يلزم منه قدم المفعول أيضًا، مع أنَّك قد عرفت أنَّ الظاهر أنَّه فاعل بالاختيار، لا موجب بالذات.

فإن قيل: الإرادة أمر اعتباري، فلا يكون جزء العلة. قلنا: التصوص الشرعية يدلُّ على أنَّها أمر موجود؛ لأنَّ المفهوم من حمل الإرادة على ذات الله تعالى، يدلُّ على أنَّ وجود الإرادة غير وجود ذاته تعالى.

فإن قيل: حمل المشتقات لا يدلُّ على وجود المبدأ. قلنا: مرادنا نفي مذهب الفلاسفة بظواهر التصوص الشرعية، ومطالبهم بدليل عقليٍّ مستقيم، فخرَّج التصوص الشرعية عن ظواهرها الدالَّة على أنَّ الصفة غير موصوفها.

فإن قيل: لو كانت الإرادة موجودة، لزم تعدُّ القديم وتركب ذات الباري تعالى. قلنا: تعدُّ القديم في الذات ممنوعة دون الصفات، مع أنَّ الخصم قائل بجواز تعدُّ القدماء في الدوات. وقولهم: هو واحد من كلِّ الوجوه، وتعدُّ المصدر بحدم الوحدة ليس بدليل مستقيم أيضًا؛ لأنَّ المصدرية أمر اعتباري، وهو نسبة وجود المخلوقات إلى ذات الباري تعالى، مع أنَّ المصدرية لو استلزم التركيب، لزم من صدور العقل الأوَّل أيضًا.

مع أنهم يقولون: / [٢٣٥و] يجوز أن يصدر عن البسيط الواحد، كالعقل العاشر أشياء متعدّدة مختلفة، بشرط اختلاف استعداد<sup>١١٤٨</sup> المحالّ، فعلى هذا يجوز أن يصدر جميع المادّيّات عن ذات البارئ بسبب تلك الاستعدادات. وأيضًا قالوا: الفلك الأوّل وعقله ونفسه صادرة من العقل الأوّل، باعتبار وجوده ووجوبه وإمكانه. وأنت تعرف أنّ مرادهم من الوجوب والإمكان هنا أمر اعتباري؛ فيجوز أن تكون العلويّات والسفليّات صادرة عن ذات البارئ، باعتبار الأمور العقلية<sup>١١٤٩</sup> الاعتبارية الثابتة له، وهو كونه مبدأ لجميع الموجودات، وكون وجوده من ذاته، ووجوب ذاته وعالميته وقادريته، وسائر صفاته الثبوتية والفعلية والسلبية، فإنّ الفلاسفة يقولون بتلك الأمور، لكنهم يقولون: هي اعتبارية، وهي تجوز أن تكون سببًا لتعدّد الإصدار والإيجاد، كما في العقول عندهم على زعمهم.

ولنا أن نقول أيضًا في إثبات كونه فاعلاً مختارًا: لا يوجد بالإيجاب الدّاتي، ما وجه انحصار العقول على العشرة، والنّفوس والأفلاك على التّسع، مع أنّ الزيادة والنّقصان عن ذلك العدد الخاصّ ممكن عقلاً؟ وما / [٢٣٥ظ] مقتضى أن يكون كلّ فلك على ذلك المقدار المعيّن من الغلظ والكبر، حتى قالوا تدوير المريخ مثل فلك الشّمس؟ وما مرجّح كون حركة كلّ فلك على مقدار مخصوص من السّرعة والبطء، ووجه خاصّة؛ فإنّ بعضها يتحرّك إلى جهة الشّرق، وبعضها إلى جهة الغرب؟ وما موجب كون الكواكب على ذلك العدد المخصوص، والمقدار والحركة واللّون والوضع الخاصّ، وكون الشّمس والقمر واحدًا، أو الباقي من السيّارات والثّابتات متعدّدة مع أنّ خلاف كلّ ذلك ممكن؟ وأيضًا ما وجه انحصار العناصر على الأربعة؟ وما وجه اقتصار المتولّدات من العناصر على ما زعموا على الثّلاثة، وكون كلّ واحد من تلك الأربعة والثّلاثة على تلك الصّور، والخاصيّة والتّأثير، مع جواز أن تكون العناصر والمواليد زائدة على ذلك العدد، أو ناقصة عنه، وجواز كون كلّ واحد منها على خلاف تلك الصّور والخاصيّة والتّأثير؟ وما وجه اختصاص كلّ فرد من الحيوانات، والنبّاتات، والمعدنيّات على صورة، ولون، ووضع، وطبيعة مخصوصة، وشكل، ومقدار، وأثر مخصوص، مع أنّ خلاف كلّ واحد منها ممكن؟ فلا بدّ / [٢٣٦و] لخصوصيّة كلّ من تلك

١١٤٨ ص استعدادات.

١١٤٩ ص -العقلية.

الاختلافات مرجّح ومخصّص، وهو إرادة الفاعل المختار.

فإن قيل: لا يجوز أن يسند من<sup>١١٥٠</sup> تلك الموجودات المنكرة إلى ذات الله تعالى إلاّ العقل الأوّل، فلا يتأتّى فيه ما ذكرت.

قلنا: قد أبطلنا ذلك، وأثبتنا جواز استناد الكلّ إلى ذات البارئ، بالاعتبار الذي ذكروا في جواز استناد المتعدّد إلى البسيط الواحد.

ولو سلّمنا، فلنا أن نقول: ما سبب انحصار سلسلة العقول المترتّبة على العشرة، وانحصار النفوس والأجرام على التسعة، وذلك ليس باقتضاء العقول المتعيّنة للعليّة على زعمهم، وأيضاً فعل العقل العاشر في الصّور والأعراض على زعمهم، لا في الاستعداد والمادّة؟ فما وجه انحصار استعدادها على الأربعة في العناصر، والثلاثة في المولّدات منها؟ فلا بدّ في ذلك من مخصّص ومرجّح. وما ذلك إلاّ إرادة الفاعل المختار والحكيم الجبّار. فإن قالوا الإرادة أمر اعتباري عندنا، فلا يجوز أن يكون جزء للعلة الفاعليّة.

قلنا: يجوز؛ لأنهم قالوا صدر من العقل الأوّل أمور ثلاثة؛

واحد: باعتبار الذات، وثانيها وثالثها باعتبار الوجوب بالغير والإمكان/ [٢٣٦ظ] اللّذين هما أمران اعتباريان، ولو سلّم.

قلنا: الإرادة شرط الإيجاد، فتجوز أن يكون اعتباريّة. وقد عرفت أيضاً أن إيجاد الله تعالى ليس بتحريك عضو واستعمال آلة، بل بمجرد قصد وإرادة، فيجوز أن يصدر عنه جميع ما في العالم في لحظة واحدة وإرادة منفردة، فلا يلزم منه التركب والتعدّد.

واعلم أنّ كفيّة تعلق قدرة الله تعالى بالمقدورات، سرّ من أسرار الله تعالى لا، يطّلع على كنه تلك الكفيّة واحد من الأولياء والأنبياء عند الأكثرين، ولذا قال إبراهيم عليه السّلام: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

فلا بأس لنا في أن نورد مثلاً محسوساً، حتى ينتقش في ذهنك مثال سرّ ذلك المعقول. فنقول: أوضاع الأجرام الكثيفة، وألوانها، وصورها غير ظاهرة في الظلمة، ولا يعلم وجودها، حتى ذهب بعض أهل الاستدلال إلى أنّ لا وجود للون في الظلمة، وإذا وصل ضوء الشّمس إلى تلك الأجرام الملوّنة، يظهر منه وضع كل فرد منها ولونه وصورته، بسبب وصول الضّوء

من غير لصوق شيء من جُزْمِ الشَّمْسِ إليه. وإذا غربت الشَّمْسُ تضحلُّ تلك التمييزات والتَّعدّات، ولو لم تغب الشَّمْسُ، لا يعلم أنّ تلك الظّهورات والاختلافات/ [٢٣٧و] من ضوئها، ويدخل أيضًا بعض من ضوئها في كلّ كُوَّةٍ ودريجة من كوى البيوت ودرجها، ولا يلزم منه التَّعدّد في ذات الشَّمْسِ. وقس عدم الممكنات على عدم ظهور الأجرام الكثيرة المختلفة في الظلّمة، وإيجاد الباريّ تعالى وتأثير قدرته فيها على طلوع الشَّمْسِ، وظهور الأجسام المختلفة، وثمراتها من غير صدور شيء محسوس من ذات الله تعالى، ولصوقه إلى تلك الموجودات، وبدون لزوم تعدّد في ذاته تعالى، لكن غيبوبة ذات الله تعالى عن الموجودات محال، فخفي لبعض أهل الاستدلال كون جميع الموجودات من آثار قدرته؛ لدوام ظهوره.

ولذا قيل تتبيّن الأشياء بأضدادها، ولا مجال للعقل فيما وراء ذلك من كشف تأثير قدرة الله تعالى في إيجاد الممكنات بطريق الاستدلال، فمن لم يعرف كيفية تأثير قدرة الله تعالى على سبيل التفصيل والتّحقيق، وحكم بأنّ إضافة جميع الموجودات إلى الله تعالى بدون الوسائط لا يجوز لاستلزامها، هدم وحدانيّته مجازفة وجريرة.

كما قالوا: لا بدّ في إيجاد صورة جسميّة من محلّ قديم؛ وهو الهيولى، ولم ينتبهوا على أنّ امتناع/ [٢٣٧ظ] إيجاد صورة الجسم بدون المحلّ بالنسبة إلى قدرتهم ووهمهم؛ لأنّهم لم يبصروا تصوير مقدارٍ ووضعٍ وشكلٍ بدون محلّ ومادّة. وعلى أنّ قياس قدرة الله تعالى وعلمه على قدرتهم وعلمهم لا يجوز، مع أنّهم مقرّون بذلك.

وقالوا في مواضع كثيرة: قياس الغائب على الشّاهد لا يجوز، ولدقّة هذا المبحث قال أفلاطون أستاذ أرسطاطليس<sup>١١٥١</sup>: الجسم عبارة عن صورة اتصالية، ولم يقل بوجود الهيولى، وتبعه كثير من قدماء الفلاسفة.

وقال جالينوس: لم يظهر لنا دليل مستقيم مقتص قدم العالم، أو حدوثه فنوّق فيه. وقال المتكلّمون: الجسم مركّب من الجواهر الفردة الصّغار، بحيث لا يقبل كلّ واحد منها التّجزئة، لا فعلاً ولا وهماً. وقال بعضهم: يقبل التّجزئة وهماً لا فعلاً، وصورة الجسم أمر اعتباريّ، لا جوهرٌ موجود.

---

١١٥١ الفيلسوف أرسطو.

وتردد بعض أرباب الكشف في تعيين منشأ التعدّات، والتكثرات الرّوحانيّة والجسمانيّة، أهو موجودة بوجود عينيّ في نشأة علميّة، أو هو شيء ليس بموجود، ولا معدوم، ولا حادث، ولا قديم؟

وإذا تأملت حقّ التأمّل، فهمت أنّ الله تعالى قادر على أن/ [٢٣٨و] يوجد ما في العالم العلويّ والسفليّ، بل أضعافه، وآلافه إلى ما لا نهاية له بإرادة واحدة، من غير سبق مادّة ومدّة، ولا يلزم منه التعدّد في ذاته، وأنّ حدوث الأشياء على سبيل الترتب، والتعلّق بأسباب عاديّة حادثه؛ لحكم كثيرة ونكت غزيرة، يعرفها أهل الخبرة والاعتبار وأرباب البصيرة والابتكار.

وتخلّصت عن التحير والتردد في تعيين منشأة التعدّات، وتبيين حكم الترتبات، وتوجّهت بقلب صاف سليم إلى التلذذ بخلوص العبادات، وصفاء المناجاة. وإنّما أطببت بعض تفاصيل الكلام في بيان تحقيق هذا المقام؛ لأنّ المسألة الأولى من معازم موهبتهم، وجلائل مزعوماتهم؛ لما عرفت أنّ أصول العالم، كالعقول، والنفوس الفلكيّة، وذوات الأفلاك، إذا ثبت قدمها، امتنع عندهم عدمها؛ لأنّ علّتها الأولى التّامة وجود البارئ تعالى عندهم بدون انضمام أمر آخر؛ كالإرادة، فيلزم من انعدامها، انعدامه، وهو محال<sup>١١٥٢</sup> وممتنع.

وإذا عرفت فساد دلائلهم الدّالة على ذلك، وأنّ كون البارئ تعالى فاعلاً مختاراً لا موجداً بالإيجاب/ [٢٣٨ظ] الذاتي، وأنّ تعدّد المصدريّة لا توجب الترتب، وأنّ قدم الفاعليّة لا تستلزم قدم تعلّق الإيجاد، وقدم المفعول، وأولويّة كون العالم مع أصولها مسبوقاً بالعدم، علمت يقيناً أنّ ما ورد من التّصوص الشرعيّة الدّالة على حدوث العالم وفنائها، وعلى الحشر الجسمانيّ، واللّدات والآلام الجسمانيّة، يجب أن تجري على ظواهرها، ولا تلتفت إلى التّمويهات الفلسفيّة المذكورة الدّالة على الإخراج عن ظواهرها، وردّ كلّها إلى اللّدات والآلام الرّوحانيّة.

وإذا عرفت هذا القدر من بطلان دلائلهم في المسألة الأولى من الثلاثة التي أكفّر فيها الفلاسفة، فاعرف قدرًا من بطلان دلائلهم في المسألة الثانية من تلك الثلاثة. فاعلم أوّلاً: أنّ بعض أهل الأهواء؛ كالكراميّة، والمعتزلة، وبعض الفلاسفة، لما أحمّد وأطمس

نور عقلهم، وبصيرة قلبهم غَلَبَة وهمه، وظَلْمَة زعمهم، تهافتوا في ورطة ومهلكة، فأنكروا حشر الأجساد بتوهم فاسد وزعم كاسد؛ لأنهم قالوا أنّ تعيين كلِّ إنسان وتمييزه من الآخر، يصير بسبب المشخّصات والعوارض من الصّور الجسميّة والتّوعيّة، / [٢٣٩و] والزّمان والوضع والهيئة.

وإذا انعدمت صورته الجسميّة، وزالت وفنيت عوارضه المشخّصة وزمانه، يصير شخصاً آخر، لا سيّما إذا أكله سبع، أو هوام، واستحال لحمه إلى لحمه، أو أُحرقَ وفُرّقَ أجزاءه إلى أطراف العالم، فلا يليق بعدل البارئ تعالى وحكمته أن يعذب شخصاً بجناية شخص آخر، ويؤيب شخصاً آخر في مقابلة عبادة غيره.

قلنا أن نقول في بيان فساد ذلك التوهم أيضاً: لا نم أنّ الصّورة الجسميّة وسائر العوارض من الزّمان، والهيئة، والوضع من الأمور الموجودة؛ لأنّ كلّ جسم عندنا مؤلّف من الجواهر الصّغار، فالصّورة والمقدار، والوضع والهيئة الحاصلة بسبب الاجتماع أمور اعتباريّة. لا تتغير حقيقة ذلك الشّخص بتفرّق أجزائه، وتفكّك<sup>١١٥٣</sup> وضعه وهيئته، كما إذا فرّقت عشرة دراهم إلى أمكنة مختلفة، ثمّ جمعتها في موضعها الأوّل، تكون تلك العشرة بعينها، ولا تتغيّر بذلك حقيقتها، وإن اختلفت هيئتها ووضعها الأوّل. ولو تبدّل الجسم، وتغيّر بتغيّر الزّمان والوضع والمقدار، لزم أن لا يعاقب الجاني في حالة صباه، أو مرضه بعد كونه شاباً / [٢٣٩ظ] وصحيحاً، وأن لا يصحّ إلزام ناظر بعد مرور أيّام لتغيّر أزمانه وأوضاعه. والتّالي باطل، إذ يجوز عقاب الجاني والمنازعة في حالة الصّبا والمرض بعد كونه شاباً وصحيحاً بالاتفاق، ولو مرّت بينهما أعوام كثيرة.

ولا بدّ في هذا المقام أيضاً زيادة تفصيل، فنقول: إنّ الله تعالى عالم بجميع الأجزاء الأصليّة المتفرّقة في أقطار العالم من كلّ شخص، أو المختلطة بأجزاء بدن شخص آخر من السّباع والهوام، وقادر على تمييز جميع أجزاء ذلك الشّخص بعينه من بين الأجزاء المبتوثة في أقطار العالم، ومن بين أجزاء السّباع والهوام التي أكلت ذلك الشّخص بعينه، وجعلها على هيئتها الأولى بعينه، فيكون كلّ عضو ولحم وعصب على هيئتها الأولى بعينها، فلا يلزم إثابة شخص وعقابه مقام شخص آخر. ولا يلزم من عدم معرفة العبد القاصرة تمييز تلك الأجزاء

١١٥٣ ص، وتوكل.

من بين الأجزاء الكثيرة المخلوطة، وعدم قدرته على جمعها بعينها، وردها على هيئتها الأولى ووضعتها؛ عدم معرفة الله تعالى إياها، وعدم قدرتها على جمعها وجعلها على هيئتها الأولى بعينها، لما عرفت أن قياس الغائب على الشاهد/ [٢٤٠و] لا يجوز بالاتفاق.

ولو سُئِلَ أنَّ الجسم مركَّب من الهيولى والصورة، نقول: لا يزول بتفتت بدن الإنسان وتفرقه انعدام الصورة الأصلية، كما إذا فرقت كفاً من تراب إلى أقطار العالم، أو جزأت ماء في جرة إلى أجزاء صغار كثيرة، ثمَّ جمعتها وجعلتها في ذلك الكفّ وتلك الجرة، لا يكون ذلك التراب والماء غير ذلك التراب الأوّل في الماء الأوّل.

فإنَّ جماهير الفلاسفة يقولون: إذا اختلط العناصر الأربعة وصارت فرداً من أنواع المواليد الثلاث كالفرس المشخّص مثلاً، لا يفسد فيه الصورة النوعية للماء، والهواء، والنار والتراب، وإذا انفصل كلُّ واحد منها، ينفصل بصورته النوعية، فحينئذٍ يجوز أن تنفصل كلُّ واحد من العناصر الأربعة من بدن الإنسان بعد الموت، ويُفَرَّق البدن ويختلط بجنسه، ثمَّ ينفصل كلُّ واحد من أجزاء العناصر عن جنسه بعينه، ويجتمع في بدن ذلك الإنسان بعينه دون تغيير وزيادة ونقصان، وذلك يسير على الله وإن كان عسيراً عليك.

ويقابل أن نقول أيضاً: إنَّ المعاقب والمثاب، والمتلذذ والمتألّم النفس الناطقة في الحقيقة، كما أنَّ المدرك والمخاطب، والمكلّف/ [٢٤٠ظ] هي في الحقيقة، وللأعضاء وقواها آلتها، والبدن والمقدار بمنزلة لباسها؛ فلا يلتفت إلى تغيير الأعضاء والقوى والبدن عند الحشر والمجازاة. كما إذا قتل شخص إنساناً بالة ولباس، ثمَّ غيّر آله ولباسه، فهل يجوز لعاقل أن يقول هو غير ذلك القاتل، فلا يجوز عقابه.

وإذا عرفت هذا القدر من التفصيل والتّحقيق في المسألتين، قلنا أن نقول في المسألة الثالثة أنَّ قولهم: الله عالم بالكلّيات لا بالجزئيات؛ لأنَّ علمه بالجزئيات يؤدّي إلى تجويز وجود الحواسِّ، وتغيّر علمه مبنيّ على توهُّم فاسد وزعم كاسد أيضاً؛ لأنَّ اقتضاء العلم بالجزئي حاسّة ليس بدليل عقليّ تام، بل بأمر وهميّ، إذ لم يروا إدراك الصورة واللّون والهيئة بدون الحاسّة، فزعموا أنّه ممتنع بدونها وليس كذلك، إذ يجوز أن يحيط علم الله تعالى بجميع الجزئيات المحسوسة بدون الحاسّة.

ولأنّ تغيّر المعلوم لا يستلزم تغيّر العلم، فإنّك تعرف عند طلوع الشّمس أنّها تغرب، فإذا غربت الشّمس وتغيّرت من هيئتها الأولى، يكون مصدّقاً لك ومبيّنّاً تعلّق علمك بالغروب،

فلا يلزم منه تعيُّر علمك الأوَّل، بل يلزم تحقُّقه، مع أنَّ الاختلاف في تلك المسألة/  
[٢٤١و] راجع إلى تفسير العلم.

فمن قال أنَّه نسبة بين العاقل ونفس المعقول، نقول: إنَّ الله تعالى عالم بالجزئيات على وجه جزئي.

ومن قال أنَّه نسبة بين العاقل وصورة المعقول، نقول: إنَّه عالم بها على وجه كلي؛ لأنَّ إدراك الحواس ليس بعلم، فيجوز أن يكون علم الله تعالى عبارة عن النسبة بين العاقل وذات المعقول، أو عبارة الإدراك، أو عن صفة ومعنى قائم بذاته، وهذا القدر أيضاً يكفي في المسألة الثالثة.

وقد أورد المتكلمون هذه المسائل الثلاث في كتبهم، ونقلوا دلائل أهل الأهواء فيها، واشتغلوا بإبطالها بإيراد الدلائل والمنوع المشتملة على المقدمات الكثيرة الغير اليقيني أكثرها، بحيث يتعسر ضبطها، ولا تشفى قلوب المتعلِّمين بإظهار إبطالها، فلا تنقلع مادَّة الشبهة عن قلوبهم؛ لخباء استقامة أكثر مقدماتهم، فتميل قلوب أكثر المبتدئين إلى مذهب أهل الأهواء؛ لموافقة أكثر مقدماتهم لألف الوهم والعادة.

وقد استشعر هذا الفقير من مناظر كثيرة من أهل الاستدلال، وسؤالهم إيَّاه عن مقاصدهم في أصول مذاهبهم ما نزل على قلوبهم، ولذا ارتكب هنا في<sup>١١٥٤</sup> نقل أصول مذاهبهم الباطلة/  
[٢٤١ظ] ودلائلهم العاطلة، واشتغل بإظهار فسادها، وإثبات ما هو الحقُّ بكلام موجز مكشوف، وبالبراهين البيِّنة مكنوف، كما أورد بعض المتأخرين من المتكلمين أصول الفلاسفة، والمعتزلة وسائر أهل الأهواء في كتبهم؛ لإبطالها بالدلائل الشرعيَّة والعقليَّة، حتى يدفعوا بذلك شبهة المبتدئين وتردُّدهم من سماع كلام أهل الأهواء؛ لانتشار مذاهبهم في هذا الزمان.

ولذا قال بعض العلماء: تعلُّم علم الكلام فرض كفاية، وإن ذهب أكثرهم إلى حرمة تعلُّمه؛ لفساد قلوب أكثر المتعلِّمين من سماعه، ولخوف الفتنة والخلل، والاجتناب عن الآفة والزلل من سماع كلامهم.

لم يتوغَّل ولم يتعمَّق أئمَّتنا؛ كأبي حنيفة وصاحبيه رحمهم الله في البحث عن صفات الله

تعالى، وحقائق مخلوقاته بإيراد الدلائل المظنية المفصلة الدالة على كیفيتها، وإبطال مذاهب أهل الأهواء فيهما<sup>١١٥٥</sup>، كما فعل بعض متكلمي أصحابنا كذلك؛ كأبي منصور وغيره، لعلمهم بأن معرفة كیفية صفاته تعالى، وتفاصيل حقائق مخلوقاته بحر عميق لا يسلم الغائص فيه عن الآفة غالباً، ولا يُسأل المكلف في الآخرة عن معرفتها، ولا يعاتب على ترك/ [٢٤٢و] تعليم التعمق<sup>١١٥٦</sup> فيها، لا لعدم معرفتهم بما مثل ما عرفها أهل الأهواء والمتأخرون عن متكلمينا؛ لأنّ تحقيق تلك العلوم موقوف على تهذيب الباطن عن الأخلاق المذمومة، والمشتهيات النفسانية العائقة، وتحليتها بالأوصاف المحمودة، والملكات الفائقة، وتوشيح الظاهر بالعبادات الشرعية والطاعات السننية السننية، وهم كاملون في ذلك، فيكون ترك توغّلهم في ذلك العلم لما ذكرنا، لا لضعف معرفتهم.

بل اشتغلوا بتفريعات العلوم الفرعية، وتشعبات المسائل الفقهية؛ كالعبادات الظاهرة، والمعاملات والمزاجات، وبيّنوا فيها الأحكام النادرة، بحيث يتعدّر وقوعها عادة، وكذلك التفرعات والتشعبات؛ لغلبة رأفتهم على عباد الله، وقصدهم إلى أنّ مثل تلك المسائل النادرة لو وقعت، لا يتحيزون في معرفة أحكامها، لا لتحصيل الجاه والشهرة؛ لأنّ ذلك من أعظم الآفات وأقبح المنكرات عندهم.

لكنّ بعض أهل المكاشفة وأرباب المراقبة تعمّقوا في البحث عن كيفية وجود ذات الله تعالى، وكيفيات صفاته، ومراتب تنزلات الأسماء والصفات، / [٢٤٢ظ] وكيفية نشأة التعدّات والتكاثرات في العلويات والسفليات، ومراتب المكاشفات، وأثبت تلك الأمور بعضهم بوجه الاستدلال والبرهان، وبعضهم بطرق الكشف والعيان.

ووقع في أثناء مباحثهم وبياناتهم ما يخالف ظواهر بعض النصوص الشرعية، كما قالوا بأنّ وجوده وصفاته عين ذاته، لا أمر زائد، وبأنّ المجرّدات موجودة، وإيجاد البارئ تعالى بالإيجاب الذاتي، وعدم تأثير قدرة العبد في أفعاله الاختيارية.

ولأهل الإنصاف والعقل أن لا تنكر مباحثهم فيما لا يجب إنكاره؛ لأنّهم لم يقولوا ما يخالف ظواهر الشرع لهدمها، ولا لأجل إظهار فضلهم ومرتبته في الكشف والحال؛ لأنّ

١١٥٥ ص - بإيراد الدلائل المظنية المفصلة الدالة على كیفيتها، وإبطال مذاهب أهل الأهواء فيهما.

١١٥٦ ص التعميق.

ذلك ذنب عظيم، وإبطال حال ورفعة عندهم، بل لحظَ أهل الدُّوق والكشف الذين جاءوا بعدهم، ولم يتَّفَق لهم شرف المصاحبة والمحاورة معهم، فأرادوا أن يحاوروهم بوجه المراسلة، ويصاحبوهم بوجه المكاتبة بعد الموت والمغايبة.

من لم يتشرف بعلم الدُّوق والمكاشفة، يجب عليه أن لا يطالع كتابهم، حتى لا يؤدي ذلك إلى التردُّد والإنكار؛ لأنَّ لكلِّ حدٍّ / [٢٤٣ و] مطلعًا ومرامًا، ولكل حزب مذهبًا ومقامًا، وحكاية موسى وخضر عليهما السَّلَام يرشدك إلى ذلك، لو تدبَّرت بوجه الحزم والاعتبار. ويجب أن يتَّبِع إمامه ومقتداه؛ حنفياً كان أو شافعيًّا في الأمور الاعتقاديَّة والفرعيَّة؛ لأنَّ المجتهدين يجوز لهم، بل يجب أن يعملوا بما فهموا من ظواهر النصوص الشرعيَّة أدَّى إليه رأيهم بعد الجدِّ والجهد على وجه الفكر والطَّاعة، على وجه الشرع واللغة، ولا يعاتب على الخطأ إذا أدَّى وظائف الاجتهاد المعلومة، والله أعلم<sup>١١٥٧</sup>.

### باب البعث وبدء الوحي

[٢٤٦] عن عكرمة عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما قال: «مكث النبيُّ عليه السَّلَام بمكَّة ثلاث عشر سنة يوحى إليه، ثمَّ أمر بالهجرة، فهاجر عشر سنين ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة»<sup>١١٥٨</sup>.

وعن عمَّار روى عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما أنه قال: «أقام بمكَّة خمس عشر سنة يسمع الصَّوت ويرى الضَّوء سبع سنين، وثمان سنين يوحى إليه، وأقام بالمدينة عشر سنين»<sup>١١٥٩</sup>.

فإن قلت: كيف يروى عن ابن عبَّاس أنه قال: يوحى إليه بمكَّة ثلاث عشر سنين، ويروى أيضًا أنه قال يوحى إليه فيها ثمان سنين؟

نقول: قد عرفت أنَّ الأقلَّ يجوز أن يدخل / [٢٤٣ ظ] في الأكثر ولا تنافي بينهما؛ لأنَّ ذكر عدد أقلَّ لا يدلُّ على نفي الزيادة.

ويجوز أن يقال: ظهر لابن عبَّاس رضي الله عنه بأمارات النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أنه

١١٥٧ ص - والله أعلم.

١١٥٨ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ صحيح مسلم، الفضائل ٢٣٥١؛ سنن الترمذي، المناقب ١٣؛ مسند

أحمد، ٣٩٩/٥؛ مصابيح السنة، ٦٢/٤.

١١٥٩ مسند أحمد، ٢٢٦/٤.

يوحى إليه ثمان سنين فأخبر به، ثمَّ أنه ظهر أنه يوحى إليه ثلاث عشر سنين، فأخبر به. فإن قلت: هذا يدلُّ على أنَّ الصحابة العدول قد يروون الحديث بالظنِّ والتَّخمين، لا على سبيل العلم واليقين.

قلنا: يجوز ذلك في الأمور الدنيويَّة من التَّواريخ وغيرها، لا في الأحكام الدنيويَّة؛ لأنَّهم يحتاطون في أمور دينهم غاية الاحتياط.

وتبين مدَّة الوحي ليس من وظائف العبادات، كتبيين سنِّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولذا اختلفوا فيه أيضاً، إذ يروى عن ابن عبَّاس رضي الله عنه أنه قال: توفيَّ وهو ابن خمس وستين. وروى عن أنس أنه توفيَّ وهو ابن ثلاث وستين. وقال محمد بن اسماعيل: رَوَا ١١٦٠ أنه ١١٦١ ثلاث وستين أكثر.

ولو سلِّم أنَّ العدول يجب عليهم أن يحتاطوا في أمر الدنِّيا أيضاً عند الرواية، لكنَّ الإنسان لا ينجو عن السَّهو والنسيان، فلعلَّهم نسوا بعض مدَّة وحي النَّبيِّ عليه السَّلام وسنَّه؛ لأجل اهتمامهم وشدَّة اعتنائهم بالعمل بمقتضى قوله وحاله، لا بعدِّ سنَّه ومدَّة وحيه، [٢٤٤و] ومكثه في مكَّة والمدينة، بخلاف أفعالنا وأحوالنا، فإنَّا استقصينا في حفظ التَّواريخ ومدد الأحيان، ولا نبالي بما فات عنَّا من وظائف الإحسان ومواجب الإيمان، ونرجو من فضل ربِّنا الرَّحمن أن لا يجعل حالنا على ذلك في آخر الزمان.

### فصل في المعراج

[٢٤٧] عن قتادة عن أنس بن مالك بن صعصعة أنَّ نبيَّ الله عليه السَّلام حدَّثهم عن ليلة أسري به، فقال: «بينما أنا في الحطيم وربَّما قال في الحجر مضطجعاً، إذ أتاني آتٍ فشقَّ ما بين هذه إلى هذه؛ يعني من ثغرة نحره إلى شِعْرَتِهِ، فاستخرج قلبي، ثمَّ أُتيتُ بطست من ذهب مملوء إيماناً فغسل قلبي ثمَّ حشي ثمَّ أعيد. وفي رواية ثمَّ غسل البطن في ماء زمزم ثمَّ ملئ إيماناً وحكمة، ثمَّ أُتيتُ بدابَّة دون البغل وفوق الحمار أبيض يضع خطوة عند أقصى طرفه، فحملت عليه فانطلق بي جبرائيل حتى أتى إلى سماء الدنِّيا فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبرائيل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قال: مرحباً

١١٦٠ ص - رواية.

١١٦١ ص - أنه.



الناس قبلك فعالجت بني اسرائيل أشدَّ المعالجة، فارجع إلى ربك فاسأله التَّخفيف، قال النَّبِيُّ عليه السَّلَام: سألت ربِّي حتى استحييت، ولكن أرضى وأسلم، قال: فلمَّا جاوزت نادى مناد أمضيت فريضتي، / [٢٤٥ظ] وخففت عن عبادي.

[٢٤٨] وروى ثابت عن أنس أنَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: «أتيت بالبراق وهو دابةٌ أبيض طويل فوق الحمار دون الفرس، فركبته، فأتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التي ربطها الأنبياء عليهم السَّلَام، ثمَّ دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين، ثمَّ خرجت فجاءني جبرائيل عليه السَّلَام بإناء من خمر، وإناء من لبن، فاخترت اللبن، فقال جبرائيل عليه السَّلَام: اخترت الفطرة، ثمَّ عرج بنا إلى السَّماء وقال في السَّماء الثالثة فإذا أنا بيوسف إذ هو أعطي شطر الحُسن، وقال في السَّماء السابعة إبراهيم مسند ظهره إلى بيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه، ثمَّ ذهب بي إلى سدرة المنتهى، فإذا ورقها كآذان الفيلة وإذا ثمرها كالقلال، فلمَّا غشيتها من أمر الله ما غشى، تغيَّرت فما أحد من خلق الله أن ينعتها من حسنها، وأوحى إليَّ ما أوحى، ففرض عليَّ خمسين صلاة في كلِّ يوم وليلة: فنزلت إلى موسى وقال فلم أزل أرجع بين ربِّي وبين موسى حتى أهنَّ يا محمد خمس صلوات كلِّ يوم وليلة، لكلِّ صلاة عشر فذلك خمسون صلاة، من همَّ بحسنة فلم يعملها كتب له حسنة، فإن / [٢٤٦و] عملت كتب له عشرًا، ومن همَّ بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئًا، فإن عمل كتب له سيئة واحدة»<sup>١١٦٣</sup>.

[٢٤٩] عن ابن شهاب، عن أنس أنَّه قال: كان أبو ذر رضي الله عنه يحدث أنَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: «فرج عن سقف بيتي وأنا بمكة، فنزل جبرائيل، وفرج صدري، ثمَّ غسله بماء زمزم ثمَّ جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمةً وإيمانًا، فأفرغه في صدري ثمَّ أطبقه، ثمَّ أخذ بيديَّ فعرج بي إلى السَّماء، فلمَّا جئت إلى السَّماء الدُّنيا قال جبرائيل لخازن السَّماء: افتح، فلمَّا فتح علونا السَّماء الدُّنيا، إذا رجل قاعد عن يمينه أسودة وعلى يساره أسودة، إذا نظر قبل يمينه ضحك، وإذا نظر قِبَلَ شماله بكى. قال جبرائيل عليه السَّلَام: هذه الأسودة نسَم بنيه؛ فأهل اليمين أهل الجنَّة، وأهل الشَّمال أهل النَّار»<sup>١١٦٤</sup>.

١١٦٣ صحيح مسلم، الإيمان ١٦٢؛ مسند أحمد، ٤٨٩/١٩؛ مصابيح السنة، ٧٩/٤. ملاحظة: اختصر هنا

قطب الدين الحديث بعد ما عرج بالنبي جبريل عليه السلام إلى السماء.

١١٦٤ صحيح البخاري، الصلاة ١.

[٢٥٠] قال ابن شهاب: أخبرني أم حزام أن ابن عباس وأبا حية الأنصاري-رضي الله عنهم- كانا يقولان: قال النبي عليه السلام: ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى اسمع منه صريف الأقدام، إلى أن قال حتى انتهى إلى سدره المنتهى وغشيها ألوان لا أدري ما هي، ثم أدخلت الجنة، فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ وإذا ترابها المسك<sup>١١٦٥</sup>.

[٢٥١] عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه / [٢٤٦ظ] أنه قال: لما أسري بي انتهى إلى سدره المنتهى، وهي في السماء السادسة إليه ينتهي ما يعرج به إلى الأرض فيقبض منها، وإليها ينتهي ما يهبط به من فوقها فيقبض منها ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾ [النجم: ١٦]. قال: «فراش من ذهب» قال: فأعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثاً؛ الصّوات الخمس، وخواتيم البقرة، وغفر لمن لا يشرك بالله من أمته المقحّمات»<sup>١١٦٦</sup>.

[٢٥٢] عن أبي هريرة أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لقد رأيتني في الحجر وقريش نسألني عن مسراي، فسألني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها، فكربت كربتاً ما كربت مثله، فرفعه الله لي أنظر إليه ما يسألوني عن شيء إلا أنبأهم به، وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء، فإذا موسى قائم يصلي، فإذا رجل ضرب جعداً كأنه من رجال شنوءة، وإذا عيسى قائم يصلي أقرب الناس به شبهاً عروة بن مسعود الثقفي، وإذا إبراهيم قائم يصلي أشبه الناس به صاحبكم، يعني نفسه، فحانت الصلاة فأمّتهم، فلما فرغت من الصلاة قال لي قائل: يا محمد هذا مالك بن خازن النار، فسلم عليه، فالتفت إليه فبدا لي السلام»<sup>١١٦٧</sup>. فإن قلت قد وقع / [٢٤٧و] الاختلاف بين الأحاديث الواقعة في وصف المعراج وقصته، مع أنّ المعراج واحد في الوجه الأصح، فكيف وجه التّفيق والجمع بينهما؟ قلنا: لا بدّ لنا أولاً بيان وجه الاختلاف وتصريحه، ثمّ جمعه وتوفيقه.

أمّا الأوّل: فإنّه عليه السلام قال في بعض الأحاديث ابتداء العروج من الحطيم، أو من الحجر، وفي بعضها من بيت أم هاني، وفي بعضها فرج عني سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبرائيل عليه السلام، ففرج صدري. وقال أيضاً في بعض الأحاديث غسل قلبي بماء، وفي

---

١١٦٥ صحيح البخاري، الصلاة ١؛ صحيح مسلم، الإيمان ١٦٣؛ مسند أحمد، ٢١٢/٣٥؛ مصابيح السنة، ٨١/٤.

١١٦٦ صحيح مسلم، الإيمان ١٧٣؛ سنن النسائي، الصلاة ١؛ مسند أحمد، ١٨١/٦؛ مصابيح السنة، ٨٣/٤.

١١٦٧ صحيح مسلم، الإيمان ١٧٢؛ مصابيح السنة، ٨٣/٤.

بعضها غسل بماء زمزم، وفي بعضها ففرج جبرائيل عليه السلام صدري ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب ممتلىء حكمة وإيماناً، فأفرغه في صدري ثم أطبقه ثم أخذ بيدي فخرج بي.

وقال في بعضها، حتى أتى جبرائيل السماء الدنيا فاستفتح، قيل من هذا؟ قال: جبرائيل، قيل ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء، وأخبر وصوله إلى بعض الأنبياء في بعض السماء وسلامه عليهم وردهم إياه، وزاد على ذلك في بعض الأحاديث وقال: ركبت البراق وأتيت بيت المقدس، فربطته بالحلقة التي [٢٤٧ظ] يربط بها الأنبياء، ثم دخلت المسجد فصلّيت فيه ركعتين، ثم خرجت فجاء جبرائيل بإناء من خمر، وإناء من لبن؛ فاخترت اللبن، فقال جبرائيل: اخترت الفطرة، ثم عرج بنا إلى السماء، وقال فإذا أنا بيوسف في السماء الثانية، وقد أعطي شطر الحسن، فرحّب بي ودعا لي بخير، وقال في السماء السابعة إبراهيم مسند ظهره إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخل كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون.

وقال في حديث آخر رأيت إبراهيم في السماء السابعة، ولم يذكر شيئاً آخر. وقال في حديث آخر آدم في السماء الأول قال جبرائيل: هذا أبوك فسلم عليه، فسلمت عليه فردّ السلام، فقال مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح.

وقال في حديث آخر: علونا السماء الدنيا إذا رجل قاعد على يمينه أسودة وعلى يساره أسودة، إذا نظر قبل يمينه ضحك وإذا نظر قبل شماله بكى، قال جبرائيل: هذه الأسودة نسّم بنيه؛ فأهل اليمين أهل الجنة، وأهل الشمال أهل النار.

قال في بعض الأحاديث: سدرة المنتهى في السماء السابعة فإذا أربع أنهار؛ نهران باطنان ونهران ظاهران، وقال في بعض سدرة المنتهى / [٢٤٨و] في السماء السادسة إليها ينتهي ما يعرج وما يهبط، ويغشيه فراش من ذهب، وأعطى الصلوات الخمس، وخواتيم سورة البقرة، وغفر لمن لا يشرك بالله المقحّمات.

وقال في بعض الأحاديث: وقد رأيتني في بيت المقدس مع جماعة من الأنبياء، وموسى قائم يصلي فإذا رجل جعد، وعيسى قائم يصلي أشبه الناس به عروة بن مسعود، وإبراهيم يصلي أشبه الناس به صاحبكم، فحانت الصلاة فأمتهم، مع أنه قال في حديث آخر: رأيت الأنبياء في السماوات.

قلنا: قد عرفت كيفية التوفيق في أمثال هذا الاختلاف من القواعد المذكورة، لا سيما فيما ذكرت في جميع الاختلافات الواقعة في القبر وأهله، فإن أردت التفصيل والتّصريح هنا أيضاً، يجوز أن تقع الأفعال والأقوال المذكورة في معراج واحد، لكنّ رسولنا صلّى الله عليه وسلم ذكر بعضها في موضع وبعضها في موضع، أجمل تارةً، وفصّل أخرى بحسب اقتضاء المقام، ولا تدافع فيها.

مثلاً: يجوز أن يقع ابتداء العروج من بيته عليه السّلام، وقوله بيت أمّ هاني لتعيين بيته وذهب منه إلى الحطيم والحجر للتبرك، كما ذهب / [٢٤٨ظ] إلى القدس، ثمّ عرج منه إلى السّماء للتبرك.

وأن يقع شقّ الصّدر فيه ويخرج قلبه ويغسل في طست من ذهب ممتلئ إيماناً وحكمةً. ويغتسل صدره وبطنه وأيضاً لزيادة التّصفية وإزالة الدّم الفاسد؛ الذي هو مبدأ الأخلاق المذمومة، والأفعال النّفسانيّة بحسب الطّبع والفطرة، حتّى صار قابلاً للكلمات البشريّة. وملئ إيماناً وحكمةً كما غسل في حالة صباه أيضاً، ثمّ يذهب إلى بيت المقدس لفوائد وحكم يعلمها الله تعالى من التّشرف بالأمكنة المتبركة في وجه الأرض أوّلاً، كما تشرف بأماكن العالم العلويّ ورؤية عجائبها.

ثانياً: وأنت تعرف أنّ المقصد الأعلى من المعراج، الاطّلاع على كمال عظمة الله تعالى، وكمال علمه وقدرته بالاطّلاع على غرائب العالم العلويّ؛ لأنّ الله تعالى منزّه عن المكان والزّمان والجهة.

ورؤية الأنبياء<sup>١١٦٨</sup> في بيت المقدس أوّلاً لا ينافي رؤيتهم إيّاهم في السّماوات؛ لأنّ طيّ الزّمان والمكان من وظائف الأولياء الذين هم تحت أقدام الأنبياء في الرّتبة. ثمّ يعرج إلى السّماء الدّنيا ورأى آدم عليه السّلام فيها، وفي يمينه أسودة وفي يساره أسودة، / [٢٤٩و] ورأى يوسف مع شطر من الحسن، وسلّم عليه وردّ يوسف سلامه، ورأى ابراهيم في السّماء السّابعة وهو مسند ظهره إلى بيت المعمور، وإذا هو يدخله كلّ يوم سبعون ألف ملك.

ويجوز أن يؤتى إناء من خمر وإناء من لبن في بيت المقدس، وأن يؤتى إناء من خمر، وإناء من لبن، وإناء من عسل عند وصوله إلى البيت المعمور.

١١٦٨ ف: أوّلاً

ويجوز أن يكون أصل سدرة المنتهى في السَّماء السَّادسة، وأغصانها في السَّماء السَّابعة، كما روي في بعض الأحاديث أنَّ أصلها في الأرض وينبع منها نهران النَّيل والفرات، ويرى في سدرة المنتهى فراشًا من ذهب، وأنواعًا من العجائب والغرائب.

الحاصل: يجوز أن يرى في المعراج عجائب وغرائب لا تحصى من أصناف صور الملائكة، وطبقات السَّموات والجنَّة، وتقع فيه أفعال وأقوال وأسرار لا يعدُّ ولا ينهى، وذكر بعضها بحسب اقتضاء المقام، وأفهام الأنام، ولم يذكر أكثرها.

وقد حكى بعض العلماء بعض العجائب في قصَّة المعراج، وقال بعض الشُّراح في التَّوفيق: وقع المعراج مرَّتين؛ مرَّة في النَّوم، ومرَّة/ [٢٤٩ظ] في اليقظة، فبعض الأحاديث مخبر عمَّا وقع في اليقظة، وبعضها عمَّا وقع في الرُّؤية، وذلك صحيح، إن صحَّ المعراجان<sup>١١٦٩</sup>.

لكن لا يتمُّ ذلك في سدرة المنتهى إلا بما ذكرنا من التَّأويل.

وقد وقع مثل هذه الاختلافات في قصص الأنبياء المذكورة في القرآن؛ وقال بعض المفسرين في التَّوفيق: أصل المعنى والمقصود متَّحد، ولا بأس في اختلاف العبارات. وأنت تعرف ما فيه؛ لأنَّ القرآن في أعلى طبقات البلاغة، وقد يعيِّر المعنى الأصلي باختلاف النظم الدالِّ على الخواصِّ الزَّائدة، ولا يتمُّ التَّوفيق فيها إلا بمثل ما ذكرنا في توفيق أحاديث المعراج.

وقد يعرض هذا الفقير في تفسيره أيضًا للجمع والتَّوفيق فيما يرى من التَّدافع الظَّاهريِّ بين الآيات، ولبيان النُّكتة فيما جرى على خلاف الظَّاهر من التَّذييلات والتَّكميليات لدفع تردّد المبتدئين.

---

١١٦٩ اختلف العلماء في قصة الإسراء والمعراج من حيث العدد، ومن حيث إنَّها حدثت بالرُّؤية، أو بالروح دون الجسد، أو بالجسد والروح معًا، فالذين قالوا أنَّها حدثت في المنام استدلوا بحديث شريك بن أبي نمر الذي غلط الحفاظ الفاظه من حديث الإسراء، حيث قال شريك أنه لما ذكر النبي عليه السلام حادثة الإسراء قال: «فاستيقظت وأنا في المسجد الحرام» فاستدل البعض بقوله «فاستيقظت» على أنَّها حدثت بالنام؛ وهذا تأويل خاطئ فالصواب والذي أجمع عليه القائلون بالأخبار أنَّ حادثة الإسراء والمعراج حدثت مرة واحدة باليقظة بالروح والجسد معًا؛ استدلالا بقوله تعالى: ﴿سُبْحٰنَ الَّذِي أَسْرٰى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِن مِّنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١] لأن العبد تعني جسم وروح؛ فالصواب هو أنَّ حادثة الإسراء والمعراج حدثت مرة واحدة بالروح والجسد في حالة اليقظة. وأحاديث المعراج رواها العديد من الصحابة وجميعها صحاح مقبولة عند أهل النقل. انظر: الراجحي، عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن، شرح الاقتصاد في الاعتقاد، ٢/١٠.

## فصل في المعجزات

[٢٥٣] قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه في بيان الهجرة من مكة إلى المدينة: نظرت إلى أقدام المشركين على رؤوسنا، ونحن في الغار، فقلت: يا رسول الله! لو أن أحد نظر إلى قدمه لرآنا، فقال: «يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما»<sup>١١٧٠</sup>.

[٢٥٤] وقال/ [٢٥٠و] لما وصل سراقا قلت: «أتينا يا رسول الله، قال: «لا تحزن إن الله معنا»، فدعا النبي صلى الله عليه وسلم، فارتطمت فرسه إلى بطنها في جلد من الأرض»<sup>١١٧١</sup>.

ولما قصد أبو جهل إلى وطئ رقبة رسول الله في سجده في الصلاة، رأى خندقا ملئ بالنار والملائكة حاضرة، حتى لو دنى إلى رسول الله، لاختطفته الملائكة وقطعوه إربا إربا<sup>١١٧٢</sup>. وقصد رؤساء مكة مع ألف من جيوش الكفار، ونزلوا ببدر؛ لكي يخرجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة، ويزعجوا الصحابة من عنده، حتى لا يظهر دينه، فاستقبلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ضعفاء المهاجرين والأنصار وهم ثلاث مئة، فنزل جبرائيل وميكائيل مع الملائكة المستومين، فهزموا جيش الكفار وصرعوه، وأخذوا رؤساء الكفار.

ورمى أيضا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين كفا من الحصى، ودخل عيون جميع الكفار وهم أربعة آلاف، فانهمزوا<sup>١١٧٣</sup>.

---

١١٧٠ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ صحيح مسلم، فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم ٢٣٨١؛ سنن

الترمذي، تفسير القرآن ١٠؛ مسند أحمد ١٩٠/١؛ مصابيح السنة، ٨٤/٤.

١١٧١ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ صحيح مسلم، الزهد والرفائق ٢٠٠٩؛ مصابيح السنة، ٨٥/٤.

١١٧٢ روى قطب الدين الحديث بالمعنى ولفظه: «عن أبي هريرة، قال: قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ قال فقيل: نعم، فقال: واللوات والعزى لئن رأيتَه يفعل ذلك لأطأن على رقبتَه، أو لأعفرن وجهه في التراب، قال: فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي، زعم ليظأ على رقبتَه، قال: فما فجئهم منه إلا وهو ينكص على عقبه ويتقي بيديه، قال: فقيل له: ما لك؟ فقال: إن بيني وبينه لخندقا من نار وهولا وأجنحة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوا عضوا» أخرجه مسلم في صحيحه، صفة القيامة والجنة والنار، باب قوله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ ﴿٦٠﴾﴾ [العلق: ٦-٧] رقم الحديث (٢٧٩٧).

١١٧٣ هنا روى الحديث بالمعنى ولفظه: عن اياس بن سلمة عن ابيه قال: «غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

فإن قلت: إذا كان لرسول تلك المعجزات، والقدرة على دفع الأعداء ومضارهم، فما معنى الهجرة، والفرار من الأعداء، وحفر الخندق في المدينة لخوفهم، وانحزام المؤمنين، / [٢٥٠ظ] وشج رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكسر رباعيته، وشهادة جمع من الأصحاب في أحد، واجتهاد رسول الله في الدعاء والتضرع لدفع مضار الأعداء؟

قلنا: اعلم أن كل فعل من أفعال الله تعالى لائح عن حكمة ومصلحة، وعقول الأنام قاصرة عن حكمة معرفة تفاصيل حكمة كل أفعاله ومصالحها، فإن العلماء الكُمَّل وأرباب القلوب تكلموا في وحدانية الله تعالى وصفاته، وبيّنوا فيها قواعد وضوابط، لكن ما شرع واحد منهم في بيان قواعد وضوابط تفهم مصالح جريان أفعاله، وحكم تفاصيل صنائعه. واتفق الكلّ على أن كلّ فعل من أفعاله مشتمل على حكمة ومصلحة، وحكمة بعض أفعاله تظهر بالتأمل، وحكمة بعضها لا تظهر بالتدبّر. فإن حكمة إهلاك الكفار والعصاة، وإيلاهم بالمصائب ظاهرة، وهي عصيانهم ومخالفتهم لأمر الله وحكم. لكن مصلحة ابتلاء بعض الصلحاء، وغير المكلفين من الصبيان والمجانين بالقحط والوباء، والفتنة والقهر لا يظهر.

ويمكن أن يقال هنا لو استولى النبي عليه السلام على الأعداء دائماً بالجبر والاستيلاء، بحيث لا يتخلف، يظهر الأمر ويسقط الابتلاء والإيمان بالغيب. / [٢٥١و]

مع أن في الهجرة والتحمل على البلى والمصائب فوائد فخيمة، وعوائد عظيمة، ودرجات رفيعة لا يحصل إلا بالمصائب والبلى، لا بالغلبة والاستيلاء، وإلى ذلك أشار النبي عليه السلام بقوله: «إنّ العبد إذا سبقت له من الله تعالى منزلة لم يبلغها بعمله، ابتلاه الله في جسده، أو في ماله أو في ولده، ثم صبره على ذلك حتى يبلغه المنزلة التي سبقت له من الله

---

حيناً، فلما واجهنا العدو تقدمت فأعلو ثنية، فاستقبلني رجل من العدو، فأرميه بسهم فتوارى عني، فما دريت ما صنع، ونظرت إلى القوم فإذا هم قد طلّوا من ثنية أخرى، فالتقوا هم وصحابة النبي صلى الله عليه وسلم، فولى صحابة النبي صلى الله عليه وسلم وأرجع منهزماً، وعلي بردتان متزرا بإحداها مرتدياً بالأخرى، فاستطلق إزارى فجمعتهما جميعاً، ومررت على رسول الله صلى الله عليه وسلم منهزماً وهو على بغلته الشهباء، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لقد رأى ابن الأكوخ فرعاً»، فلما غشوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل عن البغلة، ثم قبض قبضة من تراب من الأرض، ثم استقبل به وجوههم، فقال: «شاهت الوجوه»، فما خلق الله منهم إنساناً إلا ملأ عينيه تراباً بتلك القبضة، فولوا مدبرين، فهزمهم الله عز وجل». أخرجه مسلم في صحيحه، الجهاد والسير، رقم الحديث (١٧٧٧).

تعالى»<sup>١١٧٤</sup>.

ومع أنّ وصول أكثر المصائب كان بسبب ذنب وزلة، كمخالفتهم في أحد لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعُجِبِهِمْ في غزوة حنين.

ومن بعض فوائد المصائب:

- انكسار القلب ومعرفة العجز.
- والتواضع والتضرّع، والتَّوَجُّهُ الكَلِّيّ، والتَّوَصُّلُ إلى مرتبة الصَّابرين.
- ووصول بعض الصَّحابة إلى مرتبة الشَّهادة.

وأن يقال: وصول التأييد والمسؤول من الله تعالى موقوف على التَّوَجُّهُ الكَلِّيّ والحضور التَّام، وذلك لا يحصل في كل الأوقات؛ لازدحام العوارض النَّفسانيَّة، وهجوم الهواجس الطَّبِيعِيَّة الغير الاختيارية، كما أشار إلى ذلك النَّبِيُّ عليه السَّلام بقوله: «إنَّه ليغان على قلبي فأستغفر الله كل يوم مئة مرَّة»<sup>١١٧٥</sup>.

وقد عرفت أيضًا أنّ استجابة الدَّعاء موقوفة على استجماع الشَّرائط، ومن جملتها؛ / [٢٥١ظ] كون المسؤول من المعلَّقات، وإذا كان من المبرمات، يكون فائدة الدَّعاء المثوبة لا، الإجابة، والله أعلم.

### باب مناقب الخلفاء الرَّاشدين

[٢٥٦] قال النَّبِيُّ عليه السَّلام في حقِّ أبي بكر رضي الله عنه: «لو كنت متَّخذًا خليلاً غير ربي، لاتَّخذت أبا بكر خليلاً»<sup>١١٧٦</sup>.

[٢٥٧] وقال عليه السَّلام: «ما لأحد عندنا يدًا إلَّا وقد كافيناه، ما خلا أبا بكر، فإنَّ له عندنا يدًا يكافئه الله بها يوم القيامة»<sup>١١٧٧</sup>.

---

١١٧٤ سنن أبي داود، الجنائز ٢؛ مصابيح السنة، ١/٥٢٨.

١١٧٥ صحيح مسلم، الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ٢٧٠٢؛ سنن أبي داود، فضائل القرآن ٣٥٩؛ مسند أحمد، ٢٩/٣٩١؛ مصابيح السنة، ٢/١٦٤.

١١٧٦ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ صحيح مسلم، فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم ٢٣٨٣؛ مسند أحمد، ١٧/٢١٦؛ مصابيح السنة، ٤/١٤٨.

١١٧٧ سنن الترمذي، المناقب ١٥؛ مصابيح السنة، ٤/١٥٠.

[٢٥٨] وقال لأبي بكر أيضاً: «أنت صاحبي في الغار، وصاحبي على<sup>١١٧٨</sup> الحوض»<sup>١١٧٩</sup>.

[٢٥٩] وقال: «لا ينبغي لقوم فيهم أبو بكر أن يؤتيهم غيره»<sup>١١٨٠</sup>.

[٢٦٠] وقال لأبي بكر أيضاً: «إِنَّكَ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي»<sup>١١٨١</sup>.

[٢٦١] وقال النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي حَقِّ عُمَرَ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ، ثُمَّ رَأَيْتُ النَّاسَ يَعْضُونَ عَلَيَّ وَعَلَيْهِمْ قُمَّصٌ مِنْهَا مَا يَبْلُغُ الثَّدْيَ، وَمِنْهَا مَا دُونَ ذَلِكَ، وَعَرَضَ عَلَيَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ يَجْرُهُ، قَالُوا: فَمَا أَوْلَتْ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الدِّينَ»<sup>١١٨٢</sup>.

[٢٦٢] وقال أيضاً: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ، ثُمَّ رَأَيْتَنِي عَلَى قَلْبٍ عَلَيْهَا دَلْوٌ، فَزَعَتْ مِنْهَا مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أَخَذَهَا ابْنُ أَبِي قَحَافَةَ فَزَعَهَا مِنْهَا ذَنْبًا أَوْ ذَنْبَيْنِ، وَفِي نَزْعِهِ ضَعْفٌ وَاللَّهُ يَغْفِرُ لَهُ ضَعْفَهُ، ثُمَّ أَخَذَهَا ابْنُ الْخَطَّابِ مِنْ يَدِ أَبِي بَكْرٍ فَاسْتَحَالَتْ فِي يَدِهِ غَرَبًا، فَلَمْ أَرِ عَبْقَرِيًّا يَغْرِي فَرِيَّةً، حَتَّى رَوَى النَّاسُ، وَضَرَبُوا / [٢٥٢]و] بَعَطْنَ»<sup>١١٨٣</sup>.

[٢٦٣] وقال النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنَّ اللَّهَ وَضَعَ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ وَقَلْبَهُ»<sup>١١٨٤</sup>.

قال عمر لأبي بكر: يا خير النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَمَا إِنَّكَ إِنْ قُلْتَ ذَلِكَ، فَلَقَدْ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: «مَا طَلَعَتْ شَمْسٌ عَلَى رَجُلٍ خَيْرَ مِنْ عُمَرَ»<sup>١١٨٥</sup>. وقال: «لو

١١٧٨ ص، ف في.

١١٧٩ سنن الترمذي، المناقب ١٦؛ مصابيح السنة، ١٥١/٤.

١١٨٠ سنن الترمذي، المناقب ١٦؛ مصابيح السنة، ١٥١/٤.

١١٨١ سنن أبي داود، السنة ٩؛ مصابيح السنة، ١٥٣/٤.

١١٨٢ صحيح البخاري، الإيمان ١٦؛ صحيح مسلم، فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم ٢٣٩٠؛ سنن الترمذي، الرؤيا ٩؛ النسائي، الإيمان ١٨؛ سنن الدارمي، ٥١٤/١؛ مسند أحمد، ٣٣٣/١٨. مصابيح السنة، ١٥٥/٤.

١١٨٣ ف - بعطن.

صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ صحيح مسلم، فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم ٢٣٩٢؛ مصابيح السنة، ١٥٥/٤.

١١٨٤ سنن أبي داود، الخراج والفيء والإمارة ١٨؛ سنن الترمذي، المناقب ١٨؛ سنن ابن ماجه، الإيمان وفضائل الصحابة ١١؛ مسند أحمد، ١٤٤/٩؛ مصابيح السنة، ١٥٦/٤. ملاحظة: في سنن الترمذي ورد بلفظ: «جعل الله الحق»؛ وفي سنن ابن ماجه لفظ وقلمه غير موجود.

١١٨٥ سنن الترمذي، المناقب ١٨؛ مصابيح السنة، ١٥٧/٤.

كان بعدي نبي، لكان عمر بن الخطاب»<sup>١١٨٦</sup>.

[٢٦٤] وقال النبي عليه السلام في حق عثمان: «لكل نبي رفيق؛ ورفيقي في الجنة عثمان»<sup>١١٨٧</sup>.

[٢٦٥] وقال النبي عليه السلام في حق علي: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي»<sup>١١٨٨</sup>.

[٢٦٦] وقال: «إن علياً مني وأنا منه، وهو ولي كل مؤمن»<sup>١١٨٩</sup>. وقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه»<sup>١١٩٠</sup>.

[٢٦٧] وعن أنس أنه قال: «كان عند النبي طير، فقال: اللهم آتيني بأحب خلقك إلي يأكل معي هذا الطير، فجاءه علي، فأكل معه»<sup>١١٩١</sup>.

[٢٦٨] وقال: «أنا دار الحكمة وعلي بابها»<sup>١١٩٢</sup>.

فإن قلت: قد فهم من ظواهر الأحاديث المذكورة أن عمر أفضل من أبي بكر، وعلي أفضل من عمر وأحب إلى رسول الله، فكيف جاز تأخير علي في الخلافة، وتقديم أبي بكر على جميع الصحابة في الخلافة؟

قلنا: لما اجتمع العلماء والصحابة الكاملون في علم الشريعة والسنة، على أن أولى الناس بالإمامة أبو بكر رضي الله عنه، ثم عمر، دل ذلك على أنهم اطلعوا على دليل راجح في الدلالة على تقديم أبي بكر رضي الله عنه / [٢٥٢ظ] على الخلفاء الثلاثة في الخلافة؛ لأن الأحاديث الواردة في مناقبهم وفضائلهم ليست مقصورة على ما ذكره محيي السنة في

١١٨٦ سنن الترمذي، المناقب ١٨؛ مسند أحمد، ٢٨/٦٢٤؛ مصابيح السنة، ٤/١٥٨.

١١٨٧ سنن الترمذي، المناقب ١٩؛ مصابيح السنة، ٤/١٦٥.

١١٨٨ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ صحيح مسلم، فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم ٢٤٠٤؛ سنن الترمذي، المناقب ٢٠؛ الإيمان وفضائل الصحابة والعلم ١١؛ مسند أحمد، ١٧/٣٧٣؛ مصابيح السنة، ٤/١٧٠. ملاحظة: في صحيح البخاري ورد بلفظ: «أما ترضى أن تكون مني».

١١٨٩ سنن الترمذي، المناقب ٢٠؛ مسند أحمد، ٣٣/١٥٤؛ مصابيح السنة، ٤/١٧٢.

١١٩٠ سنن الترمذي، المناقب ٢٠؛ الإيمان وفضائل الصحابة والعلم ١١؛ مسند أحمد، ١/٨٠؛ مصابيح السنة، ٤/١٧٢.

١١٩١ سنن الترمذي، المناقب ٢٠؛ مصابيح السنة، ٤/١٧٣.

١١٩٢ سنن الترمذي، المناقب ٢٠؛ مصابيح السنة، ٤/١٧٤.

المصاييح، مع أنّ قوله عليه السّلام: «لا ينبغي لقوم فيهم أبو بكر أن يؤمّهم غيرهم»، يدلُّ على أنّه أولى بالخلافة من غيره.

وترجيح غيره عليه بالفضائل الغير الراجعة إلى الإمامة والخلافة، لا تنافي ذلك، لما عرفت أنّ جهات التّفصيل مختلفة. يجوز أن يفضّل أحد على أحد في فضيلة خاصّة، ويفضّل عليه المفضول عليه بجهة أخرى. وكذا تقديم عمر على غيره كان بجهة راجعة إلى باب الخلافة. وتفضيل عليّ على عمر لا ينافي ذلك بجهة أخرى؛ ككونه ابن عمّ النّبّي عليه السّلام عليه وحُلتّه.

وقوله عليه السّلام: «أنت مّيّ بمنزلة هارون»، يجوز أن يكون لقربته، لا لتقدّمه في باب الخلافة بعد وفاة النّبّي عليه السّلام، إذ زوّي أنّ سبب صدور هذا الحديث أنّ النّبّي عليه السّلام ذهب إلى غزوة تبوك وترك، عليّاً في المدينة، وقال بعض المنافقين، استثقل عليّاً ولذا تركه، فقال عليه السّلام: «أنت مّيّ بمنزلة هارون»؛ لردّ ذلك الطّعن وتسلية قلبه، بمعنى: تركتك لتقوم مقامي فيها، كما قام هارون مقام موسى عند ذهابه إلى الطّور، وهذا لا يدلُّ على تقدّمه في الخلافة؛ لأنّه ترك ابن أمّ مكتوم/ [٢٥٣و] مرّتين في المدينة خليفةً عند ذهابه إلى الغزو.

وقوله: «وعليّ وليّ كلّ مؤمن»، أي: محبّه أو محبوبه، لا حاكمه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ [المائدة: ٥٥] وكذا قوله: «فعلّيّ مولاه»، أي محبّه أي: من أحبّه رسول الله وينصره؛ فعلّيّ يحبّه وينصره.

وقيل: سبب هذا الحديث أنّ أسامة بن زيد قال لعليّ، أنت لست مولاي، إنّما مولاي رسول الله، وقال النّبّي عليه السّلام ذلك الحديث؛ لردّ قول أسامة، ولبیان أنّ عليّاً ابن عمّه ونفسه كنفسه، فيجوز له أن يتصرّف في مواليه ومماليكه.

وقوله: «أحبُّ خلقك»، ليس بجار على عمومه؛ لأنّه ليس بأحبّ من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فيكون المراد أحبُّ خلقه من أقاربه وبني عمّه، أو المراد من اسم التّفصيل الزيادة في حدّ ذاته، فلا يلزم منه أن يكون مفضّلاً على الخلفاء الثلاثة في باب الخلافة. وإطلاق المطلق، وإرادة المقيّد كثير في كلام الشّارع، وقد عرفت أمثاله.

وقد عرفت أيضاً أنّ جهات التّفصيل مختلفة، وعرفت بعض تفاصيله في باب تفضيل الذّكر على غيره من العبادات بجهة خاصّة، وفي تفضيل بعض الأنبياء على بعض بفضيلة

مخصوصة، وتفضيل نبينا عليه السلام على غيره بجهات فائقة.

وإنَّ بعضَ / [٢٥٣ظ] جهات التفضيل تكون بحيث لا يعادها جهات كثيرة من جهات التفضيل، وإن أردت أن تسمع بعض تفاصيلها هنا، فاعلم أنَّ أبا بكر رضي الله عنه يجوز أن يكون مفضلاً على غيره في باب الخلافة من جهة قوَّة تُعينُهُ وتوَكِّلُهُ، وكمال جوده، وعدم محبَّة الدُّنيا والرِّئاسة في قلبه، وكمال وقاره، وكبر سنِّه وسائر ما يناسب الخلافة من الشرائط. ويكون بعد ذلك عمر أولى النَّاس بالإمامة والخلافة من سائر الصَّحابة، باعتبار قوَّة الصَّلافة الدِّينيَّة، والفرق بين الحق والباطل، وكمال الفراسة، والأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، كما يحكى أنَّ الحبشيَّة التي تدفن عند رسول الله وعائشة تنظر، فلمَّا رأَت عمر رضي الله عنه، فرَّت منه وتفرقت الجماعة، وقال النَّبيُّ عليه السَّلام: «إِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَدْخُلُ فِي طَرِيقِ سَلِكِ فِيهَا عَمْرٌ»<sup>١١٩٣</sup>، وأنَّ جارية تضرب الدَّفَّ عند رسول الله فدخل أبو بكر وعليُّ وعثمان، فلمَّا دخل عمر رضي الله عنها ألقت الدَّفَّ تحت إسطها، ثمَّ قعدت عليها، فقال النَّبيُّ عليه السَّلام: «إِنَّ الشَّيْطَانَ لِيَخَافُ مِنْكَ يَا عَمْرٌ»<sup>١١٩٤</sup>.

فإن قلت: إذا كان ضرب الدَّفِّ، ورقص الحبشية فعلاً منكراً لمَّ لمَّ يمنع رسول الله ذلك، ورخص لعائشة النَّظر إلى رقص / [٢٥٤و] الحبشية؟ قلنا: ضرب الدَّفِّ والرقص يجوز أن يكون منكراً مكروهاً، لكن يكون مباحاً إذا تضمَّن مصلحة راجحة كالكذب، فإنَّه حرام، لكن أبيض في ثلاثة مواضع؛ لمصلحة راجحة على قبحه ومزيله إيَّاه وهي؛

رفع العداوة بين المسلمين، والحرب، وطلب إرضاء أحد الزَّوجين الآخر.

فيجوز أن يرفع كرامته ضرب الدَّفِّ؛ لمصلحة العرس والعيد، كما قال عليه السَّلام: «تَعْنُوا فَإِنَّ الْأَنْصَارَ يَعْجَبُهُمُ الْغَنَاءُ»<sup>١١٩٥</sup>. وكما أنَّ الجاريتين تدفان في العيد، فمنعهما أبو بكر،

---

١١٩٣ روى الحديث بالمعنى ولفظه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكا فجا قط إلا سلك فجا غير فجعك» أخرجه البخاري في صحيحه، الجمعة ٢١٧؛ وأخرجه مسلم في صحيحه، فضائل الصحابة رضي الله عنهم رقم الحديث (٢٣٩٦).

١١٩٤ سنن الترمذي، المناقب ١٨؛ مصابيح السنة، ٤/١٥٨.

١١٩٥ روى الحديث بالمعنى ولفظه: «سلم يا عائشة ما كان معكم هو فإن الأنصار يعجبهم اللهو» أخرجه البخاري في صحيحه، الجمعة ٢١٧.

فقال النَّبِيُّ عليه السَّلَام لأبي بكر: دعهما فإنَّها أَيَّام عيد.

وقيل، الجارية التي ضرب الدُّفَّ عند رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم قد نذرت، وقالت: لو هزم النَّبِيُّ الكُفَّار وغلب عليهم، لأضرب الدُّفَّ عند رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فقالت لرسول الله: إني نذرت أن أضرب الدُّفَّ، فأذن لها رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم بالضَّرب. فإن قلت: إذا كان كذلك، ينبغي أن لا يقول رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم: «إنَّ الشَّيْطَانَ ليخاف منك يا عمر».

قلنا: يجوز أن يكون ضرب الدُّفِّ، وكذا الرِّقْص منكرًا بالتَّطْوِيل، واجتماع النَّاس المؤدِّي إلى اللَّعب والبطالة والغفلة، ولذا قال النَّبِيُّ عليه السَّلَام: / [٢٥٤ظ] لعائشة عند تطويل نظرها إلى الحبشية: «أما شبعث؟»<sup>١١٩٦</sup>

ويجوز أن يكون ضرب الدُّفِّ والرِّقْص رخصة أو مكروهًا، وعدم منع النَّبِيِّ عليه السَّلَام؛ لبيان جوازه، واستحسان فعل عمر؛ لبيان أنَّ المنع أصل وعزيمة. ويجوز أن يكون أيضًا تقديم عثمان على علي رضي الله عنهما<sup>١١٩٧</sup> في أمر يرج إلى الخلافة، لما عرفت أنَّ جهات التَّفْضِيل مختلفة، ويدلُّ على ذلك قوله عليه السَّلَام: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدَّهم في أمر الله عمر، وأصدقهم حياءً عثمان»<sup>١١٩٨</sup>.

ويجوز أن يكون علي رضي الله عنه أفضل من سائر الصَّحابة، سوى الخلفاء الثلاثة بالنَّظر إلى شرائط الخلافة، من جهة كمال فطانتهم، وفراستهم، وكونه ابن عمِّ رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم، كما قال النَّبِيُّ عليه السَّلَام: «أنت مَنِّي بمنزلة هارون من موسى، إلاَّ أنَّه لا نبيَّ بعدي». وقال: «أنت أخي في الدُّنيا والآخرة»<sup>١١٩٩</sup>، وأمره على جيش فيه أبو بكر حين ذهبوا إلى نبد عهد الكُفَّار.

فإن قلت: هذا يدلُّ على أنَّه مفضَّل على أبي بكر في الخلافة.

قلنا: ليس كذلك، لما عرفت أنَّ فضيلة أبي بكر في باب الخلافة أقوى، وجعله أمير الجيش

١١٩٦ سنن الترمذي، المناقب ١٨؛ مصابيح السنة، ٤/١٥٩.

١١٩٧ ص، + في الخلافة لرجحان عثمان عليه.

١١٩٨ سنن الترمذي، المناقب ٣٣؛ سنن ابن ماجه، الإيمان وفضائل الصحابة والعلم ١١؛ مسند أحمد،

٢٥٢/٢٠؛ مصابيح السنة، ٤/١٧٩.

١١٩٩ سنن الترمذي، المناقب ٢٠؛ مصابيح السنة، ٤/١٧٣.

في نبد العهد؛ لرعاية العرف في نبذه، لا لكونه مفضلاً على أبي بكر في باب / [٢٥٥و] الخلافة؛ لأنَّ العرف على أنَّ القاصد والتَّابذ من الأقارب.

وإذا عرفت هذا القدر من التَّفصيل، هنا يرتفع توهُم التَّعارض في فضائل الخلفاء الرَّاشدين، من كون كل واحد أفضل من غيره، كما عرفت أنَّ النَّبيَّ عليه السَّلَام فضل كل عبادة على غيرها بجهة خاصَّة، وبَيَّن قبح كل معصية في بابها بوجه يفهم منه أنَّها أقبح المعاصي وأغلظها، وذلك للتَّغيب في جمع جميع العبادات، والتَّحذير والمنع عن جميع السيِّئات، وأمثال هذا كثير في أساليب البلغاء، وطرائق الخطباء.

ولذا فضَّل النَّبيَّ عليه السَّلَام بعض الصَّحابة على غيره بجهة خاصَّة؛ لتسليته، وبيان فضيلة تلك الصَّفة المفضَّلة المستحسنة، حتى يرغب السَّامعون في تحصيلها ويجتهد فيه. كما قال النَّبيُّ عليه السَّلَام: «لكلِّ نبيِّ حواريٍّ، وحواريٍّ الرُّبيرة»<sup>١٢٠٠</sup>، وهذا يدلُّ على قوَّة إخلاصه في محبَّة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويجوز أن نقول ذلك على وجه المبالغة. وفضلُّ سعدًا لحسن رميه، فقال: «ارم يا سعد ارم فداك أبي وأمي»<sup>١٢٠١</sup>. وفضلُّ أبو عبيدة بن الجراح بكمال صفة الأمانة فقال: «لكلِّ أمة أمين، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة»<sup>١٢٠٣</sup>، ويجوز أن يراد منها الأمانة في شيء مخصوص، لا على الإطلاق. / [٢٥٥ظ] وفضلُّ زيد بن ثابت على غيره بكماله في علم الفرائض، وقال: «أفرض أمِّي زيد بن ثابت»<sup>١٢٠٤</sup>. [٢٦٩] وفضلُّ أبيًّا على غيره بقراءة القرآن، فقال: «أقرأ أمِّي أبي»<sup>١٢٠٥</sup>.

---

١٢٠٠ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ صحيح مسلم، فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم ٢٤١٥؛ الإيمان وفضائل الصحابة والعلم ١١؛ مسند أحمد، ١٨٩/٢.

١٢٠١ مسند أحمد، ١١٧/٢.

١٢٠٢ ف، ص - أبو.

١٢٠٣ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ سنن الترمذي، المناقب ٣٣؛ مسند أحمد، ٣٥٨/١٩؛ مصابيح السنة، ١٧٨/٤.

١٢٠٤ لم أجد تخريج هذا الحديث بهذا اللفظ، ربما رواه بالمعنى وقصد حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أرحم أمي بأمي أبو بكر، وأشدهم في أمر الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان بن عفان، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأقرؤهم أبي بن كعب ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح» أخرجه الترمذي في سننه، المناقب ٣٣؛ وأخرجه ابن ماجه في سننه، الإيمان وفضائل الصحابة والعلم ١١.

١٢٠٥ هنا روى الحديث بالمعنى ولفظه: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أرحم أمي بأمي أبو بكر، وأشدهم في

[٢٧٠] وفضل معاذًا على غيره؛ لشدة الاجتناب عن المشتبهات، وقال: «أعلم أمّتي بالحلال والحرام معاذ بن جبل»<sup>١٢٠٦</sup>.

[٢٧١] وفضل عليًا على غيره بكمال علم القضاء، فقال: «أقضى أمّتي عليّ»<sup>١٢٠٧</sup>.

[٢٧٢] وفضل أسامة بن زيد عتيق رسول الله على أقاربه، من جهة طول خدمته وآدابه فيها، وكونه عتيقه، كما سأل علي وعباس عن أحبّ متعلقاته وأقاربه، وقال: «أحبُّ أهلي إليّ من قد أنعم الله عليه وأنعمت عليه»<sup>١٢٠٨</sup> قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ [الأحزاب: ٣٧]، نزلت هذه الآية في حقّ زيد بن أسامة، إلّا أنّ نعمة الأب نعمة الابن، ولذا منّ الله تعالى على بني إسرائيل الموجودين في زمان محمد صلى الله عليه وسلم في كثير من المواضع بالإنعام الذي وصل إلى آبائهم؛ كالإنجاء من فرعون من الغرق، والإنعام في التّيه، وإنعام الله على زيد هدايته إلى الإيمان، وإنعام رسول الله عليه إعتاق أبيه أسامة. وقالوا: ثمّ من؟ قال عليه السّلام: «عليّ، وقال عباس: جعلت عمّك آخرهم» [٢٥٦و] قال: إنّ عليًا سبقك بالهجرة»<sup>١٢٠٩</sup>.

وفضل عمارًا لحسن السيرة، وفضل ابن أمّ عبد لحسن العهد، فقال: «اهتدوا بهدي عمّار، وتمسّكوا بعهد ابن ١٢١٠ أمّ عبد»<sup>١٢١١</sup>.

وفضل ابن مسعود لحسن الرّأي والوصيّة، وهو أوّل من شهد باستحقاق أبي بكر رضي الله عنه بالخلافة بعد رسول الله.

واعلم أنّ تفضيل أكثر المذكورين على غيرهم قد كان بجهة مخصوصة، أو بطريق مبالغة، كما

---

أمر الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وأقرؤهم لكتاب الله أبي بن كعب». أخرجه الترمذي في سننه، المناقب

٣٣؛ وأخرجه ابن ماجه في سننه، الإيمان وفضائل الصحابة والعلم ١١.

١٢٠٦ سنن الترمذي، المناقب ٣٣؛ سنن ابن ماجه، الإيمان وفضائل الصحابة والعلم ١١؛ مسند أحمد،

٢٥٢/٢٠؛ مصابيح السنة، ٤/١٨٠.

١٢٠٧ لم أجد تخريج هذا الحديث في الكتب التسعة، ولكن رواه البغوي مرفوعا عن أنس، أنظر: كشف الخفاء،

١٨٣/١.

١٢٠٨ سنن الترمذي، المناقب ٤١؛ مصابيح السنة، ٤/١٩٩.

١٢٠٩ سنن الترمذي، المناقب ٤١؛ مصابيح السنة، ٤/١٩٩.

١٢١٠ ص، ف - ابن.

١٢١١ سنن الترمذي، المناقب ٣٨؛ مصابيح السنة، ٤/٢١٨.

نقول في مبالغة مدح شيء: ليس مثله في الدنيا وليس أفضل منه، مع أنك ومخاطبك تعلمان أن الأمثل منه أكثر، وإن ورد ذلك في صورة الإطلاق، كما قال النبي عليه السلام: «لو كنت مؤمراً من غير مشورة، لأمرت ابن أم عبد عليهم»<sup>١٢١٢</sup>، وهذا في التأمير على جيش معين؛ لاقتضاء الوقت والحال، فلا يلزم منه أن يكون ابن أم عبد أولى بالخلافة من غيره مطلقاً.

### باب مناقب أزواج النبي عليه السلام

[٢٧٣] قال النبي عليه السلام: «خير نسائها مريم بنت عمران، وخير نسائها خديجة بنت خويلد»<sup>١٢١٣</sup>. وأشار وكيع إلى السماء والأرض.

قال بعض الشُّراح: الضمير في (نسائها)، إلى أمة في زمان مريم وخديجة، والمراد من إشارة وكيع/ [٢٥٦ظ] إليهما؛ أن لا أفضل من كل واحد منهما في زمانها فيما تحت السماء وفوق الأرض<sup>١٢١٤</sup>. ويجوز أن يقال: ترجيح مريم على غيرها بجهة خاصة لها، وكذا ترجيح خديجة.

[٢٧٤] كما قال النبي عليه السلام: «فضل عائشة على النساء، كفضل الثريد على سائر الطعام»<sup>١٢١٥</sup>.

[٢٧٥] وقال عليه السلام لفاطمة: «ألا ترضين أن تكوني سيّدة نساء أهل الجنة ونساء المؤمنين»<sup>١٢١٦</sup>.

---

١٢١٢ سنن الترمذي، المناقب ٣٨؛ مسند أحمد، ٢/٢٠٨؛ مصابيح السنة، ٤/٢١٨.

١٢١٣ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ صحيح مسلم، فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم ٢٤٣٠؛ سنن الترمذي، المناقب ٦٢؛ مسند أحمد، ٢/٧٠؛ مصابيح السنة، ٤/١٩٩.

١٢١٤ قال أبو الفضل عياض: أشار وكيع إلى السماء والأرض كأنه يفسر الهاء ضمير الهاء في (نسائها) يريد الدنيا والأرض؛ وقال: يحتمل أن يريد أن كل واحدة خير نساء أهل الأرض في وقتها، أو أنها من خير نسائها وأفضلهن، وإن كانت المزايا بعد بينهما وبين غيرها ممن هو خير النساء متفاضلة. انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٧/٤٤٠.

١٢١٥ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ صحيح مسلم، فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم ٢٤٣١؛ سنن الترمذي، المناقب ٦٣؛ سنن النسائي، عشرة النساء ٣؛ سنن ابن ماجه، الأطعمة ١٤؛ سنن الدارمي، ٤/٩٧؛ مسند أحمد، ٢١/٣٠٣؛ مصابيح السنة، ٤/٢٠٠.

١٢١٦ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ مصابيح السنة، ٤/١٨٤.

[٢٧٦] وقال: «أحبُّ أهلي إلي فاطمة بنت محمد»<sup>١٢١٧</sup>.

واعلم أنَّ تفضيل مريم على غيرها من النساء يجوز أن يكون بجهة خاصّة لها؛ ككونها معادة من مسّ إبليس، وكون عيسى منها بنفخ جبرائيل عليهما السّلام، وخدمتها في بيت المقدس.

وتفضيل خديجة أيضًا بوجه مخصوص بها؛ كغناء رسول الله بما لها في وقت احتياجه، وعونها لرسول الله عند ضعف الإسلام- كما قال النّبّي عليه السّلام لعبّاس: «إنَّ عليًّا سبقك بالهجرة»- وزيادة محبّتها لرسول الله، ووجود ولد لرسول الله بسببها.

وتفضيل عائشة أيضًا برفاقها إلى رسول الله في حال صغرها، وكونها بنت صدّيق، وإيتاء جبرائيل عليه السّلام صورتها في قطعة حرير وأمره، رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بتزوّجها، وزيادة محبّة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم / [٢٥٧] إيّاها، وكفى تلك المحبّة فضلًا لها وإن لم يوجد غيرها.

وتفضيل فاطمة رضي الله عنها أيضًا من جهة أنّها ابنة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ومن جهة شبهها لرسول<sup>١٢١٨</sup> الله في الخلق.

فعلى هذا يندفع التّدافع الظّاهريّ، لما عرفت جواز كون شيء فاضلاً من جهة، ومفضولاً من جهة.

ويجوز أن يقال تفضيل مريم باعتبار زمانها، لكن لا يتصوّر ذلك في بعض المذكورات، والوجه الأنسب ما قلنا؛ لكثرة اعتبار البلغاء والخطباء بتلك الجهة في المدح والتّفضيل.

### باب جامع المناقب

[٢٧٧] قال النّبّي عليه السّلام: «اهترَ عرش الرّحمن لموت سعد بن معاذ»<sup>١٢١٩</sup>.

---

١٢١٧ روي الحديث بالمعنى ولفظه: «جاء علي والعباس يستأذنان فقالا لأسامة: استأذن لنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، قلت: يا رسول الله علي والعباس يستأذنان فقال: أتدري ما جاء بهما؟ قلت: لا، فقال: لكني أدري، ائذن لهما، فدخلا فقالا: يا رسول الله جئناك نسألك، أي أهلك أحب إليك؟ قال: فاطمة بنت محمد»، أخرجه الترمذي في سننه، المناقب ٤١.

١٢١٨ ص برسول.

١٢١٩ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ صحيح مسلم، فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم ٢٤٦٦؛ سنن ابن ماجه، الإيمان وفضائل الصحابة والعلم ١١؛ مصابيح السنة، ٢٠٨/٤.

فإن قلت: يلزم من أن يكون سعد بن معاذ أشرف من سائر الصحابة. قلنا: لا يلزم، لما عرفت أن التخصيص الذكري لا يدل على نفي ما عداه، ولجواز أن يكون ذلك عبارة عن تعظيم سعد ومدحه، كما قال الله تعالى في التهويل: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ۖ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾ [مریم: ٩٠-٩١]. ولو سلّم أن يراد منه ظاهره، يجوز أن يكون ذلك بخصوصية سعد، فلا تلزم منه تفضيله على غيره على الإطلاق، كما عرفت مثل ذلك في باب تحابي المؤمنين في الله.

[٢٧٨] عن أنس قال: افتخرت الأوس / [٢٥٧ظ] بأربعة رجال منهم على الخزرج، وافتخرت الخزرج أيضًا عليهم بأربعة رجال، إذ قالت الأوس: منا غسيل الملائكة حنظلة بن الرّاهب، ومنا من حمته الدبر، ومنا من قامت شهادته شهادة الرجلين حزيمة بن ثابت، ومنا من اهتزّ العرش لموته سعد بن معاذ. وقالت الخزرج أربعة منا حفظوا جميع القرآن في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم؛ زيد بن ثابت، ومعاذ بن جبل، وأبو زيد وأبي بن كعب.

وقد عرفت أن جهات التفضيل متعدّدة ومتفاوتة، ويجوز أن تفوق وجه واحد على وجوه كثيرة، وأن لا يلزم من التفضيل، بجهة كونه مفضلاً من جميع الوجوه. [٢٧٩] وقال النبي عليه السلام لأبي بن كعب: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ ١٢٢٠، وقال: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ١٢٢٢ سَمَّانِي؟ وقال عليه السلام: نعم، فبكى لشدة فرحه»، ويروى أنه عليه السلام قرأ عليه: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [البينة: ١] ١٢٢٣. وتخصيص أبي من بين القراء وتخصيص ﴿لَمْ يَكُنِ﴾ من بين السُّور؛ لم يكن على سبيل الاتفاق، بل كان لنكته خفية، وحكم مخصّصة.

ويروى أنه عليه السلام عند نزول قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨] المراد من الغير؛ سلمان وقومه، وضرب بيده فخذ سلمان / [٢٥٨و]. وقال لو كان الدين عند الثريا؛ لتناوله رجال من الفرس، ولا يلزم منه أن الفرس

١٢٢٠ ص - أن

١٢٢١ ص + عليك

١٢٢٢ ص - تعالى

١٢٢٣ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ صحيح مسلم، فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم ٧٩٩؛ سنن

الترمذي، المناقب ٣٣؛ مسند أحمد، ١٩/٣٢٨؛ مصابيح السنة، ٤/٢٠٧،

خير من العرب؛ لأنه عليه السّلام قال في حقّ العرب: «خير القرون قرني، ثمّ الذين يلونهم ثمّ الذين يلونهم ثمّ فشا الكذب»<sup>١٢٢٤</sup>. وفضّل المهاجرين والأنصار بوجه كثيرة على غيرهما. بل المراد من تفضيل الفرس؛ تفضيلهم بجهة لا توجد في العرب، كشدة تمسكهم بالإيمان، وتصديق الرّسول مع بعدهم عن مهبط الوحي، وعدم كونهم من قبائل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم؛ وهم العرب.

والأنسب أن يكون تفضيلهم على قوم مخصوصين من العرب، لا على الإطلاق بقريّة قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا﴾؛ لأنّ الخطاب لم يقع على كلّ العرب، فيجوز أن يكون سلمان وقومه أفضل من القوم المعرضين عن الامتثال بأمر الرسول.

[٢٨٠] قال النّبّي عليه السّلام في تفضيل الأنصار: «لولا الهجرة، لكنت امرأ من الأنصار، ولو سلك النّاس واديًا وسلكت الأنصار واديًا وشعبًا، لسلكت وادي الأنصار وشعبهم»<sup>١٢٢٥</sup>.

[٢٨١] وقال: «الأنصار شعار والنّاس دثار»<sup>١٢٢٦</sup>.

فإن قلت: يلزم من هذا أن يكون الأنصار أفضل من المهاجرين، وليس كذلك؛ لأنّ الخلفاء/ [٢٥٨ظ] الأربعة من المهاجرين، وهم أفضل من الأنصار بالاتّفاق.

قلنا: ذلك قرينة على أنّ المراد من الأحاديث المذكورة في حقّ الأنصار غير ظاهرها، فالمراد من تفضيلهم؛ التّفضيل بجهة مخصوصة، وهو انعامهم، وإيواءهم بالمهاجرين، ونصرتهم لرسول الله بالمال والنّفوس عند غاية الاحتياج إلى المعاونة، فيكون بيان تفضيل الأنصار بصورة الإطلاق؛ لتأليف قلوبهم، وتعظيمهم على وجه المبالغة، وقد عرفت أمثالها مرارًا.

[٢٨٢] وقال النّبّي عليه السّلام: «إنّ الجنّة تشتاق إلى ثلاثة؛ عليّ وعمّار وسلمان»<sup>١٢٢٧</sup>.

---

١٢٢٤ روي الحديث بالمعنى ولفظه: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير أمتي قرني ثمّ الذين يلونهم ثمّ الذين يلونهم قال عمران فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثا ثمّ إن بعدكم قوما يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يفون ويظهر فيهم السمن» أخرجه البخاري في صحيحه، الجمعة ٢١٧.

١٢٢٥ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ صحيح مسلم، الزّكاة ١٠٦١؛ مسند أحمد، ٣٠٣/١٦؛ مصابيح السنة، ٢١٣/٤.

١٢٢٦ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ صحيح مسلم، الزّكاة ١٠٦١؛ سنن ابن ماجه، الإيمان وفضائل الصحابة والعلم ١١؛ مسند أحمد، ٣٩٣/٢٦؛ مصابيح السنة، ٢١٣/٤.

١٢٢٧ سنن الترمذي، المناقب ٣٤.

فإن قلت: يلزم منه أن يكون الثلاثة أفضل من الخلفاء الراشدين وغيرهم. قلنا: لا يلزم، لما عرفت أن لا يفهم الحصر من التركيب، فلا يدلُّ على انتفاء اشتياق الجنة إلى غيرهم. نعم، يجب على البليغ أن لا يترك النُّكته في التَّخصيص الذكري، فنقول: يجوز أن يقول النَّبِيُّ عليه السَّلَام ذلك في قضيَّة خاصَّة، وأن يكون ذلك التَّخصيص؛ لبيان زيادة روحانيتهم، وتلذُّدهم بالتَّفكُّر والعبرة، والأمور الرُّوحانيَّة في غالب أحوالهم، كما فضَّل يونس عليه السَّلَام بذلك الاعتبار على غيره. ولا يلزم منه التَّفضيل على [٢٥٩و] جميع الصَّحابة، لما عرفت أنَّ التَّجَلِّي والكشف، والاشتغال بالمناجاة في الخلوات، أفضل باعتبار الدَّات. والاشتغال بالعبادات البدنيَّة، لكن نشر العلوم الدينيَّة مع الاخلاط بأبناء الدُّنيا، والمكاملة معهم، وتعليق القلب بهم؛ لإرشادهم ودعوتهم إلى عبادة الله تعال وتعليمهم أمور دينهم؛ أفضل من الخصلة الأولى، باعتبار الثَّمرات، وإيصال النَّفع إلى عباد الله؛ لأنَّ ذلك من نتائج الرُّأفة على خلق الله تعال، والاعتناء بإنجائهم من عذاب الله تعال، وذلك أعظم الوسائل.

ولذا قال النَّبِيُّ عليه السَّلَام: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم»<sup>١٢٢٨</sup>. وقال: «والمسلم الذي يخالط النَّاس، ويصبر على آذاهم، أفضل من الذي لا يخالطهم، ولا يصبر على آذاهم»<sup>١٢٢٩</sup>، ولذا كانت مرتبة الرِّسالة أعلى من مرتبة الولاية وحكاية موسى وخضر عليهما السَّلَام يرشدك إلى ذلك، لو تفكَّرت بذكر<sup>١٢٣٠</sup> بالك، وحضور حالك، فإنَّ خضر عليه السَّلَام ترك مصاحبة موسى عليه السَّلَام، وأنكر على فعله وسؤاله، وقال: ﴿هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٧٨]، مع أنَّ موسى عليه السَّلَام أفضل من خضر عليه السَّلَام؛ لأنَّه قد اشتغل بإرشاد [٢٥٩ظ] عباد الله تعال، ودعوتهم إلى طاعته، ونهيهم عن المعاصي ومخالفتها، وامتنع لذلك عن المداومة على العزلة والتَّجَلِّي والمكاشفة، وتشرَّف بمنزلة الرِّسالة، وأعلى الدَّرجات الرِّفيعة. وقال النَّبِيُّ عليه السَّلَام: «الإيمان يمان والحكمة يمانية»<sup>١٢٣١</sup>، لزيادة رقة قلوبهم، وصفاء

١٢٢٨ سنن الترمذي، العلم ١٩؛ سنن الدارمي، ١٥٧/١.

١٢٢٩ سنن ابن ماجه، الفتن ٢٣؛ مسند أحمد، ٣٨/١٨٨؛ مصابيح السنة، ٣/٣٩٩.

١٢٣٠ ص بدقة.

١٢٣١ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧؛ صحيح مسلم، الإيمان ٥٢؛ مسند أحمد، ١٢/١٣٣؛ مصابيح السنة،

بواطنهم، أو لوجود شخص فيه وجد فيه كمال الإيمان والحكمة في ذلك الوقت، أو قال ذلك بالنسبة إلى قوم مخصوص لم تبلغ قوّة إيمانهم وحكمتهم إلى أهل اليمن، أو لغلبة أهل الإيمان والحكمة فيه في ذلك الزّمان.

[كما قال النّبِيّ عليه السّلام: «الفخر والخيلاء في أصحاب الإبل، والسّكينة والوقار في أهل الغنم»<sup>١٢٣٢</sup>، باعتبار الغلبة، أو باعتبار اقتضاء الخلقة والأمكنة، أو باعتبار أنّ مصاحبة كلّ صنف من الحيوان تجرّ أصحابه إلى طبيعته وصفته.

ويجوز أن يقال: المراد من اليماني؛ الحجاز، كما قال في موضع آخر: «الإيمان حجازي»<sup>١٢٣٣</sup>. يؤيّد ذلك أنّ النّبِيّ عليه السّلام قال: «الإيمان يمان»، في غزوة تبوك، ومكّة والمدينة كائنتان في جهة اليمن من تبوك، وهذا أولى الوجوه وأقربهم إلى القبول.

[٢٨٣] عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّه قال: ذكرت العجم عند رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فقال عليه السّلام: «لأنا بهم أو ببعضهم أوثق منّي / [٢٦٠] و [بكم]»<sup>١٢٣٤</sup>. فإن قلت: يلزم منه أن يكون العجم مطلقاً خيراً من العرب مطلقاً.

قلت: قد عرفت مراراً أنّ الحديث كثيراً ما يطلق، ويراد منه المقيد، والأحاديث الصّحيحة في تفضيل الصّحابة على العجم خصوصاً، كان بعضهم من الخلفاء الرّاشدين حتّى قال: «من رأى من أصحابي أحداً لا يدخل النّار»، فيكون المراد من قوله: «بكم» قومًا مخصوصين من العرب، كما روي في بعض الأحاديث أنّهم قوم حرّضهم النّبِيّ عليه السّلام على الإنفاق فامتنعوا، كما قال الله تعالى في حقّهم: ﴿هَاتِنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ﴾ [محمد: ٣٨] وقال بعده: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨] أي: أمثالكم في البخل، بل يكونوا باذلين أنفسهم وأمواهم في سبيل الله. فلا يستبعد أن يكون العرب خيراً من العجم بجهة أخرى، باعتبار أنّ القرآن نزل بلغتهم، وأنّ نبيّنا عليه السّلام كان من جملتهم، وكان الكعبة وقبر نبيّنا عليه السّلام في تربتهم. ويكون بعضهم مذمومين بالبخل، وغير من القبائح، ويكون بعض العجم أفضل

٢٢٧/٤.

١٢٣٢ مسند أحمد، ٤٠٩/١٨.

١٢٣٣ لم أجد حديثاً بهذا اللفظ في كتب السنة.

١٢٣٤ سنن الترمذي، المناقب ٧١؛ مصابيح السنة، ٢٢٦/٤.

منهم، باعتبار شدّة تمسّكهم بدينهم مع الغيبة عن صحبة النّبّي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ/ [٢٦٠ظ] ومهبط الوحي.

فيكون معنى الحديث: وثوقي واعتمادي ببعض العجم، أزيد من وثوقي واعتمادي ببعضكم؛ لصفة فاضلة، وعبادات كاملة توجد فيه لا فيكم.

وقد عرفت أنّ أمثال هذا الحديث كثيرة، مثل ما قال النّبّي عَلَيْهِ السَّلَام: «إِنَّ مِنْ أَشَدِّ أُمَّتِي لِي حُبًّا، نَاسٌ يَكُونُونَ بَعْدِي يُودُّ أَحَدَهُمْ لَوْ رَأَى بِأَهْلِهِ»<sup>١٢٣٥</sup>.

وقال عليه السَّلَام: «إِنَّ رَجُلًا يَأْتِيكُمْ مِنَ الْيَمَنِ يُقَالُ لَهُ أُوَيْسٌ لَا يَدْعُ بِالْيَمَنِ غَيْرَ أُمَّ لَه، قَدْ كَانَ بِهِ بِيَاضٌ، فَدَعَا اللَّهَ فَأَذْهَبَهُ، إِلَّا مَوْضِعَ الدِّينَارِ أَوْ الدَّرْهَمِ، فَمَنْ لَقِيَهِ مِنْكُمْ فَلْيَسْتَغْفِرْهُ لَكُمْ»<sup>١٢٣٦</sup>.

المقصود من ذلك؛ أنّ التمسك بالدين والشريعة عند الغيبة، بسبب الرفعة والفضيلة بتلك الجهة، لأنّ ذلك يدل على كمال الإخلاص والمحبة، إذ ليس المراد منه أنّ قومًا يأتون بعد النّبّي أفضل من الصحابة والخلفاء الراشدين، ولا أنّ أويّسًا أفضل منهم، إذ يجوز طلب دعاء الفاضل من المفضول، كما استدعى النّبّي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدُّعاء من ضعفاء المهاجرين عند الخروج إلى الغزو.

[٢٨٤] وقال النّبّي عَلَيْهِ السَّلَام: «طوبى للشّام؛ لأنّ ملائكة الرحمن باسط أجنحتها عليها»<sup>١٢٣٧</sup>. وذلك بالنسبة إلى بلاد الروم، لا بالنسبة إلى مكة والمدينة. أو المراد من الشّام/ [٢٦١و] مقابل الرّوم، أو بالنسبة إلى فئة مخصوصة وغير ذلك. وقال: «وَعَلِظُ الْقُلُوبِ وَالْجَفَاءِ فِي الْمَشْرِقِ، وَالْإِيمَانِ فِي أَهْلِ الْحِجَازِ»<sup>١٢٣٨</sup>. فذلك باعتبار الغالب، إذ يجوز أن يوجد شخص أرق قلبًا، وأمتن دينًا من شخص في الحجاز.

قال النّبّي عَلَيْهِ السَّلَام: «مَا أَظَلَّتْ الْخِضْرَاءُ، وَلَا أَقَلَّتْ الْغِبْرَاءُ مِنْ ذِي لَهْجَةٍ أَصْدَقُ وَلَا أَوْفَى مِنْ أَبِي ذَرٍّ شَبَهَ عَيْسَى بْنِ مَرْيَمَ»<sup>١٢٣٩</sup>. وأنت تعرف أنّ أبا ذرٍّ ليس أصدق، ولا أوفى

١٢٣٥ صحيح مسلم، صفة القيامة والجنة والنار ٢٨٣٢؛ مسند أحمد، ٢٣٣/١٥؛ مصابيح السنة، ٢٣١/٤.

١٢٣٦ صحيح مسلم، فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم ٢٥٤٢؛ مصابيح السنة، ٢٢٦/٤.

١٢٣٧ سنن الترمذي، المناقب ٧٥؛ مسند أحمد، ٤٨٤/٣٥؛ مصابيح السنة، ٢٢٩/٤.

١٢٣٨ صحيح مسلم، الإيمان ٥٣؛ مسند أحمد، ٤٤٨/٢٢؛ مصابيح السنة، ٢٢٨/٤.

١٢٣٩ سنن الترمذي، المناقب ٣٦؛ مسند أحمد، ٢٠٦/١١؛ مصابيح السنة، ٢٢٠/٤.

من أبي بكر وعمر، وأنَّ المراد من ذلك المبالغة في صدقه ووفائه، أو بالنسبة إلى قوم مخصوص، وقصة مخصوصة.

[٢٨٥] قال النَّبِيُّ عليه السَّلَام: «أتاكم أهل اليمن هم أَرْقُ أفئدة وألين قلوبًا، الإيمان يمان والحكمة يمانية»<sup>١٢٤٠</sup>. وهذا ليس بجار على إطلاقه؛ لأنَّ كل أهل اليمن ليس أفضل في الإيمان والرِّقة من أهل مكَّة والمدينة، بل بالنسبة ذلك إلى المخاطبين المخصوصين في قوله: «أتاكم»، أو بالنسبة إلى الجانبين، أو باعتبار الغالب، أو المراد من اسم التَّفْضِيل الزيادة المطلقة، أو المبالغة والاستمالة.

وقد عرفت أنَّ القرينة الصارفة عن إرادة الحقيقة سهل يسير، وتعيين التَّأويل المناسب صعب عسير، وإتِّمَّ أطنب العبد الحقيير أفقر الأنام/ [٢٦١ظ] إلى رحمة ربِّه الملك العلام تفاصيل الكلام في هذا الباب والمقام، كما أطنب في باب الإيمان والإسلام، وباب عذاب القبر، والدَّعاء والتَّوبة والاستغفار، وبدء الخلق، وتفضيل النَّبِيِّ عليه السَّلَام؛ لفوائد فخيمة ونكتة نبهة، ولاطلاع على أنَّ تفضيل الأعمال والأشخاص والصفات، وتقبيح بعض المعاصي والأخلاق والسيئات على بعض، كثير في صورة إطلاق الجهات.

وإن كان المراد من ذلك التَّفْضِيل والترجيح لبعض الصفات والاعتبارات، وإنَّ ذلك يشوِّش قلوب المتعلِّمين في مواضع كثيرة من الأحاديث والآيات؛ لعدم كثرة ممارستهم وتدبُّرهم في العلوم الشرعية، وآلف وهمهم بالفنون الرِّسمية والقوانين الفلسفية، وذهولهم عن أنَّ كثيرًا من النُّصوص الشرعية جار على خلاف مقتضى الظاهر والحقيقة؛ لرعاية مقتضيات الوعظ والنصيحة.

وإنَّ الواجب على كل عالم منتصب في مضمار النَّصح والإرشاد، ومقام الوعظ، وتعليم زاد المعاد، أن يجعل أعظم مهمَّاته، وأجَل متبعا، والاجتهاد في دفع التَّعارض الظَّاهري عن وجوه كلام الشَّارع؛ بالجمع والتَّوفيق، وفي تبين/ [٢٦٢و] طرائق التَّأويل والترجيح والتَّحقيق، حتى تنقلع وشيكة التَّردُّد والتَّزلزل عن قلوب المستدلِّين القاصرين عن التَّوفيق والتَّحقيق، ويحكم توجَّههم وقصدتهم إلى الاشتغال بتحقيق العلوم الشرعية، وتكميل أنفسهم

١٢٤٠ صحيح البخاري، الجمعة ٢١٧، صحيح مسلم، الإيمان ٥٢؛ سنن الترمذي، المناقب ٧٢؛ مسند أحمد،

١٢/١٣٣؛ مصابيح السنة، ٤/٢٢٧.

بالعبادات القلبية والقلبية.

وقد كان هذا الفقير عالماً بتطور بضاعته في التلفيق والتّحقيق، وفطور فطانه في التأويل والتّدقيق، وعدم اقتداره على الولوج في هذا المضيق، والغوص في البحر العميق، لكنّه نظر في أنّ فيض خالق العباد مختلف في فيض المراد، ولا يتكّمّل العلم إلّا بتلاحق الأفكار، وتتابع الأنظار، وقد يحظر أخرى إلى أن ينتهي إلى القياس المنتج بالذّات المطلوب.

ويتبين لك المقدمات والشّكل والنتيجة، مثلاً إن كان المطلوب (أ ط) ووجدنا كل (أ ب) وكل (هـ ط)، فإن حاصل لنا وسط يجمع بين (ب وهـ)، بأن يقال كل (ب د) وكل (د هـ) فقد تمّ لنا القياس، وإلّا فلا بدّ أن يكون له نسبة إلى شيء فرضنا أنّه (د)، حتى يحصل كل (ده) فيضع (د وب)، وتطلب بينهما حدّاً وسطاً، وهكذا إلى أن يتمّ العمل.

واعلم أنّ العلم الاستدلاليّ ينتهي إلى العلم / [٢٦٢ ظ] الضّروريّ، وهو منقسم إلى الوجدانيّات، ولا فائدة فيها للمناظرة؛ لاختلاف النّاس في الوجدانيّات، فلا يتصوّر فيه الإلزام.

وإلى الحسيّات والبدهيّات؛ لأنّ الحاكم فيه: إمّا مجرّد العقل وهو البديهيّ، ويندرج فيه قضايا قياساتها معها، أو العقل مع معاونّة الحسّ الظّاهريّ، أو الباطن.

وقد عرفت أنّ المناظر لا يستعمل الوجدانيّات في المباحثات مع الخصم، ويستعمل البديهيّات والمحسوسات، لكنّ المحسوسات في إفادة القطع قد تحتاج إلى تكرّر حسّ السّمع، يسمّى ذلك بالمتواترات، وقد احتاج إلى تكرّر حسّ غير حسّ السّمع، ويسمّى ذلك بالتجزئيّات.

وما يسمّى حدسيّات إمّا مندرجة في البديهيّات، أو في الحسيّات، لكنّ النّاس اختلفوا في إفادة البديهيّات والحسيّات العلم.

وأكثر أهل النّظر يعترف بإفادتهما القطع واليقين، وبعض أهل الاستدلال ينكر إفادة الحسيّات القطع، وينسب ذلك إلى أفلاطون، وجالينوس، وأرسطو، وبطلموس. ولعلّهم أرادوا أنّ جزم العقل فيهما ليس بمجرّد الحسّ، بل مع أمور ينضمّ إليه، فيضطرّه إلى الجزم، لا يعلم ما هي، ومتى حصلت، وكيف حصلت، وألا تنتهي إليها علومهم، فكيف / [٢٦٣ و] ينكرونها؟ وقالوا: الحسّ لا يحكم في الكليّات، ويغلّط في الجزئيّات، كما ترى الصّغير كبير، كالنّار المرئيّة في المسافة البعيدة، والخاتم المقرّب إلى العين، وترى المعدوم موجوداً كالسّرّاب،

وما يريه صاحب خفة اليد، وكما ترى الشطّ متحرّكًا والسّفينة ثابتة، وترى الشّجرة في وسط النّهر منتكسًا مع أنّ الأمر بالعكس. والتّائم يجزم في نومه بوجود أشياء معدومة، ويحتمل مثله في اليقظة.

وأجيب: بأنّ العقل لا يجزم بمجرد الحسن، بل بمعونة قرائن يدلُّ على انتفاء الاحتمالات المذكورة، وبعض المستدلّين يعترفون بإفادة الحسيّات القطع واليقين، وينكرون إفادة البديهيات العلم، إذ قالوا: هي أضعف من الحسيّات، ولذا قيل: من فقد حسًّا، فقد فقد علمًا؛ كالأكمه والعنين، ولهم شُبّهة:

الأولى: أجلى البديهيات الشّيء؛ إمّا أن يوجد، أو لا يوجد، وذلك لا يفيد اليقين، وباقي البديهيات يرجع إليه، كقولنا، الكلُّ أعظم من الجزء، وإلّا فالجزء معتبر وغير معتبر، والجسم الواحد لا يكون في مكانين في زمان واحد، وإلّا لا يتمّ عن جسمين في مكانين، فالجسم الآخر معتبر وغير معتبر، وكل ذلك لا يفيد / [٢٦٣ظ] العلم، لأنّه يتوقّف على تصوّر الموجود والمعدوم، والتّمييز بينهما، ولو كان المعدوم متميزًا؛ لكان ثابتًا، فله حقيقة.

والجواب: أنّ المفهوم والمتميّز؛ مفهوم المعدوم، فلا يلزم منه أن يكون له حقيقة ووجود في الخارج.

الثّانية: أن نجزم بالعاديّات كجزمنا بالأوليّات، فإنّا جزمنا بأنّ الشّيخ لم يلد من أمّه شيخًا، وبلا أب وأم. ولم تنقلب أواني البيت بعد خروجي منه أناسًا فضلاء. وبأنّ من يكاملنا حيّ عالم، لكن احتمال النّقيض في الكل قائم بالنّسبة إلى قدرة الله تعالى، أو بالحوادث الفلكية الخارقة للعادة عند الفلاسفة.

والجواب: الإمكان العقلي لا ينافي الجزم.

الثّالثة: للأمزجة والعادات تأثير في الاعتقاديّات، فقويّ القلب يستحسن الإيلام وحرارة الحّمّام، وضعيف القلب يتألمّ منهما. ومن مارس مذهبنا يجزم فيه، وخصمه ينكر صحّته.

والجواب: أنّ ذلك لا يدلُّ على أن يكون كل البديهيات كذلك.

الرّابعة: مزاولة العلوم العقليّة يدلُّ على تعارض الحجج القطعيّة.

قلنا: ذلك لوجود الخلل في مادّتها، أو صورتها، والسّفسطائيّة<sup>١٢٤١</sup> قالوا: لا يفيد / [٢٦٤و]

١٢٤١ السّفسطائية: هو منهج وفكر فلسفي يوناني. وزعيم هذا الفكر (بروتاجوراس)، حيث ينكر أصحاب هذا

البديهيّات والحسيّات العلم؛ لأنّ دليل الفريقين يبطل مذهبهما، والنّظر فرعهما، ولا طريق غيرهما. وقد منع المحقّقون المناظرة معهم؛ لأنّهم لا يعترفون بمعلوم حتى يثبت به مجهولاً، فطريق إلزامهم الضّرب والإحراق، حتى يعترفوا بوجوديات الحسيّات وعلمها.

هذا ممّا جمع بعض تلاميذي فعرض عليّ

تم.



---

المذهب حقائق الموجودات، والمحسوسات والبديهيّات وأمور الضروريات وعلم الإنسان، أي أنّهم ينكرون العلوم كلها، وتنقسم إلى ثلاث فرق:

الأولى: اللاأدرية؛ هم الذين يشكون في حقائق الأشياء.

الثانية: العنادية؛ هم الذين ينكرون ثبوت الحقائق الحسية والعقلية.

الثالثة: العنودية، وهم الذين يرون أنّ ليس للأشياء حقيقة في نفسها. انظر: التهانوي، محمد بن علي ابن القاضي

محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي. **كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، تحقيق: د. علي دحروج، مكتبة

لبنان ناشرون، بيروت، ١٩٩٦م، ١/٩٥٧؛ عسيري، أحمد بن علي الزامل. **منهج الشيخ عبد الرزاق عفيفي**

**وجهوده في تقرير العقيدة والرد على المخالفين**، رسالة ماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة - كلية أصول

الدين - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ص: ٧٢٥.

## الخاتمة

وفي الختام، أودّ أن أكون قد وُفقت في إضاءة مصابيح كانت بحوزة الإزنيقي، نورها من نور السنة، لتشعل الطريق أمام الباحثين والمهتمين بدراسة علم التوفيق ودفع التعارض الظاهري ومختلف الحديث، ذلك العلم الذي لا يخفى على طالب علم تلك الفائدة العلمية من دراسته، في بيان طريقة التعامل مع الأدلة والقواعد العامة عند ورود أحكام متنوعة في ذات الموضوع، وترتيبها، وما له من أثر في اختلاف العلماء في كثير من المسائل الفقهية. وما كان من خير فمن الله، وما كان من تقصير فمن نفسي وأرجو فيه المسامحة، ومن الله عز وجل التوفيق.

النتائج التي توصلت إليها:

١. أنّ قطب الدين الإزنيقي عالم وفاضل عثماني من علماء القرن التاسع الهجري - الرابع عشر ميلادي.
٢. أنه عاش بين فترتي حكم السلطان يلدريم بايزيد (Yıldırım Bayezid) والسلطان محمد جلبي (Mehmed Çelebi)، أي في بداية تأسيس الدولة العثمانية، وامتازت هذه الفترة بالقوة ثم الضعف ثم النهضة من جديد في زمن السلطان محمد جلبي.
٣. أنه نشأ في ولاية إزنيق، وتعلّم في مدارسها، ودّرّس فيها.
٤. أنه اهتم بالكتاب والسنة، وحث على تعلّمهما.
٥. أنّ تلاميذ عصره كان اهتمامهم بتعلم علوم الآلة أكثر من اهتمامهم بتعلّم العلوم الدينية.
٦. أنه خلف مؤلفات في الفقه والتصوف والتفسير وعلم الكلام.
٧. أنّ كتاب مصابيح السنة كان من الكتب التي دُرّست في مدرسة الحديث في ولاية إزنيق.

٨. أن شرحه لم يستوعب أبواب مصابيح السنة جميعها، وأنه صغير الحجم مقارنة بالشرح الأخرى التي اعتمد عليها.

٩. أن كتابه تليقات المصابيح اشتمل العلوم الشرعية جميعها، فتناول المسائل العقائدية والكلامية، وأصول الفقه، والحديث، والتفسير، والنحو والبلاغة.

١٠. أن شرحه تفرّد عن الشروح الأخرى، لأنّ -فيما اطّلت عليه- شرح الإزنيقي هو الشرح الوحيد الذي ركز على مسألة التعارض الظاهري بين الأحاديث المذكورة في كتاب مصابيح السنة وعلى دفع هذا التعارض.

١١. أنّ في الحقيقة لا يوجد تعارض ولا اختلاف بين الأدلة الشرعية.

١٢. أنّه استخدم قاعدتي الجمع بين الأدلة، وترك المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي بدلالة إما نقلية أو عقلية أو حسية في دفع التعارض كثيراً، وندر استخدامه لقاعدتي معرفة الناسخ والمنسوخ والترجيح.

١٣. إضافات قطب الدين الإزنيقي على الشرح كانت مستندة على الشروح السابقة. وأهم التوصيات التي توصلت إليها:

١. إنّ كتاب تليقات المصابيح جمع العلوم الشرعية، حيث ذكر قواعد وطرق الأصوليين في دفع التعارض، وذكر بعض المصطلحات الأصولية، فيمكن الوقوف على كتاب تليقات المصابيح من جانب أصول الفقه.

٢. يلاحظ من خلال النص أسلوبه البلاغي، فيمكن الوقوف على أسلوبه البلاغي في شرحه.

٣. البحث عن الشيوخ والعلماء الذي عاشوا في فترة زمانه في ولاية إزنيق، لعله من خلالها يمكن الوصول إلى بعض المعلومات التي تتعلق بحياته وعلمه.

٤. تعلّم علم المخطوطات، والتعرف على منهج التحقيق وآليته، ثم العمل في مجال التحقيق.

## المصادر والمراجع

- إبراهيم مصطفى، وآخرون. **المعجم الوسيط**، مجمع اللغة العربية، القاهرة: دار الدعوة.
- ابن أبي العز، **شرح العقيدة الطحاوية**، تحقيق: مجموعة من العلماء، تخرّج أحاديثه: ناصر الدين الألباني، ط ٩، بيروت: المكتب الإسلامي ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- ابن الأثير، مجد الدين بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري. **جامع الأصول في أحاديث الرسول**، تحقيق: عبد القادر الأرئووط - التتمة تحقيق بشير عيون، مكتبة الحلواني - مطبعة الملاح - مكتبة دار البيان.
- أبو الطيب المنصوري، نايف بن صلاح بن علي. **الروض الباسم في تراجم شيوخ الحاكم**، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م.
- البوصيري، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم بن قايمار بن عثمان الكناني، **إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة**، تقديم: فضيلة الشيخ الدكتور أحمد معبد عبد الكريم، تحقيق: دار المشكاة للبحث العلمي بإشراف أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ط: ١، الرياض: دار الوطن للنشر ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
- الأنجري الفاسي، أبو العباس أحمد بن محمد. **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، القاهرة- الدكتور حسن عباس زكي.
- الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد. **الملل والنحل**، مصر: مؤسسة الحلبي وشركاه.
- العجلوني، إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي. **كشف الخفاء**، تحقيق: عبد الحميد بن أحمد بن يوسف بن هنداوي، ط ١. مصر: المكتبة المصرية ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
- الجوزي، أبو الفرج. **كشف المشكل من حديث الصحيحين**، تحقيق: علي حسن البواب، الرياض - دار الوطن.
- القشيري، أبو الفضل بكر بن العلاء. **أحكام القرآن**؛ تحقيق سلمان الصمدي، ط ١. الإمارات: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ٢٠١٦ م.
- أبو الفضل، عياض بن موسى السبتي، **إكمال المعلم بفوائد مسلم**، تحقيق: الدكتور يحيى إسماعيل، ط ١. مصر: دار الوفاء ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

ابن العماد، أبو الفلاح الحنبلي، عبد الحي بن أحمد بن محمد العسكري. **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط - محمود الأرناؤوط، ط ١. بيروت: دار ابن كثير، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

الزنجشيري، أبو القاسم. **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ط: ٣، بيروت: دار الكتاب العربي ١٤٠٧ هـ.

الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد. **المعجم الأوسط**، تحقيق: أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد - أبو الفضل عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، القاهرة: دار الحرمين ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م.

الغزالي، أبو حامد. **الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة**، ضبط وتعليق: موفق فوزي الجبر، ط ١. دمشق: الحكمة ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

أبو حنيفة النعمان، **الفقه الأكبر**، ط: ١، الإمارات - مكتبة الفرقان ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩م. أبو داود السجستاني، سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي. **سنن أبي داود**، تحقيق شعيب الأرناؤوط، محمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، بيروت ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

النووي، أبو زكريا. **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**؛ ط ٢. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٧٢م.

النووي، أبو زكريا. **روضة الطالبين وعمدة المفتين**، تحقيق: زهير الشاويش، ط ٣. بيروت: المكتب الإسلامي ١٤١٢ هـ - ١٩٩١م.

الخطابي، أبو سليمان. **معالم السنن شرح سنن أبي داود**، ط: ١، حلب - المطبعة العلمية ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢م.

التُّورِيشْتِي، أبو عبد الله، شهاب الدين. **الميسر في شرح مصابيح السنة**، تحقيق: د. عبد الحميد هندراوي، ط ٢. مكة المكرمة: مكتبة نزار مصطفى الباز ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م.

الصابوني، أبو عثمان. **عقيدة السلف وأصحاب الحديث**، تحقيق: د. ناصر عبد الرحمن بن محمد الجديع، ط ٢. السعودية: دار العاصمة ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م.

- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف. **جامع بيان العلم وفضله**، تحقيق: أبو الأشبال، ط ١. السعودية: دار ابن الجوزي ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- ابن الصلاح، أبو عمرو. **صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط وحمایته من الإسقاط والسقط**، تحقيق: موفق عبدالله عبدالقادر، ط ٢. بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- أبو عيسى الترمذي، محمد بن عيسى بن سؤرة بن موسى بن الضحاك. **سنن الترمذي**، تحقيق بشار عواد معروف، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٨م.
- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي القرطبي الظاهري. **التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية**، تحقيق: إحسان عباس، ط ١. بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٠٠م.
- أبو منصور الأسفراييني، عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي. **الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية**، بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٩٧٧م.
- أبو منصور الماتريدي، تفسير الماتريدي، تحقيق: د. مجدي باسلوم، ط ١. بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، مصر: مطبعة السعادة، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.
- ابن خلكان، أبي العباس، شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر. **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق: الدكتور إحسان عباس، بيروت: دار صادر.
- الأتابكي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي. **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، مصر: وزارة الثقافة، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م.
- ابن حجر العسقلاني، أحمد. **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، إخراج وتصحيح: محب الدين الخطيب، تعليق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، بيروت: دار المعرفة ١٣٧٩هـ.
- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم. **الإيمان الأوسط**، تحقيق: الدكتور علي بن بجيت الزهراني، السعودية: دار ابن الجوزي ١٤٢٣هـ.
- الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى. **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**، تحقيق:

نعيم زرزور، بيروت: المكتبة العصرية.

النسفي الماتريدي، الإمام أبي المعين ميمون. **تبصرة الأدلة في أصول الدين**، تحقيق: الدكتور

محمد الأنور حامد عيسى، ط ١. القاهرة: المكتبة الأزهرية للتراث ٢٠١١م.

أوزتونا، يلماز. **تاريخ الدولة العثمانية**، ترجمة عدنان محمود سلمان، ط ١. تركيا: مؤسسة

فيصل للتمويل، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

بدر الدين الزركشي، **تشنيف المسامع بجمع الجوامع لتاج الدين السبكي**، تحقيق: د سيد

عبد العزيز؛ د عبد الله ربيع، ط ١. القاهرة: مكتبة قرطبة للبحث العلمي وإحياء

التراث ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

البنار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي، **مسند البنار**

= **البحر الزخار**، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله (ج ١ - ٩)، عادل بن سعد (ج

١٠ - ١٧)، صبري عبد الخالق الشافعي (ج ١٨)، ط ١. المدينة المنورة: مكتبة

العلوم والحكم ٢٠٠٩م.

البغدادي، إسماعيل باشا. **هدية العارفين وأسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، بيروت: دار

إحياء التراث العربي.

البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء. **مصابيح السنة**، تحقيق: يوسف

عبد الرحمن المرعشلي، محمد سليم إبراهيم سمارة، جمال حمدي الذهبي، بيروت: دار

المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء. **معالم التنزيل في تفسير القرآن** =

**تفسير البغوي**، تحقيق: محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم

الحرش، ط ٤. الرياض: دار طيبة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء، **شرح السنة**، تحقيق: شعيب

الأرنؤوط، محمد زهير الشاويش، ط ٢. دمشق: المكتب الإسلامي ١٤٠٣هـ -

١٩٨٣م.

البيضاوي، ناصر الدين عبد الله بن عمر. **تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة**، تحقيق: لجنة

مختصة بإشراف نور الدين طالب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت:

١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م.

اليهقي، الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب، تحقيق:  
أحمد عصام الكاتب، ط ١. لبنان: دار الآفاق الجديدة.

تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن  
محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم  
الكلامية، تحقيق: مجموعة من المحققين، ط ١. المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة  
المصحف الشريف ١٤٢٦ هـ.

تقي الدين السبكي، فتاوى السبكي، دار المعارف.

تقي الدين القشيري، شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية، ط ٦.  
بيروت: مؤسسة الريان ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

تقي الدين المقرئ، المقفى الكبير، تحقيق: محمد اليعلاوي، ط ٢. بيروت: دار الغرب  
الإسلامي ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.

التهانوي، محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي. كشف  
اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: د. علي دحروج، بيروت: مكتبة لبنان ناشرون،  
١٩٩٦ م.

ابن الجوزي، الموضوعات، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، ط ١. المدينة المنورة: المكتبة  
السلفية ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م.

ابن الجوزي، مناقب الإمام أحمد، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط ٢. مصر:  
دار هجر، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م.

الجعفي، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري. الجامع المسند الصحيح المختصر من  
أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، تحقيق: محمد زهير بن ناصر  
الناصر، بيروت: دار طوق النجاة.

الجليند، محمد السيد. الوحي والإنسان - قراءة معرفية، القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر  
والتوزيع.

الجمالي، أبو الفداء زين الدين أبو العدل قاسم بن قُطْلُوبغا السوداني. تاج التراجم، تحقيق:

- محمد خير رمضان يوسف. دمشق: دار القلم، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.
- حاجي خليفة، سلم الوصول إلى طبقات الفحول، تحقيق: محمود عبد القادر الأرنؤوط، إشراف وتقديم: أكمل الدين إحسان أوغلي، تدقيق: صالح سعداوي صالح، إعداد الفهارس: صلاح الدين أوغور، استنبول - إرسیکا ٢٠١٠م.
- حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- حسن أبو الأشبال الزهيري، شرح كتاب الإبانة من أصول الديانة، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية: <http://www.islamweb.net>.
- ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، تحقيق: أ. خليل شحادة، ط ١. بيروت: دار الفكر، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.
- ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، ط ١. دمشق: دار يعرب، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.
- الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد وذيوله، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط ١. بيروت: دار الكتب العلمية ١٤١٧هـ.
- الدكتور أحمد مطلوب، البلاغة عند السكاكي، رسالة ماجستير في كلية الآداب - جامعة القاهرة، بغداد - مكتبة النهضة.
- الدكتور عبد الرحيم، معجم الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهجاتها، دمشق: دار القلم، ٢٠١١م.
- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: د بشار عوَّاد معروف، ط ١. بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان. سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة.
- ابن رجب البغدادي، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، تحقيق: شعيب الأرنؤوط؛ إبراهيم باجس، ط ٧، بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤١٧ هـ -

١٩٩٧ م.

الراجحي، عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن. شرح الاقتصاد في الاعتقاد. رواية أبي مقاتل عن أبي حنيفة رضي الله عنهما، العالم والمتعلم، تحقيق: محمد زاهد الكوثري.

الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس. الأعلام، ط ١٥. بيروت: دار العلم للملايين، ٢٠٠٢ م.

السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين. طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، ط ٢. الجيزة: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.

السلمي، عبد الرحيم بن صمايل العلياني. أصول العقيدة. سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط ٢. القاهرة: مكتبة ابن تيمية.

شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي، شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، تحقيق: د. عبد الحميد هندراوي، ط ١. الرياض: مكتبة نزار مصطفى الباز ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

الشريف الجرجاني، شرح المواقف، ط ١. لبنان: دار الكتب العلمية ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م. شمس الأئمة السرخسي، المبسوط، صححه: جمع من أفاضل العلماء، مصر: دار السعادة/ صورّتها: بيروت - دار المعرفة.

الشيبياني، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد. مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢ هـ - ٢٠٠١ م.

الصلابي، علي محمد محمد. الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، دار التوزيع والنشر.

طاش كبري زاده. الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية، بيروت: دار الكتاب العربي.

طاش كبري زاده، أحمد بن مصطفى. **مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم**، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

ابن عابدين؛ محمد أمين، **حاشية ابن عابدين**، ط٢. مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م.

ابن عبد البر، **الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء مالك والشافعي وأبي حنيفة رضي الله عنهم**، بيروت: دار الكتب العلمية.

عبد العزيز الراجحي، **دروس في العقيدة**، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية: <http://www.islamweb.net>.

عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن الراجحي، **شرح كتاب الإيمان لأبي عبيد**، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية: <http://www.islamweb.net>.

العراقي، أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم. **المغني عن حمل الأسفار في الأسفار**، في تخریج ما في الإحياء من الأخبار، بيروت: دار ابن حزم، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر. **الإصابة في تمييز الصحابة**، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، بيروت: دار الكتب، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

عسيري، أحمد بن علي الزامل. **منهج الشيخ عبد الرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة والرد على المخالفين**، رسالة ماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة - كلية أصول الدين - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية. عضد الدين الإيجي، **المواقف**، بيروت: دار الجيل.

علي بن محمد الجرجاني، **معجم التعريفات**، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٣م. علي سامي النشار، **نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام**، ط٩. القاهرة: دار المعارف. عمر، أحمد مختار عبد الحميد. **معجم اللغة العربية المعاصرة**، ط١. الرياض: عالم الكتب، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

- العمرو، آمال بنت عبد العزيز. الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية. الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب. القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
- ابن قرقول، مطالع الأنوار على صحاح الآثار، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، ط: ١، قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢م.
- القرطبي، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، بيروت: دار الجيل، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، ط ٢. الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
- ابن الملقن، سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي. طبقات الأولياء، تحقيق: نور الدين شريبه من علماء الأزهر، ط ٢. القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤م.
- ابن ماجة القزويني، أبو عبد الله محمد بن يزيد. سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٣هـ/١٩٥٣م.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري. لسان العرب، الحواشي: لليا زجي وجماعة من اللغويين، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ.
- محمد با كريم با عبد الله، وسطية أهل السنة بين الفرق، ط ١. الأردن: دار الراجية ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.
- محمد بن عبد الرحمن الخميس، كتاب اعتقاد الأئمة الأربعة، ط ١. دار العاصمة: المملكة العربية السعودية، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- محمد رشيد رضا، تفسير المنار، مصر: الهيئة المصرية العامة.
- محمد مصطفى الزحيلي، الوجيز في أصول الفقه الإسلامي، ط ٢، دمشق: دار الخير للنشر والتوزيع ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.

المحمود، عبد الرحمن بن صالح بن صالح. موقف ابن تيمية من الأشاعرة، الرياض: مكتبة الرشد، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

المرزوقي، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني. التحبير في المعجم الكبير، تحقيق: منيرة ناجي سالم، ط ١. بغداد: رئاسة ديوان الأوقاف، ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م.  
مظهر الدين الزيداني، المفاتيح في شرح المصابيح، تحقيق: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب، ط ١. الكويت: دار النوادر ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م.  
المغراوي، أبو سهل محمد بن عبد الرحمن. موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، النبلاء للكتاب، مراكش - المغرب.

النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني. المجتبى من السنن (سنن النسائي)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م.

نشوان بن سعيد الحميري اليمني، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق: حسين بن عبد الله العمري؛ مطهر بن علي الإرياني؛ د يوسف محمد عبد الله، ط ١. بيروت: دار الفكر المعاصر/ دمشق: دار الفكر ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

النيسابوري، مسلم بن الحجاج أبي الحسن القشيري. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ.

يوسف بن أبي بكر السكاكي، مفتاح العلوم، ضبطه وكتب هوامشه: نعيم زرزور، بيروت: دار الكتب العلمية.

يوسف بن محمد علي الغفيص، شرح العقيدة الطحاوية، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية: <http://www.islamweb.net>.

#### المصادر الأجنبية:

ALTUNTAŞ, Mustafa Celil. "Osmanlı Döneminde Hadis İlimi", (İstanbul Üniversitesi. Sosyal Bilimler Enstitüsü. Doktora tezi, 2108).

YILDIRIM, Selahattin. Osmanlı Dönemi Anadolu Muhaddisleri

**(Hicri VII-IX Asır)**, (doktora tezi. Marmara Üniversitesi. Sosyal Bilimler Enstitüsü 1994).  
ÖNGÖREN, Reşat. "Kutbüddin İznikî" **Türkiye Diyanet Vakfı İslam Ansiklopedisi (DİA)**, c. 26, S. 485.



## الملحقات



## فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	رقم الآية	نص الآية
٢ . البقرة		
٣١٧	٢٤	﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾
١٢٨	٢٥	﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾
٢٧٦	١٧٢	﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٦١﴾﴾
٢٧٠ ، ٢٥٨	١٨٥	﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾
٤١	١٩٧	﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾
٢٨٢	٢٤٩	﴿إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهْرٍ﴾
٣٢٧	٢٥٣	﴿*تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾
٢٨١	٢٥٥	﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾
٣٣٨	٢٦٠	﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾
٢٧٦	٢٨٤	﴿وَإِن تُبَدُّوْا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوْهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾
٣٢٧	٢٨٥	﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾
٢٧٠ ، ٢٥٨	٢٨٦	﴿لَا يَكْفُرُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾
٣ . آل عمران		
٢٧٨	١٤	﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾
٣٨	٥٧	﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾

الصفحة	رقم الآية	نص الآية
٣٩	١٣١	﴿وَأَنْتَقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٣١﴾﴾
٤ . النساء		
٣٨	١٤	﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا﴾
٣١٦	٢٦	﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾
٣٨ ، ٣٤	٩٣	﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾
٥ . المائدة		
٣٥٨	٥٥	﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾
٦ . الأنعام		
٣٢١	١٨	﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾
٣٨	٨٢	﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾
٧ . الأعراف		
٣٠٠	٦	﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾
٣١٦	٥٤	﴿أُسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾
٨ . الأنفال		
٤٠	٢	﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾
٤٠	٤	﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾
٢٩٣	٢٢	﴿*إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصَّمُّ الْبُكْمُ﴾
١٠ . يونس		
٤٢	٩٠	﴿عَآمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي عَآمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ﴾

الصفحة	رقم الآية	نص الآية
.١١ هود		
٢٨٣، ٢٨٢	٣٧	﴿وَأَصْنَعُ الْفُلَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾
.١٣ الرعد		
٣٢١	١٦	﴿اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾
.١٥ الحجر		
٣٠٠	٩٢	﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾
.١٦ النحل		
٣٢٢	١٨	﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾
.١٧ الإسراء		
٢٧٦	٣٦	﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾
.١٩ مريم		
٣٦٥	٩٠	﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾
.٢٠ طه		
٣٩	٤٨	﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾
٣١٤	١٣٠	﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾
.٢١ الأنبياء		
٢٨١	٢٨	﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾
٢٧١	٣٠	﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾
٣٢٦	١٠٧	﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾
.٢٢ الحج		
٢٥٨	٧٨	﴿وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾

الصفحة	رقم الآية	نص الآية
٢٣ . المؤمنون		
٤٠	١	﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾
٢٨٠	٦٠	﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾
٢٨١	٦١	﴿أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾
٢٦ . الشعراء		
٢٨١	٢١٤	﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢﴾﴾
٢٧ . النمل		
٣٣	٢٣	﴿وَأَوْثَيْتَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾
٣٢ . السجدة		
٣٨	٢٠	﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمْ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾
٣٣ . الأحزاب		
٣٦٢	٣٧	﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾
٣٤ . سبأ		
٣٢٦	٢٨	﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾
٣٥ . فاطر		
٢٥٥	١٨	﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾
٣٨ . ص		
١٢٨	٢٨	﴿أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾
٣٩ . الزمر		
٢٨٢، ٢٨٣، ٣١٦	٥٦	﴿يَحْسِرَتْنِي عَلَىٰ مَا قَرَّطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ﴾

الصفحة	رقم الآية	نص الآية
٣٣٥	٦٢	﴿اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾
٢٨٢	٦٧	﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾
٤٧ . محمد		
٣٦٨ ، ٣٦٥	٣٨	﴿وَأَن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾
٤٩ . الحجرات		
٣٤	٩	﴿وَأَن طَافِقَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾
٥١ . الذاريات		
٢٧٦	٥٦	﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾
٥٣ . النجم		
٣٤٩	١٦	﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾
٥٥ . الرحمن		
٣٠٠	٣٩	﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾
٥٦ . الواقعة		
٣١١	٣٤	﴿وَفُورِشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾
٥٧ . الحديد		
٢٧٨	٢٠	﴿أَتَمَّا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾
٦٧ . الملك		
٢٨٢	٢	﴿خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾
٦٨ . القلم		
٣٢٦	٤	﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

الصفحة	رقم الآية	نص الآية
١٢٨	٣٥	﴿أَفَجَعَلَ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾
٧٥. القيامة		
٣١٤	٢٢	﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾
٨٢. الانفطار		
١٢٨	١٣	﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾
٩٢. الليل		
٣٩	١٥	﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾
٩٧. القدر		
٣٣٥	٣	﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾
٩٨. البينة		
٣٦٥	١	﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾
٩٩. الزلزلة		
٣٩٤	١	﴿إِذَا زُلْزِلَتْ﴾
١١٢. الإخلاص		
٣٩٤	١	﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾

## فهرس الأحاديث النبوية

رقم الصفحة	طرف الحديث
١٥٥	إنَّ الصدقة لتطفئ غضب الرب وتدفع ميتة السوء
١٩١	سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين،
١٤٥	﴿إِذَا زُلْزِلَتْ﴾ تعدل نصف القرآن
١٤٤	﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن
٢٧١	أبشروا يا معشر الصعاليك، تدخلون الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم
٣٧٠	أتاكم أهل اليمن هم أرق أفئدة وألين قلوبًا بالإيمان
٣٠١	أتاني آت من عند ربي فخيرني
٨٥	أتاه ملكان أسودان أزرقان
٨٤	أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل
٩٣، ١٠٠، ٢٢١	اتبع الحسنة السيئة تمحها
٢٥٥	أتدرون من المفلس؟
٢٩٥	أتشهد أي رسول الله
٢٩٠	أتكفيننا فيه صلاة يوم؟ قال: لا، اقدرُوا له قدره
٣٤٨	أتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار دون الفرس
٣٥٣	أتينا يا رسول الله قال: لا تحزن إن الله معنا
٢٩٨	اثنان على بعير وعشرة على بعير
٢٩٨	اثنان على بعير، وثلاثة على بعير، وأربعة على بعير
١٠٣	اجعلوها في ركوعكم
١٠٣	اجعلوها في سجودكم
٢١٩	أحبَّ الشَّراب إلى رسول الله الحلو البارد
١٨٩	أحب الصلاة عندي صلاة داوود

رقم الصفحة	طرف الحديث
١٦٣	أحب الكلام إلى الله أربع
٣٦٤	أحبُّ أهلي إلي فاطمة بنت محمد
٣٦٢	أحبُّ أهلي إليّ من قد أنعم الله عليه وأنعمت عليه
٣٥٨	أحبُّ خلقك
٧٨	احتجّ آدم وموسى عليهما السّلام عند ربّهما، فحجّ آدم موسى
٢٣٦	احتثوا التراب في وجوه المداحين
٤	أحييت سنتي بشرح أحاديثي
٩٠	اختلاف أمتي رحمة
٣١٢	أدنى أهل الجنة الذي له ثمانون ألف خادم واثنان وسبعون
٢٨٦	إذا اتخذ الفيء دولا، والأمانة مغنما، والزكاة مغرما
١٢٤	إذا أحبّ قوماً ابتلاهم
٢٦٢، ١٢٢	إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا
١٢٤	إذا أراد الله بعبده خيراً
١٢٤	إذا سبقت للعبد من الله منزلة لم ينلها بعمله ابتلاه
٢٨٦	إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء
١٨٨	إذا قال المؤمن بعد انصرافه من صلاة المغرب
٨٩	إذا قبر الميت
٢١٠، ٢٠٩	إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث
٨٤	إذا مات أحدكم عرض عليه مقعده بالغدادة والعشي
٢١٥	اذهبا مع أبي العاص، وامكثا في بطن ناجح
١٩٦	أربع من كن فيه
٧٥	أربع من كنّ فيه كان منافقاً خالصاً
٣١١	ارتفاعها كما بين السماء والأرض، ومسيرة ما بينهما

رقم الصفحة	طرف الحديث
٣٠٨	أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة
٣٦٠	أرحم أمّتي بأمتي أبو بكر، وأشدّهم في أمر الله عمر
١٨٨	ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء
٣٦١	ارم يا سعد ارم فداك أبي وأمي
١٦٩	أسرف رجل في المعصية
٣٠٣، ٣٠٢ ٣٠١، ٣٧ ٣٠٣، ٣٠٤	أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله
٢٢٩	اسق عسلاً؛ فشرب ثلاث مرّات فلم ينفع
٢٩	الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وتقيم الصلاة
٣١٦	اشتكت النار إلى ربها فقالت رب أكل بعضي بعضاً
٢٨١	أصحابي أصحابي
٢٨٦	اعدد ستا بين يدي الساعة موتي ثم فتح بيت المقدس
٢٥٢، ١٤١	اعزل الأذى عن الطريق
٢٩٩	أعضاؤهم وجلودهم
٣٢٧	أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي
٣٦٢	أعلم أمّتي بالحلّال والحرام معاذ بن جبل
٢٦٥، ٢٦٧ ٢٧١	اغتنم خمسا قبل خمس
٣٦١	أفرض أمّتي زيد بن ثابت
٩٤	أفشوا السلام، واضربوا الهام تورثوا الجنان
٩٤	أفشوا السلام، واطعموا الطّعام وصلّوا والناس نيام تدخلوا جنّة ربّكم
١٨٩	أفضل الاعمال أشقها
١٥٧	أفضل الأعمال الحب في الله، والبغض في الله

رقم الصفحة	طرف الحديث
١٦٣	أفضل الذكر بعد كتاب الله
١٥٨	أفضل الصدقات ظل فسطاط في سبيل الله
١٦٣	أفضل الكلام أربع، سبحان الله، والحمد لله
١٦٤	أفضل الكلام ما اصطفى الله لملائكته
١٦٤	أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي
٣٤٥	أقام بمكة خمس عشر سنة يسمع الصوت ويرى الضوء
١١٧	أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كنا بذات الرقاع
٣٢٩	اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم
٢٩٠	اقدروا له
٣٦١	أقرأ أمي أبي
١٠٢	اقرأوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه
٣٦٢	أقضى أمي علي
٣١٥	أكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية
٢٤٢	ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟
٢٤٣، ٢٤٢	ألا أخبرك بملاك ذلك كله
٢٤٦، ٢١٢	ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟
٢٥١	ألا أخبركم بأهل الجنة كل ضعيف متضاعف
١٤٢	ألا أخبركم بخير الناس؟ رجل ممسك بعنان فرسه في سبيل الله
٢١٢، ١٥٦	ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم
١٥٧	
١٣٣	إلا تحلة القسم
٣٦٣	ألا ترضين أن تكوني سيّدة نساء أهل الجنة ونساء المؤمنين
١٢٩	ألا تسمعون إن الله لا يعذب بدمع العين

رقم الصفحة	طرف الحديث
١٠٥	إلا من جاء بمثلة فيهم
٢٧٠	إلا نفقته في التراب
٢٧	الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله
١٩٧	الدنيا متاع، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة
١٩٥	الشؤم في المرأة والدار والفرس
١٤٤	ألم تر آيات أنزلت الليلة لم ير مثلهن قط
٨٤	المسلم إذا سئل في القبر: يشهد أن لا إله إلا الله
٢٢٠	المؤمن يأكل ويشرب في معي واحدٍ
٢٤٦	المؤمنون هينون لينون كالجمال الأنف
٨٩	أما المنافق والكافر
٣٦٠	أما شيعت
١٨٣	أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له
١٧٤، ١٢٠	أمتي أمة مرحومة ليس لها عذاب في الآخرة
٢٣٨	أمرت أن أتجوز في القول
١٠٣	أمرت أن أسجد على سبعة أعظم
٢٩، ٢٧	أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله
٢٦٤	أملأ صدرك غنى، وأسد فقرك
٣٧	أمنت بالله ثم استقم
٢٠٧	إن أبغض الناس إلى الله يوم القيامة وأشدّهم عذاباً إمام
٢٠٧	إن أحب الناس إلى الله يوم القيامة وأقربهم مجلساً إمام
٨٩	إن أحدكم إذا مات
٣١٢	إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى جنانه وأزواجه
١٤٧	إن أسرع الدعاء إجابة دعوة غائب لغائب

رقم الصفحة	طرف الحديث
٢٢٢	إنَّ البذاذة من الإيمان
٣٦٦	إنَّ الجنَّة تشتاقي إلى ثلاثة؛ عليٌّ وعمَّار وسلمان
٢٧٣	إن الحسد يأكل الحسنات
١٥٢ ، ١٤٧	أنَّ الدعاء ينفع بما نزل ومما لم ينزل
١٧٦	إنَّ الرجل ليتكلم بالكلمة من الشر ما يعلم مبلغها
١٧٦	إن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه
١٤٩	أنَّ الرجل يطيل السفر أشعث أغبر
١٩٤	إنَّ الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة
٣٥٩	أنَّ الشَّيطان لا يدخل في طريق سلك فيها عمر
٣٦٠ ، ٣٥٩	إنَّ الشَّيطان ليخاف منك يا عمر
٣٥٤ ، ١٢٢	إنَّ العبد إذا سبقت له من الله تعالى منزلةً
١١٧	إنَّ العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله
٢٠٧	إنَّ العرافة حق ولا بد للناس من العرفاء
٣٢٠	إنَّ الكافر ليسحب لسانه الفرسخ والفرسخين
٢٧٦	إنَّ الله تجاوز لي عن أمتي ما وسوست به صدورها
٣٦٥	إنَّ الله تعالى أمرني أن أقرأ القرآن
١٨٥	إنَّ الله تعالى خلق آدم في صورة الرِّحمن
٢٣٥	إنَّ الله تعالى يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه
٢٦٩	إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا
١٤٥	إن الله قرأ ﴿طه﴾ و﴿يس﴾
٣٢١	إنَّ الله كتب كتابا قبل أن يخلق الخلق إن رحمتي
٢٧٠	إنَّ الله لا يحب المسرفين
١٤٨	أنَّ الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه

رقم الصفحة	طرف الحديث
٢٦١	إن الله لا يظلم مؤمنا حسنة
٣٥٦	أنَّ الله وضع الحقَّ على لسان عمر وقلبه
٣٠٦	إنَّ الله وعدني أن يدخل الجنة من أمتي أربعمئة ألف
٢٢٢	إنَّ الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده
٢٤٨	إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة، وصيام، وزكاة
٢٠٧، ٢٠٧	إنَّ المقسطين عند الله على منابر
٢١٩	أنَّ النبي عليه السلام يقطع من كتف شاة في يده
٣٠٦	إن أناسا من أصحابي يؤخذ بهم ذات الشمال فأقول أصحابي
٣١٤	أنَّ أهل الجنة إذا دخلوها، نزلوا فيها بفضل أعمالهم
٢٠٠	أنَّ أول الناس يقضى رجال ثلاث؛ شهيد، وعالم وغني
٢٠١	إنَّ أول ما خلق الله القلم
٢٠٠، ١١١	أنَّ أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله
٢٧٠	إنَّ أول ما يسأل العبد يوم القيامة من النعيم
٢٥٢، ١٥٧	أن تفارق الدنيا ولسانك رطب من ذكر الله
٤٧	أن تقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان وتحج البيت
١٩٥	إن تكن الطيرة في شيء ففي الفرس والمرأة والدارا
٣٠٠	إنَّ حوضي أبعد من أيلة من عدن هو أشد بياضا
١٥١، ١٤٦	إنَّ ربكم حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع إليه
١٠١	أنَّ رجلاً جاء إلى الصلاة وقد حفزها النفس
١٤٠	إنَّ رجلاً كان فيمن كان قبلكم، أتاه الملك ليقبض روحه
٣٦٩	أنَّ رجلاً يأتيكم من اليمن يقال له أويس لا يدع
١٦٠	إنَّ شرائع الإسلام قد كثرت علي
١١٧	أنَّ طائفة صفت مع رسول الله وطائفة قامت وجاء العدو

رقم الصفحة	طرف الحديث
١٦٦	إن عبداً أذنب ذنباً فقال: أي رب أذنبت ذنباً فاغفره
١٢٤، ١٢٢	إنَّ عظم الجزاء مع عظم البلاء
٣٦٤	إنَّ عليّاً سبقك بالهجرة
٣٥٧	إنَّ عليّاً منّي وأنا منه
٢٨٩	أنَّ عينه طافية
٣١١	إنَّ في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام
٣١٠	إن في الجنة لسوقاً، يأتونها كل جمعة
٣١١	إنَّ في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين
٢٦٩	إنَّ كل بناء وبال على صاحبه إلا ما لا
١٨٧	إن كل تسيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة
٢٧٢	إن كنت تحبني فأعد للفقير تحفافاً
١٤٤	إنَّ لكل شيء قلباً، وإنَّ قلب القرآن يس
٣١١	إنَّ للمؤمن في الجنة لحيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها
٢٣٩	إنَّ لله عبادة ليسوا بأنبياء ولا شهداء
١٦٠	إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر
٢٤٩	إنَّ مما أدرك الناس من كلام النبوة إذا لم تستح
٣٦٩	أنَّ من أشدَّ أمتي لي حباً ناس يكونون بعدي
٢٣٧، ٢٣٦	إنَّ من البيان لسحراً
٢٣٧	إن من العلم جهلاً
٢٣١، ١٩٧	إنَّ من القرف التلف
٣٠٥	إن من أمتي من يشفع للفئام من الناس
٢٩٥	إن يعيش هذا لا يدركه الهرم، حتى تقوم عليكم ساعتكم
٢٩٤	إن يكن هو فلست صاحبه، إنما صاحبه عيسى ابن مريم

رقم الصفحة	طرف الحديث
٣٢٣	أنا أكرم ولد آدم
٢٣٠	أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب
٢٢٧	أنا أنهى أمتي عن الكي
٣٢٤	أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا، وأنا خطيبهم إذا وفدوا
٣٢٦	أنا حبيب الله ولا فخر
٣٥٧	أنا دار الحكمة وعليّ بابها
٣٢٣	أنا سيّد ولد آدم في الدنيا والآخرة
١٧٢	أنا عند ظن عبدي بي
١٦٠	أنا مع عبدي إذا ذكرني
٢٨٧	أنا والساعة كهاتين وأشار بأصبعيه
٢٠٦	إنا والله لا نولي على هذا العمل أحداً سألته
٢٤٥	الأناة من الله والعجلة من الشيطان
١٢١	الأنبياء، ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل
٣٦٠	أنت أخي في الدنيا والآخرة
٣٥٦	أنت صاحبي في الغار وصاحبي على الحوض
٣٥٨، ٣٦٠، ٣٥٧	أنت منّي بمنزلة هارون من موسى
٣٦٦	الأنصار شعار والناس دثار
١٢٣	انطفاء سراج المؤمن مصيبة
٣٠١	انطلق فأخرج من كان في قلبه أدنى أدنى مثقال حبة
٣٥٦	أنتك أول من يدخل الجنة من أمتي
٢٠٧، ٢٠٦	إنكم ستحرصون على الإمارة وستكون ندامة يوم القيامة
٣١٤	إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر

رقم الصفحة	طرف الحديث
٣٣	إنَّما الأعمال بالنيات
٩٠	إنَّما أهلك من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب
٢٨٩	أنَّه أعور عين اليسرى
٢٨٨	إنَّه أعور عين اليمنى كأن عينه عنبة طافية
١٨٧	إنه خلق كل إنسان من بني آدم على ستين وثلاثمائة
٣٥٥ ، ٢٤٤	إنَّه ليغان على قلبي فاستغفر الله كل يوم مئة مرَّة
٢٨٩	أنَّه ممسوح العين عليها ظفرة غليظة
١٥٤	أنَّه يأتيه الملكان في الشَّهر الرَّابع فينفخ فيه
٢٨٩	أنَّها أعور عين اليمنى
٢٠٦	إنَّها أمانة، وإنَّها يوم القيامة حسرة وندامة
٢٨٩	أنَّها ليست بناتمة لا حجرا
١١٩	إني سألت ربي وشفعت لأمتي، فأعطاني ثلث أمتي
٣٦٢	اهتدوا بهدي عمَّار، وتمسَّكوا بعهد ابن أمِّ عبد
٣٦٤	اهتَزَّ عرش الرَّحمن لموت سعد بن معاذ
٣٠٧	أهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون منها من هذه الأمة
٣١٨	أهون أهل النار عذابا أبو طالب، وهو منتعل بنعلين
٢٦٨	أو الساعة، والساعة أدهى وأمر
٣١٧	أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت، ثم أوقد عليها
٢٠٠	أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء
١٦٤	أول من يدعى إلى الجنة يوم القيامة الذين يحمدون الله
٢٤٦	إياكم والحسد، فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار
٧٦ ، ٦٥	آية المنافق ثلاث، إذا وعد أخلف
١٢٧	أيما مسلم يشهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة

رقم الصفحة	طرف الحديث
٢٧، ٦٠، ٤٢	الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله
٤١، ٤٠، ٢٧ ٥٠، ٤٩	الإيمان بضع وسبعون شعبة
٣٦٨	الإيمان حجازي
٢١١	إيمان لا شك فيه وجهاد لا غلول فيه وحجة مبرورة
٣٦٨، ٣٦٧	الإيمان يمان
٣٣٠	أين كان ربنا
٣٢٧	أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه؟
٣٠٩	باب أمي الذي يدخلون منه الجنة عرضه مسيرة الراكب المجود
٤٠	بالشهادتين والصلاة والزكاة وصوم رمضان وإعطاء الخمس من المغنم
١١٠	بت عند خالتي ميمونة فصلّى النبي عليه السلام ثلاث عشر
٢٧٩	بحسب أمرى من الشتر أن يشار إليه بالأصابع في دين
٢١٢	بر الوالدين
٢٤١	بِروح الله
١٩١	بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض
٢٩	بضع وسبعون شعبة
٢٤٢	بني الإسلام على خمس
٢٥٤	بئس العبد عبد تحيل واختال ونسي الكبير المتعال
٣٧	بين العبد المؤمن والكفر ترك الصلاة
٩٣، ١٧٦، ٣٩	بين العبد والكفر ترك الصلاة
٣٥٦	بيننا أنا نائم ثم رأيت الناس يعرضون عليّ وعليهم قمص
٣٥٦	بيننا أنا نائم ثم رأيتني على قلب عليها دلو فنزعت
٣٤٦	بينما أنا في الحطيم وربما قال في الحجر مضطجعاً إذ

رقم الصفحة	طرف الحديث
١٨٥	تخلقوا بأخلاق الله
٢٩٥	تسألوني عن الساعة؟، وإنما علمها عند الله، وأقسم بالله ما
١٠٤	تسبّحون وتحمّدون وتكبرّون خلف كلّ صلاة ثلاثا وثلاثين
١٦٥	التسبيح يملاً نصف الميزان، والتحميد يمأله
٢٨٤	تسمع وتطيع للأمر، وإن ضرب ظهرك، وأخذ مالك
٢٩٩	تشهد الأرضُ
٢٩٩	تشهد الملائكةُ
٣٢٠	تشويه النار فتقلص شفته العليا
٢١٤	تعجلوا ثلثي أجورهم
٣٥٩	تغنّوا فإنّ الأنصار يعجبهم الغناء
٢٦٥	تفرغ لعبادتي أملاً صدرك غني
٢٦٤	تكن أعبد الناس
٢٦٤	تكن مؤمناً، تكن مسلماً
٢٢٥	التمس ولو خاتماً من حديد
١١٤	التمسوا الساعة التي ترجى في يوم الجمعة بعد العصر
٢٤٦	التؤدة في كلّ شيء خير إلّا في عمل الآخرة
٢١٨	توفي رسول الله صلّى عليه وسلّم وما شبعنا من الأسودين
٢٤٤	ثكلتك أمك
٢٧٤	ثلاث أقسم عليهن وأحدثكم حديثاً فاحفظوه
١٤٧	ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن دعوة المظلوم ودعوة الوالد
١٤٧	ثلاثاً ترد دعوتهم الصائم حين يفطر والامام العادل
١٩٦	ثلاث لا يكلمهم الله يوم القيامة
١٩٦	ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان

رقم الصفحة	طرف الحديث
١٩٦	ثلاث من كن فيه يسر الله حتفه
١٩٦	ثلاث مهلكات
٢٥١	ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم
٣٠١	ثم أعود الرابعة فأحمده بتلك، ثم أحر له ساجدا
١٥٧	ثم الجهاد في سبيل الله
١٥٧	ثم حج مبرور
١٢٥، ١٢٥	ثم صبره على ذلك حتى يبلغ المنزلة التي سبقت
٢٨٩	جاحظ العين وكأتمها كوكب
٨٢	جف القلم بما أنت لاق فاخص على ذلك أو ذر
٣٢٠	جلده اثنان وأربعون ذراعاً
٢١٢	الجهاد في سبيل الله
١٤١	جهد المقل وابداء بمن تعول
٢٢٦	الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام
٢٩٥	حتى تقوم عليكم ساعتكم
١٢٤	حتى توافيه بذنبه
٢١١	حتى يعود اللبن في الضرع
١٢٥	حتى يلقي الله وما عليه من خطيئة
١٢٤	حتى يمشي على الأرض ما له ذنب وحتى يلقي الله
٣٥	حرم على النار من قال لا إله إلا الله
١٩٧	حسن الملكة يمن، وسوء الخلق شؤم
٢٠	الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي
٣٠٠	حوضي مسيرة شهر ماؤه أبيض من اللبن
٢٤٩	الحياء لا يأتي إلا بخير

رقم الصفحة	طرف الحديث
٧٦	خالصاً، وخصله
٢٥٢	خذ الأمر بالتدبير
٢١٨	خرج رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم من الدنيا
١٩٦، ١٣٦	خصلتان لا تجتمعان في مؤمن
٩٤	خمس صلوات افترضهنّ الله تعالى
١٨٩	خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون
١٤١	خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى
٣٦٦	خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم
٢٣٨	خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه
١٦٤	خير ما قلت أنا والنبيون من قبلي
٣٦٣	خير نسائها مريم بنت عمران، وخير نسائها خديجة بنت خويلد
١١٢	خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم،
٢٨٨	الدجال أعور العين اليسرى، جفال الشعر، معه جنة ونار
٢٨٩	الدجال رجل قصير أفحج، جعد أعور، مطموس العين
١٥١	الدعاء أعظم العبادة
١٥١	الدعاء مخ العبادة
١٤٧	دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة
١٧٣	دعوتي ورجوتي
٢٥٨، ١٢٣	الدنيا سجن المؤمن
٢٦١	
٣٢٤	ذاك إبراهيم
١٦٠	الذاكرون الله كثيراً، والذاكرات
٩٠	ذروني ما تركتكم، وإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم

رقم الصفحة	طرف الحديث
٢٣١ ، ١٩٧	ذروها ذميمة
٢١٢	الدُّكْرُ خَيْرُ الأَعْمَالِ وَأَزْكَاهَا
١٩٨	ذلك الواد الحفي
١٠٤	ذهب أهل الدثور بالدرجات والتَّعِيمِ المقيم صلّوا كما صلّينا
٤٠	الَّذِي لا يَأْمَنُ جاره بوائقه
٣٦٧	الذي يخالط النَّاسَ ويصبر على آذاهم أفضل
٢٢٢	رَأَيْتِ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَعَلِيَّ أَطْمَارَ
٢٣٤	رَأَيْتِ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُسْتَلْقِيًّا فِي المَسْجِدِ
٣٠٢	رَبِنَا كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا وَيَصْلُونَ مَعَنَا وَيُحْجُونَ مَعَنَا
٢٣١	الرقى والتمايم والتولة شرك
٢٣٣	رؤيا المؤمن جزء من أربعين جزءا من النبوة
٢٧٧	الزهادة في الدنيا ليست بتحريم الحلال ولا إضاعة المال
١١٤	السَّاعَةُ الَّتِي يَسْتَجَابُ فِيهَا الدُّعَاءُ مِنْ يَوْمِ الجُمُعَةِ
٢٩١	سائر الأيام كأَيَّامِكُمْ
١٩٦	سبعة يظلمهم الله في ظل عرشه
٢٣٣	سبعون ألفاً من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب
١٦٠	سبق المفردون
١٦٨	سبقت رحمتي على غضبي
١٩٦	ستة لعنتهم ولعنتهم الله
٣١٤	سترون ربكم عيانا
٢٤٥	السمت الحسن والتؤدة والاقتصاد جزء من أربعة وعشرين جزءا
٣٠٨	سيحان وجيحان، والفرات والنيل كل من أنهار الجنة
٣١٢	سير الرّاكب في ظلّ شجرة مئة عام

رقم الصفحة	طرف الحديث
٢٠٢	سيكون في أمتي اختلاف وفرقة
١٠٦	شاهد الصلوة يكتب له خمس وعشرون صلاة
٢٢٧، ٢٢٩، ٢٣٢، ٢٢٦	الشفاء في ثلاث
٢٢٨	شفاء من كل داء إلا السام
١٩٥	الشؤم في ثلاثة، في المرأة، والمسكن، والدابة
١٠٦	صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة
٢١٢	الصلاة لوقتها
٩٤	صلّوا خمسكم، وصوموا شهركم، وأدّوا زكاة أموالكم وأطيعوا؛ إذا أمركم
٢٢١	الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان
٣١٩	ضرس الكافر مثل أحد وغلظّ جلده مسيرة ثلاث
٢٢٠	طعام الواحد يكفي الاثنين، وطعام الاثنين يكفي الأربعة
٣٦٩	طوبى للشام لأنّ ملائكة الرحمن باسط أجنحتها عليها
٢٠٣	طوبى لمن قتلهم وقتلوه، يدعون إلى كتاب الله
٢٢٤	طيب الرجال ما ظهر ريحه وخفي لونه
١٥٨	العج والتج
١٣٨	عذبت امرأة في هرة؛ أمسكتها حتى ماتت من الجوع
٢٠٣	علامتهم التحليق
٩٤	على الله عهد
٢٨	على رغم أنف أبي ذرّ
٢٤٥	عليك بالرفق وإياك والعنف والفحش
٢٧٢	عمر أمّتي من ستين سنة إلى سبعين
٢٢٤	عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كان يلبس الثياب

رقم الصفحة	طرف الحديث
١٣٨	غفر لامرأة مومسة مرت بكلب على رأس ركي يلهث
٢٢٠	غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر
١٧٠	غفرت لك ولا أبالي
١٧٧	غلّ خرزاً فوجدوا في ثقله خرزاً لا يساوي درهمين
٢٠٦	غلبه جوره عدله
١٤٢	الغنى غنى النفس
٢٣٣	فإذا حدث بها وقعت
٣٠٣	فأستأذن على ربي فإذا رأيتني وقعت ساجدا فيدعني
٢٥٠ ، ٢٤٩	فاصنع ما شئت
٢٤٥	فإن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه
١٩٨	فإن الغيل يدرك الفارس
٩٢	فإن الله تبارك وتعالى قد غفر ذنبك أو حدك
١٩٩	فإن النذر لا يرد شيئا من القدر
١٢٤	فإن كان في دينه صلبا
٢٥٧	فإن وراءكم أيام الصبر، فمن صبر فيهن كان كمن قبض
٢٦٨	فترغبوا فيها
٣٦٨	الفخر والخيلاء في أصحاب الإبل، والسكينة والوقار في أهل الغنم
٢٣١	فر من المجدوم كما تفر من الأسد
٣٤٩	فراش من ذهب
٣٤٨	فرج عن سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبرائيل ففرج صدري
٣٢٥ ، ١٧٨ ٣٦٧	فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم
١٧٩	فضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب

رقم الصفحة	طرف الحديث
٣٦٣	فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام
٣٥٨	فعلي مولاہ
٢١٨	فقال أعرابي: ما هذه الجلسة؟
٢٣٣، ٢٣٢	فقد برئ من التوكل فقد وكل إليه
٣٢٥	فلا أدري أحوسب بصعقته يوم الطور أم بعث قبلي
١٦٨، ١٦٧	فليعمل ما شاء
٣٩	فليمت إن شاء يهوديًا أو نصرانيًا
١٣٧	فمن أطعم منكم اليوم مسكينًا؟
١٣٧	فمن تبع منكم اليوم جنازة؟
١٣٧	فمن عاد منكم اليوم مريضًا؟
١٧٤	فمن علم منكم أي ذو قدرة على المغفرة فاستغفري غفرت
٨٥	فيأتيه من حرّها وسمومها ويضيّق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه
١٧٠	فيستغفرون الله
٨٥	فيقولان للمؤمن ما يدريك فيقول قرأت كتاب الله تعالى
٢٨٥، ٢٨٤	القاتل والمقتول في النار
١٤٠	قال الله تعالى: أنا أحق بذا منك، تجاوزوا عن عبدي
١٧٠	قال الله وتعالى: يا ابن آدم؛ إنك ما دعوتني ورجوتني
١٦٩	القتل في سبيل الله يكفر كل شيء، إلا الدين
٢٠١	قتلناه، جدعناه، خصيناه
٢٣١	قد بايعناك فارجع
٩٢	قد صلّيت معنا
٢٢٤	قدمت على أهلي وقد تشققت يداي؛ فخلّقوني بزعفران
٢٩، ٢٥٢، ٢٨	قل آمنت بالله ثم استقم

رقم الصفحة	طرف الحديث
٩٨	كأجر حجة وعمرة تامة
٣٢٩	كان الله ولم يكن قبله شيء
٢١٩	كان النبي عليه السلام إذا أتى بطعام أكل منه
٢٣٩	كان حقاً على الله أن يرد نار جهنم عنه
٣٢٩	كان ربنا في عماء ما تحته هواء وما فوقه هواء
٣٢٩	كان زيداً وأبوهُ قائم
٣٥٧	كان عند النبي طير فقال: اللهم آتيني بأحب خلقك إليّ
١٦٩	كان في بني إسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين إنساناً
٢٣٥	كان لا يقوم من مصلاه الذي يصلي فيه
٩٤	كان له على الله عهد
٢١٩	كان يأتي علينا الشهر ما نوقد ناراً
١٤٣	كان يصوم شعبان كله
٣٠٦	كانوا يصومون معنا ويحجّون معنا
٢٥١	الكبر بطل الحق
٢٩٦	كل ابن آدم يأكله التراب، إلا عجب الذنب منه
١٧٠	كل بني آدم خطاؤون وخير الخطائين التوابون
٢٠٩	كل ميت يحتّم على عمله إلا الذي مات مرابطاً
٢١٨	كلوا من حواليتها، ودعوا ذروتها يبارك فيها
١١٤	كيف تكون آخر ساعة
٢٢٤	لا أركب الأرجوان، ولا ألبس المعصفر
٢٨١	لا أغني عنكم من الله شيئاً
٢٨٣	لا أغني من الله شيئاً
٢٨٣	لا أغني من عذاب الله

رقم الصفحة	طرف الحديث
١٣٨	لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك
٢٨، ٢٩، ٤٠، ٤١	لا إيمان لمن لا أمانة له
٣١٠	لا تبلى ثيابهم، ولا يفنى شبابهم
٢٦٨	لا تتخذوا الضيعة فترغبوا في الدنيا
٣٢٧	لا تخيروا بين الأنبياء
٣٢٥	لا تخيروني على موسى فإن الناس يصعقون يوم القيامة
١٤٨	لا تدعوا على أنفسكم، ولا أولادكم، ولا أموالكم
٢٨٦	لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي
٢٠٢	لا ترجعن بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض
٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨	لا تسأل الإمارة
٢٠٥	لا تشربوا الخمر
٢١٦	لا تصلح قبلتان في أرض واحدة
٢٥٢	لا تغضب
٣٢٧	لا تفضلوا بين الأنبياء
٣٢٧	لا تفضلوني على يونس بن متى
١٩٨	لا تقتلوا أولادكم سرًا
٢٨٧	لا تقوم الساعة حتى تروا عشرا
٢٨٥	لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان
٢٩٤	لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين
٣٧	لا تقوم الساعة على أحد يقول الله
١٩٩	لا تندروا فإنَّ النذر لا يرد شيئًا من القدر

رقم الصفحة	طرف الحديث
٢٤١	لا حسد إلا في اثنتين
٢٧٣	لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن
٢٣٠	لا رقية إلا من عين أو حمة أو دم
٢٣١	لا عدوى
٣١٨	لا يأكل النار مواضع السجود
٤٠	لا يجتمع الشح مع الإيمان في قلب مؤمن أبداً
١٣٦	لا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد أبداً
٢٣٤	لا يحدث إلا حبيبا
٢٤٥	لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث
٢٠٣	لا يخرج المؤمن عن إيمانه بعمل ولا نكفره بذنوب
٤٦	لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة
٤٦	لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة
١٣٦	لا يدخل الجنة حُبٌّ ولا بخيل ولا منان
١٧٥	لا يدخل الجنة قتات
١٧٥ ، ٤٠	لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة خردل
٢٥٣ ، ٢٥١	لا يدخل النار أحد في قلبه مثقال حبة خردل
١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٣	لا يرد القضاء إلا الدعاء
١٢٢	لا يزال البلاء بالمؤمن أو المؤمنة في نفسه وماله
٢٥٢ ، ١٦٠	لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله
٣٩ ، ٣٧	لا يسرق سارق وهو مؤمن ولا يزني زان وهو مؤمن
١١٤	لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي
٢٢٤	لا يقبل الله صلاة رجل في جسده شيء من خلوق

رقم الصفحة	طرف الحديث
١٦٠	لا يقعد قوم يذكرون الله عز وجل إلا حفتهم الملائكة
١٤٨	لا يقل أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت
٣٤	لا يكفر المؤمن بذنب ولا يخرج عن الإسلام بعمل
٩٣	لا يكفر المؤمن بذنب ولا يخرج عن الإيمان
٢٨٠، ٢١٠	لا يلج النار من بكى من خشية الله
٣٥	لا يلقي الله عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة
١٣١	لا يموت لإحداكن ثلاثة من الولد فتحسبه، إلا دخلت الجنة
١٣١	لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد، فيلج النار إلا تحلة
٣٥٦	لا ينبغي لقوم فيهم أبو بكر أن يؤتيهم غيره
٣٥٨	لا ينبغي لقوم فيهم أبو بكر أن يؤمهم غيرهم
٢٩، ٢٧	لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده، وولده
٤١	لا يؤمن أحدكم والله لا يؤمن
٢١٧	لأخرجن اليهود، والنصارى من جزيرة العرب
٣٠٣، ٣٧	لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله
٢٣٥	لأن يمتلئ جوف رجل قيحا يريه
٣٦٨	لأننا بهم أو ببعضهم أوثق مني
٢٥٥	لتؤذن الحقوق إلى أهلها، حتى تقاد الشاة الجماء
٢٨٥	اللسان فيها أشد من وقع السيف
٢٢٥	لعن الله الواصلة والمستوصلة
٢٦٨	لعن عبد الدينار، ولعن عبد الدرهم
٢٣٥	لقد أمرت أن أتجوز في القول
١٤٠	لقد رأيت رجلاً يتقلب في الجنة؛ في شجرة قطعها
١٩٨	لقد هممت أن أنهي عن الغيلة

رقم الصفحة	طرف الحديث
٣٤٩	لقد رأيتني في الحجر وقريش سألتني عن مسراي
٣٦١	لكل أمة أمين، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة
٢٣٢	لكل داء دواء، فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله
٣١٢	لكل رجل منهم زوجتان على كل زوجة سبعون حلة
٣٦١	لكل نبي حواري، وحواري الزبير
٣٥٧	لكل نبي رفيق؛ ورفيقي في الجنة عثمان
١٨٦	لم تفجأه فاجئة بلاء
١٦٦	لم يأت أحد يوم القيامة، بأفضل مما جاء به
١٦٦	لم يأت في ذلك اليوم أحد بأكثر مما أتى
٢٠٤	لم يقبل الله صلاته أربعين صباحاً، ولم يتب عليه
٢٠٤	لم يقبل الله صلاته ولم يتب عليه
٣٢٣، ٣٢٢	لما صور الله آدم في الجنة
٩٥	لن يلج النار أحد صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها
١٨٨	الله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه
٢٧١	اللهم أحيني مسكيناً وأمتني مسكيناً
٢٧٢	اللهم أعط منفقاً خلفاً
١٩١	اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى
٢٥١	لو أقسم على الله لأبره
٣١٠	لو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت إلى الأرض
٣٢٠	لو أن رصاصة مثل هذه وأشار إلى مثل الجمجمة
٢٢٦	لو أن شيئاً كان فيه شفاء من الموت
١٧٤	لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك
٣٥٦	لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب

رقم الصفحة	طرف الحديث
١٩٨، ١٩٧	لو كان ذلك ضارا لضرار فارس والروم
٢٣٠	لو كان شيء سابق القدر لسبقته العين
٣٥٥	لو كنت متخذاً خليلاً غير ربِّي لأتخذت أبا بكر خليلاً
٣٦٣	لو كنت مؤمراً من غير مشورة لأمرت ابن أم عبد
٢٥٧	لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض
٣٦٦	لولا الهجرة لكنت امرأ الأنصار
٢١٧	ليس على المسلم جزية
٢٧٨	ليست بتحريم الحلال ولا إضاعة المال
٢٠٣	ليسوا منّا
٢١٧	لئن عشت لأخرجنّ إن شاء الله تعالى
٢٢٩، ٢٣١، ٢٣٢	ما أبالي ما أتيت إن أنا شربت ترياقا
١٣٨، ١٣٧	ما اجتمعن في امرئ، إلا دخل الجنة
٣٦٩	ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق
٢٢٠	ما أعلم النبي عليه السلام رغيماً مرفقاً، وشاة سميطاً وخبزاً
٢٦٩	ما أكل أحد طعاماً قط خيراً
١٥٨	ما الحاج؟ قال: «الشعث التفل»
١٤٤	ما أنزل في التوراة، ولا في الإنجيل، ولا في الزبور
٢٦٩	ما أنفق المؤمن من نفقة إلا أجر فيها إلا نفقته
٣١٩	ما بين منكبي الكافر في النار، مسيرة ثلاثة أيام
٣٣٠	ما تحته هواء وما فوقه هواء
١٤٣	ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم استكمل صيام
٢٣٥	ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجمعا ضاحكا

رقم الصفحة	طرف الحديث
٢١٧	ما شيع آل محمد من خبز الشعير يومين متتابعين
٣٥٦	ما طلعت شمس على رجل خير من عمر
٢٣٢	ما قلت شعراً من قبل نفسي
٣٥٥	ما لأحد عندنا يدًا إلا وقد كافيناه
٢٢٥	ما لي أجدر منك ريح الأصنام، فطرحة
١٥١، ١٤٧	ما من أحد يدعو بدعاء إلا آتاه الله ما سأل
١٠٣	ما من أحد يسلم عليّ إلا ردّ الله عليّ روحي
٣٥، ٢٩، ٢٨	ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأنّ
١٤٣	ما من أيام أحب إلى الله أن يتعبد له فيها
٢٩، ٢٨	ما من عبد قال لا إله الا الله ثم مات
٣٥	ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله
١٨٦	ما من عبد يقول صباح كل يوم، ومساء كل ليلة
٢١٤	ما من غازية، أو سرية، تغزو فتغنم وتسلم
٢٣٩	ما من مسلم يرد عن عرض أخيه، إلا كان حقاً
١٢٧	ما من مسلم يموت، فيقوم على جنازته أربعون رجلاً
١١٧	ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان، إلا غفر لهما
٨٣	ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه
١٢٧	ما من ميت يصلي عليه أمة من الناس
١٣٥	ما من يوم يصبح العباد فيه، إلا ملكان ينزلان
٣٠٠	ما منكم أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان
٢٦٧	ما ينتظر أحدكم إلا غنى مطغياً، أو فقراً منسياً
١٩٠	مائة رقاب من ولد اسماعيل وكتب له ألف حسنة
٢٠٨	مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات

رقم الصفحة	طرف الحديث
٣٢٠	مجلسه من جهنم كما بين مكة والمدينة
٢٢٣	مرّ على النبي عليه السلام رجل قد خضب بالحناء
١٣٤	المسألة لا تحل لغني، ولا لذي مرة سوي
٨٩	المسلم إذا سئل في القبر
٢٩، ٢٨	المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده
٣٠٦، ٣٠٥	مع كل ألف سبعون ألفا بغير حساب
٣٠٧	مع كل ألف سبعون ألفا وثلاث حثيات من حثيات ربي
٣٢٠	مقعده من النار مسيرة ثلاث
٣٤٥	مكث النبي عليه السلام بمكة ثلاث عشر سنة يوحى إليه
٢٦٨	من أحب دنياه أضر بأخوته، ومن أحب أخوته أضر بدنياه
١٢٦، ١٢٧	من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه
٢٢٦	من احتجم لسبع عشرة وتسع عشرة وإحدى وعشرين
١٧٦	من أحدث في المدينة حدثا أو أوى
٢٣٨	من أحسن إلى يتيمة أو يتيم عنده
٢٥٧، ١٨٥	من أحيا سنتي عند فساد أمتي فله أجر مائة شهيد
١٨٢	من ازداد علما ولم يزد هدى
١٣٤	من أصابته فاقة فأنزلها بالناس
١٣٧	من أصبح منكم اليوم صائما؟
١٣٥	من أصبح وأكبر همه الدنيا فليس من الله في شيء
١٩٨	من أعتق رقبة مسلمة أعتق الله بكل عضو منه عضوا
١٩٩	من أعتق نفسا مسلمة كانت فديته من جهنم
٢٥٠	من أعطي حظه من الرفق أعطي حظه من خير الدنيا
٢٣٢، ٢٢٩	من اكتوى أو استرقى فقد برئ من التوكل

رقم الصفحة	طرف الحديث
١٠١	من المتكلم؟ رأيت بضعة وثلاثين ملكاً يتدرونها
٢٢٨	من إهراق من هذه الدماء فلا يضره أن لا يتداوى
٢٣٨	من آوى يتيما إلى طعامه وشرابه أوجب الله له الجنة
١١٦	من تخطى رقاب الناس يوم الجمعة اتّخذ جسرا إلى جهنم
١٧٦	من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم
٣٤، ٣٧، ١٧٦	من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر
٩٦، ٩٥	من ترك العصر حبط عمله
٢٢٢	من ترك لبس ثوب جمال وهو يقدر عليه
٢٢٢	من تشبه بقوم فهو منهم
٢٣٦	من تعلم صرف الكلام ليسبي به قلوب الرجال
١١٤	من جلس مجلسا ينتظر الصلاة فهو في صلاة
١٩٩	من حلف بغير الله فقد أشرك
٣٦٨	من رأى من أصحابي أحد لا يدخل النار
٢٥٦	من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه
١٣٤	من سأل الناس وله ما يغنيه جاء يوم القيامة بخدوش
١٣٤	من سأل منكم وله أوقية أو عدلها؛ فقد سأل إلحافا
١٦٤	من سبح الله مائة بالغداة ومائة بالعشي كان كمن حج
١٤٨	من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد والكرب
٢٠٤	من شرب الخمر لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحا
٢٨	من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك
١٣٥	من صلى أربعين صباحا
٩٦	من صلى الفجر في جماعة، ثم قعد فذكر الله
١٠٧	من صلى بعد المغرب ست ركعات لم يتكلم فيما بينهنّ

رقم الصفحة	طرف الحديث
١٠٩	من صَلَّى بعد المغرب عشرين ركعة
٢٩، ٢٧	من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم
١٠٣	من صَلَّى عَلَيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ عَشْرًا
١٠٧	من صَلَّى كلَّ يومٍ ليلةٍ اثنتي عشرة ركعة تطوُّعاً
١٨٢	من طلب العلم ليجاري به العلماء أو ليماري به السفهاء
٢٠٥	من طلب قضاء المسلمين حتى يناله
١٥٩	من عجز منكم عن الليل أن يكابده وبالمال أن ينفقه
١١٤	من غسَّل يوم الجمعة، واغتسل وابتكر
٢٢١	من غير حول مني ولا قوة
٢١٠	من قاتل في سبيل الله فواق ناقة
٢٠٣	من قاتلهم كان أولى بالله منهم
٣٢٧	من قال أنا خير من يونس بن متى فقد كذب
١٨٦	من قال حين يصبح سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون
١٦٥	من قال حين يصبح وحين يمسي: سبحان الله وحمده
١٨٧	من قال حين يصبح: اللهم ما أصبح بي من نعمة
١٨٨	من قال في سوق جامع يباع فيه لا إله إلا الله...
٣٠٢، ٣٥	من قال لا إله إلا الله دخل الجنة
٦٨	من قال لأخيه المسلم يا كافر، فقد باء به أحدهما
١٩٠	من قال مرة لا إله إلا الله وحده لا شريك
١٩٠	من قالها مائة مرة كان له عدل عشر رقاب
١٩٠	من قالها مائة مرة كان له عدل رقبة وعشر حسنات
٢٠١	من قتل عبده قتلناه، ومن جدعه جدعناه
١٧٦	من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة

رقم الصفحة	طرف الحديث
٣٥	من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة
٢٦٣	مَنْ كَانَ صَلْبًا فِي دِينِهِ اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ
٣٥٧	من كنت مولاه فعليّ مولاه
٢٢٢	من لبس ثوب شهرة في الدنيا، ألبسه الله ثوب مذلة
٢٢١، ٢٢٠	من لبس ثوبا فقال: الحمد لله الذي كساني هذا ورزقنيه
٣٥	من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة
٢٧٦	من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة
٢٦٣	من يأخذ عني هؤلاء الكلمات فيعمل بهن
٢٤٨	من يجرم الرفق، يُجرم الخير
٣١٨	منهم من تأخذه النار إلى كعبه
٢٨٦	المهدي من عترتي من ولد فاطمة
٢٨٦	المهدي مني أجلى الجبهة أفنى الأنف
١٢١	المؤمن كالحامدة والمنافق كالأرزة
٢٣٧	المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه
١٩٣	نزل الحجر الأسود من الجنة، وهو أشد بياضا من اللبن
٣٢٩	نسألك عن أول هذا الأمر
٢٦٦	نعم المال الصالح للرجل الصالح
٢٧١، ٢٦٧	نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الفراغ والصحة
١٩٢	نحائي ربي أن أقرأ القرآن في الركوع والسجود
١٣٣	نحيتكم عن زيارة القبور فزوروها
٢٣٠	هل أنت إلا أصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت
١٧٦	هل عليه دين؟ قالوا: نعم، ولم يصلّ عليه
٢٣٦	هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيء؟

رقم الصفحة	طرف الحديث
٢٤٤	هل يكب الناس
٩١، ٩٠	هَلَّا تَسْأَلُوا إِذَا لَمْ تَعْلَمُوا وَإِنَّمَا شِفاء الْعِيِّ السَّوَال
٢٥٨	هن ناقصات العقل والدين
٢٩٧	هو أول ما يُخلق، وآخر ما يبلي
١٧٧	هو في النَّار
١٢٤	وإذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي
٨٤	وإذا قيل له من ربك وما دينك ومن نبيك
٢٣٢	واسق عسلاً فتداووا
٣١٤	وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية
٢٦٥	وإلا ملأت
٢١٥	والحج عرفة
١٧٧	والذي نفسي بيده إنَّ الشَّملة التي اخذها يوم خير
١٦٩	والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم
٢١٨	والذي نفسي بيده، لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة
٣٠٧	والذي نفسي بيده إني أرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة
١٧٣	والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله عز وجل
٢٤٤	والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم
٢٠٨	والله لا نوليّ على هذا العمل أحداً أحرص عليه
٢٠٨	والله لا نوليّ هذا العمل أحداً سألته
٤٠	والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن
١٩٣	والله ليبعثه الله يوم القيامة، له عينان يبصر بهما
٣٠٠	وأما في ثلاث مواطن فلا
٢٨	وإن زنى وإن سرق

رقم الصفحة	طرف الحديث
٢٣٦	وأن من الشعر لحكمة
٢١٩	وددت أن عندي خبزة بيضاء من برة سمراء ملبقة بسمن
١٨٢	ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن
٢٩١	وسائر الأيام كأيامكم
٣٥٨	وعليُّ وليُّ كلِّ مؤمن
٣٦٩	وغلظ القلوب والجفاء في المشرق والأيمان في أهل الحجاز
٢٢٥	وفروا للحي
١١٢	وفيه ساعة لا يسأل عبد مسلم فيه خيراً إلا أعطاه
٢٣٤	وقعت وقع آثار الرّؤيا
١٢٤	ولا يزال البلاء بالمؤمن أو المؤمنة
١٥٥	ولا يزيد في العمر
٢٨٨	ولبثه في الأرض أربعون يوماً؛ يوم كسنة، ويوم كشهر
١٩٠	ولم يأت بأحد أفضل مما جاء به إلا رجل
٢٢٥	ولو خاتماً من حديد
١٠٧	وما من خطوة أحبّ إلى الله من خطوة يمشيها يصل
٣٢٤	وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائه
٢٠٨	ومن غلب جوره عدله فله النار
٣٧	ومن مات ولم يحج فليمت إن شاء يهودياً أو نصرانياً
٨٥	فتعاد روحه فيأتيه ملكان فيجلسانه، فنقول من ربك
٢٠٧	ويل للأمرء، ويل للعرفاء، ويل للأمناء
١٤٤	يا أبا المنذر، أي آية من كتاب الله تعالى معك
٣٥٣	يا أبا بكر ما ظننك بإثنين الله ثالثهما
٢٠٨	يا أبا ذرّ إنّي أراك ضعيفاً

رقم الصفحة	طرف الحديث
٢٤١	يا أبا ذر أي عرا الإيمان أوثق؟
٢٦٣	يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى وأسد فقرك
١٧٣	يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني، غفرت لك
٣٢٣	يا خير البرية، قال: ذاك إبراهيم
٢٨٣	يا رسول الله، أيكون بعد هذا الخير شر كما كان
١٠٠	يا عقبة ألا أعلمك خير سورتين
٢٨١	يا معشر قريش، اشترؤا أنفسكم من الله، لا أغني عنكم
٣١٠	يأكلون ويشربون ولا يتغوطون
٢٨٥	يبوء بإثمه وإثمك
٢٩٩	يتباهون بأكفأهم
٩٦	يتعاقب فيكم ملائكة الليل والنهار
٢٢٣	يجب أن يرى أثر نعمته على عبده
٢٩٩	يحشر الناس حفاة عراة غرلا
٢٩٧	يحشر الناس على ثلاث طرائق راغبين راهبين
٢٩٧	يحشر الناس على ثلاثة أصناف: صنف مشاة
١٩٠	يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير
٢٦٦	اليد العليا خير من اليد السفلى
٣٠٥	يدخل الجنة بشفاعه رجل من أمتي أكثر من بني تميم
٣٠٥، ٣٠٦	يدخل من أمتي الجنة سبعون ألفا بغير حساب
٣٠٨	
٣١٣	يدخلون الجنة على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم
٣١٣	يدخلون جردا مردا مكحلين أبناء ثلاثين أو ثلاث وثلاثين سنة
١٠٤	يدركون به من قبلكم ويسبقون به من جاء بعدكم

رقم الصفحة	طرف الحديث
٢٠٣	يدعون إلى كتاب الله وليسوا منا في شيء
٣٠٥	يرى أهل الجنة بعض أهل النار يقولون: ربنا كانوا يصومون
١٤٨	يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم
٨٥	يسلّط على الكافر في قبره تسعة وتسعون تيناً تنهشه وتلدغه
٣١٣	يعطى كل واحد قوة مئة رجل
٢٤٠	يفزع الناس ولا يفزعون
١٣١	يقول الله عز وجل: ما لعبدي المؤمن عندي جزاء
١٤٩	يقول: دعوت، وقد دعوت فلم أر يستجاب لي
٢٧٤	يقوم به آناء الليل والنهار
٢٨٤	يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهدائي، ولا يستنون بسنتي
٢٩٣	يمكث أبو الدجال ثلاثين عاماً لا يولد لهما ولد
٢٩٩	يوم تشهد عليهم ألسنتهم

## فهرس الأعلام

رقم الصفحة	العلم
٤٨	أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي الخطابي
٩٥	أبو عبد الله بن الحسن بن الحسين بن عبد الله التوريشتي
٦١	أبو هاشم الجبائي عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب
٥٧	أحمد بن عبد الرحمن بن خال القلانسي
٥٨	أحمد بن يحيى بن إسحاق الراوندي
٥٨	بشر بن غياث بن أبي كريمة
٥٨	جهم بن صفوان
٥٧	الحارث بن أسد البغدادي، المحاسبي
٥٩	الحسين بن الحسن بن محمد بن حلیم الجرجاني
١١٠	الحسين بن محمود بن الحسن الزيداني
١٩٥	حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي الخطابي
٣٠	عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار، عضد الدين الإيجي الشيرازي
٥٨	عبد الله بن سعيد بن كلاب البصري
١٠٨	عبد الله بن عمر بن علي البيضاوي
٤٧	علقمة بن مرثد
٤٤	علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي
٢٥٩، ٥٤	علي بن محمد بن الحسين، فخر الإسلام، البزدوي
١٥٢	عمر بن محمد النسفي
٥	القاضي الفقيه حسين بن محمد بن أحمد أبو علي المروودي
٣٠	محمد الشهرستاني
١٤٩	محمد بن إسحاق صدر الدين القونوي
٢٤٧، ٩٧	محمد بن زنطار الأشرفي

٦١	محمد بن عبد الوهّاب بن سلّام، أبو عليّ الجبّائيّ
٥٧	محمد بن عبد الوهّاب الثقفّي
١٥١	محمود بن عمر بن محمد الزمخشريّ
٦٩	مقاتل بن سليمان
٥٦	ميمون بن محمد بن معتمد المكحوليّ
٥١	يوسف بن أبي بكر بن محمّد بن عليّ السكاكيّ



## السيرة الذاتية

الاسم: آية جمال أبو طير

### المؤهلات العلمية:

- \* توجيهي - علمي - مدرسة صور باهر الثانوية للبنات ٢٠١٣-٢٠١٤
- \* بكالوريوس - أساليب تربية إسلامية - جامعة الخليل ٢٠١٤-٢٠١٨

### اللغات

- \* اللغة العربية = قراءة وكتابة ومحادثة ممتازة.
- \* اللغة الإنجليزية = قراءة وكتابة جيد جدًا، محادثة متوسط.
- \* اللغة العبرية = قراءة وكتابة جيد جدًا، محادثة متوسط.
- \* اللغة التركية = قراءة وكتابة ومحادثة جيد جدًا.

### الخبرات:

- \* ٢٠٢٢ المشاركة في دورة صناعة التحقيق تحت إشراف جامعة صباح الدين زعيم ودار المخطوطات.
- \* ٢٠٢٢ المشاركة في دورة مناهج البحث تحت إشراف جامعة صباح الدين زعيم ودار المخطوطات.